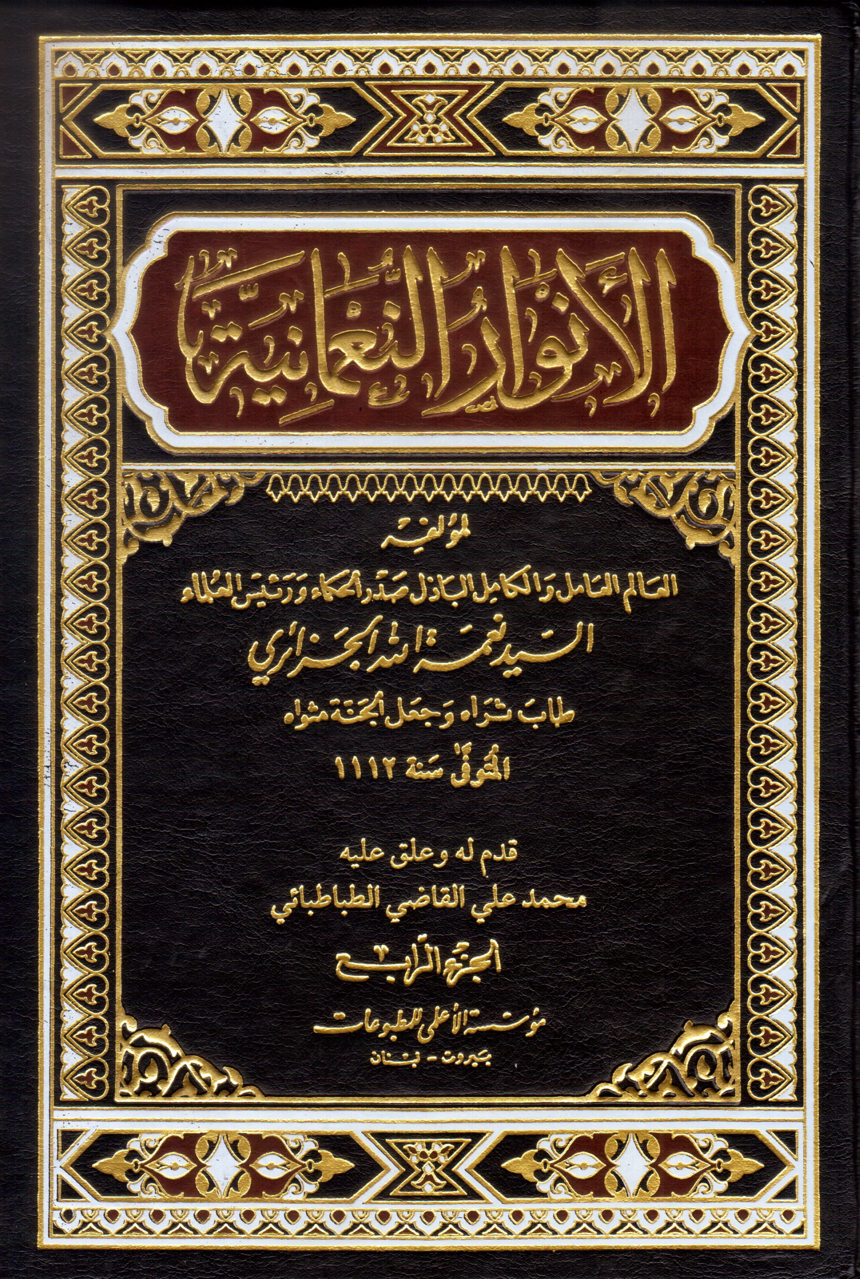


الأنوار النعمانية
لمؤلفه
العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء
السيد نعمة الله الجزائري
طاب ثراه وجعل الجنة مثواه
المتوفى سنة ١١١٢
قدم له وعلق عليه
محمد علي القاضي الطباطبائي
الجزء الرابع
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان


الأنوار النعمانية
٤



الأنوار النعمانية

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى سنة ١١١٢

قدم له وعلق عليه

محمد علي القاضي الطباطبائي

يا علي يا فاطمة

الجزء الرابع

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى المصححة

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - مفرق حارة حريك
قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



Beirut Airport Road
Tel: 01/450426 Fax: 01/450427
E-mail: alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نور في بعض التراكيب المشكلة والأخبار الدقيقة والمسائل الفقهية وغيرها

اعلم أنّه قد تقدّم أنّ الاحتياج إلى علم النحو أشدّ من الاحتياج إلى غيره، فلا بأس بأن نبدأ ببعض تراكيبه ونثره (وتفسيره):

إنّ هـنـد الـمـلـيـحـة الـحـسـنـاء وأي مـن أضـمـرت لـخـلٍّ وفـاء

برفع هند والمليحة ونصب الحسناء، وتحقيقه أنّ الهمزة فعل أمر والنون للتّوكيد، والأصل إينّ بهمزة مكسورة وياء ساكنة للمخاطبة ونون مشدّدة للتوكيد، ثمّ حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وهند مُنادى، والمليحة نعت لها على اللفظ، والحسناء إمّا نعت لها على الموضع، وإمّا بتقدير أمدح، وإمّا نعت لمفعول به محذوف، أي: عِدي يا هند المرأة الحسناء، وعلى الوجهين الأوّلين فيكون إنّما أمرها بإيقاع الوعد الوفيّ من غير أن يعيّن لها الموعود، وقوله: وأي مصدر نوعي منصوب بفعل الأمر، والأصل: وَأياً، مثل: وأي من أضمرت، وقوله: أضمرت بالتأنيث محمول على معنى من.

ومن النثر قولهم: إنّ قائم، بتشديد إنّ ورفع قائم؛ والجواب عنه أنّ أصله إن أنا قائم، فحُذفت همزة أنا اعتباطاً، وأُدغمت نون إن في نونها، وحُذِفت ألفها في الوصل، وإن المخفّفة هنا مهملة عن العمل، ومثله قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨]، والأصل: لكن أنا هو الله ربّي.

ومن الشعر المتعلّق بالمسائل الفقهية ما كتبه الرشيد يوماً إلى القاضي أبي يوسف، وهو هذان البيتان:

فإن ترفقي يا هند فالرفق أيمن وإن تخرقي يا هند فالخرق أشأم

فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاث ومن يخرق أعقّ وأظلم

فقال: ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها؟ قال أبو يوسف: فقلت: هذه مسألة نحويّة فقهيّة، ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي؛ فأتيت الكسائي وهو في فراشه فسألته، فقال: إن رفع ثلاثاً طلقت واحدة؛ لأنّه قال: أنت طالق، ثمّ أخبر، وإنّ الطلاق التامّ ثلاث، وإن نصبها طلقت ثلاثاً؛ لأنّ معناه: أنت طالق ثلاثاً وما بينهما جملة معترضة، فكتبت بذلك إلى الرشيد، فأرسل إليّ بجوائز فوجّهت بها إلى الكسائي.

وقال المحقّق ابن هشام: الصواب أن كلّاً من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة. أمّا الرفع، فلأنّ ال في الطلاق إمّا لمجاز الجنس؛ كما تقول: زيد الرجل، أي هو الرجل المعتدّ به، وإمّا للعهد الذكري مثلها في: فعصى فرعون الرسول، أي هذا الطلاق المذكور عزيمة ثلاث، ولا يكون للجنس الحقيقي لئلّا يلزم الإخبار عن العامّ بالخاص؛ كما يقال: الحيوان إنسان وذلك باطل؛ إذ ليس كلّ حيوان إنساناً، ولا كلّ طلاق عزيمة ثلاث، فعلى العهديّة تقع الثلاث، وعلى الجنسيّة تقع واحدة؛ كما قال الكسائي. وأمّا النصب، فلأنّه يحتمل لأن يكون على المفعول المطلق، وحينئذ يقتضي وقوع الثلاث؛ إذ المعنى: فأنت طالق ثلاثاً، ثمّ اعترض بينهما بقوله: والطلاق عزيمة، وأن يكون حالاً من الضمير المستتر في عزيمة، وحينئذ لا يلزم وقوع الثلاث؛ لأنّ الطلاق عزيمة إذا كان ثلاثاً، فإنّما يقع ما نواه، هذا ما يقتضيه معنى هذا اللفظ. وأمّا الذي أراده الشاعر المعيّن فهو الثلاث؛ لقوله بعد:

فبيني بها إن كنت غير رفيقة   وما لامرىء بعد الثلاث مقدم

أقول: هذا كلّه إنما يصحّ على مذاهب الجمهور من وقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد في مجلسٍ واحد، وأمّا الذي ذهب إليه علماء أهل البيت عليهم السلام من حكم هذا الطلاق، فهو إمّا البطلان أو وقوع طلقة واحدة فقط؛ وقد بقي على هذا المبحث اعتراضات كثيرة حرّرناها في حواشينا على مغني ابن هشام.

ومن النثر مسألة العقرب والزنبور التي وقعت بين سيبويه والكسائي، وكان من خبرهما أنّ سيبويه قدم على البرامكة، فعزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما، فجعل لذلك يوماً، فلمّا حضر سيبويه تقدّم إليه الفراء وخلف الأحمر، فسأله خلف عن مسألة فأجاب فيها، فقال له: إخطأت، ثمّ سأل ثانية وثالثة وهو يجيبه، ويقول

له: أخطأت، فقال: هذا سوء أدب، فأقبل عليه الفرّاء إنّ في هذا الرجل حدّة وعجلة، فسأله فأجابه فقال: أعِد النظر، فقال: لست أكلّمكما حتى يحضر صاحبكما، فحضر الكسائي فقال له: تسألني أو أسألك؟ فقال له سيبويه: سل أنت، فسأله عن هذا المثال وهو: كنت أظنّ أنّ العقرب أشدّ لسعةً من الزنبور، فإذا هو هي أو فإذا هو إيّاها، فقال له سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب، وسأله عن أمثال ذلك نحو: خرجت فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ بالنصب؟ فقال: كلّ ذلك بالرفع، فقال له الكسائي: العرب ترفع كلّ ذلك وتنصبه؟ فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال له الكسائي: هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر: أنصفت، فأُحضروا فوافقوا الكسائي، فاستكان سيبويه وأمر له يحيى بعشرة آلاف، فخرج إلى شيراز وأقام بها حتى مات، وقد رأينا قبره ولكن لم نزره لأنّه منهم.

ويقال: إنّ العرب أُرشوا على ذلك، أو أنّهم علموا منزلة الكسائي عند الرشيد، ويقال: إنّهم قالوا: القول قول الكسائي، ولم ينطقوا بالنصب، وأنّ سيبويه قال ليحيى: مُرْهم أن ينطقوا بذلك، فإنّ ألسنتهم لا تطوع به، وقد نظم هذا أبو الحسن حازم بن محمّد الأنصاريّ حاكياً هذه الواقعة والمسألة، فقال:

والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذا	إذا عنت فجأة الأمر الذي دهما
وربّما نصبوا بالحال بعد إذا	أو بعد ما رفعوا من بعدها ربما
فإن توالى ضميران إكتسى بهما	وجه الحقيقة من إشكاله غمما
لذاك أعيت على الأفهام مسألة	أهدت إلى سيبويه الحتف والغمما
قد كانت العقرب العوجاء أحسبها	قدماً أشدّ من الزنبور وقع حما
وفي الجواب عليها هل إذا هو هي	أو هل إذا هو إيّاها قد اختصما
وخطّأ ابن زياد وابن حمزة في	ما قال فيها أبو بشر وقد ظلما
وغاظ عَمْراً عليّ في حكومته	يا ليته لم يكن في أمرها حكما
كغيظ عمرو عليّاً في حكومته	يا ليته لم يكن في أمرها حكما
وفجّع ابن زياد كلّ منتحب	من أهله إذ غدا منه يفيض دما
كفجعة ابن زياد كلّ منتحب	من أهله إذ غدا منه يفيض دما
وأصبحت بعده الأنفاس باكية	في كلّ طرس كدمع سحّ وانسجما

وليس يخلو امرؤ من حاسد أضم لولا التنافس في الدنيا لما أضما
والغبن في العلم أشجى محنة علمت وأبرح الناس شجواً عالم هضما

وقوله: وربّما نصبوا، أي ربّما نصبوا على الحال بعد أن رفعوا ما بعد إذا على الابتداء، فيقولون: فإذا زيد جالساً، وقوله: ربما في آخر البيت بالتخفيف توكيد لربّما في أوّله بالتشديد، وغمما في آخر البيت الثالث بفتح الغين كناية عن الإشكال والخفاء، وغمما في آخر البيت الرابع بضمّها جمع غمّة، وابن زياد هو الفراء واسمه يحيى، وابن حمزة الكسائي واسمه علي، وأبو بشر سيبويه واسمه عمرو، وألف ظلما للتثنية إن بنيته للفاعل وللإطلاق إن بنيته للمفعول، وعمرو وعليّ الأوّلان سيبويه والكسائي، والآخران ابن العاص ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وحكما الأوّل اسم والثاني فعل أو بالعكس، وزياد الأوّل والد الفراء والثاني زياد ابن أبيه عليهما اللّعنة والعذاب والنيران، وابنه المشار إليه هو المرسل في قتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأضم كغضب وزناً ومعنى، وإعجام ضاد وهضم مبنيّ للمفعول، أي: لم يوفّ حقّه. وأمّا سؤال الكسائي، فجوابه ما قال سيبويه، فإذا هو هي هذا وجه الكلام، مثل: فإذا هي بيضاء. وأمّا فإذا هو إيّاها، فإن ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء، وقد ذكر في توجيهه أمور أحدها لأبي بكر بن الخيّاط، وهو أنّ إذا ظرف فيه معنى وجدت ورأيت، فجاز له أن ينصب المفعول، وهو مع ذلك ظرف مخبر به عن الاسم بعده انتهى، وهو خطأ؛ لأنّ المعاني لا تنصب المفاعيل الصحيحة.

والثاني: إنّ ضمير النصب استُعير في مكان ضمير الرفع، قاله ابن مالك.

والثالث: إنّه مفعول به، والأصل: فإذا هو يساويها، ثمّ حذف الفعل فانفصل الضمير.

والرابع: إنّه مفعول مطلق، والأصل: فإذا هو يلسع لسعتها، ذهب إليه الأعلم.

الخامس: إنّه منصوب على الحال من الضمير في الخبر المحذوف، والأصل: فإذا هو ثابت مثلها ثمّ حذف المضاف، فانفصل الضمير وانتصب في اللّفظ على الحال على سبيل النيابة، وهذا كلّه ما كان يخفى على سيبويه، ولكنه لمّا كان خلاف المشهور بين الفصحاء أنكره سيبويه، وهو لفظ عجميّ ومعناه بالعربيّة رائحة التفاح، قال إبراهيم الجزيني: سمّي بذلك لأنّ وجنتيه كانتا كأنّهما تفّاحتان، وسبب قراءته

النحو على ما ذكره أهل النحو أنّه جاء إلى حماد بن سلمة لكتابة الحديث، فاستملى منه قوله ﷺ: «ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء»، فقال سيبويه: ليس أبو الدّرداء، فصاح به حماد: لحنت يا سيبويه، إنّما هذه استثناء، فقال: لأطلبنّ علماً لا يلحنني معه أحد، ثم مضى ولزم الأخفش وغيره، وروينا عن ابن هشام الخضراوي أنّ السبب هو أنّه جاء إلى حماد بن سلمة، فقال: ما تقول في رجل رعف بالصلاة؟ بضمّ العين، فقال له حماد: لحنت يا سيبويه، إنّما هو رعف بكسر العين، فقال: لأطلبنّ علماً - الحديث، ونهض إلى الخليل وحكى له ما جرى، فقال الخليل: ما ردّ عليك به فهو الفصيح، وما قلت أنت لغة غير فصيحة؛ فلزم الخليل من ساعته إلى أن برع في صناعة الإعراب.

وروى الخطيب في تاريخه عن الفرّاء أنّ الكسائيّ أيضاً إنما تعلّم النحو على كبر، وذلك أنّه مشى يوماً حتّى أعيى ثمّ جلس إلى قوم ليستريح معهم، فقال: قد عيّيت - بالتشديد بلا همزة - فقالوا له: لا تجالسنا وأنت تلحن، فقال: وكيف؟ قالوا: إن أردت من التعب، فقل: أعييت، وإن أردت من انقطاع الحيلة والتحيّر في الأمر فقل: عييت مخفّفاً، فقام من ساعته فلزم حمّاداً حتى تقدّم عنده، فخرج إلى البصرة، فلقي الخليل قد مات وجلس موضعه يونس فتكلّم معه، فأقرّ له يونس في مسائل، وإنما سمّي الكسائي لأنّه لمّا قرأ على حمزة كان يلتفّ بكساء، فقال أصحاب حمزة له الكسائي، ومات سيبويه سنة ثمانين ومائة. وأمّا الكسائي فمات سنة تسع وثمانين ومائة.

ومنها أيضاً ما ينسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، حيث قال:

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى ... أكابد همّاً بؤسه ليس ينجلي
أكلّ شريف قد علا بجدوده ... حرام عليه العيش غير محلّل
فقالت: نعم يابن الحسين رميتكم ... بسهم عنادي حين طلّقني علي

وقال المسيح عليه السلام: أنا الّذي كفأت الدنيا على وجهها، فلس لي زوج يموت ولا بيت يخرب. اجتمعت عند رابعة عدّة من الفقهاء والزّهّاد، فذمّوا الدنيا وهي ساكتة، فلمّا فرغوا قالت: من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره إمّا بحمد وإما بذمّ، فإن كانت الدنيا في قلوبكم لا شيء، فلم تذكرونها؟ ومن الأشعار الجيّدة قول شيخنا البهائي رحمه الله في قصيدة طويلة وهي:

سرى البرق من نجد فهيّج تذكاري عهوداً بخروى والعذيب وذي قار(١)
وهيّج من أشواقنا كلّ كامن وأجّج في أحشائنا لاهب النار
ألا يا ليلات العذيب وحاجر سقيت بهام من بني المزن مدرار
ويا جيرة بالمأزمين خيامهم عليكم سلام الله من نازح الدّار
خليلي ما لي والزمان كأنّما يطالبني في آن بأوتار
فأبعد أحبابي وأخلى مرابعي وأبدلني من كلّ صفوٍ بأكدار
وعادل بي من كان أقصى مرامه من المجد أن يسمو إلى عشر معشار
ألم يدرِ أنّي لا أذلّ لخطبه وإن سامني خسفاً وأرخص تسعاري
مقامي بفرق الفرقدين فما الّذي يؤثّره مسعاه في خفض مقداري
وإنّي امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أُخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بإنكار
وأُظهر أنّي مثلهم تستفزني صروف اللّيالي باختلالٍ وإمرار
ويضجرني خطب المهول لقاؤه ويطربني الشادي بعودٍ ومزمار
ويصمي فؤادي ناهد الثّدي كاعب بأسمر خطّار وأحور سحّار
وإنّي لأسخى (سخي) بالدّموع لوقفة على طلل بال ودارس أحجار
وما علموا أنّي امرؤ لا يروعني توالي الرّزايا في عشيٍّ وإبكار
إذا دكّ طود الصبر من وقع حادث فطود اصطباري شامخ غير منهار

إلى آخر القصيدة.

ومن الأشعار قوله:

استقدر الله خيراً أو ارضينّ به فبينما العسر إذ دارت مياسير

أخرج الأنباريّ بسنده إلى الكلبي، قال: عاش عبيد بن شبرمة الجرهمي ثلاثمائة سنة وأدرك الإسلام ودخل على معاوية وهو متخلّف، فقال: حدِّثني بأعجب ما رأيت، قال: مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميّتاً لهم، فلمّا انتهيت إليهم اغرورقت عيناي بالدّموع، فتمثّلت بقول الشاعر:

---

(١) أسماء لأمكنة.

يا قلب إنّك من أسماء مغرور فاذكر وهل ينفعنّك اليوم تذكير
قد بحت بالحبّ ما تخفيه من أحد حتّى جرت بك أطلاقاً محاضير
تبغي أُموراً فما تدري أعاجلها أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير

فاستقدر الله . . . البيت.

وبينما المرء في الأحياء مغتبط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحيّ مسرور

فقال لي رجل: أتعرف من يقول هذا الشعر؟ قلت: لا، قال: إنّ قائله هو الّذي دفنّاه الساعة وأنت الغريب تبكي عليه ليس تعرفه، وهذا الذي خرج من قبره أقرب الناس إليه رحماً وهو أسرّهم بموته، فقال معاوية: لقد رأيت عجباً، فمن الميّت؟ قال: عنيز بن الوليد العذري. والمحاضير جمع محضر وهو الفرس الكثير العَدْو[1]، والأعاصير: جمع إعصار وهي ريح تثير الغبار نحو السماء

ومن الأشعار قول أبي الطيّب:

أمن ازديارك في الدّجى الرّقباء إذ حيث كنت من الظّلام ضياء

أمن: فعل ماض، فهو مفتوح الآخر لا مكسوره على أنّه حرف كما توهّمه بعض الأفاضل. والازديار: أبلغ من الزّيارة، والدال بدل عن التاء، وفي متعلّق به لا بأمن؛ لأنّ المعنى أنهم آمنون دائماً أن تزوري في الدُّجى، وإذ إما تعليل ،أو ظرف مبدل من محلّ في الدجى، وضياء مبتدأ خبره حيث، وابتدأ بالنكرة لتقدّم خبرها عليها ظرفاً؛ ولأنّها موصوفة في المعنى، لأنّ من الظّلام صفة لها في الأصل، فلمّا قُدِّمت عليها صارت حالاً عنها، ومن للبدل وهي متعلّقة بمحذوف، وكان تامّة، وهي وفاعلها خفض بإضافة حيث؛ والمعنى: إذ الضياء حاصل في كلّ موضع حصلت فيه بدلاً من الظلام.

ومن الأشعار قول أبي نواس الحكمي:

غير مأسوف على زمنٍ ينقضي بالهمّ والحزن

وذلك أنّ لفظ غير نكرة فلا يجوز وقوعه مبتدأ، وقد ذكر له النحاة ثلاثة أعاريب

---

(١) والأطلاق: مفردها الطلق: الشوط الواحد في جري الخيل.

أوّلها ما قاله ابن الشجري وابن مالك، من أنّ غير مبتدأ لا خبر له، بل الذي أُضيف إليه مرفوع يُغني عن الخبر؛ وذلك لأنّه في معنى النفي، والوصف بعده مخفوض لفظاً، وهو في قوّة المرفوع بالابتداء، فكأنّه قيل: ما مأسوف على زمن ينقضي مصاحباً للهمّ والحزن، فهو نظير ما مضروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف.

وثانيها ما قاله ابن جنيّ من أن غير خبر مقدَّم، والأصل: زمن ينقضي بالهمّ والحزن غير مأسوف عليه، ثمّ قدّمت غير وما بعدها، ثمّ حذف زمن دون صفته، فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور، فأُتي بالاسم الظاهر مكانه.

وثالثها ما صار إليه ابن الخشّاب من أنّ غير خبر لمحذوف، ومأسوف مصدر جاء على مفعول كالميسور، والمراد به اسم الفاعل، والمعنى: أنا غير آسف على زمن هذه صفته، وفيه من التكلّف ما لا يحتاج إلى البيان. ومنه أيضاً:

أبى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتىً لا يمنع الجود قاتله

وقد روي البخل منصوباً ومجروراً؛ فالنصب على أنّ لا زائدة مثلها في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]. وأمّا الجرّ، فعلى أنّ لا إسم مضاف لأنّه أُريد به اللفظ وشرحه أنّ كلمة لا تكون للبخل وتكون للكرم؛ وذلك أنّها إذا وقعت بعد قول القائل: أعطني أو هل تعطيني كانت للبخل، وإن وقعت بعد قوله أتمنعني عطائك، أو أتحرمني نوالك كانت للكرم، وقيل: هي غير زائدة أيضاً في رواية النصب، وذلك على أن تجعل اسماً مفعولاً والبخل بدلاً منها؛ كما قاله الزجاج. وقال بعضهم: لا مفعول به، والبخل مفعول لأجله، أي كراهية البخل مثل ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]، أي كراهة أن تضلّوا. وقال الزمخشري في أحاجيه: هذا البيت غامض المعنى، وما رأيت أحداً فسّره. أقول: الظاهر هو أنّ معنى البيت هذا وهو أنّه مدح ذلك الكريم بأنّ جوده أبى أن ينطق بلا التي للبخل، أي التي يقولها البخيل واستعجلت بجوده نعم، أي سبقت نعم إلى جوده على لا حال كون نعم صادرة من فتىً لا يمنع جوده للذي يريد قتله، يعني: أنّ الطالب لو طلب روحه لجادَ بها؛ كما قال بعده:

ولو لم يكن في كفّه غير نفسه لجادَ بها فليتّق الله سائله

فعلى هذا يكون رواية قاتله بالتاء الفوقانيّة، ويُروى بالتحتانيّة من القول، فتكون الهاء فيها عائدة إلى نعم، أي قائل هذه اللّفظة وهي نعم لا يمنع جوده أحداً.

ومن الأشعار المروّحة للخاطر ما نقله شيخنا البهائي رَحِمَهُ اللهُ من خطّ جدّه طاب ثراه:

إلى كم تمادى في غرورٍ وغفلة ... وكم هكذا نوم إلى غير يقظة

لقد ضاع عمر ساعة منه تشترى ... بملء السما والأرض أيّة ضيعة

أترضى من العيش الرغيد وعيشة ... مع الملإ الأعلى بعيش البهيمة

فيا درّة بين المزابل ألقيت ... وجوهرة بيعت بأبخس قيمة

أفانٍ بباقٍ تشتريه سفاهة ... وسخطاً برضوانٍ وناراً بجنّة

ءأنت صديق أم عدوّ لنفسه ... فإنّك ترميها بكلّ مصيبة

ولو فعل الأعدا بنفسك بعض ما ... فعلت لمسَّهم بها بعض رحمة

فقد بعتها هوناً عليك رخيصة ... وكانت بهذا منك غير حقيقة

كلفت بها دنيا كثيراً غرورها ... تقابلها في نصحها بالخديعة

إذا أقبلت ولّت وإن هي أحسنت ... أساءت وإن صافت فشوباً بكدرة

وعيشك فيها ألف عام وينقضي ... كعيشك فيها بعض يوم وليلة

عليك بما يجدي عليك من التقى ... فإنّك في سهو عظيم وغفلة

تصلّي بلا قلب صلاة بمثلها ... يصير الفتى مستوجباً للعقوبة

تخاطبه إيّاك نعبد مقبلاً ... على غيره فيها لغير ضرورة

ولو ردّ من ناجاك للغير طرفه ... تميّزت من غيظ عليه وغيرة

تصلّي وقد أتممتها غير عالم ... تزيد احتياطاً ركعة بعد ركعة

فويلك تدري من تناجيه معرضاً ... وبين يدي من تنحني غير مخبت

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة ... إذا عدّدت تكفيك عن كلّ زلّة

تقول مع العصيان ربّي غافر ... صدقت ولكن غافر بالمشيّة

فربّك رزّاق كما هو غافر ... فلمْ لا تصدّق فيهما بالسويّة

فكيف ترجّى العفو من غير توبةٍ ... ولست ترجّى الرزق إلّا بحيلة

وها هو بالأرزاق كفّل نفسه ... ولم يتكفّل للأنام بجنّة

وما زلت تسعى في الذي قد كفيته ... وتهمل ما كلّفته من وظيفة

تسيء به ظنّاً وتحسن تارة ... على حسب ما يقضي الهوى بالقضيّة

ومن الأشعار أيضاً[١] قوله:

لتقعدنّ مقعد القصيّ   منّي ذي القاذورة المقليّ
أو تحلفي بربّك العليّ   إنّي أبو ذيّالك الصبيّ

يُروى بكسر أنّ وفتحها، فالكسر على الجواب، والفتح على معنى: أو تحلفي على أنّي أبو الصبيّ، قاله شخص غاب عن زوجته وجاءها وقد ولدت ولداً، ويُحكى أنّها قالت في جوابه:

لا والّذي ردّك يا صفيّ   ما مسّني بعدك من إنسيّ
غير غلام واحد صبيّ   بعد أمردين من بني تليّ
وآخرين من بني عديّ   وخمسة كانوا على الطويّ
وستّة جاؤوا مع العشيّ   وغير تركيّ ونصرانيّ

فقام إليها وسدّ فاها وقال: اسكتي قبّحك الله، لو لم أسدّ فاك لذكرت الجنّ والإنس، وهذه المرأة المباركة قد استقلّت هؤلاء المعدودين؛ وقول زوجها: لذكرت الجنّ والإنس مبالغة. نعم كانت تذكر مع هؤلاء الأقارب والجيران؛ لأنّ الذين عدَّتهم إنَّما هم من الطوائف البعيدة. ولا ريب أنّ الأصدقاء والجيران أكثر من الأجانب، وشفقتها ـ لا رضي الله عنها ـ عليهم أكثر من الأباعد، ونظير هذه المرأة الكرديّة التي نظم حالها شيخنا الشيخ بهاء الدين قدّس الله روحه، حيث قال[٢]:

كان في الأكراد شخص ذو سداد   أمّه ذات اشتهار في الفساد
لم تخيّب من نوال طالبا   لم تكفّن عن وصال راغبا
بابها مفتوحة للدّاخلين   رجلها مرفوعة للفاعلين
فهي مفعول بها في كلّ حال   فعلها تمييز أفعال الرجال
كان ظرفاً مستقرّاً وكرها   جاء زيد قام عمرو ذكرها

(١) قالها رؤبة الراجز اي لتقعدين أيتها المرأة فلما دخلت نون التأكيد سقطت نون الكلمة وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وكسرت الدال لتدل على الياء المحذوفة ومقعد القصي إما مفعول مطلق على أن يكون المقعد بمعنى القعود أو على أنه مفعول فيه أي في مقعد القصي أي البعيد من قصي المكان يقصو إذا بعد ورجل قاذورة وذو قاذورة لا يخالط الناس لسوء خلقه والمقلي مفعول من قلاه يقليه إذا أبغضه.

(٢) الكشكول للبهائي ج ١ ص ٢٢٨.

جاءها بعض اللّيالي ذو أمل	فاعتراها الابن في ذاك العمل
شقّ بالسكين فوراً صدرها	في محاق الموت أخفى ذكرها
مكّن الغيلان من أحشائها	خلّص الجيران من فحشائها
قال بعض القوم من أهل الملام	لم قتلت الأُمّ يا هذا الغلام
كان قتل المرء أولى يا فتى	إنّ قتل الأُمّ شيء ما أتى
قال: يا قوم اتركوا هذا العتاب	إنّ قتل الأُمّ أدنى للصواب
كنت لو أبقيتها فيما تريد	كلّ يوم قاتل شخصاً جديد
إنّها لو ما تذق حدَّ الحسام	كان شغلي دائماً قتل الأنام
أيّها المأسور في قيد الذنوب	أيّها المحروم من ستر العيوب
أنت في أسر الكلاب العاوية	من قوى النفس النفور الغاوية
كلّ صبح ومساء لا تزال	مع دواعي النفس في قيلٍ وقال
فاقتل النفس الكفور الجانية	قتل كرديّ لأُمٍّ زانية
أيّها الساقي أدِرْ كأس المدام	واجعلن في دورها عيشي مدام
خلّص الأرواح من قيد الهموم	أطلق الأشباح من أسر الغموم
فالبهائي الحزين الممتحن	من دواعي النّفس في أسر المحن

وقد نظم رحمه الله تعالى هذا المضمون في أشعار عجميّة[١]، مضمونها أنّ تلك المرأة الكرديّة مع كثرة هذه الجنايات إذا أتى وقت الصلاة قامت وصلّت؛ فتعجّب من قوّة هذا الوضوء وأنّه كيف لم ينتقض مع هذه الجنايات التي لا تحصى، فليس هذا الوضوء إلّا من باب سدّ اسكندر ذي القرنين.

ومنها ما سئل الصلاح الصفدي عنه، وهو قول قيس:

أصلّي فلا أدري إذا ما ذكرتها	أثنتين صلّيت الضحى أم ثمانيا

ما وجه الترديد بين الاثنتين والثمانية؟ فقال: كأنّه لكثرة السهو واشتغال الفكر

---

(١) تلك الأشعار الفارسية مذكورة في رسالة: (نان وحلوا) لشيخنا البهائي رحمه الله أولها:

بود در شهر هرى پيره زنى	كهنه رندى حيله سازى پر فنى

وآخرها:

اين وضو از سنك رومحكتراست	اين وضو نبود سد اسكندر است

كان يعدّ الركعات بأصابعه، ثمّ إنّه يذهل فلا يدري هل الأصابع التي ثناها هي التي صلاّها، أم الأصابع المفتوحة؟ قال بعض المتأخّرين وأقول: لله درّ الصلاح في هذا الجواب الرائق الّذي صدر عن طبعٍ أرقّ من السحر الحلال وألطف من الخمر شيب بالزلال، وإن كنّا نعلم أن قيساً لم يقصد ذلك.

ومن الأشعار ما نقله صاحب التبيان، قال: قال أبو الحسن: دخلت على المرتضى فأراني أبياتاً قد عملها، وهي هذه:

سرى طيف سعدى طارقاً فاستفزّني هبوباً (سحيراً) وصحبي بالفلاة هجود
فلمّا انتبهنا للخيال الّذي سرى إذا الأرض قفر والمزار بعيد
فقلت لعيني: عاودي النوم واهجعي لعلّ خيالاً طارقاً سيعود

فقال لي: خذ هذه الأبيات إلى أخي الرضي، وقل له: لعلّه يتمّمها في الأوقات المستقبلة، فلمّا أتيت إلى أخيه الرضي ورآها قال: عليَّ بالمحبرة، فأتوه بها، فقال:

فردّت جواباً والدموع بوادر وقد آن للشمل المشتّ ورود
فهيهات من ذكرى حبيب تعرّضت لنا دون لقياه مهامه بيد

فعدت إلى المرتضى بالخبر، فقال: يعزّ عليَّ أخي قتله الذكاء؛ فما كان إلّا يسيراً حتى مضى. وهذا ليس ببعيد، فإنّ الذكاء إذا غلب على الطبيعة احترقت السوداء، فإذا احترقت مات صاحبها، وقد وقع مثله لأبي تمام؛ وذلك أنّه مدح الخليفة يوماً، فقال في مدحه:

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له الحاضرون: يا أبا تمام، ما هذا المدح الناقص؟ كيف شبّهت الخليفة بأجلاف العرب؟ ومن أين لهؤلاء درجة الخليفة فضلاً عن أن يشبّه بهم؟ فقال لهم: يا قوم هذا جائز، وقد ورد في الكلام الفصيح، فقالوا له: هات الشاهد على هذا، ولك ما طلبت، فقال: أمهلوني هذه اللحظة حتّى أتفكّر، فسكتوا عنه فتأمّل لحظة حتّى احمرَّ وجهه ثمّ اصفرَّ وتقلّبت عليه ألوان، ثمّ قال لهم:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً تعاطى بين كلّ الناس
الله قد ضرب الأجلّ لنوره مثلاً كما المشكاة والمقباس

فلمّا أنشد هذين الشعرين، قال: أُريد الجائزة ولاية مصر سبع سنين؛ فكأنّ

الخليفة استكثرها، فقال وزيره: اكتب له عهداً على ولاية مصر، ولا يبقى لك إلّا الذكر الجميل؛ وهذا الرجل لا يبقى في الدّنيا أكثر من سبعة أيّام، فقال له الخليفة: وكيف ذلك؟ قال: لأنّه لمّا شرع في التفكّر أخذ في تعداد أشعار العرب، فلم يجد هذا المثل، ثمّ أخذ في الأحاديث وعدّها فلم يجده أيضاً، فأخذ في القرآن وتصفّحه على خاطره حتّى بلغ إلى سورة النور، فوجد هذا المثل فيها، وقد احترقت طبيعته من قوّة هذه التخيّلات الكثيرة في اللّحظة الواحدة، فلونه هذا يدلّ على أنّ حياته لا تكون أكثر من سبعة أيّام، فقال أبو تمّام: قد صدق فيما قال، والآجال بيد الله تعالى؛ فكتب الخليفة أحكاماً على ولاية مصر، فأخذها وأراد المسير إليها، فمات في اليوم السابع، ومثل هذا قد وقع كثيراً.

ومن الأشعار قول سيّد العشّاق:

فأمّا عن هوى ليلى وتركي زيارتها فإنّي لا أتوب

وذلك لأنّ ظاهره أنّه لا يتوب عن ترك الزيارة، وهو معنى فاسد، ومن ثمّ قال بعضهم: إنّ الرواية يجب أن تكون: وحتّى زيارتها، ولكن الّذي وجدناه في ديوانه وتوجّه المحقّقون إلى تحقيق معناه هو لفظ التَّرك، وقد ذُكِر له وجوه، أحدها: إنّ المراد بالواو في وتركي واو الحال، والمعنى: إنّي لا أتوب في حال كوني تاركاً لزيارتها من عدم تمكّني منه؛ وثانيها: إنّي لا أتوب عن ترك الزّيارة لأنّي لم أفعله، ولا توبة عمّا لم يفعل.

وثالثها - وهو الصواب - ما ذكره ابن الحاجب في أماليه، حيث قال: وتوجيهه أنّ ذكر الترك لبيان ما يُطلب منه، ثمّ قال: فإنّي لا أتوب ممّا يُطلب منّي تركه؛ ألا ترى أنّه لو قال: وأمّا عن هوى ليلى وتوبتي من زيارتها فإنّي لا أتوب، لكان مستقيماً على أنّ المعنى: فإنّي لا أتوب ممّا تطلب منّي التوبة منه، لا على معنى: فإنّي لا أتوب من توبتي؛ إذ لا فرق بين أن يقول وتركي زيارتها أو توبتي من زيارتها، انتهى. وقبله:

ذكرتك والحجيج لهم ضجيج بمكّة والقلوب لها وجوب
فقلت ونحن في بلادٍ حرام به لله أخلصت القلوب
أتوب إليك يا رحمٰن ممّا أسأت فقد تكاثرت الذنوب
فأمّا عن هوى ليلى وتركي زيارتها فإنّي لا أتوب
فكيف وعندها قلبي رهين أتوب إليك منها أو أُنيب

ومن الأشعار قوله:

قال زيد سمعت صاحب بكر قائل قد وقعت في اللأواء

بجرّ زيد ورفع قائل واللأواء، وتوجيه إعرابه: إنّ القال والقيل اسمان كما جاء في الحديث من قوله: نُهِي عن القيل والقال، فقال منصوب بسمعت، وصاحب منادى، والباء فيه متّصلة في التقدير ببكر؛ ورفع اللأواء على الابتداء، وخبره قوله: ببكر، ورفع قائل على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي هو قائل، وف أمر من وفى يفي، وترتيب الكلام في البيت على وجهه: سمعت قال زيد يا صاح ببكر، اللأواء أي الشدّة والضيق وهو قائل قد وقعت فف؛ كما تقول: وقعت فأعنّي.

ومن الأشعار:

يا صاحبِ ملك الفؤاد عشيّة زار الحبيب بها خليل ناء

بجرّ صاحب ورفع الحبيب وخليل، وتوجيه إعرابه: إنّ صاحِ منادى مرّخّم، وقوله: بن أمر من بان يبين، وخليل فاعل ملك، ومعناه: يا صاحِبْ أبعد فقد ملك الفؤاد خليل ناءٍ عشيّة زار الحبيب بها.

ومن الأشعار أيضاً:

إنّ أبي جعفر على فرساً لو أنّ عبد الإله ما ركبا

برفع جعفر ونصب فرساً ورفع عبد الإله، وتوجيه إعرابه أن أبي اسم إنّ، وهو بمعنى والدي، وعلى فعل وفاعل ومفعوله فرساً، وأنّ من الأنين وهو فعل وفاعله عبد الإله؛ والتقدير: إنّ والدي جعفر ركب فرساً ولو شكى عبد الإله وأنّ ما ركب والدي.

ومنه أيضاً:

أقول لخالداً يا عمرو لمّا علتنا بالسيوف المرهفات

بنصب خالداً ورفع السيوف والمرهفات، وتوجيه إعرابه: إنّ اللام من لخالداً فعل أمر من ولى يلي، فإنّ فعل الأمر لِ بحرف واحد، وخالداً مفعول، وعلتنا بِ أصله علت نابي، والناب الجمل الكبير، وحُذِفت الياء لالتقاء الساكنين، والسيوف فاعل علت، والتقدير: أقول يا عمرو لِ خالداً، أي اتبعه وألصق نفسك به، وهذا القول قلته لمّا علت جملي السيوف المرهفات.

ومنه أيضاً:

إذا ما كنت في أرضٍ غريباً يصيد بها ضراغمها البغاث
فكن ذا بزّة فالمرء يزري به في الحيّ أثواب رثاث

برفع ضراغمها والبغاث، وتوجيه إعرابه: إنّ البغاث وهو الطّير الصغير فاعل يصيد، وقوله: بها ضراغمها جملة حاليّة محذوفة الواو لوجود الضمير في الجملة؛ ومنه:

جاءك سلمان أبو هاشما وقد غدى سيّدها الحارث

وهذا البيت قيل إنّه من مغلق الإعراب، وتوجيهه: إنّ جاء فعل ماض، والكاف كاف التشبيه، وأبوها فاعل جاء، وشما من شام البرق يشيمه إذا نظر إليه، والنون نون التوكيد الخفيفة وقد وقف عليها فأبدلها ألفاً، وفي شما ضمير فاعل، لأنّ الأمر للمواجهة، وسيّدها مفعول شما، والحارث فاعل غدى؛ وتقديره: جاء أبوها كسلمان شما سيّدها، وقد غدا الحارث.

ومنه أيضاً:

جابي خالداً فأهلك زيدا ربّك الله يا محمّد زيدا

بنصب خالداً ونصب ربّك الله وجرّ محمّد، وتوجيه إعرابه أنّ جا فعل ماض وقصر للضّرورة، وبي أصله أبي بمعنى والدي، وخالداً منصوب بوقوع الفعل عليه، وربّك الله نصب على التحذير، أي: اتّق ربّك الله، ومحم منادى مرخّم، أي: يا محمّد، ودِ أمر من ودى يدي إذا أعطاه ديته، وزيداً منصوب على أنّه مفعول به، ومعناه: أعطِ يا محمّد زيداً ديته. ومنه:

من سعيد بن دعلج يا بن هند تنج من كيده ومن مسعودا

بنصب سعيد ومسعود، وتوجيه إعرابه: إنّ من في الموضعين أمر من مان يمين وهو الكذب، ونصب سعيداً ومسعوداً على المفعوليّة؛ فكأنّه قال: اكذب سعيد بن دعلج واكذب مسعوداً تنج. ومنه أيضاً:

خمّر الشّيب لمّتي تخميرا وحدا بي إلى القبور البعيرا
ليت شعري إذا القيامة قامت ودُعِي بالحساب أين المصيرا

بنصب البعير والمصير، وتوجيهه: إنّ خمّر بمعنى خالط، وفي حدى ضمير راجع

إلى الشّيب، والبعيرا مفعول حدى، والمصيرا مفعول شعري، أي: ليتني أشعر المصير أين يكون. ومنه:

وردنا ماء مكّة فاستقينا من البئر التي حفر الأميرا

بنصب الأمير، وتوجيهه: إنّه مفعول لاستقينا، كما تقول: استقينا الله فأسقانا الغيث، وفي حفر ضمير الفاعل وهو راجع إلى الأمير؛ لأنّه مقدَّم تقديراً. ومنه:

جاء البشير بقرطاس فخرّقه فوق المنابر عبد الله يا عمرا

بنصب عبد الله وعمرا، وتوجيهه: إنّ عبد مثنى وسقطت نونه بالإضافة، والتقدير: عبدان الله، ونصب عمرا إمّا على أنّه نكرة غير مقصودة، وإمّا على أنّه مندوب حذف منه هاء السكت، أي: يا عمراه ومنه:

ما أكلنا شيئاً سوى الخبز إلاّ أنّه كان ذا خمير فطيرُ

برفع فطير، وتوجيهه: إنّه أمر من طار يطير، فهو أمر للجماعة بأن يفرّوا مسرعين عن أكل مثل هذا الخبز ومنه:

إذ ما جاء شهر الصوم فأفطر على مشويّه وكل النهار

بنصب شهر ورفع النهار، وتوجيهه: إنّ النهار فاعل جاء، والمراد به ولد الحبارى وشهر منصوب على الظرفيّة؛ وتقديره: إذا جاء وحصل ولد الحبارى في شهر الصوم فأفطر على ما ذبحت وشويت منه وكُلْ. ومنه:

استرزق الله واطلب من خزائنه رزقاً يثبك وإنّ الله غفّارا

برفع لفظة الله الثانية ونصب غفّارا، وقد وجّهه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب بأنّ قوله: وإنّ فعل أمر من الأنين بمعنى الشكاية، وهو معطوف على استرزق، ولفظ الله الثاني فاعل يُثِبك، وغفّارا حال من الله؛ وتقديره: استرزق الله وإِنّ إليه واطلب من خزائنه رزقاً يُثِبْك الله حال كونه غفّاراً. ومنه:

قيل لي انظر إلى السّهام تجدها طائرات كما تطير الفراشا

بنصب الفراش، وتوجيهه أن يكون مفعولاً ثانياً لتجدها، أي: تجدها كالفراش حال كونها طائرات كما تطير. ومنه قول الفرزدق في مدح مولانا زين العابدين:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

بنصب عرفان، وتوجيهه: إنّه مفعول لأجله بتقدير اللاّم. ومنه:

أكلت دجاجتان وبطّتان كما ركب المهلّب بغلتان

وتوجيهه: إنّ الدجاج جمع دجاجة، وتانِ اسم فاعل من تنى يتنو[1]، وكذلك يريد بط جمع بطّة وقد أضافه إلى تان، وكذلك بغل رجل تان، وأمثال هذا كثير نظماً ونثراً. ومنه:

مرّ كما انقضّ على كوكب عفريت جنّ في الدجى الأجدل

برفع كوكب، وتوجيه إعرابه: إنّ الأجدل فاعل مرّ، وكوكب فاعل انقضّ؛ وتقديره: مرّ الأجدل - أي الصقر - كما انقضّ كوكب على عفريت جنّ في الدجى؛ وهنا بيت يتّفق فيه وجوه كثيرة بحسب التغيير، وهي أربعون ألف وجه وثلاثمائة وعشرون وجهاً، والبيت هذا:

علي إمام جليل عظيم فريد شجاع كريم حليم

وقال شيخنا الشهيد قدّس الله روحه مجازاة لقول بعض العلماء:

لقلبي حبيب مليح ظريف بديع جميل رشيق لطيف

وهو من بحر المتقارب، وتوجيه الوجوه فيهما أنّ اللّفظين الأوّلين لهما صورتان، فإذا ضربتا في مخرج الثالث صارت ستّة، فإذا ضربت في مخرج الرابع صارت أربعة وعشرين، فإذا ضربت في مخرج الخامس صارت مائة وعشرين، فإذا ضربت في الستة فسبعمائة وعشرين، فإذا ضربت في السبعة فخمسة آلاف وأربعين، ثمّ في مخرج الثامن يبلغ ما قلناه. ومن لطائف الأشعار قوله:

سألته التقبيل في خدّه عشراً وما زاد يكون احتساب
فمذ تعانقنا وقبّلته غلطت في العدّ فضاع الحساب

ومنه أيضاً:

ليست بأوطانك اللاّتي نشأت بها لكن ديار الّذي تهواه أوطان
خير المواطن ما للنّفس فيه هوى سُمّ الخياط مع الأحباب ميدان
كلّ الديار إذا فكّرت واحدة مع الحبيب وكلّ النّاس إخوان

---

(١) في معجم تهذيب اللغة: تنَأ يتنأ بالمكان: إذا أقام به، فهو تانئ.

أفدي الّذين دنوا والهجر يبعدهم والنازحين وهم في القلب سكّان
كنّا وكانوا بأهنا العيش ثمّ نأوا كأنّنا قطّ ما كنّا وما كانوا

ومنه أيضاً قول ابن الدهّان كتب بهما إلى بعض الحكّام وقد عُوفي من مرضه:

نذر الناس يوم برئك صوماً غير أنّي نذرت وحدي فطرا
عالماً أنّ يوم برئك عيد لا أرى صومه وإن كان نذرا

وقال أحمد بن الحكيم الكاتب كتبه إلى بعض أصحابه في مرضه:

فديتك ليلي مذ مرضت طويل ودمعي لما لاقيت منك همول
ءأشرب كأساً أو وأُسرّ بلذّةٍ ويعجبني بطني وأنت نحيل
ويضحك سنّي أو تجفّ مدامعي وأصبوْ إلى لهوٍ وأنت عليل
ثكلت إذن نفسي وقامت قيامتي وغال حياتي عند ذلك غول

وقال بعضهم:

وقائلة لمّا رأت شيب لمّتي وأستره عن وجهها بخضاب
أتستر عنّي وجه حقّ بباطلٍ وتُوهمني ماءً بلمع سراب
فقلت لها: كفّي ملامك إنّها ملابس أحزاني لفَقْد شبابي

ولبعضهم:

وحقّك ما خضبت مشيب رأسي رجاء أن يدوم لي الشباب
ولكنّي خشيت يراد منّي عقول ذوي المشيب فلا تصاب

ولبعضهم:

وتاجر أبصرت عشاقه والحرب فيما بينهم ثائر
قال على ما اقتتلوا هاهنا قلت على عينك يا تاجر

للشافعي:

لا يدرك الحكمة من عمره يكدح في مصلحة الأهل
ولا ينال العلم إلّا فتى خالٍ من الأفكار والشغل
لو أنّ لقمان الحكيم الّذي سارت به الركبان بالفضل

بُلِي بفقر وعيال لما ... فرّق بين التّيس والبغل

لبعضهم:

بقدر الصعود يكون الهبوط ... فإيّاك والرُّتب العالية

فكن في مكانٍ إذا ما وقعت ... تقوم ورجلاك في عافية

لبعضهم:

ما عاينت عيني في عطلتي ... أقلّ من خطي ومن نحتي

قد بعت عبدي وحماري وقد ... أصبحت لا فوقي ولا تحتي

وقال بعضهم:

حتّام أنت بما يلهيك مشتغل ... عن نجح قصدك من خمر الهوى ثمل

ترضى من الدهر بالعيش الذّميم إلى ... كم ذا التواني وكم يغري بك الأمل

وتدّعي بطريق القوم معرفة ... وأنت منقطع والقوم قد وصلوا

فانهض إلى ذروة العلياء مبتدراً ... عزماً لترقى مكاناً دونه الحيل

فإن ظفرت وقد جاوزت مكرمة ... بقاؤها ببقاء الله متّصل

وإن قضيت بهم وجداً فأحسن ما ... يقال عنك قضى من وجده الرجل

وقال الشيخ أبو الفتح البستيّ:

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

وكلّ وجدان حظّ لا ثبات له ... فإنّ معناه في التحقيق فقدان

يا عامراً لخراب الدّهر مجتهداً ... تالله هل لخراب الدهر عمران

ويا حريصاً على الأموال تجمعها ... نسيت أنّ سرور المال أحزان

دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران

والقصيدة طويلة.

فائدة

سِرْ بعد الطعام ولو خطوة، كُلْ بعد الشرب ولو لقمة، نَمْ بعد الحمّام ولو لحظة، بُلْ بعد الجماع ولو قطرة. ومن أظرف الأشعار:

قلت وقد لحّ في معاتبتي فظنّ أنّ الملال من قبلي
خدّك ذا الأشعري حنفني وكان لي من أحمد المذاهب لي
حسنك ما زال شافعي أبداً يا مالكي كيف صرت معتزلي

وقال بشّار بن برد:

يا قوم أُذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

وقال:

إذا ما المدح صار بلا نوالٍ من الممدوح كان هو الهجاء

قال الرضيّ رضي الله عنه يخاطب الطائع:

مهلاً أمير المؤمنين فإنّنا في دوحة العلياء لا نتفرّق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت الكلّ منّا في السيادة معرق
إلاّ الخلافة ميّزتك فإنّني أنا عاطل منها وأنت مطوّق

وقيل: إنّه كان يوماً عند الخليفة وهو يعبث بلحيته ويرفعها إلى أنفه، فقال له الطائع: أظنّك تشمّ رائحة الخلافة منها؟ فقال: بل رائحة النبوّة. قال أبو عبد الله الزبيري: اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص وراوية نصيب، وافتخر كلّ منهم وقال: صاحبي أشعر، فحكّموا السيّدة سكينة بنت الحسين عليها السلام بينهم لعقلها وبصيرتها، فخرجوا إليها ودخلوا عليها، فقالت - وقد ذكروا لها أمرهم - لراوية جرير: أليس صاحبك يقول:

يقرّ بعيني ما يقرّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قرّت

وليس شيء أقرّ لعينها من النكاح، أفتحبّ صاحبك أن ينكح؟ قبّح الله صاحبك وقبّح شعره. ثمّ قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الّذي يقول:

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها وإن طلابيها لما فات من عقلي

فما أرادها ولكن طلب عقله، قبّح الله صاحبك وقبّح شعره. ثمّ قالت لراوية نصيب: أليس صاحبك الّذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

فهلاّ يوجد من يهيم بها، قبّحه الله وقبّح شعره. ثمّ قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبك الّذي يقول:

من عاشقين تواعدا وتواصلا ليلاً إذا نجم الثريّا حلّقا
باتا بأنعم ليلةٍ وألذّها حتّى إذا وضح الصباح تفرّقا

قبّح الله صاحبك وقبّح شعره، هلاّ قال تعانقا؟ وقال المتنبّي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللّئيم تمرّدا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرّ كوضع السيف في موضع النّدى

وكتب عليّ بن صلاح الدّين بن يوسف ملك الشام إلى الإمام الناصر لدين الله يشكو أخويه أبا بكر وعثمان، وقد خالفا وصيّة أبيهم له:

مولاي إنّ أبا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حقّ علي
وكان بالأمس قد ولاّه والده في عهده فأضاعا العهد حين ولي
فانظر إلى حظّ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأُوَل
فخالفاه وحلاّ عقد بيعته والأمر بينهما والنصّ فيه جلي

فوقع الخليفة الناصر على ظهر كتابه بهذه الأبيات:

وافى كتابك يابن يوسف منطقاً بالحقّ يخبر أنّ أصلك طاهر
منعوا عليّاً إرثه إذ لم يكن بعد النبيّ له بيثرب ناصر
فاصبر فإنّ غداً عليَّ حسابهم وابشر فناصرك الإمام الناصر

قال معاوية يوماً لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على قومك إذ سمّوك جارية! فقال: ما كان أهونك على قومك إذ سمّوك معاوية ! وهي الأنثى من الكلاب. وحُكِي عن الشريف المرتضى أنّه كان جالساً في قبّة لها مشرف على الطريق، فمرّ به ابن مطرّز الشاعر يجرّ نعلاً له بالية، وهي تُثير الغبار، فأمر بإحضاره وقال له: أنشد أبياتك التي تقول فيها:

إذا لم تبلّغني إليكم ركائبي فلا وردت ماءً ولا رعت العشبا

فأنشده إيّاها، فلمّا انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية وقال: أهذه كانت من ركائبك؟ فأطرق المطرّز ساعة ثمّ قال: لمّا عادت هبات سيّدنا الشريف إلى مثل قوله:

وخذ النوم من جفوني فإنّي قد خلعت الكرى على العشّاق

عادت ركائبي إلى مثل ما ترى، لأنّك خلعت ما لا تملكه إلى من لا يقبل، فاستحيا الشريف منه وأمر له بجائزة فأعطوه. قيل: قدم لقمان من سفره فلقي غلاماً له، فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات، قال: ملكت أمري، قال: فما فعلت أُمّي؟ قال: ماتت، قال: ذهب همّي، قال: فما فعلت أختي؟ قال: ماتت، قال: سترت عورتي، قال: فما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت، قال: جدّد فراشي، قال: فما فعل أخي؟ قال: مات، قال: آهٍ انقطع ظهري. وكان الشيخ عزّ الدِّين إذا قرأ القارىء عليه من الكتاب وانتهى إلى آخر باب من أبوابه لا يقف عليه، بل يأمره أن يقرأ من الباب الّذي بعده ولو سطراً، ويقول: ما أشتهي أن تكون ممّن يقف على الأبواب. ويقال: إنّ إياس بن معاوية نظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء، فقال: هذه حامل، وهذه مرضع، وهذه بكر؛ فسُئِلن فكان الأمر كذلك، فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: لمّا فزعن وضعت إحداهنّ يدها على بطنها، والأُخرى على ثديها، والأُخرى على فرجها.

وقال المعرّي:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

قال مسلم بن الوليد يمدح ابن مزيد الشيباني:

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يُدعى على عجل

لا يعبق الطّيب خدّيه ومفرقه ولا يمسّح عينيه من الكحل

يقال: إنّ هارون الرشيد لمّا سمع البيت الأوّل وفهم أنّه لمن وفيمن طلب ابن مزيد، فأُحضر وعليه ثياب ملوّنة ممصّرة؛ فلمّا نظر الرشيد في تلك الحال قال: أكذّبت شاعرك يا يزيد، قال: فيمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: في قوله: تراه في الأمن الخ... فقال يزيد: لا والله ما كذّبته، وإنّ الدرع عليّ ما فارقني، وكشف ثيابه فإذا عليه درع؛ فأمر الرّشيد بحمل خمسين ألف دينار إلى يزيد، وخمسة آلاف دينار إلى مسلم، ويقال: إنّه لمّا سمع البيت قال: منعتني من الطيب باقي عمري، فما رُئي بعد ذلك ظاهر الطّيب ولا مكتحلاً. يقال: إنّه كان أعطر الناس في زمانه، وكان يقول: الله بيني وبين مسلم حرمني أحبّ الأشياء إلي.

ومن لطائف الأشعار قول أبي الحسن التهاميّ يرثي ابنه:

حكم المنيّة في البريّة جاري ... ما هذه الدُّنيا بدار قرار
بينا يرى الإنسان فيها مخبراً ... حتّى يرى خبراً من الأخبار
طبعت على كدرٍ وأنت تريدها ... صفواً من الأقذار والأكدار
ومكلّف الأيّام ضدّ طباعها ... متطلّب في الماء جذوة نار
والعيش نوم والمنيّة يقظة ... والمرء بينهما خيال سار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت ... منقادة بأزمّة المقدار
فاقضوا مآربكم عجالاً إنَّما ... أعماركم سفر من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا ... أن تستردّ فإنهنّ عواري
فالدهر يشرق إن سقى ويغص إن ... يهنى ويهدم ما بنى ببوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالماً ... خلف الزمان عداوة الأحرار
يا كوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار
وهلال أيّام مضى لم يستبد ... بدراً ولم يمهل بوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه ... فغطّاه قبل مظنّة الإبدار
وكأنّ قلبي قبره وكأنّه ... في طيِّه سر من الأسرار
إن يحتقر صفواً فربّ مفخّم ... يبدو ضئيل الشخص للنظّار
إنّ الكواكب في علوّ محلّها ... لَتُرى صغاراً وهي غير صغار
ولد المعزى بعضه فإذا انقضى ... بعض الفتى فالكلّ في الإدبار
أبكيه ثمّ أقول معتذراً له ... وفقت حيث تركت ألأم دار
جاورتُ أعدائي وجاور ربّه ... شتّان بين جواره وجواري
إنّي لأرحم حاسديّ لحرّ ما ... ضمّت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنّة وقلوبهم في نار
لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي ... فكأنَّما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضع فتطلّعت ... أعناقها تعلو على الأستار

بسط الكلام مع الأحباب مطلوب وعليه جرى قول موسى عليه السلام : ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾ [طه: ١٨] الآية، وههنا سؤال وهو أنّ تكليم العبد للربّ سبحانه ميسّر كلّ وقت لكلّ أحد، كما في الدعاء ونحوه؛ وكان ينبغي لموسى عليه السلام أن لا يطيل الكلام بل

يختصر ويسكت، ليفوز بسماع الكلام مرّة أُخرى، فإنّه أعظم اللذّتين، والجواب: إنّ تكليم موسى للحقّ سبحانه في ذلك الوقت ليس من قبيل التكليم الميسّر في كلّ وقت؛ لأنّه جواب عن سؤاله تعالى ومكالمة له سبحانه، كما يتكلّم جليس الملك مع الملك، وفرق بين تكليم الجليس للملك وبين سماع الملك كلام شخص محجوب عن بساط القرب يصيح خارج الباب، وهذا هو الميسّر لكلّ أحد، على أنّ موسى عليه السلام لم يكن على يقين من أنّه إن اختصر وسكت فاز بالمخاطبة مرّة أُخرى، ألا ترى كيف أجمل في قوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، رجاء أن يسأل عن تلك المآرب فيبسط الكلام مرّة أُخرى.

وقال شيخنا البهائي رحمه الله: لا يبعد أن يكون قد فهم أنّ سؤال الحقّ تعالى له إنّما هو لمحض رفع الدهشة عنه، فأخذ يجري في كلامه مظهراً ارتفاع الدهشة، وأنّ السؤال إنّما هو لتقريره على أنّها عصا كمن يريد تعجيب الحاضرين من قلب النحاس ذهباً، فيقول: ما هذا؟ فيقولون: نحاس، فيخرجه لهم ذهباً؛ فأخذ موسى عليه السلام في ذكر خواصّ العصا تأكيداً للإقرار بأنّها عصا، فيكون بسط الكلام على هذا أيضاً للاستلذاذ وحده كما هو مشهور.

دخل ثمامة دار المأمون وفيها روح بن عبادة، فقال له روح: المعتزلة حمقى، وذلك أنّهم يزعمون أنّ التوبة بأيديهم، وأنّهم يقدرون عليها متى، شاؤوا وهم مع ذلك دائماً يسألون الله تعالى أن يتوب عليهم، فما معنى مسألتهم إيّاه ما هو بأيديهم، والأمر فيه إليهم لولا الحمق؟ فقال ثمامة: ألست تزعم أنّ التوبة من الله وهو يطلبها من العباد ليست بأيديهم ولا يجدون إليها سبيلاً فأجِبْ حتّى أُجيب.

وفي التواريخ أنّ معن بن زائدة كان يتصيّد، فعطش ولم يكن في تلك الحال مع غلمانه ماء، فبينما هو كذلك إذ مرّ به جاريتان من حيٍّ هناك، في جيد كلّ واحدة قربة من الماء فشرب منهما، وقال لغلمانه: هل معكم شيء من نفقتنا؟ فقالوا: ليس معنا شيء، فدفع إلى كلٍّ من الجاريتين عشرة من سهامه وكان نصالها من ذهب، فقالت إحداهما للأُخرى: ويحك، ما هذه الشمائل إلّا لمعن بن زائدة، فلتقل كلّ منّا في ذلك شيئاً؛ فقالت إحداهما:

يركّب في السهام نصال تبر ... ويرميها العدى كرماً وجودا
فللمرضى علاج من جراح ... وأكفان لمن سكن اللّحودا

وقالت الأُخرى:

ومحارب من فرط جود بنانه عمّت مكارمه الأقارب والعدى
صنعت نصال سهامه من عسجدٍ كي لا يعوّقه القتال عن الندى

ومن الآثار قولهم: إنّ سرَّ الحقيقة ممّا لا يمكن أن يُقال. قال البهائي طاب ثراه: له محملان، أحدهما: إنّه يخالف لظاهر الشريعة في نظر العلماء، فلا يمكن قوله؛ وعلى هذا جرى قول مولانا زين العابدين عليه السلام:

يا ربّ جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا[1]

الثاني: إنّ العبارات قاصرة عن أدائه غير وافية ببيانه، فكلّ عبارة قريبة إلى الذهن من وجه بعيدة عنه من وجوه، كلّما أقبل فكري فيك شبراً فرَّ ميلاً، وعلى هذا جرى قول بعضهم:

وإنّ قميصاً خيط من نسج تسعة وعشرين حرفاً عن معاليك قاصر

ومن هذا يظهر أنّ قولهم إفشاء سرّ الربوبيّة كفر، له محملان أيضاً؛ فعلى المحمل الأول يراد بالكفر ما يقابل الإسلام، وعلى المحمل الثاني يراد بالكفر ما يقابل الإظهار؛ إذ الكفر في اللّغة الستر، فيكون معنى الكلام أنّ كلّ ما يقال في كشف الحقيقة فهو سبب لإخفائها وستر لها في الحقيقة.

ومن الأخبار ما روي أنّه عشّش ورشان في شجرة دار رجل، فلمّا همَّت فراخه بالطيران زيّنت له امرأته أخذها ففعل ذلك مراراً، فشكا الورشان إلى سليمان عليه السلام، وقال: يا رسول الله اردت أن يكون لي أولاد من بعدي يذكرون الله؛ فزجر الرجل ثمّ أخذها بأمر امرأته، فأعاد الورشان الشكوى، فقال لشيطانين: إذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقّاه نصفين، فلمّا أراد أن يصعد اعترضه سائل فذهب فأطعمه كسرة من خبز شعير، ثمّ صعد وأخذ الفراخ، فشكا الورشان، فقال للشيطانين، فقالا: اعترضنا ملكان، فأخذا بعنقينا فطرحنا في الخافقين.

ومن الأخبار اللّطيفة التي يروح الخاطر بها عند الملال ما رواه السيّد التقيّ ابن طاووس تغمّده الله برحمته في كتابه الإقبال من قوله عليه السلام: «لو علم الناس ما في

---

(١) ديوان الإمام السجاد ص ١٩ ط. الأعلمي.

زيارة نصف شعبان من الثواب لقامت ذكور رجال على الخشب»، وقد كنت ليلة من اللّيالي نائماً وشيخنا الثقة صاحب كتاب بحار الأنوار جالس يؤلّف، فأيقظني من النوم وقال: تفكّر في معنى هذا الحديث، وقد كان مطرحاً بينه وبين مَنْ حضر مِنْ تلامذته، فقلت له: معناه أنّ الناس لو علموا قدر ثواب زيارة مولانا الحسين عليه السلام في نصف شعبان لقامت الرجال الذكور، وهم الكاملون من الرجال على أرجل الخشب لو لم يكن لهم أرجل يقدرون بها على التوصّل، فاستحسنه وقال: إنّ السيّد ابن طاووس ذكر غير هذا، وهو أنّ معناه: لو أنّ الناس علموا ذلك الثواب لتركوا التقيّة في زيارته عليه السلام، حتّى إنَّ حكّام الجور يصلبونهم على الخشب فيقومون مصلّبين على الأخشاب، فقلت له: هذا معنى، لكنّ الإنصاف أنَّ الأول أظهر.

ومعنى ثالث ظريف سنح لبعض الأفاضل، وكان يستحسنه، وهو أنّ الناس لو علموا ذلك الثواب لقامت ذكورتهم على الخشب، يعني لفعلوا الزّنا مع كلّ امرأة حتّى أيورتهم تقوم على الخشب، لعلمهم بأنّ ثواب تلك الزيارة مكفّر لكلّ تلك الذّنوب، وهذا معنى بعيد؛ ومعنى رابع وهو أن يكون هذا كناية عن سرعة المبادرة. وعندي وجه آخر، وهو الأوفق: إنّ الشيعة لو علمت ما فضل زيارة الحسين لتلمست وتبرّكت بالخشب الموضوع حول القبر الشريف أو بالأبواب.

ومن الأخبار قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: لو كان الموت يُشترى لاشتراه اثنان: كريم أبلج، وحريص ملهوف؛ وهذا يحتمل معاني:

أوّلها: إنّ الكريم الأبلج إنّما يشتري الموت عند تضايق الأُمور عليه، وذلك أنّ الكريم إذا لم يكن عنده ما يعطي خصوصاً وقت السؤال حصل له من الحالات ما يتمنّى معها الموت. وأمّا الحريص، فربَّما حصل له شيء من نقصان المال بوجهٍ من الوجوه حتّى صار يتمنّى الموت، ولا يرى ذلك النقص في دنياه.

وثانيها: إنّ الكريم لسخاء نفسه وميله إلى الإعطاء وطلب السائلين منه وإرادة الرفق والبقاء للمسلمين في الدنيا لو كان الموت يُشترى لاشتراه ورفعه من بينهم حتّى لا يموت أحد، ويكون نظام الإعطاء والسؤال على حاله. وأمّا البخيل، فمن شدّة حرصه على الدنيا لو كان الموت يُشترى لاشتراه وجعله تحت قبضته حتّى يُميت به مَنْ ينازعه في مال الدنيا وأسبابها، فتخلو الدنيا وأسبابها له. وثالثها: إنّ البخيل من شدّة حرصه وإرادته لجمع كلّ شيء لو كان الموت يُشترى لاشتراه وجعله من جملة أمواله وأسبابه، ويحتمل معاني أُخر.

ومن الأخبار قوله عليه السلام: إنّ الله يكره البخيل في حياته، والكريم في مماته. قيل: إنّ الكراهة في الموضعين منصرفة إلى القيد، والمراد أنّه تعالى يكره حياة البخيل وموت الكريم، والأظهر إبقاؤه على ظاهره، وأنّ المراد أنّه سبحانه يكره البخيل في وقت حياته، ويكره الكريم في وقت الممات، أي الّذي يتكرّم عند موته كما هو الغالب على طباع الناس من أنّهم إذا مرضوا ورأوا أمارات الموت بادروا إلى الوصايا بالأمور الواجبة التي كانوا مصرّين على الإخلال بها مدّة حياتهم، ويجوز أن يُراد من الكريم وقت الموت الّذي يكون غرضه الإضرار بالورثة أو بعضهم، فهو يحتال في إضرارهم بالوصايا الكثيرة وبهبة ماله لبعضهم دون بعض ونحو ذلك، وله معنى آخر دقيق لكنّه مأخوذ من كلامه عليه السلام في موارد كثيرة، وهو أن يكون المراد أنّه يبغض الّذي يبخل في الحياة ويريدها ويرجّحها على غيرها من الموت وما بعده، وكذلك الكريم الّذي يريد الموت ويتكرّم بنفسه على الموت، بل الّذي ينبغي أن يكون حال المؤمن عليه أنّه لا يريد إلّا ما أراده الله تعالى له، ففي مدّة الحياة يحبّها، وإذا جاء الموت أحبّه أيضاً.

كما كان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يتمدّح به، وهو المعنى العالي المراد من قوله عليه السلام في دعاء التوجّه: ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، يعني به كما تقدّم أنّ حياتي وموتي لله تعالى، فلا أُرجّح منهما إلّا ما رجّحه لي سبحانه وتعالى وقرّبه إليَّ.

ومنه ما رواه في الكافي مسنداً إلى أبي عبد الله عليه السلام، فقال: والله لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنّكم بسائر الخلق، إنّ علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبيّ مُرْسل أو ملك مقرّب أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: وإنّما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منّا أهل البيت؛ فلذلك نسبته إلى العلماء، والإشكال إنّما هو في قوله: لقتله، وهو يحتمل لمعانٍ:

أوّلها: إنّ الله تعالى قد أعطى سلمان من العلم ما لم يعطه أبا ذرّ، وكان سلمان يتّقي أبا ذرّ في إظهار علمه، ولو أظهره له لقال: إنّه ساحر؛ لأنّه ليس بنبيّ ولا وصيّ نبيّ؛ وقوله عليه السلام: إنّ علم العلماء... لبيان أنّ سلمان رضي الله عنه كان يحتمل ذلك.

وثانيها: إنّ ضمير الفاعل راجع إلى العلم، وضمير المفعول راجع إلى أبي ذرّ، ومعناه: إنّ أبا ذرّ لو أُعطي علم سلمان لما طاق تحمّله، بل كان العلم قاتلاً له.

وثالثها: إنّ أبا ذرّ لو علم كلّ ما علمه سلمان لم يمكنه كتمانه، فإذا أظهره قتله الناس لعدم فهمهم لمعانيه؛ كما اتّفق ذلك في كثير من خواصّ الأئمّة عليهم السلام، كمحمّد بن سنان وجابر الجعفيّ ممّن اتّهمهم أهل الرجال بالغلوّ وارتفاع القول؛ وذلك لأنّ الأئمّة عليهم السلام ألقوا إليهم من أسرار علومهم ما لم يحدّثوا به غيرهم من الشّيعة، فاستغرب الشيعة تلك الأخبار لعدم موافقة غيرهم لهم على روايتها، فطعنوا عليهم بهذا السبب، وهذا السبب هو سبب رفعتهم وعلوّ درجتهم عند مواليهم، فما فيه الجرح هو الذي فيه المدح ، وقد حققنا هذا المقام في شرحنا على الإستبصار، ويؤيّد المعنى الأوّل ما ورد في حديث آخر من قوله عليه السلام: لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقال: رحم الله قاتل سلمان.

ومن الأخبار ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه عن الصادق عليه السلام، قال: أسلم أبو طالب بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثاً وستّين، وهذا الحديث من مشكلات الأخبار، وقد ورد له تفسيران في خبرين:

الأوّل: ما رواه صاحب كتاب الخرائج والجرائح عن الداودي، قال: كنت عند أبي القاسم بن روح فسأله رجل: ما معنى قول العبّاس للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ عمّك أبا طالب قد أسلم بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثاً وستّين؟ فقال: عنَى إلٰه أحد جواد، وتفسير ذلك أنّ الألف واحد واللام ثلاثون، والهاء خمسة والألف واحد، والحاء ثمانية، والدّال أربعة، والجيم ثلاثة، والواو ستّة، والألف واحد، والدال أربعة؛ فذلك ثلاثة وستّون، ومثله في كتاب الغيبة ومعاني الأخبار للصدوق طاب ثراه.

الثاني: ما رواه ابن شهرآشوب في كتاب المناقب مسنداً إلى قتادة في حديثٍ طويل، قال فيه: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة دعا برسول الله صلى الله عليه وآله وبكى، وقال: يا محمّد إنّي أخرج من الدنيا وما لي غمّ إلّا غمّك، إلى أن قال صلى الله عليه وآله: «يا عمّ إنّك تخاف عليّ أذى أعاديَّ، ولا تخاف على نفسك غدًا عذاب ربّي»؛ فضحك أبو طالب، وقال: يا محمّد:

دعوتني وزعمت أنّك ناصحي ولقد صدقت وكنت قدماً أمينا

وعقد على ثلاث وستّين عقد الخنصر والبنصر والإبهام على أصبعه الوسطى، وأشار بأصبعه المسبحة يقول: لا إلٰه إلا الله محمّد رسول الله. وقال فيه شيخنا البهائي تغمّده الله برحمته معنى ثالثاً، وهو أنّه أشار بحساب العقود إلى كلمة سبِّح من التسبيحة، وهي التغطية، أي غطّ واستر، فإنّه من النفائس والأسرار، وقيل:

معناه أنّه أسلم بثلاث وستّين لغة، كما رُوِيَ عن الصّادق عليه السلام، قال: إنّ أبا طالب أسلم بحساب الجمل، قال: بكلّ لسان.

ومن الأخبار ما رواه الكليني قدّس الله روحه عن المفضّل بن عمر عن الصادق عليه السلام، قال: بين المرء والحكمة نعمة العالم والجاهل شقيّ بينهما، وهذا الخبر أيضاً من مشكلات الأحاديث، وله وجوه:

أوّلها: إنّ النعمة - بكسر النون - منوّنًا المراد به العقل الذي يُوصل العالم إلى العمل بعلمه ويُطْلِعه على الأسرار، ويُوصل الجاهل إلى التعلّم والأخذ من العالم الربّاني، والضمير راجع إلى الحكمة والنّعمة، والعالم شقيّ لتركه العمل، والجاهل شقيّ لتركه العلم. وثانيها: إنّ النعمة - منوّن - والعالم بيان لنعمة أو بالإضافة، وهي إمّا لاميّة أو بيانيّة، والمراد إرشاده وهدايته، الجاهل شقيّ بينهما - أي بين الحكمة ونعمة العالم - أو بين المرء والحكمة.

وثالثها: أن يكون المراد أنّ المرء من أوّل عقله وتمييزه إلى بلوغه حدّ الحكمة متنعّم بنعمة العلم، والجاهل من أوّل عمره إلى منتهاه شقيٌّ محروم. ورابعها أنّ النعمة - بفتح النون - المراد به التنعّم، ومعناه: إنّ التنعّم يمنع المرء من تحصيل الحكمة، وهي العمل بما يعلم، والعالم والجاهل كلاهما شقيّ بين التنعّم والحكمة؛ أمّا العالم، فشقيّ بسبب تمنّعه عن العمل بمقتضى عمله، والجاهل شقيّ بسبب التمنّع عن تحصيل العلم.

وخامسها ما فهمه المحقّق الداماد رحمه الله، حيث قال: أي بين المرء والعلم نعمة هي العالم لكونه السبب المُوصل إيّاه إليه، والجاهل العادم العقل ذو القوّة الجاهليّة شقيّ بين العالم والعلم خائب ضائع السعي غير نائل إيّاه، ولو أراد العالم إيصاله إليه لشقائه الفطري وشقاوته الذاتية ونعمة يحتمل الإضافة البيانيّة والتنوين التمكّني التنكيري على أن يكون العالم بياناً لها ومعيناً إيّاها.

وسادسها: إنّ قوله: بين المرء والحكمة نعمة جملة، وقوله: العالم . . . جملة أُخرى، والنعمة ما يتنعّم به، والشقاء بمعنى التعب، مثل قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢] أي لتتعب؛ فالعالم تعبان على تحصيل العلم، والجاهل على فوات العلم عنه وعدم الوصول إليه بسهولة، وإن العالم يميل إلى الحكمة لكنّه من جهة الحرمان عن النعمة في ألم، والجاهل يميل إلى النّعمة وهو من الحرمان من الحكمة في تعب وكلفة، وقد قيل فيه وجوه أُخرى تركناها حذراً من التطويل.

ومن الأخبار المشكلة ما رواه الشيخ رحمه الله في الصحيح عن سعيد الأعرج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ سلّم في ركعتين، فسأله مَنْ خلفه: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: «وما ذاك»؟ قالوا: إنّما صلّيت ركعتين، فقال: «أكذلك يا ذا اليدين»؟ وكان يدعى ذا الشمالين، فقال: نعم، فبنى على صلاته فأتمّ الصلاة أربعاً، وقال: إنّ الله عزّ وجلّ هو الّذي أنساه رحمةً للأمّة، ألا ترى لو أنّ رجلاً صنع هذا لعيّر، وقال: ما تقبل صلاتك؟ فمن دخل عليه اليوم ذلك، قال: قد سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصارت أُسوة وسجد سجدتين لمكان الكلام.

أقول: هذا الخبر قد وقع فيه التشاجر والنزاع وهو المعركة العظمى بين الصدوق رحمه الله وبين أكثر علمائنا رضوان الله عليهم، فإنّهم نفوه رأساً وطرحوا الأخبار الدالّة عليه وبالغوافي التشنيع عليه؛ فممّن شنّع عليه من المتأخّرين شيخنا المحقّق الشيخ بهاء الدين نوّر الله مرقده، وقال في جملة كلامه: إنّ نسبة السَّهو إلى ابن بابويه أَوْلى من نسبتها إليه صلى الله عليه وآله، وقال أيضاً عند قول ابن بابويه: وإن وفّقنا الله صنّفنا كتاباً في كيفيّة سهو النبيّ صلى الله عليه وآله: الحمد لله الّذي لم يوفّقه لتصنيف ذلك الكتاب.

وأمّا المتقدّمون، فمنهم سيّدنا الأجلّ المرتضى قدّس الله روحه، فإنّه قال بعدما حكى كلام الصدوق رحمه الله: اعلم أنّ الذي حكيت عمّا حكيت ممّا قد أثبتناه قد تكلّف ما ليس من شأنه، فأبدى بذلك عن نقصه في العلم وعجزه، ولو كان ممّن وفّق لرشده لما تعرّض لما لا يحسنه ولا هو من صناعته، ولا يهتدي إلى معرفته، لكنّ الهوى مردٍ لصاحبه نعوذ بالله من سلب التوفيق ونسأله العصمة من الضّلال، ونستهديه في سلوك نهج الحقّ وواضح الطريق. وقال بعد نقله خبر ذي اليدين: إنّ هذا الخبر من أخبار الآحاد التي لا تثمر علماً ولا تُوجب عملاً، ومن عمل على شيء منها فعلى الظنّ يعتمد في عمله بها دون اليقين، وقد نهى الله تعالى عن اتّباع الظنّ. وقال بعد كلام طويل: ولسنا ننكر أن يغلب النوم الأنبياء عليهم السلام في أوقات الصلاة حتّى تخرج فيقضونها بعد ذلك، وليس عليهم في ذلك عيب ولا نقص؛ لأنه ليس ينفكّ بشر من غلبة النوم، ولأنّ النائم لا عيب عليه، وليس كذلك السهو؛ لأنه نقص عن الكمال في الإنسان وهو عيب يختصّ به مَن اعتراه، وقد يكون من فعل الساهي تارة، كما يكون من فعل غيره، والنوم لا يكون إلّا من فعل الله تعالى، فليس

من مقدور العباد على حالة، ولو كان من مقدورهم لم يتعلّق به نقص وعيب لصاحبه لعمومه جميع البشر، وليس كذلك السّهو؛ لأنه يمكن التحرّز منه، ولأنّا وجدنا الحكماء يجتنبون أن يودعوا أموالهم وأسرارهم ذوي السّهو والنسيان، ولا يمنعون من إيداعه من تعتريه الأمراض والأسقام، ووجدنا الفقهاء يطرحون ما يرويه ذوو السّهو من الحديث إلّا أن يشركهم فيه غيرهم من ذوي اليقظة والفطنة والذّكاء والحذاقة، فعُلِم فرق ما بين السّهو والنوم بما ذكرنا، ولو جاز أن يسهو في الصلاة لجاز أن يسهو في الصّيام حتّى يأكل ويشرب نهاراً في شهر رمضان بين أصحابه وهم يشاهدونه ويستدركون عليه الغلط وينبّهونه عليه بالتوقيف على ما جناه، ولجاز أن يُجامع النساء في شهر رمضان نهاراً، ثم ذكر من هذا الباب أُموراً كثيرة، وقال: إنّ هذا ممّا لا يذهب إليه مسلم ولا غالٍ ولا موحّد ولا يُجيزه مُلحد، وهو لازم لمن حكيت عنه فيما أفتى به من سهو النبيّ ﷺ، ودلّ على ضعف عقله وسوء اختياره وفساد تخيّله.

وقال: ثمّ العجب حكمه بأنّ سهو النبيّ ﷺ وسهو مَنْ سواه مِنْ أُمّته وكافّة البشر من غيرها مِنَ الشيطان بغير علم فيما ادّعاه ولا حجّة ولا شبهة يتعلّق بها أحد من العقلاء، اللّهمّ إلّا أن يدّعي الوحي في ذلك ويتبيّن به ضعف عقله لكافّة الألباء، ثمّ العجب من قوله: إنّ سهو النبيّ ﷺ من الله دون الشيطان؛ لأنّه ليس للشيطان على النبيّ ﷺ سلطان، وإنّما زعم أنّ سلطانه على الذين يتولّونه والّذين هم به مشركون وعلى مَن اتّبعه مِنَ الغاوين؛ ثم هو يقول: إنّ هذا السّهو الذي من الشيطان يعمّ جميع البشر سوى الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، فكلّهم أولياء الشيطان، وإنّهم غاوون إذ كان للشيطان عليهم سلطان، وكان سهوهم منه دون الرحمٰن، ومن لم يتيقّظ لجهله في هذا الباب كان في عداد الأموات، انتهى كلام المرتضى رحمه الله.

والحقّ أنّ الأخبار قد استفاضت في الدّلالة على ما ذهب إليه الصدوق؛ وكأنّه الأقوى وقد أشبعنا الكلام والاستدلال على هذا المطلب الجليل في شرحنا على تهذيب الحديث، ولكن حيث ذكرناه هنا فلا بأس بالإشارة إلى نبذة ممّا هناك، فنقول: أمّا تشنيع شيخنا البهائي رحمه الله، فهو من جملة مطايباته وظرائفه وتحقيق الوجه ما سيأتي.

وأمّا علم الهدى طاب ثراه، فهو وإنْ بالغ في التشنيع، ولكنّه ليس من عدم علمه بجلالة الصدوق، أو أنّه يعتقد ويعلم أنّ ما قاله في شأنه هو الواقع. نعم قد ذهب

علماؤنا رضوان الله عليهم إلى تغليط بعضهم بعضاً في مسائل الاجتهاد، ومَنْ ذهب منهم إلى حكم مِن الأحكام تكلَّم عليه مخالفوه وطعنوا فيه وجرحوه ونسبوه إلى التخبّط في العقل والفتوى حتّى لا يتابعه أحد في ذلك الحكم ويرون مثله واجباً، وقد استثنوه من مسائل الغيبة وأدخلوه في الجائز منها، مع أنّ هذه المسألة مسألة أُصوليّة، فكيف لا يطعنون على المخالف لهم فيها، وإلاّ فالمرتضى ومَنْ شاركه في التشنيع؛ كشيخنا المفيد أعلى الله مقامه قد اعتمدوا على الصدوق رحمه الله في الأخبار والأحكام ونقلوها عنه واعتمدوا على نقله، فكيف يقبلونها منه وينسبونه إلى الخروج عن الدِّين؟ فليس الوجه فيه إلّا ما ذكرناه، وقد شاهدنا مثل هذا من أوثق مشايخنا وأورعهم وأتقاهم وأبعدهم عن الأغراض والمُنافسات.

وأمّا قوله رحمه الله: إنّ هذا خبر آحاد لا يُوجب علماً ولا عملاً؛ فالجواب عنه: أما أوّلاً: فلأنّ مدار إثبات الأحكام[1] في هذه الأعصار وما سبقها عليه، وذلك أنّ المرتضى رحمه الله كان قريب العهد بأعصار أجداده الطاهرين، وكانت الأُصول الأربعمائة والكتب الخمسة آلاف كلّها موجودة عنده، وكان بينه وبين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مثل ما بين مولانا صاحب الزَّمان عليه السلام وبين الإمام موسى عليه السلام من الآباء؛ وقد كان متمكّناً من معرفة الآحاد والتواتر وبقيت الكتب والأُصول على هذا الحال إلى زمن ابن إدريس رحمه الله، فلمّا كان زمانه حصل الضّياع في الأُصول والكتب بأسباب مختلفة؛ منها أنّ بعضها دخل خزائن الملوك فلم يخرج منها، ومنها أنّ بعض سلاطين الجور وأئمّتهم أحرقوا بعضها، ومنها أنّ الشيعة لمّا رأوا هذه الأُصول الأربعة مدوّنة وهي مرتّبة وأسهل تناولاً من تلك الأُصول والكتب أهملوا استعمالها ونسخها الباعث لاستمرارها حتّى انتهى الحال إلينا، فلم نجد في هذا العصر إلّا ثلاثين أصلاً تقريباً، فصار الاعتماد كلّه على أخبار الآحاد، وقد قبلنا خبر السكوني والنوفلي وأضرابهما.

وأمّا ثانياً، فلأنّ حكاية سهو النبيّ صلى الله عليه وآله قد رُوِيَ بما يُقارب عشرين سنداً[2]،

---

(١) غير خفي على الباحث الخبير إنا إن قلنا بحجية أخبار الآحاد في الأحكام الشرعية الفرعية فلا يستلزم القول بحجيتها في غير الأحكام أيضاً كمسألة جواز السهو على النبي صلى الله عليه وآله فإنها من فروعات مسألة النبوة وهي من أصول الدين ولا اعتبار فيها بالآحاد فما ذكره المصنف رحمه الله في المقام خلط للمطلب في المسألتين ولا ربط لإحداهما بالأُخرى.

(٢) الأخبار التي أشار إليها المصنف رحمه الله شاذة وإن رويت بطرق عديدة وتلك الأخبار مع =

وفيها مبالغة وإنكار على من أنكره، كما رُوِيَ عن أبي الصّلت الهروي، قال: قلت

= مخالفتها لإجماع الشيعة الإمامية بل ضرورة المذهب وموافقتها لمذاهب العامة وصدورها للتقية وإعراض الأصحاب عنها وعدم الاعتناء بها سوى الشيخ الصدوق وأستاذه محمد بن الحسن بن الوليد رَحِمَهُ اللهُ وبعض المتأخرين من الأخباريين رحمهم الله يقع الكلام فيها من وجوه:

الأول: مخالفتها للقرآن الكريم وقد أمرنا أن نعرض الأخبار على القرآن ونأخذ بما وافقه ونضرب بما خالفه الجدار وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٣-٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى: ٦] وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾ [الماعون: ٤-٥] وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وغيرها من الآيات الشريفة.

الثاني: إنها مخالفة للأخبار الصحيحة المعتضدة بإجماع الإمامية الدالة على نفي السهو والشك والنسيان عنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. انظر إلى الأحاديث الصحيحة المروية في كتب الأربعة ولا مجال في المقام لنقلها.

الثالث: إنها مخالفة للأدلة العقلية المعتضدة بالنقلية وهي أمور:

الأول: إنه لو جاز شيء من ذلك عليهم لزم التنفر عنهم وعدم قبول أقوالهم وأفعالهم وهو نقض للغرض.

الثاني: إنّا مأمورون باتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وترك الاعتراض عليهم فلو جاز الخطاء والسهو والنسيان لوجب متابعتهم وكنا مأمورين به والأمر باتباع الخطأ قبيح لا يصدر من الحكيم والنقض بالراوي والشاهد والمفتي مع عدم عموم حكمهم مردود بأنهم ليسوا بحاكمين وإنما هم ناقلون ولا يشترط العصمة في الناقل إجماعاً.

الثالث: أن من وجه احتياج الخلق إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هو جواز الخطأ على الأمة فلو جاز عليهما لاحتاج إلى نبي أو إمام لاشتراك العلة ولزوم الترجيح بلا مرجح والدور أو التسلسل.

الرابع: إنه لو جاز السهو والنسيان على المعصوم لجاز تركه للواجبات وفعله للمحرمات سهواً لأن فعل الواجب عبادة وترك المحرم عبادة وإذا جاز السهو في ترك بعضها جاز في ترك الجميع فلا تصدق العصمة التي تستلزم انتفاء المعاصي مطلقاً.

الخامس: إنه لو جاز السهو والنسيان والخطأ على المعصوم في العبادة دون التبليغ لجازت جميع المعاصي والكفر عليه قبل كونه نبياً أو إماماً واللازم باطل بالأدلة العقلية والنقلية فكذا الملزوم وبيان الملازمة عدم الاحتياج إلى العصمة في الموضعين كما ادعيتموه لأن الضرورة إلى استحالة الخطأ والسهو والنسيان إن كانت مخصوصة بالتبليغ فلا تبليغ في الحالة السابقة وهو واضح بل ذاك أولى بالجواز مع ظهور بطلانه فكذا هنا. =

للرّضا عليه السلام: يابن رسول الله إنّ في سواد الكوفة قوماً يزعمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يقع عليه السّهو في صلاته، قال: كذبوا لعنهم الله، إنّ الذي لا يسهو هو الله الّذي لا إله إلّا هو، وبالجملة فهذا المضمون مرويّ بالطرق الصحيحة والحِسان والموثقات والمجاهيل والضّعاف، فإنكاره مشكل.

وأمّا قوله رحمه الله: ولسنا ننكر أن يغلب النوم . . . فيرد عليه أنّه إذا اعترف بهذا لزمه أن يعترف بالمتنازع فيه أمّا من النقل؛ فلأنّ الأخبار الدالّة على حكاية السّهو أكثر من الأخبار الدالّة على حكاية النّوم وقضاء الصلوات. وأمّا من جهة العقل، فلأنّ نفيه النقص عن غلبة النوم وإثباتها للسّهو خلاف طور العقل والعادة، فإنّه كما يمكن التحرّز من النوم الكثير المفضي إلى قضاء الصلاة، بل هو ههنا أمكن، فإنّ الأماكن التي يظنّ الإنسان فيها غلبة النّوم في وقت الصلاة كشدّة التعب أو السهر إلى آخر الليل أو نحو ذلك يمكنه أن يقعد إنساناً يُوقظه ذلك الوقت؛ كالنبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّه كان كثير الأعوان والجنود لما نام بذلك الوادي احتاج فيه إلى قضاء الصلاة بخلاف السّهو، فإنّه ليس له وقت خاصّ يتمكّن الإنسان من التحرّز فيه، وهذا ظاهر غير خفيّ، مع أنّ كلام الصدوق رحمه الله تابع للأخبار في كون الّذي أسهاه هو الله تعالى، وحينئذٍ فلا فرق بين النّوم والسَّهو في أنّهما فِعْله سبحانه وتعالى فَعَلهما في نبيّه في موارد خاصّة.

وأمّا قوله رحمه الله: لأنّا وجدنا الحكماء . . . فالجواب عنه: إنّ الحكماء إنّما يجتنبون إيداع من كثر سهوه، وكذلك الفقهاء إنّما يجتنبون رواية من غلب عليه السهو، لا من سها في مورد خاصّ، وقد كان الباعث له على السّهو في ذلك المورد ذلك الحكيم الذي أودعه. وقوله طاب ثراه: ولو جاز أن يسهو. . . الجواب عنه:

= السادس: إنه لو جاز عليه السهو والنسيان في غير التبليغ لجاز منه الكذب سهواً في غير التبليغ أيضاً فلا يوثق بشيء من أقواله في غيره وبطلانه قطعي.
وغيرها من الأدلة العقلية المذكورة في الكتب الكلامية لأصحابنا الإمامية (رض) انظر إلى حق اليقين للسيد العلامة عبد الله الشبر رحمه الله ج ١ ص: ٩٣ إلى ٩٧ ط الأعلمي وقد ذكر ١٩ دليلاً عقلياً على بطلان القول بجواز السهو على النبي صلى الله عليه وآله ثم لا يخفى على القارىء الكريم أنّا لو أردنا التعرض لرد كل ما ذكره المصنف رحمه الله في المقام من الانتصار على الشيخ الصدوق رحمه الله والرد على السيد المرتضى رحمه الله لطال الكلام مع أن في ما ذكرناه غنى وكفاية.

إنّ تجويز السّهو عليه في الصوم، وفيما ذكرت من الأمثلة إنْ كان رحمة للأُمّة جوّزناه عليه، لكنّه جائز غير واقع، وإن لم يكن رحمةً للأُمّة مع اشتماله على نوع نقص، فلا نجوزه خصوصاً في تبليغ الأحكام، فإنّ السهو فيها ظاهر النقص، وهو ارتفاع الوثوق بوعده ووعيده.

وأمّا قوله: ثمّ العجب. . . فلا عجب فيه بعد وروده في الأخبار الصحيحة وحاشا الصدوق من أن يتجرّأ على هذا الخطب الجليل من غير مدرك يعتمد عليه. وأمّا تعجّبه الأخير، فلا يخفى مافيه و ذلك لأنّ الصدوق رحمه الله أراد اقتباس الآية، أو هو خبر نقل لفظه من غير إرادة منه؛ لتفسير معنى التولّي ومعناه إطاعة الشيطان فيما يلقيه من الوساوس، ومن ذا الّذي يخلو من هذا سوى المعصومين عليهم السلام. وأمّا الّذين هم به مشركون والغاوون، فهم فرق أُخرى غير المؤمنين؛ فكأنّه قال: إنّ سلطان الشيطان على المؤمنين وعلى غيرهم؛ أمّا المؤمنون، فبإلقائه الوساوس ونحوها، وأمّا غيرهم، فهو الإخراج من النور إلى الظّلمات، مع أنّا لا نوافق الصدوق إلّا فيما نطق به النصّ الصحيح، وهو إسهاؤه سبحانه له في خصوص الصلاة

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الذي حدا الأصحاب رضوان الله عليهم على إنكاره هو ثلاثة أُمور: الأوّل: الإجماع الّذي نقلوه، الثاني: قولهم إذا تعارض العقل والنقل قُدّم العقل وأُوّل النقل إن أمكن، وإلاّ طرح.

الثالث: ما رواه شيخ الطائفة تغمّده الله برحمته بإسناده إلى ابن بكير عن زُرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: هل سجد رسول الله صلى الله عليه وآله سجدتي السّهو قطّ؟ قال: لا، ولا يسجدهما فقيه. والجواب أمّا عن الأوّل فهو ممنوع؛ وذلك أنّ الصدوق وشيخه محمّد بن الحسن بن الوليد قد خالفاه صريحاً[1]، وظاهر كثير من المحدّثين

(١) الإجماع محقق بعد الصدوق وشيخه وذهاب بعض المحدثين إليه لا يقدح لسبق الإجماع عليهم مع أن مقام نقل الأخبار من غير تعرض لردها أو قبولها غير مقام الموافقة لمدلولها وإظهار العقيدة لمضامينها بعد التحقيق والتحليل. وأما قوله أن الدليل العقلي لا يقدم مطلقاً بل يقدم إذا تأيد بالنقل إلى آخر ما ذكره فهو كلام عجيب ومن الشبهات والعثرات التي ذهب إليها المصنف رحمه الله وقد دحضها وردها الشيخ الإمام الأنصاري رحمه الله في الرسائل ولا حاجة لنا في المقام بتطويل الكلام فراجع مع أن المقام ليس من باب إثبات الأحكام الشرعية بالدلائل العقلية بل من باب إثبات مسألة من فروع أصول الدين بالدلائل العقلية ولا ريب في تماميتها وصحة إثبات فروعات النبوة بها.

الذهاب إليه حيث إنّهم نقلوا الأخبار الواردة في شأن السّهو من غير تعرّض منهم لردّها، فيكون كالموافقة السكوتيّة منهم. وأمّا المعاصرون في هذه الأوقات، فقد ذهب منهم المحقّق الكاشي وبعض مجتهدي العراق إليه.

وأمّا الثاني، فقد تقدَّم القول فيه، وأن الدليل العقلي لا يقدّم مطلقاً، بل يُقدَّم إذا تأيّد بالنقل، فيكون من باب تعارض النّقلين في الحقيقة، وإلاّ فالدلائل العقليّة غير تامّة في أنفسها فضلاً عن إثبات الأحكام الشرعية بها.

وأمّا عن الثالث، فبأنّ راويه ابن بكير وحاله مشهورة، فهو لا يعارض الأخبار الصحيحة، مع أنّ القول بظاهره خلاف الوجدان، مع أنّ التأويل جارٍ فيه بأنْ يكون المراد أنّه لم يسجدهما كغيره في الكثرة أو الانتهاء إلى وساوس الشيطان، فإنّ ذلك إسهاء من الرحمٰن، فتأمّل في هذا المقام راكباً جواد المرام[١].

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «قال الله تعالى: إنّي وضعت خمسة أشياء في خمسة، والناس يطلبونها في خمسة أُخرى، فمتى يجدونها: إنّي وضعت العزّ في طاعتي والناس يطلبونه من أبواب السلاطين، فمتى يجدونه؟ ووضعت العلم والحكمة في الجوع، والناس يطلبونه في الشبع، فمتى يجدونه؟ ووضعت الراحة في الجنّة، والناس يطلبونها في الدنيا، فمتى يجدونها؟ ووضعت الغنى في القناعة، والناس يطلبونه بجمع المال، فمتى يجدونه؟ ووضعت رضاي في مخالفة الهوى، والناس يطلبونه في الهوى، فلم يجدوه».

ومن الأخبار الرافعة للملال ما رواه الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن أخرج عظام يوسف من مصر، ووعده طلوع القمر، فأبطأ طلوع القمر عليه» الحديث. والإشكال الوارد على هذا الحديث أنّه مُنافٍ بظاهره لما رُوِيَ من أن الأنبياء وأوصياءهم لا يبقون في قبورهم[٢] فوق ثلاثة أيّام، بل يرفعهم الله تعالى إلى جناب قربه، فكيف بقيت عظام

---

(١) تأملنا في المقام وركبنا جواد المرام ورأينا أن الأخبار الدالة على جواز السهو على النبي ﷺ توافق مذاهب العامة ولذا حملوها على التقية ولكن الأخبار الدالة على نفي السهو عن النبي ﷺ توافق القرآن والأدلة العقلية القطعية الدالة على عدم جواز السهو عليه فلذا أخذنا بالثانية وتركنا الأولى.

(٢) غير خفي على الخبير أن رفع الله تعالى أجسادهم إلى جناب قربه ليس من المسلمات وإن دل عليه بعض الأخبار.

الصديق عليه السلام إلى زمن موسى عليه السلام ؟ والجواب: إنّه يجوز أن يكون رفعه الله تعالى إليه ثمّ أنزله بعد لمصلحة خاصّة تجري على يدي موسى عليه السلام مثل حكاية العجوز التي دلّته على العظام ونحوها، وقد استدلّ بعض العلماء من هذا الحديث على جواز نقل الموتى وعظامهم إلى المشاهد والأماكن الشريفة والاعتراض عليه من وجوه:

أوّلها: إنّ هذا شرع من قبلنا وهو غير حجّة علينا. وثانيها: إنّ المرويّ أنّ عظام الصدِّيق عليه السلام قد كانت في صندوق مرمر في شطّ النيل باعتبار أنّ الماء أخذ الجرف الذي دُفِن فيه، وحرمة المؤمن حيّاً كحرمته ميّتاً وإبقاؤه في الماء خلاف حرمته، فمن ثمّ أمر بنقل عظامه.

وثالثها: إنّ أحكام الأنبياء لا يستلزم جوازها كلّها في غيرهم من الأُمّة، فلعلّ هذا وأمثاله من ذلك، على أنّا روينا من بعض الكتب المشهورة أنّ الصدِّيق عليه السلام أوصى عند موته بأن يُحمل تابوته إلى وطنه، وهو أرض كنعان، فلمّا مات منع أهل مصر أولياء يوسف عليه السلام من نقله وقصدوا التبرّك به، فبقي في مصر إلى زمان موسى عليه السلام، فلعلّ أمره سبحانه له بحمل تلك العظام مبنيّ على وصيّة الصدّيق عليه السلام، كما أنّ الإسكندر رحمه الله لمّا مات أوصى بأن يُحمل نعشه إلى بلاد الروم لأنّها بلاده وموطنه، ومن الإيمان حبّ الأوطان، ومن ثمّ ذهب جماعة من الأصحاب إلى التفصيل، وهو أنّ الميّت إن أوصى بالنقل إلى أحد الأماكن الشّريفة جاز، وإلاّ فلا يجوز، مع أنّا لم نروِ حديثاً يدلّ على جواز النقل، لكن الشيخ رحمه الله أشار في كتاب المصباح إلى أنّه وجد رواية تدلّ على النقل إلى تلك البقاع المشرّفة، والقول ما قالت حذام، لكن بقي الكلام في أنّ ذلك الحديث الّذي أشار إليه لو نُقِل إلينا لاطّلعنا على موضع الدلالة وكيفيّتها؛ لأنّ الأنظار مختلفة، ومن ثمّ جاء الاختلاف في مسائل الاجتهاد (المسائل الاجتهادية خ ل) كما لا يخفى.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ نقل الموتى مُنافٍ للأخبار الوارد بتعجيل حمل الميّت إلى قبره. روى الصدوق طاب ثراه أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا ألفينّ منكم رجلاً مات له ميّت ليلاً، فانتظر به الصبح ولا رجلاً مات له ميّت نهاراً فانتظر به الليل، لا تنتظروا بموتاكم طلوع الشمس ولا غروبها، عجّلوا بهم إلى مضاجعهم يرحمكم الله»، فقال الناس: وأنت يا رسول الله يرحمك الله. وقد روي هذا المضمون في أخبار أُخرى. مع أنّ النقل يحصل منه في الغالب المثلة في الميّت ونتن الرائحة وتأذّي الناس منه، وربّما انتشر لحمه في الطريق وسال منه الدّم والصديد، وهذا

منافٍ للحرمة المأمور بامتثالها، حتى إنّه ورد أنّ غاسله ينبغي أن يلين مفاصله برفق ولا يجعله بين رجليه، وغير ذلك من الأمور المُنافية لأداء حقّ حرمته.

وأمّا نقل العظام، فهي أسوؤها حالاً وأشنع فعلاً في استلزامها هتك الحرمة مع أمر زائد وهو نبش القبر الّذي لم يرد له نصّ ولا خبر، فإذن الأولى دفن الميّت في بلده والملائكة الذين ينقلون الموتى نقلهم له خير من نقل أهله له، والله العالم بحقائق الأمور.

ومن الأخبار ما رُوِيَ أنّه رأى عبد الله بن جعفر يماكس في درهم، فقيل: أتُماكس في درهم وأنت الّذي تجود بما تجود؟ فقال: نعم ذاك مالي جُدْت به وهذا عقلي بخلت به. ومنها ما رواه صاحب كتاب قرب الإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢]، قال: من السماء وماء البحر، فإذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها، فيقع فيها من ماء المطر، فتخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة.

ومن الأخبار ما رواه الشيخ طاب ثراه بسندٍ صحيح عن الصادق عليه السلام قال: لا ينقض الوضوء إلّا حدث، والنوم حدث. وقد تكلّم الفقهاء رضوان الله عليهم في هذا الحديث كلاماً طويلاً كثيراً، وبعضهم حاول إرجاعه إلى أحد الأشكال الأربعة، واعترض من بعده عليه، وبعضهم قال: إنّه ينتج وإنْ لم يكن على هيئة واحد من الإشكالات الأربعة؛ كما تقول: زيد مقتول بالسّيف، والسيف آلة حديديّة، فقد أنتج الصحيح وليس على هيئة واحد منها، والّذي ظهر لنا أنّ الإمام عليه السلام ما كان غرضه من إلقاء مثل هذه الأحكام إلى عامّة الشِّيعة إلّا إيصالها إلى أفهامهم، وأين لهم بمعرفة الإشكالات المنطقيّة والبحث عن شرائطها؟ بل مراده عليه السلام الردّ على الجمهور في كلا جزئي الحديث. أمّا قوله عليه السلام: لا ينقض الوضوء إلّا حدث، فهو الردّ على أبي حنيفة وأضرابه ممّن قال بأنّ الرعاف ينقض الوضوء، وكذا أكل ما مسَّته النار، وكذا التقبيل ولمس المرأة ونحوه ممّا ليس بحدث. وأمّا قوله عليه السلام: والنوح حدث، فهو للردّ أيضاً على جماعات منهم، حيث قالوا: إنّ النوم في نفسه ليس بحدث ناقض، وإنّما هو ناقض باعتبار أنّه مظنّة خروج الحدث، فإنّ النائم لا يعلم بما يخرج منه، فلو نام وهو جالس وملصق مقعده بالأرض ومحترز من خروج الحدث على الوجه الأكمل لم ينقض وضوؤه بذلك النوم، وإلى هذا مال بعض أصحابنا، وربّما دلّ عليه بعض الأخبار، وهي محمولة على التقية.

ومنها ما رُوِيَ أنّ في كلام بعض الأنبياء صلوات الله عليهم أنّ آدم لمّا هبط إلى الدنيا وطلب الغذاء احتاج إلى ألف عمل حتّى خبز الخبز، وزاد واحداً على الألف، وهو أن يبرّده ثمّ يأكله.

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ما رواه الصدوق قدّس الله روحه بإسناده إلى أبي عبد الرحمٰن، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي ربّما حزنت، فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، وربّما فرحت فلا أعرف في أهلٍ ولا مال ولا ولد، قال: ليس من أحد إلّا ومعه ملك وشيطان، فإذا كان فرحه كان دنوّ الملك منه، وإذا كان حزنه كان دنوّ الشيطان منه، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. أقول: هذا الخبر رُوِيَ هكذا في سبب الفرح والحزن من غير سببٍ معروف، ورُوِيَ في خبر أنّ السبب فيه دخول السرور على أهل البيت عليهم السلام ودخول الحزن عليهم، فإنّ الشيعة لكون طينتهم من طينة أهل البيت صاروا يفرحون بفرحهم و يحزنون بحزنهم من حيث لا يشعرون، وفي خبرٍ آخر: إنّ السبب فيه هو كون الإنسان له أصدقاء وأحبّاء وهم متفرّقون في البلدان، فربّما حصل لبعضهم فرح فتحسّ النفس به فتفرح من حيث لا يشعر الإنسان بسببه ظاهراً، وكذا في جانب الحزن. ولا تنافي بين هذه الأخبار لأنّها علامات ومعرفات، وقد يكون للشيء الواحد أسباب مختلفة.

ومن الأخبار ما رواه الصدوق أيضاً بإسناده إلى الباقر عليه السلام، قال: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلّا بالعربية، فكان يقع في مسامع الأنبياء عليهم السلام بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبيّنا صلى الله عليه وآله بالعربيّة، فإذا كلّم به قومه كلّمهم بالعربية، فيقع في مسامعهم بلسانهم، وما كان أحد يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بأيّ لسان خاطبه إلّا وقع في مسامعه بالعربيّة كلّ ذلك يترجم جبريل عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله تشريفاً من الله عزّ وجلّ له.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «إذا اشتدّ الحرّ فأبردوا بالصلاة، فإنّ الحرَّ من فَيْح جهنّم، واشتكت النار إلى ربِّها فأذن لها في نفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فشدّة ما تجدون من الحرّ من فيحها، وما تجدون من البرد من زمهريرها».

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: من عرف الفصل من الوصل والحركة من السكون، فقد بلغ القرار في التوحيد، ويُروى: في

المعرفة. وقال شيخنا في الكشكول: المراد بالحركة السلوك وبالسكون القرار في عين أحديّة الذات، وقد يعبّر بالوصل عن فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحقّ، وهو التحقّق بأسمائه تعالى المعبّر عنه بإحصاء الأسماء؛ كما قال ﷺ: «ومن أحصاها دخل الجنّة».

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ما رواه الكليني تغمّده الله برحمته بسنده إلى محمّد بن مسلم، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة، فقلت له: جُعِلْت فداك رأيت رؤيا عجيبة، فقال لي: يابن مسلم هاتها، فإنّ العالم بها جالس، وأومأ بيده إلى أبي حنيفة، قال: قلت: رأيت كأنّي دخلت داري وإذا أهلي خرجت عليّ، فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته عليّ، فتعجّبت من هذه الرُّؤيا، فقال أبو حنيفة: أنت رجل تُخاصم وتُجادل لئاماً (أيّاماً خ) في مواريث أهلك، فبعد نَصَب شديد تنال حاجتك منهم إن شاء الله تعالى، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة، قال: ثمّ خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت: جُعِلت فداك، إنّي كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يابن مسلم لا يسوؤك الله، فما يواطىء تعبيرهم تعبيرنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبّره، قال: قلت: جُعِلت فداك، فقولك: أصبت والله وتحلف عليه وهو مخطىء؟ قال: نعم حلفت عليه أنّه أصاب الخطأ، قال: فقلت له: فما تأويلها؟ فقال: يابن مسلم إنّك تتمتّع بامرأة فتعلم بها أهلك، فتخرق عليك ثياباً جدداً، فإنّ القشر كسوة اللّب، قال ابن مسلم: فوالله ما كان بين تعبيره وتصحيح الرُّؤيا إلّا صبيحة الجمعة، فلمّا كان غداة الجمعة وأنا جالس بالباب إذ مرّت جارية فأعجبتني، فأمرت غلامي فردّها ثمّ أدخلها داري، فتمتّعت بها فأحسّت بي وبها أهلي، فدخلت علينا البيت، فبادرت الجارية نحو الباب وبقيت أنا، فمزّقت عليَّ ثياباً جدداً كنت ألبسها في الأعياد.

وروى أيضاً أنّه جاء موسى العطّار إلى أبي عبد الله عليه السلام، فقال له: يابن رسول الله رأيت رؤيا هالتني، رأيت صهراً لي ميّتاً قد عانقني وقد خفت أن يكون الأجل قد اقترب، فقال: يا موسى توقّع الموت صباحاً ومساءً، فإنّه مُلاقينا، ومعانقة الأموات للأحياء أطول لأعمارهم؛ فما كان اسم صهرك؟ قال: حسين، فقال عليه السلام: أما إنّ رؤياك تدلّ على بقائك وزيارتك أبا عبد الله الحسين عليه السلام، فإنّ كلّ من عانق سميّ الحسين عليه السلام يزوره إن شاء الله تعالى، أقول: هذان الخبران وما رُوِيَ في معناهما يدلّان على تعبير الرّؤيا، وفي هذا المقام تحقيقات ذكرناها في شرحنا على الاستبصار ويزيد الإشارة هنا إلى بعضها، وهي أمور:

الأوّل: في سبب الرّؤيا، ويكون بعضها صادقاً والآخر كاذباً، وكلّ طائفة ذهبت إلى قول؛ أمّا الحكماء، فقد بنوا ذلك على أصلهم من انطباع صور الجزئيّات في النفوس الفلكيّة وصور الكلّيات في العقول المجرّدة، وقالوا: إنّ النفس حالة النّوم قد تتّصل بتلك المبادىء العالية فيحصل لها بعض العلوم الحقّة الواقعة، فهذه هي الرؤيا الصادقة، وقد تركّب المتخيّلة بعض الصور المخزونة في الخيال ببعض، فهذه هي الرُّؤيا الكاذبة، وقد أطالوا الكلام في تفصيل هذا، وحيث إنّ هذا الأصل الذي هو العقول ونفوس الأفلاك منفيّ بالشرع، فلا فائدة في نقل ذلك الكلام.

وأمّا أهل السنّة من المخالفين، فقال الماذري منهم في شرح قول النبيّ ﷺ: الرّؤيا من الله والحلم من الشيطان: مذهب أهل السنّة في حقيقة الرُّؤيا أنّ الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه النوم واليقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات، فكأنّه جعلها علماً على أمور أُخر يخلقها في ثاني الحال، وكأن قد خلقها فإذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر، فأكثر ما فيه أن اعتقد أمراً على خلاف ما هو، فيكون ذلك الاعتقاد علماً على غيره كما يكون خلق الله تعالى الغيم علماً على المطر والجميع خلق الله، ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علماً على ما يسرّه، بغير حضرة الشيطان، وخلق ما هو علم على ما يضرّه بحضرة الشيطان، فنسب إلى الشيطان مجاز الحضور عندها وإن كان لا فعل له حقيقة، وهذا (في الفسادّ) كالأوّل؛ إذ مبناه على أصل أفسد من الأصل، وهو ما ذهب إليه الأشاعرة من أنّ الأفعال كلّها من الله خيرها وشرّها.

وأمّا الصوفية، فقال أعلمهم وهو محيي الدين الأعرابي: ليس كلّ ما يراه الإنسان صحيحاً ويجوز تعبيره، بل الصحيح ما كان من الله يأتيك به ملك الرّؤيا من نسخة أُمّ الكتاب وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها، وهي على أنواع قد تكون من فعل الشيطان يلعب بالإنسان أو يريد ما يُحزنه وله مكائد يحزن بها بني آدم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: ١٠]، ومن لعب الشيطان به الاحتلام الّذي يوجب الغسل، فلا يكون له تأويل، وقد يكون من حديث النفس كما يكون في أمر أو حرفة يرى نفسه في ذلك الأمر والعاشق يرى معشوقه ونحوه، وقد يكون من مزاج الطبيعة، كمن غلب عليه الدم يرى الفصد والحجامة والحمرة والرّعاف والرّياحين والمزامير والنشاط ونحوه، ومن غلب عليه

الصفراء يرى النار والشمع والسراج والأشياء الصفر والطيران في الهواء ونحوه، ومن غلب عليه السوداء يرى الظلمة والسواد والأشياء السود وصيد الوحش والأهوال والأموات والقبور والمواضع الخربة وكونه في مضيق لا منفذ له أو تحت ثقل ونحوه، ومن غلب عليه البلغم يرى البياض والمياه والأنداء والثلج والوحل، فلا تأويل لشيءٍ منها.

وأمّا المتكلّمون من الشيعة، فقال سيّدنا الأجلّ علم الهدى تغمّده الله برحمته في جواب سائل سأل منه: ما القول في المنامات أصحيحة أهي أم باطلة؟ ومِنْ فعل مَنْ هي؟ وما وجه صحّتها في الأكثر؟ وما وجه الإنزال عند رؤية المباشرة في المنام؟ وإن كان فيها صحيح وباطل، فما السبيل إلى تمييز أحدهما من الآخر؟

الجواب: اعلم أنّ النائم غير كامل العقل؛ لأنّ النوم ضرب من السّهو، والسّهو ينفي العلوم، ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه، وجميع المَنامات إنّما هي اعتقادات يبتدئها النائم في نفسه ولا يجوز أن تكون من فعل غيره فيه؛ لأنّ من عداه من المحدّثين سواء كان بشراً أو ملائكة أو جنّاً أجسام، والجسم لا يقدر أن يفعل في غيره اعتقاداً ابتداءً، بل ولا شيء من الأجناس على هذا الوجه، وإنّما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الابتداء؛ وإنّما قلنا: إنه لا يفعل في غيره جنس الاعتقادات متولّداً، لأنّ الذي يعدّي الفعل من محلّ القدرة إلى غيرها من الأسباب إنّما هو الاعتمادات ما يولد الاعتقادات، وليس في جنس الاعتمادات يُولد الاعتقادات؛ ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولّد فيه شيء من الاعتقادات، وقد بيّن وشرح في مواضع كثيرة، والقديم يقال: هو القادر أن يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات، ولا يجوز أن يفعل في قلب النّائم اعتقاداً، لأنّ أكثر اعتقادات النائم جهل ويتأوّل الشيء على خلاف ما هو به؛ لأنّه يعتقد أنّه يرى ويمشي، وأنّه راكب وأنّه على صفات كثيرة، وكلّ ذلك على خلاف ما هو به، وهو تعالى لا يفعل الجهل.

فلم يبق إلّا أنّ الاعتقادات كلّها من جهة النائم، وقد ذكر في المقالات أن المعروف بصالح قبّة كان يذهب إلى أنّ ما يراه النائم في منامه على الحقيقة، هذا جهل منه يُضاهي جهل السوفسطائية؛ لأنّ النائم يرى أنّ رأسه مقطوع، وأنّه قد مات وأنّه قد صعد إلى السماء، ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كلّه، وإذا جاز عند صالح هذا جاز أن يعتقد اليقظان في السراب أنّه ماء، وفي المرئي إذا كان في الماء أنّه

مكسور، وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشُّبهة واللبس، فألا جاز ذلك في النائم، وهو من الكمال أبعد ومن النقص أقرب.

وينبغي أن يقسم ما يتخيّل النائم أنّه يراه إلى أقسام ثلاثة: منها ما يكون من غير سبب يقتضيه ولا داعٍ يدعو إليه اعتقاداً مبتدأ؛ ومنها ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاماً خفيّاً يتضمّن أشياء مخصوصة، فيعتقد النائم إذا سمع ذلك الكلام أنّه يراه فقد نجد كثيراً من النيّام يسمعون حديث من يتحدّث بالقرب منهم، فيعتقدون أنَّهم يرون ذلك الحديث في منامهم. ومنها ما يكون سببه والداعي إليه خاطر يفعله الله تعالى أو يأمر بعض الملائكة بفعله. ومعنى هذا الخاطر أن يكون كلاماً يفعل في داخل السّمع، فيعتقد النائم أيضاً أنّه ما يتضمّن ذلك الكلام، والمنامات الداعية إلى الخير والصّلاح في الدِّين يجب أن تكون إلى هذا الوجه مصروفة، كما أنّ ما يقتضي الشرّ منها الأوْلى أن تكون إلى وسواس الشيطان مصروفة، وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه، ثمّ يصحّ ذلك حتى يراه في يقظته على حدّ ما يراه في منامه، وفي كل منام يصح تأويله أن يكون سبب صحتّه أن الله تعالى سبب يفعل كلاماً في سمعه لضرب من المصلحة بأن شيئاً يكون أو قد كان على بعض الصّفات، فيعتقد النائم أنّ الذي يسمعه هو ما يراه، فإذا صحّ تأويله على ما يراه فما ذكرناه إن لم يكن ممّا يجوز أن يتّفق فيه الصحّة اتّفاقاً، فإن في المنامات ما يجوز أن يصحّ بالاتّفاق وما يضيق فيه مجال نسبته إلى الاتّفاق، فهذا الّذي ذكرناه يمكن أن يكون وجهاً فيه.

فإن قيل: أليس قد قال أبو علي الجبائي في بعض كلامه في المنامات: إنّ الطبائع لا يجوز أن تكون مؤثّرة فيها لأنّ الطبائع لا يجوز على المذاهب الصحيحة أن تؤثّر في شيء، وإنّه غير ممتنع مع ذلك أن يكون بعض المآكل يكثر عندها المنامات بالعادة، كما أنّ فيها ما يكثر عنده بالعادة تخييل (تخيُّل) الإنسان وهو مستيقظ ما لا أصل له؟ قلنا: قد قال ذلك أبو عليّ وهو خطأ؛ لأنّ تأثيرات المأكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة إذا لم تكن مضافة إلى الطبائع، فهي من فعل الله تعالى، فكيف يضيف التخيّل الباطل والاعتقاد الفاسد إلى فعل الله تعالى، فأمّا المستيقظ الذي استشهد به، فالكلام فيه والكلام في النائم واحد، ولا يجوز أن يضيف التخييل الباطل إلى فعل الله تعالى في نائم ولا يقظان، فأمّا ما يتخيّل من الفاسد وهو نائم، فلا بدّ من أن يكون ناقص العقل في الحال وفاقد التمييز بسهوٍ وما يجري مجراه، فيبتدىء اعتقاداً لا أصل له كما قلناه في النائم.

فإن قيل: فما قولكم في منامات الأنبياء عليهم السلام؟ وما السبب في صحّتها حتى عدّ ما يرونه في المنام مضاهياً لما يسمعونه من الوحي؟ قلنا: الأخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحّتها ولا هي ممّا يوجب للعلم، وقد يمكن أن يكون الله تعالى أعلم النبيّ بوحي يسمعه من الملك على الوجه المُوجب للعلم أنّي سأريك في منامك في وقت كذا ما يجب أن تعمل عليه فيقطع على صحّته من هذا الوجه لا مجرّد رؤيته في المنام، وعلى هذا الوجه يحمل منام إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه، ولولا ما أشرنا إليه كيف كان يقطع إبراهيم عليه السلام بأنّه متعبّد بذبح ولده، ثمّ أردف هذا بتأويل حديث: «من رآني فقد رآني»؛ ثم قال: وهذا الّذي رتبناه في المنامات وقسمناه أسدّ تحقيقاً من كلّ شيء في أسباب المنامات.

فأمّا ما يهذي به الفلاسفة في هذا الباب، فهو ما تضحك منه الثّكلى؛ لأنّهم ينسبون ما صحّ من المنامات لما أعيتهم الحِيَل في ذكر سببه إلى أنّ النفس اطّلعت على عالمها فأشرفت على ما يكون، وهذا الّذي يذهبون إليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط، فكيف إذا أُضيف إليه الاطّلاع على عالمها، وما هذا الاطّلاع؟ وإلى أيّ شيء يشيرون بعالم النفس؟ ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الاطّلاع، فكلّ هذا زخرفة ومخرفة لا يتحصّل منها شيء، وقول صالح قبّة مع أنّه تجاهل محض أقرب إلى أن يكون مفهوماً من قول الفلاسفة، انتهى كلامه.

والمعتمد عندنا هو ما دلّت عليه الأخبار عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام؛ لأنّ ما سواها تخمين وخرص. روى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى محمّد بن القسم النوفلي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المؤمن قد يرى الرؤيا فيكون كما رآها، وربّما رأى الرُّؤيا فلا يكون شيئاً؟ فقال: إنّ المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء، فكل ما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير، فهو الحقّ وكلّ ما رآه في الأرض فهو أضغاث أحلام، فقلت له: وتصعد روح المؤمن إلى السماء؟ قال: نعم، قلت: حتّى لا يبقى منها شيء في بدنه؟ فقال: لا لو خرجت كلّها حتّى لا يبقى منها شيء إذاً لمات، فقلت: فكيف تخرج؟ فقال: أمَا ترى الشمس في السماء في موضعها، وضوؤها وشعاعها في الأرض، فكذلك الروح أصلها في البدن وحركتها ممدودة.

وروى أيضاً بإسناده إلى معاوية بن عمّار عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء، فما رأت الروح في السماء فهو الحقّ وما رأت

في الهواء فهو الأضغاث (أضغاث أحلام)، ألا إنّ الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تَناكر منها اختلف، فإذا كانت الروح تعارفت في السماء تعارفت في الأرض، وإذا تباغضت في السماء تباغضت في الأرض.

وروى أيضاً بإسناده إلى عليّ عليه السلام، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل ينام فيرى الرؤيا، فربّما كانت حقّاً وربّما كانت باطلاً؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ ما من عبد ينام إلّا عرج بروحه إلى ربّ العالمين، فما رأى عند ربّ العالمين فهو حقّ ثمّ إذا أمر الله العزيز الجبّار بردّ روحه إلى جسده، فصارت الروح بين السماء والأرض، فما رأته فهو أضغاث أحلام».

فهذه الأخبار تدلّ على أنّ للروح عروجاً إلى الملكوت في عالم المَنام، وفيه دلالة على ما قدمنا في نور الأرواح من أنّها ليست بمجرّدة، بل هي أجسام لطيفة شفّافة قد تتّصف بأوصاف الجسمانيّات، والذين قالوا بتجرّدها من الأصحاب ذهبوا إلى أنّها تدخل في قالب مثاليّ مثل هذا القالب إلّا أنّه ألطف منه، فتصعد وتنزل به، وهذا هو البدن الذي تستقرّ به الروح بعد الموت وبعد خراب هذا البدن، بل ذهب شيخنا المعاصر سلّمه الله تعالى إلى جواز تعدّده، وحمل عليه ما رُوِيَ مستفيضاً في الأخبار من حضور مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عند الأموات، وقد يموت في اللّحظة الواحدة آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها، فكيف يمكن حضوره عندهم مع البدن الواحد، وكذلك ما رُوِيَ من أنّ أربعين صحابياً طلبوه إلى الضيافة في ليلة واحدة في وقتٍ واحد، ولمّا أصبحوا قال كلّ واحد منهم: إنّ عليّاً كان ضيفي البارحة[1]، وأمّا نحن فقد أوّلنا هذه الأخبار تأويلاً آخر، وقد تقدّم.

وبالجملة، فالروح إذا صعدت إلى عالم الملكوت وطالعت الألواح السماوية والدفاتر الإلٰهيّة، فإن كان لتلك الروح صفاء بالتنزّه عن شواغل البدن وعلائقه، وأنّ الأشياء كما هي، فلا تحتاج تلك الرّؤيا إلى تعبير المعبّرين، وإن كانت مكدّرة بالعلائق والعوائق رأت الأشياء بصورة شبيهة بصورتها، كما أنّ ضعيف البصر ومؤوف العين يرى الأشياء على غير ما هي عليه، والعارف بعلّته يعرف أنّ تلك الصورة شبيهة بأيّ شيء فيعبّرها ويكون كما قال، ويمكن أيضاً أن يظهر الله عليه

---

(١) ليت المصنف رحمه الله ذكر مصدر هذا النقل ومستنده ومن روى هذا الخبر؟ وليت شعري ما الباعث له على نقل هذه الأمور الغريبة ونسبتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام والله العاصم.

الأشياء في تلك الحالة بصورة تناسبها لمصالح كثيرة، كما أنّ الإنسان قد يرى المال في نومه بصورة حيّة، وقد يرى الدراهم بصورة عذرة.

ومن هذا ظهر أنَّ معبّر الأحلام على الحقيقة والاستمرار لا يكون إلّا من عرف بطبائع الناس وأمزجتها وحقائق ما انطوت عليه سرائرهم حتّى يعرف الدّاء والدَّواء، ولا يكون إلّا الإمام عليه السلام، ومن ثمّ ترى تعبيره عليه السلام للأحلام قد يكون بغير ما يناسبها ظاهراً، كما تقدَّم في خبر محمّد بن مسلم الذي عبّره أبو حنيفة أولاً، وقد يكون لصدق الأحلام وكذبها سبب آخر وهو إلقاء الملائكة إلى الروح العلوم والمعارف، أو هو سبحانه وتعالى من غير توسّط ملك، والكذب من إلقاء الشياطين.

روى أبو بصير عن الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ لإبليس شيطاناً يقال له هزع يملأ المشرق والمغرب في كلّ ليلة يأتي الناس في المنام.

وروى البرقي عن أبيه عن صفوان عن داود عن أخيه، قال: بعثني إنسان إلى أبي عبد الله عليه السلام زعم أنّه يفزع في منامه من امرأة تأتيه، قال: فصحت حتّى سمع الجيران، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اذهب إليه فقل إنّك لا تؤدّي الزكاة؟ قال: بلى والله إنّي لأُؤدّيها، فقال: قل له: إن كنت تؤدّيها لا تؤدّيها إلى أهلها. وفي روضة الكليني مسنداً إلى سعد بن أبي خلف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام. وفيها أيضاً مسنداً إلى أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلت فداك الرُّؤيا الصادقة والكاذبة مخرجها من موضع واحد؟ قال: صدقت. أمّا الكاذبة المختلفة، فإنّ الرجل يراها في أوّل ليلة في سلطان المردة الفسقة، وإنّما هي شيء يخيّل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها. وأمّا الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من اللّيل مع حلول الملائكة، وذلك قبل السَّحر، فهي صادقة لا تختلف إن شاء الله تعالى إلّا أن يكون جنباً أو ينام على غير طهور، ولم يذكر الله عزّ وجلّ حقيقة ذكره، فإنّها تختلف وتبطىء على صاحبها.

فدلَّت هذه الأخبار على أنّ الشياطين يلقون الأكاذيب والأباطيل، وقد يكون السبب فيه الخيالات النهارية المألوفة للإنسان في عالم اليقظة، فإنّ الإنسان إذا فكّر في شيء حال يقظته رآه حال منامه. ومن هذا لم يعبّر المعبّرون والعقلاء أحلام الشعراء وأضرابهم؛ لأنّ الغالب عليهم التخيّلات في الأكاذيب والأباطيل، وقد أتى رجل إلى ابن سيرين، فقال له: إنّي رأيت البارحة كأن بيدي خاتماً وأنا أختم به على

أفواه الناس وفروجهم، فقال له: ينبغي أن تكون مؤذّناً وهذا شهر رمضان، فإذا أذّنت حرمت الأكل والجماع، فأخذ تعبيره من المناسبات.

الأمر الثاني: في بيان قوله ﷺ: «**مَنْ رآني فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتخيّل بي**»، قلنا: قد قال سيّدنا الأجلّ المرتضى أعلى الله درجته في علّيين، فإن قيل: فما تأويل ما يُروى من قوله ﷺ: «**من رآني فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتخيّل بي**»، وقد علمنا أن المحقّ والمبطل والمؤمن والكافر قد يرون النبيّ ﷺ في النوم ويخبر كلّ واحد منهم بضدّ ما يخبر به الآخر، فكيف تكون رؤيتنا له في الحقيقة مع هذا؟ قلنا: هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد ولا معول على مثل ذلك، على أنّه يمكن مع تسليم صحّته أن يكون المراد به: من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة؛ لأنّ الشيطان لا يتمثّل بي لليقظان، فقد قيل: إنّ الشيطان ربّما تمثّل بصورة البشر، وهذا التشبيه أشبه بظاهر ألفاظ الخبر، لأنّه قال: «**من رآني فقد رآني**»، فأثبت غيره رائياً له ونفسه مرئية، وفي النوم لا رائي له على الحقيقة ولا مرئي، وإنّما ذلك في اليقظة، ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد أنّه يراني في منامه، وإن كان غير راءٍ له على الحقيقة، فهو في الحكم كأنّه قد رآني، وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته، هذا كلامه رحمه الله.

أقول: إنّ هذا الخبر مرويّ عن الأئمّة عليهم السلام في شأن المَنامات والأحلام، وهو صريح في أنّ المراد أنّه: **مَنْ رآني في المنام فقد رآني؛ لأنّ الشيطان لا يتمثّل بصورتي ولا بصورة أحد من أهل بيتي**. وأمّا قوله: إنّ المؤمن والكافر يشاهده، فالجواب عنه: إنّ الظاهر أنّه خطاب للمؤمنين لأنّهم المنتفعون برؤيته، وإن رآه واحد من الكفّار للارتداع عن مذهبه الباطل، فهو أيضاً مؤمن في القديم زاغَ عن الحقّ أيّاماً إمّا بآبائه وأُمّهاته أو بالشبهات ثمّ رجع إليه. وأمّا أنّ المؤمنين يرونه بالصور المختلفة، فهو حقّ؛ وذلك لأنّ النبيّ والأئمّة عليهم السلام قد كانوا يظهرون للناس في عالم اليقظة على صفات مختلفة وصور متضادّة على قدر ما تحتمله عقولهم وأوهامهم كما تقدّم سابقاً. وأمّا أنهم يفتون الناس بالأحكام المتضادّة، فقد كان هذا في عالم اليقظة أيضاً خصوصاً مولانا الصّادق عليه السلام، فإنّه كان يفتي شيعته بالفتاوى المتضادّة ويخالف بينهم لمصالحهم؛ كما قال عليه السلام: أنا الّذي خالفت بينهم ولولاه لأخذ الناس برقابهم؛ فالمصلحة التي تكون في اليقظة تكون في النوم أيضاً، وذلك أنّ الناس مرضى والإمام الطبيب الحاذق فهو يصف لكل داء دواء.

ومن ثمّ ترى الأطياف والأحلام قد اختلفت في الحشيشة التي يسمّونها الناس بالتتن، فبعضهم نقل أنّه رأى الإمام عليه السلام فنهاه عن شربها واستعمالها، وبعضهم نقل أنّه رأى الإمام عليه السلام وقد أمره باستعمالها، وذلك أنّ حكمها يختلف باختلاف الطبائع والأمزجة، فربّما وافقت طبيعة وأضرّت بأُخرى؛ كبعض الأدوية والعقاقير، فكلا الطيفين حقّ. وحيث بلغ بنا الكلام إلى هذا المقام، فلا بأس بإرخاء العنان لتحقيق هذا المرام.

فنقول: هذه الحشيشة المذكورة لم يرد بخصوصها نصّ من الشارع مثل غيرها من سائر النّبات، فإنّه لم يصل إلينا في كلّ نبت حديث بخصوصه، مع أنّ المنقول تواتراً أنّها لم تكن مستعملة في قديم الزّمان، وإنَّما حدثت في هذه المائة، وهي المائة الحادية عشر، والآن جماعة موجودون يقولون: إنّنا لم نرها في أوّل أعمارنا، وإنّما حدث استعمالها في العشرة بعد الألف إلى هذه الأعصار. نعم ربّما حفر الناس الآبار والحفائر وأخرجوا من تحت الأرض آلات استعمالها، وهذا لا يدلّ على أنّ تلك آلات لهذا بخصوصه؛ إذ ربّما كانت آلة لغيره، ومن جهة اختلاف الأطياف والمنامات في تلقّي الأحكام من المعصوم عليه السلام أشكل الأمر في جعل الرّؤيا دليلاً شرعيّاً يجب العمل به؛ إذ ليس له قاعدة كلّية يجب اطّرادها فيه.

وقد كان بعض المعاصرين يذهب إلى تحريم صلاة الجمعة، ويشنّع على مَنْ يفعلها، بل ربّما قال بكفره، ثمّ بعد برهة من الزّمان مال إلى وجوبها وفعلها، فقيل له في ذلك فقال: إنّي رأيت الإمام عليه السلام بالمنام، وأمرني بفعلها؛ فصلاّها مدّة ثم تركها، ولعلّه قال: إنّ الإمام نهاني عنها في المنام، وليس مثل هذا إلّا مفر إذا أعيت عليهم الأحكام.

وأمّا الجمهور، فقال الصفدي وهو من أفاضلهم: قد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وأمره بأمرٍ هل يلزم العمل له أم لا؟ قالوا: إن أمره بما يوافق أمره يقظة، ففيه خلاف، وإنّ أمره بما خالف أمره يقظة، فإن قلنا: إنّ مَنْ رآه صلى الله عليه وآله على الوجه المنقول في صفته فرؤياه حقّ، فهذا من قبيل تعارض الدليلين والتعارض بأرجحهما وما ثبت في اليقظة، فهو أرجح؛ فلا يلزمنا العمل بما أمره فيما خالف أمره يقظة.

إذا عرفت هذا، فاعلم أنّ جماعة من علماء العصر كالمولى علي نقي، وشيخنا الشيخ فخر الدين الطريحي، والشيخ التقيّ الشيخ عليّ بن سليمان البحريني، وبعض فضلاء البحرين، وربّما تابعهم بعض المتفقهين ذهبوا إلى تحريمه حتّى إنّ المولى

عليّ نقي تغمّده الله برحمته صنّف كتاباً كبيراً في تحريمه، وقد أطلعني عليه ولده لما كان يقرأ عليّ في علم العربيّة في شيراز، وكان مجلّداً كبيراً، والباقي على التحليل حتّى إنّ التقيّ المجلسي طاب ثراه كان يشربه في صوم التطوّع، ويترك استعماله في الصوم الواجب حذراً من كلام العوام، ولهم على التحريم دلائل:

أوّلها: ما رُوِي عن مولانا الصادق عليه السلام من قوله: إذا رأيتم الناس قد أقبلوا على شيءٍ، فدعوه. وهذه الحشيشة قد أقبل عليها الناس إقبالاً عظيماً لا يمكن ردعهم عنه، حتى إنّ السلطان المرحوم الشاه عبّاس الأوّل قد عمل عليه الحرج وأحرق من يتّجر به فيه، فكان الناس يحفرون تحت الأرض مثل السراديب ويذهبون إليها ويشربونه هناك، وفي ذلك الحال يحرقون الخرق بقربهم حتّى لا تخرج رائحته وحتى تشتبه برائحتها، وكانوا يشترونه في ذلك الوقت بوزن الدراهم، بل وأغلى منها، فلمّا رأى ذلك السلطان أنّ ذلك الحرج لا ينفع قرّر عليه من مال الخراج مالاً عظيماً قصد به تعجيز الناس عن التجارة به وعن استعماله، فما ازدادوا له إلّا حبّاً وكرامة، والأغلب في تجارته الأرباح والفوائد.

وثانيها: إنّه من الإسراف الّذي وقع النهي عنه في الكتاب والسنّة، وذلك أنّه ربما كان للإنسان درهم واحد فأنفقه فيه وبقي جائعاً، وربّما حصل منه الضرر العظيم بسكره، فإنّا رأينا مَنْ شربه وسكر حتّى وقع في النار فاحترقت منه بعض الأعضاء، وربّما تكلّفت له أرباب الأموال حتّى صنعوا آلته وزيّنوها، فكان مجموعهما ثلاثين ألف دينار وأزيد، فهذا إسراف، والإسراف حرام، فيكون التتن حراماً.

وثالثها: إنّه من الخبائث المحرّمة في محكم الكتاب والسنّة؛ لأنّ النفوس تنفر عنه، بل ربّما كان بعض شاربيه ذامّاً له ومادحاً لمن لا يشربه.

ورابعها: التأويل على الرّؤيا والمَنامات بأن بعض الناس قد رأوا أحد المعصومين عليهم السلام، وقد نهى عنه وذمّ شاربيه.

وخامسها: إنّ الأشياء قبل ورود الشّرع فيها على أقوال، منها: التحريم، وإذا دار الشيء بين التحريم والإباحة لم يخرج صاحبه من العهدة يقيناً إلّا بتركه، فوجب تركه؛ وبعضهم ذكر له دلائل لا فائدة في نقلها لركاكتها. منها قوله: إنّ قليان على وزن بلبان، أو أنّه مشابهه في الصورة والاستعمال، فينبغي تركه. وأمّا نحن، فليس لنا رغبة في استعماله، وقد مرّت علينا أيّام طلب العلم في شيراز وأصفهان تقريباً من عشرين سنة ولا استعملناه؛ لأنّه ربّما كان فيه تضييع الوقت، والآن ربّما استعملناه

بتابعيّة أهل المجالس، ولكنّ الحكم الشرعي لا ينبغي أن يهمل. وتحريم ما لم يسند إلى دليل شرعيّ ممّا لا يجوز، وهذه الدلائل لا تفيده تحريماً، بل ربّما أفادته الإباحة؛ وذلك لأنّ الجواب أمّا عن الدليل الأوّل، فبأن المراد من الناس جمهور المخالفين، كما هو المفهوم من اصطلاح الأخبار، ويدلّ عليه سياق الخبر الذي ورد هذا فيه، كما في الاستبصار وغيره، مع أنّه ليس بمطّرد على ظاهره، بل المراد به موارد خاصّة كالأحكام والعبادات التي لم ينصّ عليها الدليل الواحد، بل تتعارض فيها الأدلّة، فإذا تعارضت فيها الأدلّة فدَعْ ما أقبل عليه الجمهور، واعرف أنّ الحقّ في الأدلّة على نقيضه وخلافه، واحمل ما وافق النّاس على التقيّة، بل قوله عليه السلام: خذ بما اشتهر بين أصحابك، ربما أشعر به، وذلك أنّ المشهور بين علماء الشّيعة في هذه الأعصار هو القول بتحليل التتن وجواز استعماله.

وأمّا الجواب عن الثاني، وهو الإسراف، فاعلم أوّلاً أنّ الأصحاب رضوان الله عليهم جعلوه من حكم الحرام كلّه، ولكنّ المفهوم من الأخبار أنّه على قسمين: حرام ومكروه؛ فالأوّل ما قاله مولانا الصادق عليه السلام: إنّما الإسراف فيما أتلف المال وأضرّ بالبدن، والمراد من إتلاف المال صرفه في غير المصارف المقصودة للعقلاء.

وأمّا الثاني، فمثاله ما رُوِيَ من أنّ مَنْ شرب مِنْ ماء الفرات وألقى بقية الكوز خارج الماء فقد أسرف، وقوله عليه السلام: إنّ من الإسراف أن تجعل ثياب بَذْلك ثياب صونك، وقوله عليه السلام: إنّ من الإسراف أن تعطي السائل السنبل بكلّ قبضتك إلى غير ذلك، وذكر جماعة من الأصحاب أنّ الإسراف هو أن يتجاوز الإنسان حاله في الإنفاق، ولهذا الكلام وجهان:

الأوّل: إنّ المراد حاله بالنظر إلى أهل بلاده، وهذا لا يطرد فيه الإسراف؛ لأنّا شاهدنا أهل بعض البلاد الغالب عليهم الحرص وسوء المعاش مع ما فيهم من الثروة والأموال، فلو أنّ أحداً تجاوزهم في الملبس والمأكل ونحوهما لم يك مسرفاً؛ لأنّ المفروض قدرته على ذلك.

الثاني: إنّ المراد حاله بالنظر إلى ثروته وقدرته، وهذا يتحقّق فيه الإسراف؛ كأن يكون تاجراً مثلاً فينفق الأرباح في سنة ويتعدّى إلى رأس المال أو يستقرض وينفق من غير أن يكون عنده وجهه، وقد بقي ههنا فرد آخر وهو أنّ الإنسان إذا تأنّق بالمنازل والمجالس والملابس والمناكح مع إمكان الاكتفاء بدونها، فهل يعدّ مثل هذا من باب الإسراف؟ الظاهر أنّه لا يكون إسرافاً، بل ربّما كان مستحبّاً؛ لأنّ فيه

إظهار نعم الله تعالى المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، فقد ورد أنّ المراد التحديث بالفعل لا بالقول.

وكان الأئمّة عليهم السلام يتأنّقون في المطاعم والملابس وغيرها، وأمّا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصبره واستعماله لما خشن وجشب، فقد ورد به العذر عن الصادق عليه السلام سابقاً، وحينئذ فهذه الحشيشة من هذا الباب وهو أنّ الناس مالت أنفسهم إليها، وكانوا قادرين على أثمانها، فلا بأس باستعمالها كغيرها.

وأمّا حكاية الإسكار، فهي غير مطّردة؛ وذلك أنّ الإنسان قد يسكر من بعض المحلّلات، فمن عرف مِنْ حاله هذا وأمثاله كان عليه حراماً لا غير. وأمّا التأنّق في الآلة، فإنّما يكون حراماً مع عدم القدرة لا غير. وأمّا الجواب عن الدليل الثالث، وهي كونها من الخبائث؛ فاعلم أن الخبيث نقيض الطيّب، وقد ورد الأمر بأكل الطيّبات واجتناب الخبائث والطيّب في اصطلاح الأخبار والتفاسير يُطلق على معانٍ أربعة:

أوّلها ما هو مستلذّ بالنفس، وثانيها ما أحلّه الشارع، وثالثها ما كان طاهراً، ورابعها ما خلا عن الضّرر في الروح والبدن، وجزم بعض الأصحاب بأنّه حقيقة في الأوّل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، ولكنّ الشائع في الأخبار هو الإطلاق الثاني، وهذه الحشيشة غير خبيثة بواحد من الأُمور؛ أمّا الأوّل، فلأنها عند أغلب الناس من أحسن الملاذ حتى بالغ الناس في استعمالها.

وأمّا المعنى الرابع، فلأنها إذا أضرّت الأبدان كانت محرّمة عليه بخصوصه، وليس المراد من الخبيث ما تنفر عنه بعض الطّباع؛ وذلك أنّ كثيراً من المحلّلات تأبَى عن أكلها طباع آحاد الناس وكثير من الطبائع تميل إلى بعض المحرمات، فيجاهدها صاحبها حتّى ترتدع، وقد جاء جندي إلى رجل عالم صالح من مشايخنا، فقال له: أيّما أعظم أجراً عند الله أنا أو أنت؟ فقال له الشيخ: لا أدري، فقال له الجندي: بل أنا أعظم أجراً، وذلك أنّه إذا أصبح عليّ النهار مالت نفسي ونازعتني على فعل كلّ محرَّم، فأُجاهدها وأزجرها إلى اللّيل، وأنت إذا أصبحت لم يكن لنفسك همّة ورغبة إلّا في العلم والعبادة، فأين أنا منك، فصدّقه ذلك الشيخ. وليس هذه الحشيشة إلّا مثل سائر النّبات، فإنّ الناس لو عمدوا إلى نبتٍ آخر وعظّموه هذا التعظيم لم يكن حراماً، فليكن هذا من ذاك، وبالجملة فالمراد من الخبيث ما خبّثه الشارع بالنهي عنه أو استقذره عامّة العقلاء.

وأمّا الجواب عن الدليل الرابع وهو المنامات، فقد عرفته سابقاً وأنّه يختلف باختلاف الأشخاص، فربّما كان نافعاً لبعض الأبدان مضرّاً للبعض الآخر، فلا يدخل تحت قاعدة كلّيّة، فلا يكون مدركاً للأحكام الشرعية.

وأمّا الجواب عن الخامس، فهو ظاهر؛ لأنّ الشرع قد ورد بها وأدرجها تحت القواعد الكلّية كغيرها من النبات، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال أيضاً: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨] وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٨٨]، وقال: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه: ٥٣-٥٤]، وقال عزّ من قائل: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]، وقال: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [طه: ٨١]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]؛ فهذه تسع آيات ملقاة إلى من أنكر هذا المقال. وأمّا السنّة، فقد روى الصدوق طاب ثراه عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كلّ شيء لك طلق حتّى يرد عليك فيه ما يحرّمه. وإلى الآن لم يرد دليل يحرّم هذا التتن سوى الأطياف والتشهيّات.

وأمّا الإجماع، فقد أجمع الأصحاب قديماً وحديثاً على تحليل ما لم يرد النصّ بتحريمه، وهذا إجماع قطعيّ لا ينكر؛ فبعد هذه الدلائل كلّها كيف يجوز أن يُقال إنّه لم يرد به نصّ؟ وأمّا قولهم: بأنّه مثل بلبان، فهو من الدلائل الباردة، ولقد حدّثني بعضهم أنّ هذا الكلام لمّا حكوه للمولى حسن التستري رحمه الله ضحك، وقال: إنّ آلة التتن نقيض البلبان، وذلك أن البلبان يحتاج إلى نفخ الهواء فيه، وآلة التتن تحتاج إلى جذب الهواء منه وإخراجها عنه، وبالجملة فالحكم بالتحريم مشكل، وبالله الاستعانة والتوفيق.

الأمر الثالث: قد رُوِيَ في كثير من الأخبار أنّ الرؤيا على ما تعبّر، روى الكليني في الروضة عن معمّر بن خلاد، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ربّما رأيت الرؤيا فأُعبّرها والرؤيا على ما تعبّر، ورُوِيَ بإسناده إلى ابن الجهم، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الرؤيا على ما تُعبَّر، فقلت له: إنّ بعض أصحابنا روى أنّ رؤيا

الملك كانت أضغاث أحلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ امرأة رأت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جذع بيتها انكسر، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقصّت عليه الرؤيا، فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: «**يَقْدُم عليك زوجك ويأتي وهو صالح**»، وقد كان غائباً فقدم كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ غاب عنها زوجها غيبة أُخرى، فرأت في المنام كأنّ جذع بيتها قد انكسر، فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله فقصّت عليه الرُّؤيا، فقال لها: «**يَقْدُم عليك زوجك ويأتي صالحاً**»، فَقَدِم على ما قال صلى الله عليه وآله، ثم غاب زوجها ثالثة، فرأت في منامها أنّ جذع بيتها قد انكسر، فلقيت رجلاً أعسر فقصّت عليه الرُّؤيا، فقال لها الرجل السوء: يموت زوجك، قال: فبلغ النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: «**ألا كان عبّر لها خيراً**».

وقوله: إنّ رؤيا الملك كانت أضغاث أحلام، معناه أنّها كانت أضغاث أحلام لكن لمّا عبَّرها الصدِّيق عليه السلام وقعت على ما عبّر، فالإمام عليه السلام أتى بالحديث شاهداً على تصديق مقالة الرجل. وأمّا الأعسر، فهو الرجل المشوؤم أو الّذي يعمل بيده اليسرى، وهو من الشؤم أيضاً، ورُوِيَ مسنداً إلى جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: إنّ رؤيا المؤمن ترفرف بين السماء والأرض على رأس صاحبها حتّى يعبّرها لنفسه أو يعبّرها له مثله، فإذا عبّرت لزمت الأرض، فلا تقصّوا رؤياكم إلّا على مَنْ يعقل، وقال صلى الله عليه وآله: «**لا تقصّ إلّا على مؤمن خلا من الحسد والبغي**».

ومن كتاب تعبير الرؤيا للكليني: جاء رجل إلى الصادق عليه السلام، وقال: رأيت أنّ في بستاني كرماً يحمل بطيخاً، فقال له: احفظ امرأتك لا تحمل من غيرك، وأتاه رجل فقال: كنت في سفر فرأيت كأنّ كبشين ينتطحان على فرج امرأتي، وقد عزمت على طلاقها لما رأيت، فقال عليه السلام: أمسك أهلك إنّها لمّا سمعت بقرب قدومك أرادت نتف المكان، فعالجته بالمقراض.

وفي هذه الأخبار إشكالان: **الأوّل**: ما معنى هذا الرّبط والعليّة بين التعبير والوقوع حتى صار التعبير علّة في الوقوع؟ حتّى قال عليه السلام: المنام طائر إذا قصّ وقع. قلت: هذا شيء لا نتحقّقه من حيث العقل، ولكن الشرع ورد به، فوجب قبوله كما وجب علينا قبول الأحكام من غير معرفة بتفاصيل عللها، ويمكن أن تكون العلّة فيه هي أنّه يحصل من التعبير التفاؤل والتطيّر، وقد عرفت أن التطيّر يضرّ من يتطيّر به، فيكون الوقوع للتطير الحاصل من التعبير، وكذا التفؤّل وأمّا أنّ كثيراً من الرؤيا

إذا عبّرت لم تقع، فيمكن أن يقال: إنّ الّذي يقع منها هو الّذي يصحّ عليه الوقوع؛ لأنّك قد تحقّقت أن بعض أقسامه مستند إلى الشياطين والأفكار النهارية، فهذا ممّا لا يصحّ عليه الوقوع، وإن عبّره المعبّرون.

الإشكال الثاني: قد عرفت أنّ تعبير الرؤيا لا يعلمه إلّا من علم الأمزجة والطبائع، وليس هو إلّا الإمام عليه السلام، فكيف جاءت هذه الأخبار دالّة على وقوع الرؤيا عند التعبير؟ فإذا كان الحال هكذا، فكلّ أحد يصدق عليه أنّه معبّر؟ قلت: فرق بين وقوع المنام عند تعبير العالم ووقوعه عند تعبير غيره، وحاصل الفرق أنّ ما وقع أوّلاً هو الّذي كان في الواقع ونفس الأمر. وأمّا الواقع عند تعبير الجاهل، فهو الوقوع العادي، فكأنّ الله سبحانه أجرى العادة بوقوع المنامات عند تعبير الجاهل، وإن لم يكن معناها الواقعي هو هذا، فتأمّل في هذا المقام فإنّه حري بالتأمّل.

الأمر الرابع: روى الجليل عليّ بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره بإسناده إلى مولانا الصّادق عليه السلام في سبب نزول قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠] أنّ فاطمة عليها السلام رأت في منامها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هـمّ أن يخرج هو وفاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة، فخرجوا حتّى جاوزوا حيطان المدينة، فتعرّض لهم طريقان، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين حتّى انتهى بهم إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله صلى الله عليه وآله شاة ذرآء، وهي التي في أحد أذنيها نقط بيض فأمر بذبحها، فلمّا أكلوا ما توا في مكانهم، فانتبهت فاطمة عليها السلام باكية ذعرة، فلم تُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فلمّا أصبحت جاء رسول الله صلى الله عليه وآله بحمار، فأركب عليه فاطمة عليها السلام وأمر أن يخرج أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة كما رأت فاطمة عليها السلام في نومها، فلمّا خرجوا من حيطان المدينة عرض له طريقان، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين كما رأت فاطمة عليها السلام في نومها، فمضى إلى موضع فيه نخل وماء، فأمر عليّاً عليه السلام فاشترى شاة فأمر بذبحها فذُبِحت وشُويت، فلمّا أرادوا أكلها قامت فاطمة وتنحّت ناحية منهم تبكي مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف عليها وهي تبكي، فقال: «**ما شأنك يا بنيّة**»؟ قالت: يا رسول الله رأيت كذا وكذا في نومي، وقد فعلت أنت كما رأيته، فتنحّيت عنكم فلا أراكم تموتون، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى ركعتين ثمّ ناجى ربّه، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام فقال: «**يا محمّد هذا شيطان يقال له الزها، وهو الذي أرى فاطمة** عليها السلام هذه الرؤيا، ويري

المؤمنين في منامهم ما يغتمّون به»، فأمر جبرائيل فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنت أريت فاطمة هذه الرؤيا؟ فقال: نعم يا محمّد، فبزق عليه ثلاث بزقات فشجّه في ثلاثة مواضع، ثم قال جبرائيل لمحمّد ﷺ: يا محمّد إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه أو رأى أحد من المؤمنين فليقل أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقرّبون وأنبياء الله المُرسلون وعباده الصالحون من شرّ ما رأيت من رؤياي، ويقرأ الحمد والمعوّذتين وقل هو الله ويتفل عن يساره ثلاث تفلات، فإنّه لا يضره ما رأى، وأنزل الله على رسوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الآية.

والإشكال الوارد على هذا الحديث هو أنّه قد ورد في كثير من الأخبار أنّ الشيطان ليس له تسلّط على أرباب العصمة عليهم السلام بوجهٍ من الوجوه، فكيف تسلّط الزها حتى فعل ما فعل؟ والجواب: إنّ هذا ليس من باب التسلّط، وذلك لما يتعقّبه من المعجزة التي هي الإتيان بذلك الشيطان وحبسه وإذلاله وإهانته، وليس هذا إلّا مثل ذلك الرجل الذي أتى إليها، وقال لها: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام يريد أن يأخذ عليك امرأة حتى غضبت، فاتّضح لها الحال أنّه رجل كذّاب.

ومن الأخبار المروحة للخاطر ما رواه الكليني طاب ثراه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا محمّد إنّ الميّت منكم على هذا الأمر شهيد، قال: قلت: وإنْ مات على فراشه؟ قال: إي والله على فراشه حيّ عند ربّه يُرزق. أقول: ثواب الشهادة إنّما حصّلوها من نيّاتهم، وذلك أنّ نيّاتهم أنّهم لو كانوا مع الإمام عليه السلام لجاهدوا الكفّار معه، ولو ظهر المهديّ عليه السلام في كلّ وقتٍ من الأوقات لكانوا من أنصاره وأعوانه، ومن هنا قال عليه السلام: إنّي لأعدّ نفسي من شهداء كربلاء، وذلك أنّي لو كنت معه لجاهدت أعداءه.

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ما رُوِيَ مسنداً إلى محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام، قال: قلت له: جُعِلت فداك الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عن ذلك فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات؟ فقال لي: يا محمّد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة، وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم لا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروّته، فتكون من الذين قال الله في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩].

أقول: قوله الشيء الذي أكرهه شامل لِمَا كان في حقّ المنقول إليه أو مطلقاً،

كما هو المفهوم من التنظير بالآية. وأمّا تكذيب القسامة، فلا ينافي ثبوت الحدود عليه بالشاهدين أو الأربعة؛ لأنّ هذا الكلام عند غير الإمام. وقوله: كذب سمعك وبصرك معناه أن ما ترى منه وتسمع من المكروهات ينبغي أن تتكلّف لها محامل سديدة وتوجيهات قريبة أو بعيدة، وتقول: إنّما قال هذا أو فعل هذا لهذا الوجه السائغ، فتكون في هذه التوجيهات قد كذّبت سمعك وبصرك حيث إنّهما اتّهماه وأخذا بظاهر كلامه من غير تأويل، وإلاّ فلا معنى لتكذيب العين بعد أن رأت، والأذن بعد أن سمعت.

وفي الحديث: احمل ما سمعت من أخيك على سبعين محملاً من محامل الخير، فإن عجزت فأقبل على نفسك وقل التقصير منك حيث أعْيَت عليك محامل الخير. وفي حديثٍ آخر أنّه سُئِل عليه السلام كم بين الصدق والكذب من المسافة؟ فقال: بينهما مقدار كفّ، فوضع كفّه بين أذنه وعينه، فقال: ما رأيت فهو الصدق، وما سمعت فهو الكذب، وهذا في مقام آخر وعلى كلّ تقدير؛ فلعلّ مثل هذه الإخوان قد كانت في الأعصار السالفة. وأمّا في هذه الأعصار فهم كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أخوان هذا الزمان جواسيس العيوب؛ وكما قال الشاعر:

كفاني الله شرّك يابن عمي ... فأمّا الخير منك فقد كفاني

وفي الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**من لم يقبل من متنصّل عذراً صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي**»، ولو أن أحداً أساء إليك من جانبك الأيمن ثمّ تحوّل إلى جانبك الأيسر فاعتذر عندك فاقبل عذره، وأوصاف الإخوان هذه وكانت في وقت شباب الزّمان:

أتى الزمان بنوه في شبيبته ... فسرَّهم وأتيناه على الهرم

وما أحسن جوابه لبعض مشايخنا:

همو على كلّ حال أدركوا هرماً ... ونحن جئناه بعد الشيب والعدم

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ما رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: إنّ الله يعذّب الستّة بالستة: العرب بالعصبيّة، والدهاقين بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجّار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل. أقول: المراد بالدهاقين رؤساؤهم، وبأهل الرستاق عامّتهم.

ومن الأخبار ما رواه صاحب كتاب ربيع الأبرار أنّ إبليس قال: إلٰهي إنّ عبادك

يُحبُّونك ويعصونك، ويبغضوني ويطيعوني؟ فأتاه الجواب: إني غفرت لهم ما أطاعوك بما أبغضوك، وقبلت منهم إيمانهم وإن لم يطيعوني بما أحبّوني.

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ما رُوِيَ عن عبد الله بن طلحة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ؟ فقال: رجس وهو مسخ كلّه، فإذا قتلته فاغتسل. وقال عليه السلام: إنّ أبي كان قاعداً في الحجر ومعه رجل يحدّثه، فإذا هو بوزغ يولول بلسانه، فقال أبي للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ؟ قال: لا عِلْم لي بما يقول، قال: فإنّه يقول: والله لئن ذكرتم عثمان بشتيمة لأشتمنّ عليّاً حتى تقوم من ههنا. قال: وقال أبي: ليس يموت من بني أُميّة ميّت إلا مُسِخَ وزغاً. وقال عليه السلام: إنّ عبد الملك بن مروان لمّا نزل به الموت مسخ وزغاً، فذهب من بين يديْ مَنْ كان عنده، وكان عنده ولده، فلمّا أنْ فقدوه عَظُم ذلك عليهم، فلم يدروا كيف يصنعون، ثمّ اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيضعوه كهيئة الرجل، قال: ففعلوا ذلك وألبسوا الجذع درع حديد ثم ألقوه في الأكفان، فلم يطّلع عليه أحد من الناس إلّا أنا وولده.

أقول: المشهور بين أصحابنا هو استحباب الغسل عند قتل الوزغ، واستدلّوا عليه بقول الصدوق رحمه الله إنّ من قَتل وزغاً فعليه الغسل، وقال بعض العلماء: إنّ العلّة في ذلك أنّه يخرج عن ذنوبه فيغتسل منها، قال في المعتبر: وعندي أنّ ما ذكره ابن بابويه ليس بحجّة، وما ذكره المعلّل ليس طائلاً، انتهى. وهذا الخبر صريح في الدّلالة، ولو استندوا إليه لكان أوثق لهم، والظاهر أنّ الأصحاب رضوان الله عليهم إنّما أهملوا ذكره والاستدلال به لأنّه غير مذكور في الأُصول الأربعة في بابه، بل ذكره شيخنا الكليني رحمه الله في الروضة في الأخبار المتفرّقة [1].

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ما رُوِيَ أنّ عيسى ابن مريم عليه السلام كان جالساً ذات يوم وعنده جبرائيل عليه السلام، فمرّ بهما رجل على ظهره حزمة حطب وبيده رغيف يأكله، وكان يلعب ويضحك، فقال جبرائيل عليه السلام: عجباً لهذا الرجل يفعل ما ترى، وما بقي من عمره إلا ساعة أو ساعتان، فأنهى ذلك عيسى عليه السلام إلى من بحضرته، فلمّا كان في اليوم الآنف مرّ الرجل وعلى عاتقه حبل يخرج للاحتطاب، فقال القوم: يا نبيّ الله ألست قلت: ما بقي من عمر هذا الرجل إلّا ساعة أو ساعتان؟ قال: إنّما قلت ذلك من جبرائيل، فقالوا: يا رسول الله، ادع لنا ربّك يبيّن لنا هذا

(١) تحت عنوان حديث القباب ح ٣٠٥.

الأمر؟ فسأل الله تعالىٰ فأتاه جبرائيل عليه السلام وقال له: قل لهذا الرجل ليأتك بالحزمة التي ذهب بها أمس، فخرج الرجل وجاء بالحزمة ففتحها عيسى عليه السلام، فإذا في وسطها حيّة أفعى، فقال جبرائيل عليه السلام: رأيت في اللّوح أنّ هذا الرجل تقتله هذه الحيّة، ولكن سَلْه ما فعل من الخير منذ فارقنا، فقال له عيسى عليه السلام: ما فعلت من الخير أمس؟ قال: ما فعلت شيئاً إلّا أنّي كنت آكل ذلك الخبز (الرغيف)، فبقيت بقيّة فسألني رجل فأعطيته تلك البقية، فقال جبرائيل عليه السلام: إنّ الله تعالى قد دفع عنه ذلك البلاء بتلك الصدقة، وزاد في عمره كذا سنة؛ وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

أقول: قد مضى أمثال هذا الخبر وأنّه لا مُنافاة بينه وبين ما رُوِيَ في باب العلم من أنّ علمه سبحانه علمان: علمٌ استأثر به، فذلك الذي يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعلمٌ علَّمه ملائكته وأنبياءه؛ فذلك الذي لا يدخله محو ولا إثبات لئلاّ يكذِّب الناس أنبياء الله تعالى؛ لأنّ مثل المحو لم يستلزم التكذيب، بل استلزم التصديق على الوجه الأبلغ. أمّا لو أخبروا بأمر، فوقع خلافه كان منافياً لما تقرّر في باب العلم على ما لا يخفى.

ومن الأخبار المروّحة للبال ما رُوِي من أنّه كان رجل في بني إسرائيل منهمكاً في المعاصي، فأتى في بعض أسفاره على بئرٍ، فإذا كلب قد لهث من العطش، فرقّ له فأخذ عمامته وشد بخفّه واستقى الماء وأروى الكلب، فأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزمان: إنّي قد شكرت له سعيه وغفرت له ذنبه، لشفقته على خلقٍ من خلقي؛ فسمع ذلك فتاب من المعاصي وصار ذلك سبباً لتوبته وخلاصه من العقاب.

ومن الأخبار المروحة ما رُوِي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ للإسلام نيفاً وسبعين شعبة، أعلاها شهادة أن لا إلٰه إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». أقول: رُوِي في خبر أنّ رجلاً مرّ بطريق وقع فيه الماء، فوضع حجراً في الماء لتضع المارّة رجلها عليه، فلمّا جفّ الطريق مرّ به رجل آخر فرفعه، فأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزمان إني قد غفرتُ لهما.

ومن الأخبار المروحة ما رُوِيَ من قوله صلى الله عليه وآله: «لا يُلْدغ المؤمن من جحرٍ مرّتين». أقول: رُوِيَ أن سببه هو أن أبا عزّة الشاعر أُسر يوم بدر وجيء به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله تصدّق بي على عيالي واعفُ عني عفى الله عنك، فقال عليه السلام: «على أن لا تُعين عليّ بيد ولا لسان»، فعاهد على ذلك؛ فلما عاد قومه

إلى حرب رسول الله ﷺ عاد معهم وكان يحرّض القوم على القتال، فأُسِرَ وجيء به إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، تصدّق بي على عيالي واعفُ عني عفى الله عنك، فقال ﷺ: «العفو مَكْرمة لا تعدلها مكرمة، ولكن لا يُلْدغ المؤمن من جحرٍ مرّتين، والله لا تجلس بمكّة وتمسح لحيتك وتقول: خدعت محمّداً مرّتين، يا عليّ قم إليه واضرب عنقه»، فقام وضرب عنقه.

ومن الأخبار ما رُوِيَ أنّه ذكر عند مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قول النبيّ ﷺ: «النظر إلى وجه العالم عبادة»، فقال: هو العالم الّذي إذا نظرت إليه ذكّرك الآخرة، ومن كان على خلاف ذلك، فالنظر إليه فتنة.

ومن الآثار ما حدّثني به بعض مَنْ أثق به أنْ قد حفر قبر في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فوجد فيه لوح مكتوب فيه هذان البيتان:

بالله يا قبر هل زالت محاسنها ... أم هل تغيّر ذاك المنظر النّضر
ما أنت يا قبر لا روض ولا فلك ... فكيف يجمع فيك الشمس والقمر

ومنها أيضاً أنّ امرأة كانت تبكي على قبرٍ وهي بديعة الجمال، فقيل لها: لمَ تبكين على ميت تحت التراب؟ فأنشدت هذين الشِّعرين:

فإن تسألاني عن هواي فإنّني ... رهينة هذا القبر يا فتياني
وإنّي لأستحييه والترب بيننا ... كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ما رُوِيَ من أنّه لمّا خلقت المرأة نظر إليها إبليس، فقال: أنت سؤلي وموضع سرّي ونصف جندي وسهمي الذي أرمي به، فلا أخطىء. وإذا اختصمت هي وزوجها في البيت، فله في كلّ زاوية من زوايا البيت شيطان يصفّق ويقول: فرّح الله من فرّحني، حتّى إذا اصطلحا خرجوا عمياً يتعاوون ويقولون: أذهب الله نور من ذهب بنورنا. وقيل: إنّ عرش الرحمٰن ليهتزّ عند افتراق الزَّوجين، وقيل: إنَّ فرحة إبليس إذا فرّق بين المتحابَّيْن كفرحته حين أُخرج آدم من الجنّة.

ومن الأخبار ما رواه سيّدنا الأجلّ علم الهدى قدّس الله روحه من قوله ﷺ: «إنّ الميّت ليُعذَّب ببكاء الحيّ عليه»، وفي رواية أُخرى: «إنّ الميّت يُعذّب في قبره بالنّياحة عليه». أقول: أجاب عن هذا الحديث المرتضى رحمه الله، قال: والجواب إذا كنّا قد علمنا بأدلّة العقل التي لا يدخلها الاحتمال والامتناع والمجاز قبح مؤاخذة

أحد بذنب غيره، وعلمنا أيضاً ذلك بأدلّة السمع، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فلا بدّ أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلّة، فالتي سُئِلْنا عنها إنْ صحّت روايتها معناه أنه مَنْ أوصى وصياً أن يُناح عليه ففعل ذلك بأمره عن إذنه، فإنّه يُعذّب بالنياحة عليه، وليس معنى يعذّب بها أن يؤاخذ بفعل النّياحة، وإنّما معناه أنّه يؤاخذ بأمره بها ووصيّته بفعلها؛ إنّما قال النبيّ ﷺ ذلك لأنّ في الجاهليّة كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون ويؤكّدون الوصية بفعله، وهذا مشهور عنهم، ثمّ قال: ويمكن أن يكون في قوله يعذّب ببكاء أهله وجهٌ آخر، وهو أنْ يكون المعنى أنّ الله تعالىٰ إذا أعلم ببكاء أهله وأعزّته عليه وما لحقهم بعده من الحُزن والهمّ تألّم بذلك، فكان عذاباً له، والعذاب ليس بجارٍ مجرى العقاب الذي لا يكون إلّا على ذنبٍ متقدّم، بل قد يستعمل كثيراً بحيث يشمل الألم والضرر. ألاَ ترى أنّ القائل قد يقول لمن ابتدأ بالضرر والألم: قد عذّبتني بكذا وكذا، كما تقول: أضررت بي وآلمتني، وإنّما لم يُستعمل العقاب حقيقة في الألم المبتدأ من حيث كان اشتقاق لفظه من العاقبة التي لا بدّ من تقدّم سبب لها، وليس هذا في العذاب، انتهى.

ويمكن أن يوجّه بوجهٍ ثالث، وهو أن يكون المراد ما تعارف في كل الأعصار من أنّهم ينوحون على الميت ويعدّدون أوصافه الجميلة عندهم، مثل قتل الأقران، وشنّ الغارات على المسلمين ونحو ذلك من الأوصاف التي يُعذَّب الميت عليها وهم ينوحون بها عليه.

ومن الطرائف ما نقله الزمخشري قال: عَظُم على طيّ موت حاتم، فادّعى أخوه أن يخلفه، فقالت له أُمّه: هيهات شتّان ما بين خلقتكما، وضعته فبقي سبعة أيّام لا يرضع حتّى ألقمت ثديي طفلاً من الجيران، وكنت أنت راضعاً أحدهما وآخذاً الآخر (وتأخذ الآخر خ)، بيدك، فأنّى لك!

ومن الأخبار قوله ﷺ: «إنّ من البيان لسحراً»، وهو يحتمل المدح وهو الأشهر في معناه، والذمّ أيضاً. أمّا الأوّل، فهو في أصله أنّ من البيان بياناً غريباً على الأسماع يأتي عليها كالسحر. وأمّا الثاني، فمعناه أنّ من البيان بياناً مموّهاً كما أن السّحر مموّه.

ومن الأخبار المروّحة ما رواه الصدوق قدّس الله روحه بإسناده إلى أبي بصير، قال: سمعت الصادق عليه السلام يحدّث عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، قال: قال

رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: «أيّكم يصوم الدهر»؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله، قال: «فأيّكم يُحيي الليل»؟ قال سلمان: أنا يا رسول الله، قال: «فأيّكم يختم القرآن في كلّ يوم»؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله، فغضب بعض أصحابه وهو عمر بن الخطّاب، فقال: يا رسول الله! إنّ سلمان رجل من الفرس يريد أن يفتخر علينا معاشر قريش، قلتَ: أيّكم يصوم الدهر؟ فقال: أنا، وهو أكثر أيّامه يأكل. وقلت: أيّكم يُحيي الليل؟ فقال: أنا، وهو أكثر ليله نائم. وقلت: أيّكم يختم القرآن في كل يوم؟ فقال: أنا، وهو أكثر أيّامه صامت. فقال النبيّ ﷺ: «يا فلان، أنّى لك بمثل لقمان الحكيم، سَلْه فإنّه ينبئك»، فقال الرجل لسلمان: يا أبا عبد الله! أليس زعمت أنّك تصوم الدهر؟ فقال: نعم، فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل؟ فقال: ليس حيث تذهب إنّي أصوم الثلاثة الأيام في الشهر، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وأُواصل شعبان بشهر رمضان فذلك صوم الدَّهر، فقال: أليس زعمت أنّك تُحيي الليل؟ فقال: نعم، قال: أكثر ليلك نائم، فقال: ليس حيث تذهب، ولكنّي سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ بات على طهرٍ، فكأنَّما أحيى الليل كلّه»، وأنا أبيت على طهر. فقال: أليس زعمتَ أنّك تختم القرآن في كلّ يوم؟ قال: نعم، قال : فأنت أكثر أيَّامك صامت، فقال: ليس حيث تذهب، ولكنّي سمعت حبيبي رسول الله يقول لعليّ عليه السلام: «يا أبا الحسن! مَثَلُك في أُمّتي مثل قل هو الله أحد، فمن قرأها مرّة فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرّتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومَنْ قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن، فمن أحبَّك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان، ومن أحبّك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الإيمان، ومن أحبّك بلسانه وقلبه ونصرك بيده، فقدِ استكمل الإيمان كلّه. والّذي بعثني بالحقّ يا عليّ، لو أحبّك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لما عذّب أحد بالنار»، وأنا أقرأ قل هو الله أحد في كلّ يوم ثلاث مرّات، فقام وكأنّه أُلقِمَ حجراً.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن سليمان عليه السلام أنه قال: الغالب لهواه أشدّ من الذي يفتح البلاد وحده. ومن الآثار أنّ امرأة قرشيّة حلقت شعر رأسها، وكانت أحسن الناس شعراً، فقيل لها في ذلك؟ فقالت: أردت أن أُغلق الباب فلمحني رجل ورأسي مكشوف، فما كنت لأدع عليّ شعراً رآه مَنْ ليس بمحرم. ومن الآثار أنّه نزل رجل على أخٍ له، فشخص المنزول إليه في بعض حاجاته، وقال لامرأته: يا زرقا،

أوصيك بضيفي هذا، فلمّا عاد بعد شهر قال لها: كيف ضيفنا؟ قالت: ما أشغله بالعمى عن كلّ شيء، وكان الضيف أطبق عينيه فلم ينظر إليها وإلى المنزل إلى أن عاد زوجها.

ومن الأخبار ما رُوِي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كانت الفقهاء والحُكماء إذا كاتَبوا بعضهم بعضاً كتبوا بثلاث ليس معهنّ رابعة: مَنْ كانت الآخرة همّه كفاه الله همّه من الدُّنيا، ومَنْ أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ أصلح الله فيما بينه وبين الناس.

أقول: قد سبرنا هذا الخبر وجرّبنا مضمونه، فرأيناه كما قال عليه السلام، وذلك أنّا رأينا رجالاً قد اتصفوا بالصلاح والعلم والعمل، ورأينا ألسنة المؤمنين تنالهم بسوء وتهمة، فتعجّبنا من ظاهر أحوالهم وممّا يقول الناس فيهم، ولمّا تفحصنا عن أحوالهم باطناً ظهر لنا أنّ ما قاله النّاس فيهم حقّ واقع، ولكن ما علمنا طريق اطّلاع الناس على باطن حالهم سوى ما ذكرناه سابقاً في تضاعيف الأنوار من أنّ الله سبحانه يرسل ملكاً بصورة رجل، فيظهر باطن ذلك الرجل للناس حتّي يعرفوه بما هو عليه من الصَّلاح والفساد، ولكن مثل هذا لا يكون برهاناً شرعيّاً يستدلّ به الدّليل الشرعي على ذلك الباطن. نعم ربّما اتّهم بعض الناس شخصاً بريئاً ممّا قيل فيه، لكن يظهر للناس بعد حين براءته ممّا قيل فيه. وأمّا ما ورد من قولهم عليهم السلام: لا يضرّك ما يقول الناس فيك إذا كنت صالحاً عند الله، فقد عرفت أنّ المراد من الناس جمهور المخالفين، وهؤلاء إذا كان حال الرجل عندهم حال سوء، فهو دليل على حسن حاله عند الله.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن الصّادق عليه السلام قال: «إنّ العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عزّ وجلّ إلى ملائكته إنّي قد عمّرت عبدي عمراً فغلّظا وشدّدا وتحفّظا، واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره».

أقول: ما معنى هذا التشديد عليه؟ وما كان التخفيف عنه قبل الأربعين؟ قلت: يجوز أن يكون ذلك التخفيف إشارة إلى ما رُوِيَ من أنّ الملك الّذي اسمه رقيب، وهو كاتب الحسنات يقول لعتيد، وهو كاتب السيّئات: إذا فعل العبد سيّئة ارتقبه لعلّه يتوب فيرتقبه سبع ساعات، فإن تاب وإلاّ كتبها عليه، فيكون هذا الانتظار والارتقاب فيما قبل الأربعين.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ قلوب بني آدم كلّها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يصرفها كيف شاء»، وقد ذكر سيّدنا المرتضى أعلى الله علاه فيه وجوهاً، الأوّل: أنّه قد ورد في اللغة والشعر الفصيح إطلاق الأصبع على الأثر الحسن، ومعناه حينئذٍ أنّه ما من آدميّ إلّا وقلبه بين نعمتين جليلتين حسنتين، وهي نِعَم الآخرة؛ لأنهما نوعان. ووجه تسمية النّعمة أصبعاً، لأنه يُشار بالأصبع إلى النّعمة. الثاني: ما قاله أيضاً أو ذكر أنه الأوضح والأشبه بمذاهب العرب، وهو أن يكون معناه تيسّر تصريف القلوب عليه كما يقال هذا الشيء في خنصري وتحت أصبعي، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. الثالث: يجوز أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان علىٰ شكل الأصبعين يحرّكه الله تعالى بهما ويقلّبه بهما.

أقول: ويجوز أن يكون المراد بالأصبعين هنا النقطة السوداء والنقطة البيضاء اللّتان في قلب ابن آدم، كما ورد في مستفيض الأخبار، وأنّ الأُولى تتزايد بتزايد الذنوب حتّى يصير القلب كلّه أسود، كما أنّ القلب بفعل أعمال البرّ يبيضّ شيئاً فشيئاً حتى يصير كلّه أبيض، ويجوز أن يكون المراد بالأصبعين هنا أوامره تعالى ونواهيه اللّذين لا يكون التصديق بهما والإذعان إلّا بالقلب، فيكون إشارة إلى الأوامر والنَّواهي ونسخهما في وقتٍ دون آخر، ويجوز أن يكون المراد بالأصبعين هنا اللّطف والخذلان، فإنَّ من عمل ما يستحق به الألطاف منحه مِنَ الألطاف ما يكون هو جلّ شأنه عينه التي بها يُبصر وسمعه الّذي به يسمع وقلبه الّذي به يفهم، كما ورد في الحديث المشهور: «ومن استحقّ الخذلان بأعماله أهمله ونفسه حتّى يرد مورد المهالك».

ويجوز أن يكون المراد بالأصبعين هنا ما رويناه في هذا الكتاب من أنّ على قلب كلّ واحد ملكاً عن يمينه وشيطاناً عن يساره، فهذا يأمره بالخير وذاك يأمره بالشرّ، وسمّى هذا أصبعاً لأنّه مخلوق من مخلوقاته، وهو سبحانه الّذي سلّطه على قلب ابن آدم امتحاناً له وابتلاءً، ويجوز أن يكون هذا الحديث إشارة إلى الأسرار الإلٰهيّة التي يفعلها سبحانه بقلب عبده من غير أن يُطْلعه عليها؛ لأنّه الذي يحول بين المَرْء وقلبه، لكن ذلك الصنع منه سبحانه لا يصل إلى حدِّ الإلجاء والاضطرار حتّى ينافي التّكليف، فيكون إشارة إلى قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: عرفت الله بفسخ العزائم ونقض الهمم. وتحقيق هذا يحتاج إلى مقامٍ آخر.

ومن الأخبار المروّحة من الملال ما رواه الصدوق بإسناده إلى سلمان الفارسي، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلمّا سلّم قال: «أين ابن عمي وقاضي دَيْني ومُنْجز عدتي، أين عليّ بن أبي طالب»؟ فأجابه بالتلبية: لبّيك لبّيك يا رسول الله، قال: «يا عليّ، أتريد أن أعرّفك فضلك من الله تعالى»؟ قال: نعم يا حبيبي، قال: «يا عليّ اخرج إلى صحن المسجد، فإذا طلعت الشمس فسلّم عليها»، قال: فخرج عليّ عليه السلام إلى صحن المسجد، فلمّا طلعت الشمس قال لها: السلام عليك أيّتها الشمس، فقالت: وعليك السلام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكلّ شيء عليم، قال: فضجّت الصحابة وقالوا: يا رسول الله! بالأمس تقول لنا الأوّل والآخر صفات الله تعالى؟ قال: «نعم، تلك صفات الله عزّ وجلّ، وهو الله وحده لا شريك له يُحيي ويُميت، وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير»، قالوا: فما بالنا نسمع الشمس تقول لعليّ هذا، فصار عليّ ربّاً يُعبد؟! فقال النبيّ ﷺ: «استغفروا الله ثمّ توبوا إليه. أمّا قولها: يا أوّل فهو أوّل مَنْ آمن بي وصدّقني، وأمّا قولها: يا آخر فهو آخر من يكسر الأصنام، وأمّا قولها: يا ظاهر فهو والله أظهر دين الله بالسيف. وأمّا قولها: يا باطن، فهو باطن بطينة علمي. وأمّا قولها: يا من هو بكل شيء عليم، فوعزّة ربّي ما علّمني ربّي شيئاً إلّا علّمته عليّاً، وإنّه بطرق السماء أعرف بها من طرق الأرض»، ثمّ قال: «يا عليّ ادخل وافتخر»، فدخل وهو يقول:

نعمة من خالق الخلق بها قد خصّنيها ... وأنا حامل لواء الحمد يوماً أحتويها
وأنا السابق في الإسلام طفلاً ووجيهاً ... ولي الفضل على الناس بفاطم وأبيها
ثمّ فخري برسول الله إذ زوّجنيها ... وإذا أنزل ربّي آية علّمنيها
ولقد زقّني العلم لكي صرت فقيها

ومن الأخبار ما رواه الصدوق بإسناده إلى مولانا الحسين عليه السلام قال: كنت مع عليّ بن أبي طالب يوماً على الصّفا، وإذا هو بدرّاج يدرج على وجه الأرض على الصفا، فوقف مولاي بإزائه، فقال: السلام عليك أيّها الدراج، فقال الدراج: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين، فقال عليّ عليه السلام: أيّها الدراج ما تصنع في هذا المكان؟ قال: أنا في هذا المكان منذ أربعمائة عام أُسبّح الله تعالى وأقدّسه وأحمده وأعبده حقّ عبادته، فقال عليه السلام: إنّه لصفاً نقيّ لا مطعم فيه ولا مشرب، فمن أين مطعمك ومشربك؟ قال: يا مولاي وحقّ مَنْ بعث ابن عمّك نبيّاً وجعلك

وصيّاً، إنّي كلّما جعت دعوت الله عَزَّوَجَلَّ لشيعتك ومحبّيك فأشبع، وإذا عطشت دعوت الله على مُبغضيك، فأرْوَى.

ومن الآثار ما ورد في كلام الحكماء: كما أنّ الذباب يتبع مواضع الجروح ويجتنب المواضع الصحيحة كذلك الشرار يتبعون معايب الناس، فيذكرونها ويدفنون المحاسن.

ومن الآثار ما نقله صاحب كتاب ربيع الأبرار عن الشافعي، قال: بَيْنا أنا أدور في طلب العلم، فدخلت بلدة من بلاد اليمن، فرأيت إنساناً من وسطه إلى أسفله بدن امرأة ومن وسطه إلى فوقه بدنان مفترقان بأربع أيدٍ ورأسين ووجهين وهما يتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان ويأكلان ويشربان، ثمّ غبت عنهما سنين ورجعت فسألت عنهما، فقيل لي: أحسن الله عزاك في البدن الواحد، فربط من أسفله بحبل وثيق وترك حتّى ذبل فقطع وعهدي بالجسد الآخر في السوق ذاهباً وجائياً. قال: ورأيت في اليمن شيخاً كبيراً يدور على بيوت الفتيان يعلّمهنّ الغناء، فإذا حضرت الصلاة صلّى قاعداً.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن أبي الحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قال لرجلٍ من أصحابه: يا فلان، اتّق الله وقل الحقّ ولو كان فيه هلاكك، فإنّ فيه نجاتك، يا فلان اتّق الله ودع الباطل، وإنْ كان فيه نجاتك؛ فإنّ فيه هلاكك. أقول: لعلّك تقول: إنّ هذا بظاهره ينافي ما ورد من الأمر بالتقيّة، فإنّها لا تكون إلّا في قول الحقّ مع أنه رُوِيَ في الأخبار وانعقد عليه الإجماع أنّ التقية تقتضي كتمان قول الحقّ بما يكون فيه ضرر أقلّ من الهلاك؟ قلت: يمكن الجواب عن هذا بوجهين:

الأوّل: إنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عالماً بأحوال ذلك الرجل، وبأنّه يكتم الحقّ من غير أن يصل إلى حدِّ التقية، فهدّده عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه المبالغات.

الثاني: وهو الأظهر أنّ المراد الخوف والتوهّم من الهلاك؛ كأن يقول: إذا قلت الحقّ في هذه الواقعة، فلعلّ الحاكم يقتلني أو يضرّني، مع أنّ ذلك الحاكم لم يَعْتد قتل مَنْ قال الحقّ ولا إضراره، وهذا كثير في هذه الأعصار.

ومن الأخبار ما رواه الصدوق بإسناده إلى الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إنّ داود النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا ربّ أخبرني مَنْ قريني في الجنّة ونظيري في منازلي؟ فأوحى الله تعالىٰ إليه أنّ ذلك متّى أبو يونس، قال: فاستأذن الله في زيارته، فأذن له فخرج هو وسليمان ابنه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حتى أتيا موضعه، فإذا هما ببيت من سعف، فقيل لهما: هو في

السوق، فسألا عنه، فقيل لهما: اطلباه في الحطّابين، فسألا عنه فقال لهما جماعة من الناس: نحن ننتظره الآن حتى يجيء، فجلسا ينتظرانه إذ أقبل وعلى رأسه وقر من حطب، فقام إليه الناس فألقى عنه الحطب وحمد الله، وقال: من يشتري طيّباً بطيّب، فساومه أحد وزاده آخر حتّى باعه من بعضهم، قال: فسلّما عليه، فقال: انطلقا بنا إلى المنزل، واشترى طعاماً بما كان معه، ثمّ طحنه وعجنه في نقيرٍ له، ثمّ أجّج ناراً وأوقدها ثمّ جعل العجين في تلك النار وجلس معهما يتحدّث، ثمّ قام وقد نضجت خبزته فوضعها في النقير وفلقها وذرّ عليها ملحاً ووضع على جنبه مطهرة ماء وجلس على ركبتيه وأخذ لقمة، فلمّا رفعها إلى فيه قال: بسم الله، فلمّا ازدردها قال: الحمد لله، ثم فعل مثل ذلك بأُخرى وأخرى، ثمّ أخذ الماء فشرب منه، فذكر اسم الله تعالى، فلمّا وضعه قال: الحمد لله، يا ربّ مَنْ ذا الّذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوْلَيْتني، قد صحّحت سمعي وبصري ويدي وقوّيتني حتّى ذهبت إلى شجر لم أغرسه، ولم أهتمّ بحفظه فجعلته لي رزقاً، وهيّأت لي من اشتراه منّي فاشتريت بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخّرت لي النار فأنضجته وجعلتني آكله بشهوة أقوى به على طاعتك، فلك الحمد، قال: ثمّ بكى، فقال داود لسليمان: يا بنيّ قم فانصرف بنا، فإنّي لم أرَ عبداً قطّ أشكر لله من هذا صلّى الله عليه وعليهما.

ومن الأخبار المروّحة ما رواه الصدوق رحمه الله بإسناده إلى مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال: إنّي قلت: اللّهمّ لا تحوجني إلى أحدٍ من خلقك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقل هكذا، فليس من أحد إلّا وهو محتاج إلى الناس»، قال: فقلت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: «قل اللهم لا تحوجني إلى شِرار خلقك»، قلت: يا رسول الله، ومَنْ شرار خلقه؟ قال: الذين إذا أعطوا منّوا، وإذا منعوا عابوا.

ومن الآثار ما قاله الزمخشريّ في ربيع الأبرار، قال: كان ببابل سبع مدائن في كل مدينة أُعجوبة: كان في إحداها تمثال الأرض، فإذا التوى على الملك بعض أهل مملكته بخراجهم خرق أنهارها في التمثال، فلا يطيقون سدّ الشقّ حتى يعدلوا، وما لم يسدّ في التمثال لم يسدّ في ذلك البلد.

وفي الثانية حوض إذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى في كلّ واحد مما أحبّ من شراب فصبّه في ذلك الحوض، فاختلط الأشربة، فكلّ مَنْ أراد شربه سقى منه كأنّه شرابه الّذي جاء به، وفي الثالثة طبل إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن

أهله قرعوه، فإنْ كان حيّاً صوّت، وإن كان ميّتاً لم يصوّت، وفي الرابعة مرآة إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فيُبصروه على أيّ حالة هو عليها كأنّهم يُشاهدوه، وفي الخامسة أوزّة من نحاس، فإذا دخل غريب صوّت صوتاً يسمعه أهل المدينة، وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحقّ على الماء حتى يجلس مع القاضي ويرتطم المبطل، وفي السابعة شجرة ضخمة إذا جلس أحد تحتها تظلّ إلى الألف، فإذا زاد على الألف واحد جلسوا كلّهم في الشمس.

ومن الآثار ما حُكِي عن بعضهم أنّه قال: رأيت ببلاد الهند شيخاً كبيراً يسمّى فلان الصبور، فسألت بعضهم عن حاله، فقيل: إنه كان له حبيب في عنفوان شبابه فسافر يوماً فخرج هذا الرجل إلى وداعه، فبكت إحدى عينيه ولم تبكِ الأُخرى؛ فقال لعينه: لأحرمنَّك النظر إلى محبوب الدنيا عقوبةً لك على ما لم تُساعديني على البكاء لفراق محبوبي، فمنذ ثمانين سنة غمض عينه ولم ينظر بها إلى شيء.

ومن الأخبار ما رُوي أنّ يوسف عليه السلام كان له زوج حمام، فلمّا فارق يوسف يعقوب عليه السلام ، فكلّما أراد يعقوب أن يتبسّم أو يخاطب أحداً أو يتكلّم جاء الحمام ووقع بحذائه، فذكّره عهد يوسف عليه السلام ، فكان يتنغص عيشه.

ومن الأخبار ما رُوِي أنّ رجلين تنازعا في أرضٍ، فأنطق الله عزّ وجلّ لبنة في جدار تلك الأرض، حتى قالت: إني كنت ملكاً من ملوك الأرض ملكت الدنيا ألف سنة، ثمّ متُّ وصرت رميماً ألف سنة، فأخذني خزّاف فاتّخذ مني خزفاً، فاستعملت مدّة ثمّ انكسرت وبقيت ألف سنة خزفاً، ثمّ أخذني رجل وضرب منّي لبناً فأنا في الجدار منذ كذا سنة، فلِمَ تتنازعا في هذا الأمر.

ومن الأخبار ما رُوِي أنّ الله تعالى أوحى إلى يعقوب: أتدري لم فرّقت بينك وبين يوسف كذا وكذا سنة؟ لأنّك اشتريت جارية لها ولد ففرّقت بينهما بالبيع، فما لم يصل ولدها إليها لم أُوصل إليك يوسف. ومن الآثار ما نقله صاحب كتاب ربيع الأبرار، قيل لكسرى: أيّ الناس أحبّ إليك أن يكون عاقلاً؟ قال: عدوّي، قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأنّه إذا كان عاقلاً، فإنّي منه في عافية.

ومن الأخبار ما نقله الزمخشريّ، قال عليّ عليه السلام لعامل: انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، وتقول إذا قدمت الحيّ: أرسلني إليكم أمير المؤمنين وليّ الله وخليفته لآخذ حقّ الله منكم في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى

وليّه؟ فإن قال قائل: لا ، فلا تراجعه! وإن أنعم لك مُنْعم فانطلق معه من غير أن تُخيفه أو تُوعده إلى آخر الحديث. ثمّ قال: قلت: انظر إلى هذا البون البائن والتفاوت المتباين، فإنّ فيه عبرة لمعتبر ودليلاً لمن افتكر[١]، هذا أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ووصيّ رسول ربّ العالمين يأمره في الصّدقة بهذه الأوامر، ويكلها إلى ربّ المال من غير إكراه ولا إجبار ولا استحلاف على صحّة دعواه، وهذا أبو بكر قاتَلَ مَنْ منعَها وسفك الدماء وسبى النساء واسترقّ الذرّية وسمّى مانعها مرتدّين، أفاتّباع أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وابن عمّ رسول ربّ العالمين، ومن ثبتت عصمته، ووجبت على الأُمّة طاعته، ونصّ رسول الله ﷺ على إمامته أولى باتّباع؟ أمْ من حرّر على نفسه الخطأ، واستقال ما تقلّده من الأمر وأقرّ أنّه يقول في الأحكام برأيه ويفتي المسلمين باجتهاده، أم يصمّم الخصم على اعتقاده في أنّ كل مجتهد مُصيب، وأن هذا حلّ له قتال مانع الزكاة وسمّاه كافراً ولم يخالفه أحد، وأنّ ما فعله أمير المؤمنين من ترك القتال عليها، لا بل تركها على ربِّها بأمانته؟ وهذا تفاوت عظيم وتباين شديد يدلّ كل متأمّل على أنّ أحد هذين المجتهدين مخطىء مأثوم في فعله، انتهى. فانظر كيف أجرى الله الحجّة على لسانه.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن ابن المنكدر، قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة، فلقيت محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، وكان رجلاً بديناً وهو متّكىء على غلامين له أسودين، فقلت في نفسي: شيخٌ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا [أشهد لأعظنّه منه فسلمت عليه ، فسلم عليَّ بنهر وقد تصبب عرقاً، فقلت : أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا]! لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال؟ قال: فخلّى عن الغلامين من يده، ثمّ تساندها وقال: لو جاءني الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعةٍ من طاعات الله، أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس، فإنَّما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصيةٍ من معاصي الله، فقلت: يرحمك الله أردت أن أعِظك فوعظتني[٢].

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن محمّد بن الفضل، قال: لمّا كان في السنة التي بطش هارون بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وحبس يحيى بن خالد ونزل بهم ما نزل، كان

(١) افتكر في الأمر: فكر، (وهي عامية).
(٢) الزيادة بين قوسين من كشف الغمة في معرفة الأئمة للإربلي ج ٢ ص ٣٣٧.

أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو، ثمّ طأطأ رأسه، فسُئِل عن ذلك؟ فقال: إنّي كنت أدعو الله على البرامكة قد فعلوا بأبي ما فعلوا، فاستجاب الله لي فيهم اليوم، فلمّا انصرف لم يلبث إلّا يسيراً حتّى بطش بجعفر وحُبِس يحيى وتغيّرت حالهم.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن سليمان الجعفري، قال: كنت مع الرّضا عليه السلام في حائط وأنا أُحدّثه إذ جاء عصفور، فوقع بين يديه وأخذ يصيح ويُكثر الصّياح ويضطرب، فقال: أتدري ما يقول؟ قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال: قد قال لي: إنّ حيَّة تريد أن تأكل فراخي في البيت فقم وخذ تلك النّسعة وادخل البيت واقتل الحيّة، قال: فقمت وأخذت النسعة ودخلت البيت. وإذا حيّة تجول في البيت فقتلتها.

ومن الأخبار ما أورده صاحب كتاب «تاريخ نيشابور»: أنّ عليّ الرّضا عليه السلام لمّا دخل إلى نيشابور في السفرة التي قضي له فيها بالشهادة كان في مهد في بغلة شهباء عليها مركب من فضّة، فعرض له في الأسواق الإمامان المحدّثان: أبو زرعة ومحمّد بن أسلم، فقالا: أيُّها الإمام ابن الأئمّة بحقّ آبائك الطاهرين إلّا أريتنا وجهك المبارك الميمون ورويتنا حديثاً عن آبائك عن جدّك، فاستوقف البغلة ورفع المظلة والناس قيام، وكانوا بين صارخ وباكٍ، وممزّق ثوبه ومتمرّغ في التراب ومقبّل حزام بغلته إلى أن انتصف النهار وجرت الدّموع كالأنهار، فصاحت القضاة: معاشر الناس اسمعوا، فأملى عليه السلام هذا الحديث وعدّ من المحابر أربع وعشرون ألفاً سوى الدوى، والمستملي أبو زرعة الرازي ومحمّد بن أسلم، فقال عليه السلام: حدّثني أبي موسى بن جعفر الكاظم قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد الصادق قال: حدّثني أبي محمّد بن عليّ الباقر قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين زين العابدين قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ شهيد أرض كربلاء قال: حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب شهيد أرض الكوفة قال: حدّثني أخي وابن عمّي محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «حدّثني جبرائيل عليه السلام قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه وتعالى يقول: كلمة لا إله إلّا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومَنْ دخل حصني أمِنَ مِنْ عذابي»، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: إنّ هذا الحديث بهذا السند بلغ بعض أُمراء السامانيّة، فكتبه بالذهب وأوصى أن يُدفن معه، فلمّا مات رُئي في المنام، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: غفر الله لي بتلفّظي بلا إله إلّا الله وتصديقي محمّداً رسول الله مخلصاً، وأنّي كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيماً واحتراماً.

ومن الأخبار ما رُوِيَ أنّ زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام خرج بالبصرة ودعا إلى نفسه وأحرق دوراً وعاث، ثمّ ظفر به وحمل إلى المأمون، قال زيد: لمّا دخلت على المأمون نظر إليّ ثمّ قال: اذهبوا به إلى أخيه أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا، فتركني بين يديه ساعة واقفاً، ثمّ قال: يا زيد سواة لك سفكت الدّماء وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حلّه غرَّك حديث حمقى أهل الكوفة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها وذرّيتها على النار»، إنّ هذا لمن خرج من بطنها الحسن والحسين فقط. أمّا والله ما نالوا ذلك إلّا بطاعة الله، ولئن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوا بطاعته إنّك إذاً لأكرم على الله منهم، قال صاحب كشفة الغمّة تغمّده الله برحمته: ظفر المأمون بزيد وإنفاذه إيّاه إلى أخيه وظفره قبل هذا بمحمّد بن جعفر وعفوه عنه، وقد خرجا وادّعيا الخلافة وفعلا ما فعلا من العبث في بلاده يقوّي حجّة من ادّعى أنّ المأمون لم يغدر به عليه السلام [1]، ولا ركب منه ما اتّهم به، فإنّ محمّداً وزيداً لا يقاربان الرّضا عليه السلام في منزلته من الله سبحانه ولا من المأمون، ولم يكن له ذنب يقارب ذنوبهما، بل لم يكن له ذنب أصلاً، فما وجه العفو هناك والفتك هنا؟!

أقول: وجهه أنّ المأمون كان عالماً بأنّ كلّ من يخرج عليه من العلويّين لا يستتمّ أمره لعدم انقياد الشّيعة له، وإن أطاعهم القليل ردّوا عنهم كما فعلوا مع زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، بخلاف الرّضا عليه السلام فإنّه لو خرج لخرجت الشيعة ولتمّ له الأمر بزعم المأمون، ولهذه العلّة فتك الرشيد لعنه الله بموسى الكاظم عليه السلام، وإلاّ فهو قد كان يعرف من قدره ما عرفه المأمون من قدر الرّضا عليه السلام [2].

---

(١) لا حجة لمن ادعى أن المأمون لم يغدر بالإمام عليه السلام سوى الاستبعاد المحض اغتراراً بحيل المأمون في محبته على الإمام عليه السلام وما ذكره المصنف رحمه الله من الوجه كلام متين.

(٢) وقد نص أمير المؤمنين والإمام الصادق والكاظم عليهم السلام على أن مولانا الإمام الرضا سلام الله عليه يقتل بالسم ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم ظلماً اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابن عمران موسى عليه السلام وقال الصادق عليه السلام يقتل حفيدي بأرض خراسان في مدينة يقال لها طوس وفي حديث آخر عنه يقتل لهذا - وأومى بيده إلى موسى عليه السلام - ولد بطوس لا يزوره من شيعتنا إلا الأندر فالأندر وسمع سليمان بن حفص المروزي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: إن ابني عليّ مقتول بالسم ظلماً ومدفون إلى جنب هارون بطوس من زاره كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال الإمام الرضا عليه السلام للحسن الوشا إني سأُقتل بالسم مظلوماً فمن زارني عارفاً بحقي غفر=

ومن الأخبار ما رُوِيَ أنّ الجواد عليه السلام سأل القاضي يحيى بن أكثم في مجلس المأمون، فقال: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار حلّت له، فلمّا زالت الشمس حَرُمت عليه، فلمّا كان وقت العصر حلّت له، فلمّا غَرُبَت الشمس حَرُمت عليه، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلمّا كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلمّا طلع الفجر حلّت له، ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟ فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال، فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمَة لرجل من الناس نظر إليها أجنبيّ في أوّل النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان الظهر أعتقها فحرمت عليها، فلمّا كان وقت العصر

= الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقد ذكر الشيخ المفيد رحمه الله بعض الأسباب التي أوجبت إقدام المأمون على الفتك بالإمام الرضا عليه السلام انظر الإرشاد وكفى بهذا الشيخ الإمام ناقلاً في الاعتماد على هذه القضية وأضف إليه كثيراً من الأكابر الذين نقلوا هذه القصة وأرسلوها إرسال المسلمات يطول الكلام بنقل كلماتهم.

فقد صافق على نقلها التاريخ الصحيح والحديث الثابت وأقوال أهل النظر والتحقيق من العلماء والمؤرخين ولذا أذعن به الشيخ الصدوق رحمه الله والشيخ المفيد رحمه الله والشيخ الطبرسي وابن الفتال والمسعودي وغيرهم لا نطيل بذكر أساميهم وليس للمتأمل في قتل الإمام عليه السلام بالسم إلا الاستبعاد المحض.

ومما هو جدير بالذكر أن قضية وفاة الإمام الرضا عليه السلام نقلها هرثمة بن أعين وعبد السلام بن الصالح الشهير بأبي الصلت الهروي وبين نقليهما تفاوت غير خفي على الخبير وإني اعتمد على رواية أبي الصلت لكونه من علماء الإمامية ثقة صحيح الحديث وأضف إلى ذلك إنه ظهر لي إشكال في خبر هرثمة ولم أر من تعرض له فيما أعلم وهو أن هرثمة بن أعين من قواد المأمون ومن أمراء الجيش في زمانه وقتل في سنة (٢٠٠هـ) كما نص على ذلك جمع من المؤرخين كابن العماد في شذرات الذهب قال: (وفيها يعني في سنة ٢٠٠هـ) طلب المأمون هرثمة بن أعين فشتمه وضربه وحبسه وكان الفضل بن سهل الوزير يبغضه فقتله في الحبس سراً) (انظر: ج ١ ص ٣٥٨ ط مصر) ونص على ذلك ابن الأثير تفصيلاً انظر: تاريخ الكامل حوادث سنة (٢٠٠) أو كان قتله في سنة (٢٠١هـ) كما في تاريخ اليعقوبي انظر: ج ٣ ص ١٧٧ ط النجف. والإمام الرضا سلام الله عليه توفي سنة (٢٠٣هـ) فكيف يمكن أن يقال بصحة خبر هرثمة مع عدم دركه زمان وفاة الإمام عليه السلام ولعل ناقل الخبر هو يحيى بن هرثمة ولكنه مجرد احتمال ونسخ عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق رحمه الله متفقة على أن الناقل هو هرثمة لا ابنه والله الهادي انظر: العيون ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٥ ط قم.

تزوّجها فحلّت له، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظهار فحلّت له، فلمّا كان نصف اللّيل طلّقها واحدة فحرمت عليه، فلمّا كان الصبح راجعها فحلّت له، قال: فأقبل المأمون على مَنْ حضره مِنْ أهل بيته، فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، ويعرف القول في ما تقدَّم من السؤال؟ قالوا: لا والله إنّ أمير المؤمنين أعلم وما رأى، فقال لهم: وَيْحكم إنّ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال.

وروى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى الصّادق عليه السلام أنّ المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر صنفاً: القردة والخنازير والخفاش والذئب والدبّ والفيل والدعموص والجريث والعقرب والسهيل والزهرة والعنكبوت والقنفذ، قال الصدوق: والزهرة وسهيل دابّتان وليسا نجمين، ولكن سمّي بهما النجمان كالحمل والثور، قال: والمسوخ جميعها لم تبق أكثر من ثلاثة أيّام ثمّ ماتت ولم تتوالد، وهذه الحيوانات على صورها سمّيت مسوخاً استعارة. وعن الرّضا عليه السلام: الفيل مسخ كان ملكاً زنّاء، والذئب كان أعرابيّاً ديّوثاً، والأرنب مسخ لأنّها كانت امرأة تخون زوجها ولا تغتسل من حيضها، والوطواط مسخ لأنّه كان يسرق تمور الناس، والقردة والخنازير قوم من بني إسرائيل اعتدوا في السبت، والجريث والضبّ فرقة من بني إسرائيل حين نزلت المائدة على عيسى ابن مريم عليه السلام لم يؤمنوا فتاهوا، فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البرّ، والفأرة وهي الفويسقة والعقرب كان نمّاماً، والدب والوزغ والزنبور كان كلّ منهم لحاماً يسرق في الميزان[1]، وفي خبرٍ عن الرّضا عليه السلام: أن من جملتها الطاووس والأرنب.

وروى مرفوعاً إلى الأصبغ بن نباتة، قال: جاء نفر إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا له: إنّ المعتمد[2] يزعم أنّك تقول: هذا الجري مسخ، قال: مكانكم حتى أخرج لكم، فتناول ثوبه ثمّ خرج إليهم، فمضى حتى انتهى إلى الفرات بالكوفة، فصاح: يا جرّيّ؟ فأجابه: لبّيك لبّيك، قال: من أنا؟ قال: أنت إمام المتّقين وأمير المؤمنين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فمن أنت؟ قال: أنا ممّن عرضت عليه ولايتك فجحدتها ولم أقبلها، فمُسِخت جرياً، وبعض هؤلاء الّذين معك يمسخون

---

(١) الكافي ج ٦ ص ٢٤٦ باب جامع في الدواب.
(٢) كذا في النسخ.

جرّياً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : بيّن قصّتك وممّن كنت ومسخ معك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، كنّا أربعاً وعشرين طائفة من بني إسرائيل قد تمرّدنا وطغينا واستكبرنا وتركنا المدن لا نسكنها أبداً، وسكنّا بالمفاوز رغبةً منا في البُعد عن المياه وأتانا آتٍ أنت والله أعرف به منّا، فصرخ صرخةً فجمعنا في مجمع واحد، وكنّا متفرّقين في تلك المفاوز، فقال: ما لكم هربتم عن المدن والأنهار والمياه وسكنتم هذه المفاوز؟ فأردنا أن نقول: لأنّا فوق العالم تعزّزاً وتكبّراً، فقال: قد علمت ما في أنفسكم، فعلى الله تتعزّزون وتتكبّرون؟ فقلنا له: لا، فقال: أليس قد أخذ عليكم العهد أن تُؤمنوا بمحمّد بن عبد الله المكيّ؟ فقلنا: بلى، قال: وقد أخذ عليكم العهد بولاية وصيّه وخليفته من بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟ فسكتنا فلم نُجِب إلّا بألسنتنا وقلوبنا ونيّاتنا لم تقبلها ولم تقرّ بها، فقال: أوتقولون بألسنتكم خاصّة؟ ثمّ صاح بنا صيحة وقال لنا: كونوا بإذن الله مسوخاً كلّ طائفة جنساً، ثمّ أيّتها القفار كوني بإذن الله أنهاراً تسكنك هذه المسوخ، واتّصلي ببحار الدنيا وبأنهارها حتى لا يكون ماء إلّا كانوا فيه فمسخنا ونحن أربعة وعشرون طائفة، فمنّا مَنْ قال: أيّها المقتدر علينا بقدرة الله تعالى، فبحقه عليك إلّا ما أعفيتنا من الماء وجعلتنا على وجه الأرض كيف شئت، قال قد فعلت، قال أمير المؤمنين عليه السلام : فبيّن لنا ما كان أجناس المسوخ البريّة والبحريّة، فقال أمّا البحريّة، فنحن الجري والرق والسلاحف، والمارماهي والزمّار، والسراطين وكلاب الماء، والضفادع وبنت يقرض والعرضان، والكواسج والتمساح.

قال عليه السلام : وأمّا البريّة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين الوزغ والكلب والدبّ والقرد والخنازير والضبّ والحرباء والخفّاش والورل والخنافس والأرنب والضبع، قال أمير المؤمنين عليه السلام : صدقت أيّها الجريّ، فما فيك من طبع الإنسانيّة وخلقها؟ قال الجرّي: أفواهنا وكلّنا نحيض، قال أمير المؤمنين عليه السلام : صدقت أيّها الجريّ، قال الجري: يا أمير المؤمنين، فهل من توبة؟ فقال عليه السلام : الأجل يوم القيامة وهو اليوم المعلوم والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، قال الأصبغ: فسمعنا والله ما قال ذلك الجريّ ووعيناه وكتبناه وعرضناه على أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان من دلائله.

وفي خبرٍ آخر عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جملة مسائل الرّاهب: اعلم أنّ الله عزّ وجلّ مسخ خمساً وعشرين طائفة منهم الدبّ والقرد، ثمّ قال بعد تعدادها: أمّا الأرنب، فإنّه كان امرأة لا تغتسل من الحيض والجنابة. وأمّا الدبّ، فإنّه كان رجلاً

مخنثاً. وأمّا الغراب، فإنّه كان رجلاً نمّاماً. وأمّا ابن العرس، فإنّه كان يُجادل في الله بغير علم. وأمّا الخنازير، فإنّهم كانوا سبعمائة رجل من النصارى، وهم الّذين أكلوا على مائدة موسى عليه السلام أربعين يوماً ولم يؤمنوا به، فمسخهم الله تعالى خنازير. وأمّا القردة، فإنّهم كانوا خمسمائة يهوديّ، وهم الّذين اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان. وأمّا العنكبوت، فإنّها كانت امرأة ساحرة سحرت زوجها، فمسخها الله تعالى. وأمّا السلحفاة، فإنّها كانت امرأة كيّالة تطفف الكيل. وأمّا القنفذ، فإنّه كان رجلاً ينبش القبور ويأخذ أكفان الموتى. وأمّا السرطان، فإنّه كان متزوّجاً امرأتين، وكان يميل إلى واحدة دون الأُخرى. وأمّا الثعلب، فإنّه كان رجلاً لصّاً حرامياً يسرق الحاج. وأمّا الزنبور، فإنّه كان رجلاً يكذّب العلماء. وأمّا سهيل، فإنّه كان رجلاً من اليمن، فهو أوّل مَنْ أظهر مكر السلاطين. وأمّا العقرب، فإنّه كان رجلاً بخيلاً من بني إسرائيل، وهو يُفسد في نساء العالمين. وأمّا الوزغة، فإنّها كانت امرأة حسنة لا تمنع نفسها من الرجال. وأمّا الكلب، فإنّه كان رجلاً يشهد الزور. وأمّا الفأرة، فإنّها كانت امرأة تزوّجت زوجين في مكانٍ واحد، وأحدهما لا يعلم بالآخر. وأمّا الحيّة، فإنّها كانت رجلاً حاكماً يحكم بين الناس بغير حقّ، الحديث.

ومن الأخبار مسنداً إلى الأصبغ بن نباتة، قال: أمسكت لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالركاب، وهو يريد أن يركب، فرفع رأسه ثم تبسّم، فقلت: يا أمير المؤمنين رأيتك رفعت رأسك وتبسَّمت؟ قال: نعم يا أصبغ، أمسكت لرسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء، فرفع رأسه إلى السماء وتبسّم، فقلت: يا رسول الله رفعت رأسك إلى السماء وتبسَّمت، فقال: «يا عليّ، إنّه ليس من أحد يركب ثمّ يقرأ آية الكرسي ثمّ يقول: أستغفر الله الّذي لا إلٰه إلّا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه، اللّهمّ اغفر لي ذنوبي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، إلّا قال السيّد الكريم: ملائكتي عبدي يعلم أنّه لا يغفر الذنوب غيري، فاشهدوا أنّي قد غفرت له ذنوبه».

ومن الأخبار ما رواه صاحب كتاب كشفة الغمّة، قال: إنّ هارون الرشيد لعنه الله بعث يوماً إلى موسى عليه السلام على يدي ثقة له طبقاً من السرقين الّذي هو على هيئة التين أراد استخفافه، فلمّا رفع الإزار عنه إذا هو من أحلى التين وأطيبه، فأكل منه وأطعم الحامل منه وردّ بعضه إلى هارون، فلمّا تناوله هارون صار سرقيناً في فيه وكان في يده تيناً جنيّاً.

ومن الأخبار ما رُوِيَ أنّ المأمون عليه اللعنة لمّا جعل الرّضا وليّ العهد كره ذلك جماعة من حاشية المأمون خوفاً من خروج المُلك من بني العباس إلى بني فاطمة، فحصل لهم من الرّضا عليه السلام نفور، واتّفقوا على أنّه إذا جاء إلى المأمون لا يرفعون له الستر، فلما أتى هبّت ريح فرفعت له السِّتر، ولمّا خرج هبّت ريح فرفعت له الستر أيضاً، فازدادوا فيه عقيدة ورجعوا إلى خدمته.

ومن الأخبار قوله صلى الله عليه وآله: «لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسّه النار إلا تحلّة القسم»، وفي حلّه وجوه: الأوّل: أنّ العرب إذا أرادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدّته شبّهوه بتحليل القسم؛ وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه: إن شاء الله تعالى، فيقولون: ما يقيم فلان عندنا إلا تحلّة القسم، ومعناه لا تمسّه النار إلّا قليلاً. الثاني: ما قال بعضهم من أنّ إلّا زائدة دخلت للتوكيد، وتحلّة القسم منصوب على الوقت والزمان، ومعناه: فتمسّه النار وقت تحلّة القسم. الثالث، وهو الأظهر: أنّ القسم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فمعناه أنه لا يرد النار إلّا بقدر ما يبرّ الله به قسمه.

ومن الأخبار الرقيقة المروّحة خبر شقيق البلخي، قال: خرجت حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية، فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم، فنظرت إلى فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثياب من صوف مشتمل بشملة في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كَلّاً على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنّه(١)، فدنَوْت منه، فلمّا رآني مقبلاً قال: يا شقيق اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم، ثمّ تركني ومضى، فقلت في نفسي: إنّ هذا الأمر عظيم قد تكلّم بما في نفسي وتكلّم باسمي، وما هذا إلّا عبد صالح لألحقنّه ولأسألنّه أن يحلّني، فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عن عيني، فلمّا نزلت واقصة فإذا هو به يصلّي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحلّه، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه، فلمّا رآني مقبلاً قال: يا شقيق اتلُ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ثمّ تركني ومضى فقلت: إنّ هذا الفتى لمن الأبدال، لقد تكلّم على سرّي مرّتين، فلما نزلنا زبالة إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماء

(١) يظهر من هذه القصة أن شقيق البلخي كان من العامة وليسمح لي القارىء العزيز أن أقول إني أظن أن هذه القصة من موضوعات صوفية العامة ومن أساطيرهم والله العالم.

فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه، فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول شعراً:

أنت ريّي إذا ظمئت من الماء ... وقوتي إذا أردت الطعاما

اللّهمّ سيّدي ما لي غيرها فلا تعدمنيها، قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها فمدّ يده وأخذ الركوة وملأها ماء فتوضّأ وصلّى أربع ركعات، ثمّ مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحرّكه ويشرب، فأقبلت إليه وسلّمت عليه، فردَّ عليّ السلام فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك، فقال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنّك بربّك، ثمّ ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكّر، فوالله ما شربت قطّ ألذّ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت وأقمت أيّاماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثمّ لم أره حتى دخلنا مكّة، فرأيته ليلة إلى جنب قبّة الشراب في نصف الليل قائماً يصلّي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب اللّيل، فلمّا رأى الفجر جلس في مصلاّه يسبِّح، ثم قام فصلّى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج فتبعته وإذا له غاشية وموالٍ وهو على خلاف ما رأيته في الطّريق، ودار به الناس من حوله يسلّمون عليه، فقلت لبعض مَنْ رأيته يقرب منه: مَنْ هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلّا لمثل هذا السيّد، وقد نظمه الشاعر:

سَلْ شقيق البلخيّ عنه وما ... شاهد منه وما الّذي كان أبصر
قال: لمّا حججت عاينت شخصاً ... شاحب اللّون ناحل الجسم أسمر
سائراً وحده وليس له زاد ... فما زلت دائماً أتفكّر
وتوهّمت أنّه يسأل النّاس ... ولم أدرِ أنه الحجّ الأكبر
ثمّ عاينته ونحن نزول ... دون فيد[1] على الكثيب الأحمر
يضع الرمل في الإناء ويشربه ... فناديته وعقلي محيّر
اسقني شربة فناولني منه ... فعاينته سويقاً وسكّر
فسألت الحجيج من يَكُ هذا ... قيل: هذا الإمام موسى بن جعفر

ومن الآثار: أنّه كان حكيم من حكماء اليونان قد ترك الدنيا، فقيل له: لمَ لا

(١) (فيد) منزل بطريق مكة.

تتّخذ بيتاً؟ فقال: لي بيتٌ أوسع من كلّ البيوت، السماء سقفه، والأرض سطحه، فقيل له: لِم لا تتّخذ امرأة لعلّه يُولد لك ولد يواريك في حفرتك؟ فقال: إذا متّ فكلّ من يتأذّى بجيفتي يدفنني، فقيل له: ولمَ سمّيت كلبا غورس؟ فقال: لأنّ صفة الكلب فيّ لأنّي أدور حول الصديق وأنهش العدوّ.

وفي المحاضرات أنّه قيل لرجل من أبعد الناس سفراً؟ قال: من كان سفره في طلب أخٍ صالح، وسمع المأمون أبا العتاهية يُنشد:

وإني لمُحتاج إلى ظلّ صاحب   يرقّ ويصفو إن كدرت عليه

فقال: خذ منّي الخلافة وأعطني هذا الصاحب. قيل لفيلسوف: ما الصديق؟ فقال: اسمٌ على غير معنى حيوان غير موجود.

ومن الأخبار ما رواه الصدوق طاب ثراه مسنداً إلى عبد السلام بن صالح، قال: قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام: يابن رسول الله، ما تقول في حديث رُوِيَ عن الصادق عليه السلام إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟ فقال عليه السلام: هو كذلك، قلت: فقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ما معناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين يرضون بأفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رَضِيَ شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب لكان الراضي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم، فقلت له: بأيّ شيء يبدأ القائم عليه السلام منكم إذا قام؟ قال: يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم لأنّهم سراق بيت الله عزّ وجلّ.

أقول: هذا الحديث مشكل، وهو عامّ البلوى؛ وذلك أنّ مدار الناس على أنّهم إذا سمعوا ظالماً قتل رجلاً أو أخذ ماله أو ضربه استحسنوه، وقالوا: إنّه يستحقّ ما صنع به، فعلى ما في هذا الحديث يكون من رضي بفعل ذلك الحاكم أو غيره من الظالمين شريكه في الإثم والعدوان.

ومن الأخبار ما رواه الصدوق عن الصّادق عليه السلام أنّه قيل له: أخبرنا عن الطاعون، فقال: عذاب الله لقوم ورحمته لآخرين، قالوا: كيف تكون الرحمة عذاباً؟ قال: أمَا تعرفون أنّ نيران جهنم عذاب على الكفار وخزنة جهنم معهم وهي رحمة عليهم!! أقول: لعلّ المراد أنّ الطاعون هو من نقمات الله سبحانه ومؤاخذته للعاصين، والحال أنّه يعمّ العاصي وغيره، فأوضحه عليه السلام بأنّه محمود العاقبة بالنسبة إلى غير العصاة؛ وذلك أنه يزيد في درجاتهم ويوفّر حظوظهم من الثواب.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «خير الصدقة ما أبقَت غنى، واليد العليا خير من اليد السّفلى، وابدأ بمن تعول». أمّا قوله ﷺ: «خير الصدقة ما أبقت غنى»، فالظاهر أنّ المراد به الحثّ على العطية الوافرة، وذكر سيّدنا المرتضى طاب ثراه معنىً آخر وهو أنّ خير الصدقة ما تصدّقت به من فضل قُوتك وقوت عيالك، فإذا خرجت صدقتك خرجت على استغناءٍ منك، ويؤيّده الحديث الآخر: «إنما الصدقة عن ظهر غنى»، وأمّا قوله ﷺ: «واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»، فقال قوم: يريد أنّ اليد المُعْطية خير من اليد الآخذة، وقال آخرون: إنّ العليا هي الآخذة، والسفلى هي المعطية. قال ابن قتيبة: ولا أرى هؤلاء إلّا قوماً استطابوا السؤال، فهم يحتجّون للدناءة، وقال سيّدنا المرتضى طاب ثراه: إنّ اليد هيهنا هي العطية والنعمة؛ فكأنّه عليه السلام أراد أن العطية الجزيلة خيرٌ من العطية القليلة.

أقول: وهذا معنى قويّ، وإنْ كان المتبادر هو الأوّل.

وفي كتاب المناقب من روايات الجمهور ما رووه عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ وسُئِل: بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ فقال: «خاطبني بلغة عليّ بن أبي طالب، فألهمني أن قلت: يا ربّ أنت خاطبتني أم عليّ؟ فقال: يا أحمد أنا شيء وليس كالأشياء، ولا أُقاس بالناس ولا أُوصف بالأشياء، خلقتك من نوري وخلقت عليّاً من نورك، فاطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحبّ من عليّ بن أبي طالب، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك». وعن الحسن عليه السلام أنه قال لرجل: كيف طلبك للدنيا؟ قال: شديد، قال: فهل أدركت منها ما تريد؟ قال: لا، قال: فهذه التي تطلبها لم تدرك، فكيف بالتي لم تطلبها.

ومن الأخبار ما رواه الجمهور عن مجاهد، قال: قال لي عليّ عليه السلام: جعت يوماً بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً[1] وظننتها تريد بلّه، فأتيتها فقاطعتها كلّ ذنوب[2] على تمرة، فعددت ستّة عشر ذنوباً حتى مجلت يداي، ثمّ أتيت الماء فأصبت منه، ثمّ أتيتها فقلت: يكفي هذا بين يديها، وبسط الراوي كفّيه وجمعهما فعدّت لي ستّ عشرة تمرة، فأتيت النبيّ ﷺ فأخبرته وأكل معي.

ومن الأخبار المروحة ما رُوِيَ عن عليّ بن الحسين بن شابور، قال: قحط الناس

---

(١) المدر قطع الطين. (٢) الذنوب الدلو العظيم.

بسرّ مَنْ رأى في زمن أبي الحسن الأخير، فأمر المتوكّل بالخروج إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيّام يستسقون ويدعون فما سقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع والرهبان معه والنصارى إلى الصحراء فخرج معه راهب، فلمّا مدّ يده هطلت السماء بالمطر وخرجوا في اليوم الثاني فهطلت السماء، فشكّ أكثر الناس وتعجّبوا وصبوا إلى دين النصرانية، فأنفذ المتوكل إلى أبي الحسن عليه السلام، وكان محبوساً فأخرجه من حبسه، وقال: الحق أُمّة جدِّك فقد هلكت، فقال: إنّي خارج من الغد ومُزيل الشكّ إن شاء الله، فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرهبان معه وخرج أبو الحسن عليه السلام في نفرٍ من أصحابه، فلما بصر بالراهب وقد مدّ يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين أصبعيه، ففعل وأخذ منه عظماً أسود، فأخذه أبو الحسن عليه السلام بيده، وقال: استسق الآن، فاستسقى وكانت السماء مغيّمة فتشقّقت وطلعت الشمس بيضاء، فقال المتوكّل: ما هذا العظم يا أبا محمّد؟ فقال عليه السلام: هذا الرجل عبر بقبر نبيّ من أنبياء الله فوقع في يده هذا العظم، وما كشف عن عظم نبيّ إلّا هطلت بالمطر.

ومن الأخبار المروحة ما رُوِيَ عن صالح بن سعيد، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم وروده سرّ من رأى، فقلت له: جُعِلْت فداك في كلّ الأُمور أرادوا إطفاء نورك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك؟! فقال: ههنا أنت يابن سعيد، ثمّ أومأ بيده فإذا بروضات أنيقات وأنهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كأنّهم اللؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر عجبي، فقال لي: حيث كنّا فهذا لنا يابن سعيد، لسنا في خان الصعاليك.

ومن الأخبار ما رُوِيَ أنّ هبة الله بن أبي منصور الموصلي، قال: كان بديار ربيعة كاتب نصراني يسمّى يوسف بن يعقوب، وكان بينه وبين والدي صداقة، قال: فوافانا فنزل عند والدي فقال له والدي: فِيمَ قدمت في هذا الوقت؟ قال: دُعِيت إلى حضرة المتوكّل ولا أدري ما يُراد منّي، إلّا أنّي اشتريت نفسي من الله بمائة دينار وقد حملتها لعليّ بن محمّد بن الرّضا عليهما السلام، فقال له والدي: قد وفّقت في هذا، وخرج إلى حضرة المتوكّل وجاءنا بعد أيّام قلائل فَرِحاً مستبشراً، فقال له والدي: حدّثني حديثك، قال: صرت إلى سرّ من رأى وما دخلتها قطّ، فنزلت في دارٍ وقلت: يجب أن نُوصل المائة دينار إلى ابن الرّضا قبل مصيري إلى باب المتوكّل وقبل أن يعرف أحد قدومي، وعرفت أنّ المتوكّل قد منعه من الركوب وأنّه مُلازم لداره، فقلت:

كيف أصنع رجل نصراني أسأل عن دار الرّضا أخاف أن يكون زيادة فيما أخاف، قال: ففكّرت ساعة في ذلك، فوقع في قلبي أن أركب وأخرج في البلد فلا أمنعه حيث يذهب لعلّي أعرف داره من غير أن أسأل أحداً، فجعلت الدنانير في كاغذ وجعلتها في كمّي وركبت، فكان الحمار يتخرّق بي الشوارع والأسواق يمرّ حيث يشاء إلى أن صرت إلى باب دار، فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل. فقلت للغلام: سل لمن هذه الدار؟ فسأل فقيل: دار ابن الرّضا، فقلت: الله أكبر دلالة والله مقنعة، قال: فإذا خادم أسود قد خرج، فقال: أنت يوسف بن يعقوب، قلت: نعم، فقال: انزل فاقعد في الدّهليز، ودخل فقلت: هذه دلالة أُخرى، من أين عرف اسمي واسم أبي وليس في البلد مَنْ يعرفني ولا دخلته قطّ؟ فخرج الخادم فقال: المائة الدينار التي في كمّك في الكاغذ هاتها، فناولته إيّاها وقلت: هذه ثالثة، فرجع فقال: ادخل، فدخلت وهو وحِده، فقال لي: يا يوسف، أما آن لك(أن تسلم) فقلت: يا مولاي قد بان لي من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى، فقال: هيهات إنّك لا تسلم، ولكن يسلم ولدك فلان وهو من شيعتنا، يا يوسف إنّ أقواماً يزعمون أنّ ولايتنا لا تنفع أمثالك، وكذبوا والله إنّها لتنفع، إمضِ فيما وافَيْت له فإنّك سترى ما تحبّ، فمضيت إلى باب المتوكّل فنلتُ كل ما أردت وانصرفت. قال هبة الله: فلقيت ابنه وهو بعد هذا مسلم حسن التشيّع، فأخبرني أنّ أباه مات على النصرانيّة وأنّه أسلم بعد موت أبيه، وكان يقول: أنا بشارة مولاي عليه السلام.

مسألة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس: قاعدة «لو» أنّها إذا دخلت على ثبوتيين كانا منفيين أو منفيين كانا ثبوتيّيْن أو نفي وثبوت، فالنفي ثبوت والثبوت نفي وبالعكس، وإذا تقرّرت هذه القاعدة فيلزمك أن يكون كلمات الله قد نفدت وليس كذلك. ونظير هذه الآية قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «نِعْم العبد صُهيب، لو لم يخف الله لم يعصه»، يقتضي أنّه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح، وذكر الفضلاء في الحديث وجوهاً. أمّا الآية، فلم أر لأحدٍ فيها ويمكن تخريجها على ما قالوه في الحديث غير أنّي ظهر لي جواب عن الحديث والآية جميعاً سأذكره.

قال ابن عصفور: «لو» في الحديث بمعنى إن لمطلق الشرط، وإن لا يكون كذلك، وقال شمس الدين الخسروشاهي: لو في أصل اللغة لمطلق الربط، وإنّما

اشتهرت في العرف بما ذكر، والحديث إنّما ورد بالمعنى اللّغوي لها، وقال الشيخ عزّ الدين: الشيء الواحد يكون له سببان، فلا يلزم من عدم أحدهما عدمه، وكذلك ههنا الناس في الغالب إنّما لم يعصوا لأجل الخوف، فإذا ذهب الخوف عصوا، فأخبر ﷺ أنّ صهيباً اجتمع له سببان يمنعانه عن المعصية: الخوف والإجلال.

وأجاب غيرهم بأنّ الجواب محذوف، تقديره: لو لم يخف الله عصاه، والذي ظهر لي أنّ لو أصلها إن تُستعمل للربط بين شيئين كما تقدم، ثمّ إنّها أيضاً تُستعمل لقطع الربط، تقول: لو لم يكن زيد عالماً لأكرمه، أي: لشجاعته جواب لسؤال سائل يقول: إنّه إذا لم يكن عالماً لم يكن ربط بين عدمِ العلم والإكرام، فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والإكرام؛ لأنّ ذلك ليس بمناسب، وكذلك الحديث، وكذلك الآية لمّا كان الغالب على الناس أن يرتبط عدم عصيانهم بخوف الله تعالى، فقطع رسول الله ﷺ ذلك الربط وقال: لو لم يخف الله لم يعصه، ولمّا كان الغالب على الأوهام أنّ الأشجار كلّها إذا صارت أقلاماً والبحر مداداً مع غيره يكتب به الجميع، فيقول الوهم: ما يكتب بهذا شيء إلّا نفد، فقطع الله تعالى هذا الربط وقال: ما نفدت، انتهى.

ومن الأخبار ما رُوِيَ أنّ المتوكل عرض عسكره على عليّ الهادي عليه السلام، وأمر أنّ كل فارس يملأ مخلاة فرسه طيناً ويطرحونه في موضع واحد، فصار كالجبل واسمه تلّ المخالي وصعد هو وأبو الحسن عليه السلام، وقال: إنّما طلبتك لتشاهد خيولي، وكانوا قد لبسوا التجافيف[1] وحملوا السلاح، وقد عرضوا بأحسن زينة وأتمّ عدّة وأعظم هيئة، وكان غرضه كسر قلب مَنْ يخرج عليه، وكان يخاف من أبي الحسن عليه السلام أن يأمر أحداً من أهل بيته بالخروج، فقال له أبو الحسن عليه السلام: فهلاّ أعرض عليك عسكري؟ قال: نعم، فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض من المشرق إلى المغرب ملائكة مدجّجون، فغشي على الخليفة، فلمّا أفاق قال له أبو الحسن عليه السلام: نحن لا ننافسكم في الدنيا، فإنّا مشغولون بالآخرة، فلا عليك شيء ممّا تظنّ.

ومن الآثار ما رُوِيَ أنّه قال: مررت بصومعة راهب من رهبان الصين، فناديته: يا راهب، فلم يُجِبْني، فناديته الثانية فلم يُجِبْني فناديته الثالثة فأشرف عليّ، قال: يا

(١) التجافيف: مفردها التجفاف: آلة للحرب يُتقى بها كالدرع، للفرس والإنسان.

هذا ما أنا براهب، إنَّما الراهب من رهب الله في سمائه، وعظَّمه في كبريائه وصبر على بلائه وحمده على نعمائه، وتواضع لنعمته، وذلّ لعزّته، واستسلم لقدرته، وخضع لمهابته، وفكّر في حسابه وعقوبته، فنهاره صائم وليله قائم، قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبّار، فذلك هو الراهب. وأمّا أنا، فكلب عقور حَبَست نفسي في هذه الصَّومعة عن الناس لئلاّ أعقرهم، فقلت: يا راهب، فما الذي قطع الخلق عن الله عزّوجلّ بعد إذ عرفوه؟ فقال: يا أخي لم يقطع الخلق عن الله إلّا حبُّ الدنيا وزينتها؛ لأنّها محل المعاصي والذنوب، والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه، وأقبل على ما يقرّبه من ربّه.

ومن السِّيَر ما كتبه العلاّمة المحقّق الطوسي إلى صاحب حلب بعد فتح بغداد: أمّا بعد، فقد نزلنا بغداد سنة خمس وخمسين وستّمائة، فساء صباح المنذرين فدعونا ملكها إلى طاعتنا فأبى، فحقّ عليه القول فأخذناه أخذاً وبيلاً. وقد دعوناك إلى طاعتنا، فإن أتيت فروح وريحان وجنّة نعيم، وإن أبَيْت فلا سلطان منك عليك، فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع ما رن أنفه بكفّه، والسلام.

ومن الآثار ما نقله الشيخ الورام تغمّده الله برحمته، قال: إنّ قوماً كانوا مُسافرين فحادوا عن الطريق، فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس، فسألوه فأشرف عليهم من صومعته فقالوا: يا راهب، إنّا أخطأنا الطريق، فكيف الطريق؟ فأومأ برأسه إلى السماء، فعلم القوم ما أراد، فقالوا: يا راهب إنّا سائلوك، فهل أنت مُجيبنا؟ فقال: اسألوا ولا تُكْثِروا، فإنّ النهار لا يرجع، وإنّ العمر لا يعود، والطالب حثيث؛ فعجب القوم من كلامه فقالوا: يا راهب، علامَ الخلق غداً عند مليكهم؟ فقال: على نيّاتهم، فقالوا: أوصنا؟ قال: تزوّدوا على قدر سفركم، فإنّ خير الزاد ما بلّغ البُغْية، ثمّ أرشدهم للطريق وأدخل رأسه في صومعته.

ومن الأخبار ما رواه الصدوق رحمه الله عن الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربع لا تدخل بيتاً واحدة منهنّ إلّا خرب ولم تعمره البركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزّنا». وروى أيضاً بإسناده إلى يحيى بن العلا قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: خرج عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى مكّة حاجّاً حتى انتهى إلى وادٍ بين مكّة والمدينة، فإذا هو برجل يقطع الطريق، فقال له عليّ بن الحسين: ماذا تريد؟ قال: أريد أن أقتلك وآخذ ما معك، قال: فأنا أُقاسمك ما معي وأُحالِلُك، فقال اللّص: لا أفعل، قال: دع ممّا معي ما أتبلّغ به، فأبى عليه، قال: فأين ربّك؟ قال: نائم، قال:

فإذا أسدان مقبلان بين يديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجليه، قال: فقال: زعمت أنّ ربّك نائم.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن مولانا الباقر عليه السلام قال: أوصاني أبي، فقال: يا بنيّ لا تصحبنّ خمسة ولا تُحادثهم ولا تُرافقهم في طريق، فقلت: جُعِلت فداك يا أبه، مَنْ هؤلاء الخمسة؟ فقال: لا تصحبنّ فاسقاً، فإنه يبيعك بأكلة فما دونها، فقلت: يا أبه، فما دونها؟ قال: يطمع فيها ثمّ لا ينالها، قال: قلت: يا أبه، ومن الثاني؟ قال: لا تصحبنّ البخيل، فإنّه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه، قال: قلت: ومن الثالث؟ قال: لا تصحبنّ كذّاباً، فإنّه بمنزلة السّراب يبعد منك القريب ويقرّب منك البعيد، قلت: ومن الرابع؟ قال: لا تصحبنّ أحمقاً، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، قلت: يا أبه، من الخامس؟ قال: لا تصحبنّ قاطع رحم، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

ومن الأخبار ما رُوِيَ أنّ عليّ بن الحسين دعا مملوكه مرتين فلم يجبه وأجابه في الثالثة، فقال له: يا بني أمَا سمعت صوتي؟ قال: بلى، قال: فما لك لم تُجِبْني؟ قال: أمنتك، قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني. وكان بالمدينة كذا وكذا أهل بيت يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه، ولا يدرون من أين يأتيهم، فلمّا مات عليّ بن الحسين عليه السلام، فقدوا ذلك.

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ قال سبحان الله غرِس الله له بها شجرة في الجنّة، ومَنْ قال الحمد لله غُرِس له بها شجرة في الجنّة، ومن قال لا إله إلّا الله غُرِس له بها شجرة في الجنّة، ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة» فقال رجل من قريش - وهو أبو بكر -: يا رسول الله إنّ شجرنا في الجنّة لكثير؟ قال: «بلى، ولكن إيّاكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها؛ وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

ومن الأخبار ما رُوِيَ عن الصادق عليه السلام قال: سئل الحسين بن عليّ عليه السلام، فقيل له: كيف أصبحت يابن رسول الله؟ قال: أصبحت ولي ربّ فوقي والنار أمامي، والموت يطلبني والحساب مُحدق بي وأنا مُرتهن بعملي لا أجد ما أحبّ ولا أدفع ما أكره والأمور بيد غيري، فإن شاء عذّبني وإن شاء عفا عنّي، فأيّ فقير أفقر منّي؟!

وقيل لعليّ بن الحسين: كيف أصبحت يابن رسول الله؟ فقال: أصبحت مطلوباً

بثمان: الله تعالى يطلبني بالفرائض، والنبيّ بالسنّة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان بالمعصية، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد؛ فأنا بين هذه الخصال مطلوب[١].

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح مَنْ كان لله عليه حافظان، وعلم أنّ خُطاه مكتوبات في الديوان إنْ لم يرحمه ربّه فمرجعه إلى النّيران. قال جابر الأنصاري: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام يوماً، فقلت: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ قال: آكل رزقي، قال جابر: ما تقول في دار الدنيا؟ قال: ما تقول في دارٍ أوّلها غمّ وآخرها الموت، قال: فمن أغبط الناس؟ قال: جسد تحت التراب أمِنَ من العقاب ويرجو الثواب.

وقيل لسلمان الفارسي: كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح مَنْ كان الموت غايته، والقبر منزله، والديدان جواره، وإنَ لم يغفر له فالنار مسكنه. وقيل لحُذيفة: كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح مَنْ كان اسمه عبداً، ويُدفن غداً في القبر واحداً، ويُحشر بين يدي الله تعالى واحداً.

وقيل للصّادق عليه السلام: إنّ رجلاً رأى ربّه عزّ وجلّ في منامه، فما يكون ذلك؟ قال: ذاك رجل لا دين له، إنّ الله تعالى لا يُرى في اليقظة ولا في المنام، ولا في الدنيا ولا في الآخرة. وقال عليه السلام: وقع بين سلمان الفارسي وبين رجل - وهو عمر بن الخطّاب - كلام وخصومة، فقال له الرجل: مَنْ أنت يا سلمان؟ فقال سلمان: أمّا أوّلي وأوّلك فنطفة قذرة، وأمّا آخري وآخرك فجيفة منتنة، فإذا كان يوم القيامة ووُضِعَت الموازين فمن ثَقُلت موازينه فهو الكريم، ومن خفّت موازينه فهو اللّئيم. والأخبار النادرة كثيرة لو استقصيناها لطال الكتاب.

نور في المزاح والمطايبات وبعض الهزل وبعض المضحكات وبعض الأجوبة المسكتة وما ناسب هذا

اعلم أرشدك الله تعالى أنّ الأرواح قد تكلّ من مطالعة العلوم وإدراكها، فتحتاج إلى التروّح تارة بالحكم العلميّة الرفيعة، وتارة بالنزول إلى عالم البشر وسلوك مسالكهم؛ وذلك لأنّ إدراكات العلوم لذّات الروح وغذاؤها واللذّة إذا دامت على خلاف العادة يحصل منها الملال؛ كالأطعمة الحسنة بالنسبة إلى طبيعة البدن، فلا بدّ

(١) الأمالي للطوسي ص ٦٤١.

من أن تفرحها وتمرحها حتى يحصل لها نشاط جديد ومزيد إقبال على المُطالعات والإدراكات، وفي حكمة آل داود: حقّ على الغافل أن لا يغفل عن أربع ساعات: فساعة فيها يناجي ربّه، وساعة يحاسب نفسه، وساعة يفضي إلى إخوانه الّذين يصدقونه عن عيوب نفسه، وساعة يخلّي بين نفسه ولذّاتها في ما يحلّ ويحمد، فإنّ في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات وإجماماً[(١)] للقلوب. وفي رواية: إنّ هذه النفوس تملّ، وهذه القلوب تدثر، فابتغوا لها طرائف الحكم وملاهيها.

وعن ابن عبّاس أنّه كان يقول عند ملله من دراسة العلم: حمضوا (خوضوا) فيخوضون عند ذلك في الأخبار والأشعار. فأمّا المزاح والمطايبات، فهو ممّا وردت الشريعة باستحبابه والأمر به سيّما في السفر، ولكن لا ينبغي أن ينتهي إلى قول الكذب وإلى غضب الرفقاء، وقد رُوِيَ أنّ المؤمن هو الّذي يكون فرحه في وجهه وحزنه في قلبه، وقد كان النبيّ عليه السلام يمزح أحياناً، وكذلك الأئمّة عليهم السلام والعلماء والصُّلحاء والأتقياء، فقد رُوِيَ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يأكل تمراً مع عليّ عليه السلام، وكان يضع النّوى قدّام عليّ عليه السلام، فلمّا فرغا قال: «يا عليّ، هذا النّوى كلّه أمامك، إنّك لأكول»، فقال: يا رسول الله الأكول الّذي يأكل التمر ونواه، يعني به النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّه لم يكن عنده نوى التمر، ومزاحه مع العجوز مشهور[(٢)].

ورُوِيَ أنّه كان يجيء أحياناً إلى خواصّ أصحابه من ورائهم فيحتضنهم ويضع يديه على أعينهم حتّى يعرفوه مَنْ هو إلى غير ذلك من الأخبار. وقد خطر بخاطر معاوية لعنه الله تعالى أن يُداعب عقيل بن أبي طالب، وكان عقيل حاضر الجواب، فقال له: يا عقيل، أين ترى عمّك أبا لهب في النار؟ قال: إذا دخلتها على يسار الداخل تراه مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب، فانظر أيّهما أسوأ حالاً الناكح أو المنكوح؟ وامرأة أبي لهب هي أُمّ جميل بنت حرب بن أُمية عمّة معاوية.

---

(١) الإجمام: الإراحة.

(٢) قال صلى الله عليه وآله للعجوز الأشجعية: يا أشجعية لا تدخل العجوز الجنة فرآها بلال باكية فوصفها للنبي صلى الله عليه وآله فقال: والأسود كذلك فجلسا يبكيان فرآهما العباس فذكرهما له فقال: والشيخ كذلك ثم دعاهم وطيب قلوبهم وقال ينشئهم الله كأحسن ما كانوا وذكر أنهم يدخلون الجنة شباباً منورين وقال: إن أهل الجنة جرد مرد مكحلون، انظر: المناقب لابن شهر آشوب رحمه الله ج ١ ص ١٤٨ ط الأعلمي.

ورُوِيَ أنّه سمع بعض العلماء رجلاً يقول: أين الزّاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال له: يا هذا اقلب الكلام وضع يدك على مَنْ شئت. ومن هذا القبيل ما وقع بين مؤمن الطاق وأبي حنيفة، وذلك أنّ أبا حنيفة كان يوماً جالساً عند مؤمن الطاق، وإذا رجل يصيح: مَنْ رأى لي الشابّ الضالّ؟ فقال له مؤمن الطاق: أمّا الشاب الضالّ فلم نره، ولكن رأينا الشائب المضلّ، وهو هذا، وأشار إلى أبي حنيفة.

ورُوِيَ أيضاً أنّ أبا حنيفة قال له يوماً: إنّك يا مؤمن الطاق تذهب وتقول بالرجعة، وإنّ الناس يرجعون زمن المهديّ؟ فقال: نعم، فقال أبو حنيفة: فأقرضني الآن مائة دينار وأُرجعها إليك في الرجعة، فقال له مؤمن الطاق: أعطني ضامناً أنك ترجع بصورتك هذه، ولعلك ترجع بصورة كلب أو خنزير أو قرد، فكيف أُعطيك من غير ضامن. واجتمع بعض الأعراب مع امرأة، فلمّا قعد منها مقعد الرجل من المرأة ذكر معاده فاستعصم وقام عنها، وقال: إنّ من باع جنّة عرضها السمٰوات والأرض بمقدار فتر بين رجليك لقليل معرفة بالمساحة.

وفي المحاضرات أنّه مخنّث زنجياً يفجر بروميّة، فقيل له: ما يفعل ذلك؟ قال: يُولج الليل في النهار. وفيها أيضاً أنّه نظر الحسن إلى ذي زيّ حسن، فسأل عنه فقيل: هو ضارط يكسب بذلك المال، فقال: ما طلب أحد الدنيا بما تستحقّه سواه. قيل لضرّاط: لا تضرط، فالضراط شؤم، قال: فالشؤم جدير أن أُخرجه من بطني ولا أحمله معي.

وفي المحاضرات قال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطّاب، فقال: كيف وهذا وعمر كان أشدّ الناس إنكاراً فيها؟ قال: لأنّ الخبر الصحيح قد أتى أنّه صعد المنبر فقال: إنّ الله أحلّ لكم متعتين، وإنّي أُحرّمهما عليكم وأُعاقب عليهما، فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه.

وعاتب الصاحب يوماً رجلاً زوّج أمّه، فقال: ما في الحلال بأساً، فقال كذا: أُحبّ أن يكون لغة من اشتهى أن تناك أمّه. وقيل لابن سيابة: قد كرهت امرأتك شيبك فمالت عنك، فقال: إنّما مالت إلى الأبدال لقلّة المال، والله لو كنت في سنّ نوح، وشيبة إبليس، وخلقة منكر ونكير ومعي مال لكنت أحبّ إليها من معتر في جمال يوسف وخُلُق داود وسنّ عيسى وجُود حاتم وحلم أحنف.

مرضت عجوز فأتاها ابنها بطبيب، فرآها مزيّنة بأثواب مصبوغة، فعرف حالها، فقال الطبيب: ما أحوجها إلى زوج، فقال الابن : ما للعجائز والأزواج؟ فقالت:

ويحك الطبيب أعلم منك على كلّ حال. قيل لأبي علقمة: فلان زوّج ابنته وساق مهرها وأعطى الختن كذا وكذا، فالختن يكرمها، فقال: لو فعل هذا إبليس ببناته، لتنافست فيهنّ الملائكة المقرّبون.

ورُوِي أنه دخل يزيد بن مسلم على سليمان بن عبد الملك، وكان دميماً، فلمّا رآه سليمان قال: قبّح الله رجلاً أشركك في أمانته، فقال له يزيد: رأيتني يا أمير المؤمنين والأمر عنّي مُدبر، ولو رأيتني وهو عليّ مُقبل لاستكثرت منّي [ما استقللت] واستعظمت منّي ما استحقرت، فقال: أترى الحجّاج استقرَّ في قعر جهنَّم بعدُ؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا تقل ذاك في الحجّاج، فإنّ الحجّاج وطّأ لكم المنابر، وذلّل لكم الجبابرة، وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك، فحيث كانا كان.

ورُوي أنّ بعض اليهود قال لعليّ عليه السلام: ما دفنتم نبيّكم حتى اختلفتم، فقال له: إنّما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنّكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. وقال معاوية لأبي الأسود: بلغني أنّ عليّاً أراد أن يُدخلك في الحكومة، فعزمت عليك أيّ شيء كنت تصنع؟ فقال: كنت آتي المدينة فأجمع ألفاً من المهاجرين وألفاً من الأنصار، فإن لم أجدهم أتمّمهم من أبنائهم ثم أستحلفهم بالله العظيم المهاجرون أحقّ أم الطُّلقاء؟ فتبسّم معاوية قال: إذن والله ما اختلف عليك اثنان.

ورُوِيَ أنّ عمر بن الخطّاب كان يعسّ بالليل في المدينة - أي يطوف مثل العسس - فسمع صوت رجل في بيته، فارتاب بالحال، فتسوّر فوجد رجلاً عنده امرأة وخمر، فقال: يا عدوّ الله، أترى أنّ الله عزّ وجلّ يسترك وأنت على معصيته؟ فقال الرجل: لا تعجل عليّ يا عمر، إنْ كنت أنا عصيت الله في واحدة، فقد عصيته أنت في ثلاث، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢] وإنك قد تجسّست، وقال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] وقد تسوّرت، وقال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟﴾ [النور: ٦١] وما سلّمت، فقال عمر: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: بلى والله، لئن عفوت عنّي لا أعود إلى مثلها أبداً، فعفا عنه.

ورُوِيَ أنّ معاوية لعنه الله تعالى قال يوماً لأهل الشام، وعنده عقيل بن أبي طالب[1]: هذا أبو يزيد عندنا، لولا أنّه علم أنْ لا خير له من أخيه لَما أقام عندنا

(١) الروايات في سفر عقيل بن أبي طالب عليه السلام إلى الشام وأنه كان في عهد أخيه الإمام أمير =

وتركه، فقال له عقيل: أخي خير لي في ديني وأنت خيرٌ لي في دنياي، وقال له مرّة: وأنت معنا يا أبا يزيد؟ قال: ويوم بدر كنت معكم.

ومن المطايبات أنّ رجلاً تركيّاً سمع واعظاً يقول: مَنْ جامع امرأته مرّة بُنِيَ له طوف في الجنّة، فإنْ جامعها مرّتين بُنِيَ له طوفان وهكذا حتّى يتمّ البيت في الجنّة، فأتى إلى امرأته وحكى لها ففرحت، فلمّا أتى اللّيل وناما، قالت: قم حتّى تؤسّس لنا بيتاً في الجنّة، فقاربها مرّة ونام، فقالت له: قم حتّى نبني فوق ذلك الأساس طوفاً آخر، فقاربها مرّة أُخرى وذهبت قوّته كلّها، فنبّهته لبناء الطوف الثالث، فقال لها: يا فلانة إنّ الأطواف التي بنيناها لم تجفّ وطينها أخضر، فنخاف أن ينهدم البنيان فدعيه حتى يجفّ، فتخلّص منها بهذه الحيلة.

وتزوّج رجل بامرأة قد مات عنها خمسة أزواج، فمرض السادس وأشرف، فقالت: إلى مَنْ تَكِلني؟ فقال: إلىَ الشقيّ السابع. ورُوِيَ أيضاً أنّه لقي أبو العينا بعض إخوانه في السَّحر، فجعل يعجب من بكوره، ويقول: يا عبد الله، أتركب في مثل هذا الوقت؟ فقال الرجل: أبو العينا يشاركني في الفعل ويفردني بالتعجّب.

= المؤمنين عليه السلام أو كان بعد شهادته عليه السلام متضاربة واستظهر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨٢ إنه كان بعد شهادة الأمير عليه السلام وجزم به العلامة الأكبر السيد علي خان المدني في كتابه: «الدرجات الرفيعة» المخطوط، وهو الحق الذي لا محيص من القول به للأدلة والشواهد التي لا مجال هنا لذكرها وقد حقق هذا الموضوع سيدنا الحجة السيد عبد الرزاق المقرم النجفي دام بقاؤه في مصنفاته انظر: كتاب «العباس» ص ٣٥ ـ ٤٥ ط النجف وكتاب «الشهيد مسلم بن عقيل» ص ٢٦ ـ ٣٥ ط النجف. وأما الكلام الذي نقله المصنف رحمه الله عن عقيل فهو من الكلمات التي اختلقوها على عقيل حتى وضعوا على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ما ينقص من قدر أخيه ويحط من كرامته يطول الكلام بشرح ذلك في هذا المقام. ومن المؤسف أن جمعاً من أصحابنا لم يلفتوا أنظارهم إلى تحقيق هذه المطالب ونقلوا تلك الكلمات وأخذوها من كتب خصماء أهل البيت عليهم السلام ومعانديهم وضبطوها في كتبهم وصار صنيعهم هذا سبباً لشهرة تلك الكلمات المفتعلة بين الشيعة ولكن الجيل المنقب كشف عن النوايا السيئة لأعداء أهل البيت عليهم السلام وعن تلك الزخارف وأضف إلى ذلك اختلاق أعداء عقيل خاصة عليه من الكلمات المفتريات التي وضعوها في حقه ونسبوها إليه قال الصفدي: لقد بغض عقيلاً إلى الناس ذكره مثالب قريش وما أُوتي من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب وكانت تبسط له طنفسة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي عليها ويجتمع إليه الناس لمعرفة أنساب العرب وأيامهم وأخبارهم فقال أعداؤه فيه ونسبوه إلى الحمق (انظر: نكت الهميان ص ٢٠٠).

ودخل الوليد بن يزيد على هشام، وعلى الوليد عمامة وشي، فقال هشام: بكم أخذت عمامتك؟ قال: بألف درهم، فقال هشام: عمامة بألف؟! يستكثر ذلك قال: يا أمير المؤمنين، إنّها لأكرم أطرافي وقد اشتريت أنت جارية بعشرة آلاف لأخسّ أطرافك. ورُوِيَ أنّه تظلّم أهل الكوفة إلى المأمون من عامل ولاّه عليهم، فقال المأمون: ما علمت في عمّالي أعدل منه، فقام رجلٌ من القوم فقال: يا أمير المؤمنين ما أحد أوْلى بالعدل والإنصاف منك، فإذا كان عاملنا بهذه الصّفة، فينبغي أن تُساوي به أهل الأمصار حتّى يلحق كل بلد من عدله ما لحقنا، وإذا فعل ذلك أمير المؤمنين فلا يصيبنا أكثر من ثلاث سنين، فضحك المأمون وعزل العامل عنهم.

وتزوّج أعرابيّ امرأة أشرف منه حسباً ونسباً، فقال: يا هذه، إنّك مهزولة؟ فقالت: هزالي أولجني بيتك. ونظر رجل إلى امرأتين يتلاعنان، فقال لعنكما الله، فإنكنّ صويحبات يوسف، فقالت إحداهما: يا عمّي، فمن رمى به في الجبّ نحن أم أنتم؟!

جاءت امرأة إلى عدي بن أرطاة تشكو من زوجها أنّه عنّين، فقال عديّ: إنّي لأستحي أنّ المرأة تذكر مثل هذا، قالت: ولِمَ لا أرغب فيما رغبت فيه أُمّك، فلعلّ الله تعالى يرزقني ابناً مثلك. أُتي الحجّاج بامرأة من الخوارج، فقال لمن حضره: ما ترون فيها؟ قالوا: قتلها، فقالت: جلساء أخيك خير من جلسائك، قال: ومن أخي؟ قالت: فرعون، لمّا شاور جلساءه في موسى قالوا أرجه وأخاه[1]، وابعث في المدائن حاشرين.

عاد المعتصم أبا الفتح بن خاقان والفتح صغير، فقال له: داري أحسن أم دار أبيك؟ قال: يا أمير المؤمنين دار أبي ما دمتَ فيها. وقالوا: صحب ذئب وثعلب أسداً فاصطادوا عيراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم هذا بيننا، فقال: العير لك والظبي لي والأرنب للثعلب، فغضب الأسد وأخذ بحلق الذئب حتى قطع رأسه، وقال للثعلب: اقسمه أنت، فقال: العير لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب تتفكه[2] به في اللّيل، فقال: مَنْ علّمك هذه القسمة العادلة؟ قال: رأس الذئب الذي بين يديك.

(١) أي احبسه وأخاه وأخر أمره ولا تعجل بقتله.

(٢) قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمٰن: ٦٨] الفاكهة ما يتفكه به الإنسان أي: يتنعم بأكله رطباً كان أو يابساً كالزبيب والرطب والتين والبطيخ والرمان.

وقد اصطحب كلب وديك فخرجا من البلد إلى الصحراء، فلمّا أتى عليهما اللّيل أقبلا إلى شجرة عالية، فصعدها الدّيك وبات على أغصانها وبات الكلب تحتها، فلمّا أتى وقت السَّحر صاح الديك كما هو عادته، فسمعه ابن آوى، فقصد الشجرة وإذا الديك فوقها، فصاح إليه: أيّها المؤذن رحمك الله انزل من فوق المنارة حتّى نصلّي جميعاً، فقال له الدّيك: نعم ننزل، ولكنّ الإمام نائم تحت الشجرة فأيقظه حتى نصلّي بصلاته، فلمّا أتى إلى تحت الشجرة حسّ الكلب به وقام إليه وقتله.

ورُوِيَ أن عزّة قالت لبثينة: تصدّي لكثير وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يُجيبك، ثمّ أقبلت عليه وعزّة تمشي وراءها مختفية وعرضت عليه الوصل فقاربها، ثمّ قال:

رَمَتْني على فوت (قرب) بثينة بعدما تولّى شبابي وارجحنّ شبابها
بعينين نجلاوين لو رقرقتهما لنوء الثريّا لاستهلّ سحابها

فكشفت عزّة عن وجهها، فبادرها الكلام ثمّ قال:

ولكنّما ترمين نفساً مريضة لعزّة منها صفوها ولبابها

ثمّ قالت: أوْلى لك بها نجوت وانصرفتا يتضاحكان. ورُوِيَ أنّ كثيراً لمّا مات أتى الباقر عليه السلام إلى جنازته ورفعها. وقال نصر بن سيار لأعرابي: هل اتخمت قطّ؟ قال: أمّا من طعامك وطعام أبيك، فلا. فيقال: إنّ نصراً حمّ من هذا الجواب أيّاماً، وقال: ليتني خرست ولم أفه بسؤال هذا الشيطان.

ولمّا مات مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، قال أبو حنيفة لمؤمن الطاق: مات إمامك، قال: لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم - يعني إبليس -. وقال رجل لبشار لمّا ذهبت عيناه: ما الّذي عوّضك الله بهما؟ فقال: أنْ لا أرى مثلك. تزوّج أعمى امرأة، فقالت: لو رأيت حسني وبياضي لعجبت، فقال: اسكتي لو كنت كما تقولين ما تركك البُصَراء. نظر حكيم إلى معلم رديء الكتابة، فقال له: لولا تعلّم الصراع؟ قال: لا أُحسنه، قال: هوذا أنت تعلم الكتابة ولا تُحسنها.

قال أبو العينا: قال لي المتوكل يوماً: هل رأيت طالبياً حسن الوجه قطّ؟ قلت: نعم، رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة واحداً، قال: تجده كان يؤاجر وكنت تقود عليه، قلت: يا أمير المؤمنين قد بلغ هذا من فراغي أدع مواليّ مع كثرتهم وأقود على الغرباء؟ فقال المتوكّل للفتح: أردت أن أشتفي منهم فاشتفى لهم منّي. وقدم إلى

مائدة عليها أبو هفان وأبو العينا فالوذج، فقال أبو هفان: لهذه أحرّ من مكانك في جهنّم، فقال له أبو العينا: إن كانت حارّة فبرِّدها بشعرك.

وقال أبو العينا: أُدخل على المتوكّل رجل قد تنبّأ، فقال له: ما علامة نبوّتك؟ قال: أن يدفع إليّ أحدكم امرأة، فإنّي أُحبّلها في الحال، فقال: يا أبا العينا هل لك أن تُعطيه بعض الأهل؟ قال: إنّما يعطيه مَنْ كفر به، فضحك وخلاّه. مرّت جارية بقوم ومعها طبق مغطّى، فقال لها بعضهم: أيّ شيء معك في الطبق؟ قالت: فلم غطّيناه؟ قالت امرأة مزيد لمزيد: يا قرنان يا مفلس، قال: إن صدقت فواحدة من الله تعالى والأُخرى منك.

رفع مزيد مرة إلى أمير المدينة ومعه زقّ فارغ فأمر الأمير بضربه، فقال له: لِمَ تضربني؟ قال: لأنّ معك آلة الخمر، قال: وأنت أعزّك الله معك آلة الزّنا. قال الرشيد لبهلول: مَنْ أحبّ الناس إليك؟ قال: من أشبع بطني، فقال: أنا أُشبعك فهل تحبّني؟ قال: الحب بالنسيئة لا يكون.

ضرط ابن صغير لعبد الملك بن مروان في حجره، فقال له: قم إلى الكنيف، فقال: أنا فيه، وكان عبد الملك شديد البخر دخل إبراهيم الحراني الحمام، فرأى رجلاً عظيم الذكر، فقال له: بكم يباع البغل؟ فقال: لا بل نحملك عليه من غير ثمن، فلمّا خرج أرسل إليه بصِلة وكسوة، وقال لرسوله: قل له اكتم هذا الحديث، فإنّه كان مزاحاً، فردَّه وقال: لو قبلت حمالتنا لقبلنا صلتك.

بنى بعض أكابر البصرة داراً وكان في جواره بيت لعجوز يساوي عشرين ديناراً، وكان محتاجاً في تربيع الدار، فبذل لها فيه مائتي دينار، فلم تبعه، فقيل لها: إنّ القاضي يحجر عليك لسفاهتك حيث ضيّعت مائتي دينار لما يساوي عشرين ديناراً، قالت: فلِمَ لا يحجر على من يشتري بمائتين ما يُساوي عشرين. وكان ببغداد رجل متعبّد اسمه رويم، فعرض عليه القضاء فتولاّه، فلقيه الجنيد يوماً فقال: مَنْ أراد أن يستودع سرّه من لا يفشيه، فعليه برُويم، فإنّه كتم حبّ الدنيا أربعين سنة حتى قدر عليها.

وحُكِيَ أنّه حضر منجّم في مجلس بعض الملوك، وأخذ يُخبر عن أحوال بعض العلويّات، فبلغه في المجلس أنّ امرأته وجدت مع شخص يزني بها، فأنشد بعض الظرفاء:

حديث المنجّم في حكمه ... يحلّ لدينا محلّ الحدث

يخبّر عن حادثات السماء ويجهل في بيته ما حدث

قال بعض العارفين لرجلٍ من الأغنياء: كيف طلبك للدنيا؟ فقال: شديد، قال: فهل أدركت منها ما تريد؟ قال: لا، قال: هذه التي صرفت عُمرك في طلبها لم تحصّل منها ما تريد، فكيف التي لم تطلبها. سمع بعض الزهّاد يوماً من الأيام شخصاً يقول: أين الزّاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال له الزاهد: يا هذا اقلب كلامك وضع يدك على مَنْ شئت.

حُكِيَ أنّ بعض الأرقّاء كان عند مالك يأكل الخاص ويطعمه الخشكار، فاستنكف الرقيق من ذلك، فطلب البيع فباعه وشراه من يأكل الخشكار ويطعمه النخالة، فطلب البيع فباعه فاشتراه من يأكل النخالة ولا يطعمه شيئاً، فطلب البيع فباعه فشراه من لا يأكل شيئاً وحلق رأسه، وكان في الليل يُجلسه ويضع السراج على رأسه بدلاً من المنارة، فأقام عنده ولم يطلب البيع، فقال له النخاس: لأيّ شيء رضيت بهذه الحالة عند هذا المالك؟ قال: أخاف أن يشتريني في هذه المرة مَنْ يضع الفتيلة في عيني عوضاً عن السراج. قال الفرزدق لزياد الأعجم: يا أغلف! فقال: يابن النمامة! كان لبعضهم ابن ذميم فخطب له إلى قوم، فقال الابن لأبيه يوماً: بلغني أنّ العروس عوراء، فقال الأب: يا بني بودّي أنّها عمياء حتى لا ترى سماجة وجهك.

كان بالبصرة رجل يقال له حوصلة، وكان له جار يعشق ابناً له، فوجّه حوصلة ابنه إلى بغداد، ولم يعلم جاره بذلك، فجاء ليلة يطلبه وصاح بالباب: أعطونا ناراً، فقال حوصلة: المقدحة ببغداد. وقال بعض العلويّة لأبي العينا: أتبغضني ولا تصحّ صلاتك إلّا بالصلاة عليّ إذا قلت: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد؟ قال أبو العينا: إذا قلت الطيّبين الطاهرين خرجت منهم. سكر مزيد يوماً فقالت امرأته: أسأل الله أن يُبغض النبيذ إليك، قال: والرجال إليك.

قالت امرأة مزيد، وكانت حبلى، ونظرت إلى قُبح وجهه: الويل لي إنْ كان الذي في بطني يشبهك، فقال لها: الويل لي إن كان الذي في بطنك لا يشبهني. مرّ الفرزدق وهو راكب بغلة فضربها فضرطت، فضحكت منه امرأة فالتفت إليها وقال: ما يُضحكك؟ فوالله ما حملتني أنثى قطّ إلا ضرطت؟ فقالت له المرأة: فقد حملتك أمّك تسعة أشهر، فالويل للناس من كثرة ضراطها. تنبّأ رجل وادّعى أنه موسى بن عمران وبلغ خبره الخليفة، وقال: من أنت؟ قال: موسى بن عمران الكليم، قال:

وأين عصاك التي صارت ثعباناً؟ قال: قل أنا ربّكم الأعلى، كما قال فرعون حتّى أُصيّرها ثعباناً كما فعل موسى.

تنبّأت امرأة على عهد المأمون فأُوصلت إليه، فقال لها: من أنتِ؟ قالت: أنا فاطمة النبيّة، قال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمّد وهو حقّ، فإنّ محمّداً قال: «لا نبيّ بعدي»، قالت: صدق عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهل قال لا نبيّة بعدي؟ قال المأمون لمن حضر: أمّا أنا فقد انقطعت، فمن كان عنده حجّة فليأتِ بها، وضحك حتّى غطّى وجهه.

تنبّأ آخر في أيّام المعتصم، فلما أُحضر بين يديه قال له: أنت نبيّ؟ قال: نعم، قال: إلى مَنْ بُعِثْت؟ قال: إليك، قال: أشهد أنّك لسفيه أحمق، قال: إنّما يُبعث إلى كلّ قوم مثلهم، فضحك المعتصم وأمر له بشيء.

وتنبّأ آخر في خلافة المأمون، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا نبيّ، قال: فما مُعجزتك؟ قال: سَلْ ما شئت، وكان بين يديه قفل، فقال: خذ هذا القفل فافتحه، فقال له: أصلحك الله لم أقل لك إنّي حدّاد، قلت: أنا نبيّ، فضحك المأمون واستتابه وأجازه. قرأ بعض المغفّلين: «في بيوت» بالرفع، فقال له شخص: يا أخي إنّما هو بالجرّ، فقال: يا مغفّل إذا كان الله تعالى يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦] تجرّها أنت، لماذا؟

وسأل بعض المغفّلين إنساناً فاضلاً قال له: كيف تنسب إلى اللغة؟ فقال: لغويّ، فقال: أخطأت في ضمّ اللام، إنّما الفصيح ما جاء في القرآن: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

وحكى الشريف أبو معلّى، قال: ولقد كنّا ليلة بأصفهان في دار الوزارة في جماعة من الرؤساء، فلمّا ناموا سمعنا صراخاً وصوتاً مرتفعاً واستغاثة، فإذا الشيخ الأديب أبو جعفر القصاص ينيك أبا عليّ الحسن الشاعر، وذلك يستغيث ويقول: إنّني شيخ أعمى، فما يحملك على نيكي؟ وذلك لا يلتفت إليه إلى أن فرغ منه وسلّ منه كذراع البكر، وقام قائلاً: إنّي كنت أتمنّى أن أنيك أبا العلاء المعرّي لكفره وإلحاده ففاتني، فلمّا رأيتك شيخاً أعمى فاضلاً نكتك لأجله.

ويقال: إنّ الأشعث مرّ يوماً فجعل الصبيان يعبثون به، فقال لهم: ويلكم سالم بن عبد الله يفرّق تمراً من صدقة عمر، فمرّ الصبيان يعدون إلى سالم بن عبد الله وعدا أشعث معهم، وقال: ما يدريني لعلّه كان حقّاً. رأت الضبع ظبية على حمار،

فقالت: أردفيني حمارك، فأردفتها، فقالت: ما أفره حمارك! ثمّ سارت يسيراً فقالت: ما أفره حمارنا، فقالت لها الظبية: انزلي قبل أن تقولي ما أفره حماري، فما رأيت أطمع منك.

وحُكي أنّ بعضهم دخل بأمرد إلى بيته، وكان بينهما ما كان، فلمّا خرج الأمرد ادّعى أنّه هو الفاعل، فقيل له ذلك، فقال: فسدت الأمانات، وحرم اللّواط إلّا أن يكون بشاهدين. ومن هجاء بعض البخلاء:

رأى الضيف مكتوباً على باب داره فصحّفه صيفاً فقام إلى السيف
فقلت له خيراً فظنّ بأنّني أقول له خبزاً فمات من الخوف

في كتاب الحلى، قال الأصمعي: تزوّجت أعرابيّة غلاماً من الحيّ، فمكثت معه أيّاماً ووقع بينهما جدال، فخرج في نادي الحيّ وهو يقول: يا واسعة، يعيّرها بذلك، فقالت بديهة:

إنّي تنقلت من بعد الخليل فتى مزراءَ ما له عقل ولا باه
ما غرّني فيه إلا حُسْن بُنيته ومنطق لنساء الحيّ تيّاه
فقال لمّا خلا بي أنت واسعة وذاك من خجل منّي تغشاه
فقلت لمّا أعاد القول ثانيةً أنت الفداء لمن قد كان يملاه

ويقال: أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل:

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلّبهم قالوا لأُمّهم بولي على النار
فضيّقت فرجها بخلاً ببولتها ولم تَبُل لهم إلّا بمقدار

قال الصفدي: اشتمل هذا البيت على معايب، أوّلها: أنّهم لا يعطون للضيف شيئاً حتى يرضى بنباح كلابهم، فيستنبح منها. وثانيها: أنّ لهم ناراً قليلاً تطفى ببول امرأة. وثالثها: أنّ أُمّهم التي تخدمهم فليس لهم خدم غيرها. ورابعها: أنّهم كسالى عن مباشرة أُمورهم حتى تقوم بها أُمّهم. وخامسها: أنّهم عاقّون لوالدتهم بحيث إنّهم يمهنونها في الخدمة. وسادسها: عدم أدبهم لأنّهم يُخاطبون أُمّهم بهذه المخاطبة التي تستحي الكرام الالتفات إليها. وسابعها: أنّهم يتركون أُمّهم عند مواقدهم لأنّهم قالوا لها: بولي، ولم يقولوا لها: قومي إلى النار.

وثامنها: أنّهم جبناء لا يُوقدون لأنّهم يستيقظون يسمعون الحسّ الخفي من البعد. وتاسعها: أنّهم لا يتألّمون ممّا يصعد من رائحة البول إذا وقع في النار. وعاشرها: إلزام والدتهم بأن لا تبول وتدخر ذلك لوقت الحاجة، وإلا فما كل وقت

يطلب الإنسان الإراقة يجدها فتجد لذلك ألماً مشقّة من احتباس البول. وحادي عشرها: إفراطهم في البخل إلى غاية يشفقون معها على الماء أن يطفأ به النار. وثاني عشرها: أنّهم يؤكّدون بهذا القول عداوة المجوس للعرب، لأنّ الفرس يعبدونها وهؤلاء يبولون عليها، فيتأكّد الحقد.

وحُكِي أن الرشيد سأل جعفراً البرمكي[1] عن جواريه؟ فقال: يا أمير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعاً وعندي جاريتان وهما يكبسانني فتناومت لأنظر صنيعهما وإحداهما مكّيّة والأُخرى مدنيّة؛ فمدّت المدنية يدها إلى ذلك الشيء فلعبت به، فانتصب قائماً، فوثبت المكيّة فقعدت عليه، فقالت المدنيّة: أنا أحقّ لأني حدّثت عن نافع عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**من أحيا أرضاً ميتة فهي له**»، فقالت المكيّة: وأنا حدّثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**ليس الصيد لمن أثاره، وإنما الصّيد لمن قبضه**»، فوجدت سندي الحديثين كما قالتا، فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره، فقال: من تساوم منهما؟ فقال: هما ومولاهما بحكمك يا أمير المؤمنين، وحملهما إليه. سئل بعضهم ما أمتع لذّات الدنيا؟ فقال: ممازحة الحبيب وغيبة الرّقيب.

وسئل بعض المتكلّمين عن الروح، فقال: هو الريح والنفْس هو النفَس، فقال له السائل: فحينئذ إذا تنفّس الإنسان خرجت نفسه، وإذا ضرط خرجت روحه، فانقلب المجلس ضحكاً[2]. يقال: إنّ بعض السؤّال اجتاز بقوم يأكلون، فقال: السلام عليكم يا بخلاء! فقالوا له: أتقول إنّا بخلاء؟ كذّبوني بكسيرة.

اجتمع بنات حبيب المدنيّة عندها، فقالت للكبرى: يا بنيّة كيف تحبّين؟ فقالت: يا أُمّ أن يقدم زوجي من سفر فيدخل الحمام ثمّ يأتيه زوّاره المسلمون عليه، فإذا فرغ أغلق الباب وأرخى الستر فيأتي ما أردته، فقالت: اسكتي ما صنعت شيئاً، فقالت للوسطى، فقالت: أن يقدم زوجي من سفر فيضع ثيابه وأتاه جيرانه، فلمّا صار الليل

---

(١) والعجب من المصنف رحمه الله من نقله أمثال هذه الحكايات القبيحة في كتابه ولذا حدثني من أثق به أن المجتهد الأكبر الفقيه المتضلع الكبير الحاج ميرزا أبو الحسن الشهير بـ(انگجي) رحمه الله كان يقول لا يجوز مطالعة بعض الأبواب من كتب الجزائري كهذا الباب من هذا الكتاب وسائر كتبه كزهر الربيع.

(٢) وقد نقلنا هذه المطايبة عن الصفدي في شرح لامية العجم انظر: ج ١ ص ٢٦٩ من هذا الكتاب.

تطيّبت له وتهيّأت ثمّ أخذني على ذلك، فقالت: ما صنعت شيئاً، فقالت للصغرى، فقالت: أن يقدم زوجي من سفر وكان دخل الحمّام واطلى، ثم قدم وقد نزع سرواله فيدخل عليّ ويُغلق الباب ويرخي الستر فيدخل أيره في حرّي ولسانه في فمي وأصبعه في إستي، فناكني في ثلاثة مواضع، فقالت: اسكتي، فأمّك تبول الساعة من الشّهوة.

ومرّ الحجّاج متنكّراً فرأته امرأة، فقالت: الأمير وربّ الكعبة، فقال: عندك من قرى؟ قالت: نعم خبز فطير وماء نهر، فأحضرته فأكل وقال: هل لك أن تُصلحيني مع امرأتي، فقالت: هل عندك من جماع يغني؟ قال: نعم، قالت: فلا حاجة لك إلى أحد يصلح بينكما. وقال رجل للشعبي: ما تقول في رجل إذا وطىء امرأة تقول: قتلتني أو أوجعتني، فقال: اقتلها ودمها في عنقي.

ظهر إبليس لعيسى عليه السلام، فقال له: ألست تقول: لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك؟ قال: بلى، قال: فارم نفسك من ذروة هذا الجبل، فإنّه إن قدّر لك السلام تسلم، فقال له: يا ملعون، إنّ الله تعالى يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربّه. سأل أعرابي خالد بن الوليد وألحّ في سؤاله وأطنب في الإبرام، فقال خالد: أعطوه بدرة يضعها في حرّ أُمّه، فقال الأعرابي: وأُخرى لإستها يا سيّدي، لئلا تبقى فارغة، فضحك وأمر له بها أيضاً.

قال بعض الخلفاء: إنّي لأبغض فلاناً، فقال له بعض الحاضرين: أوله خيراً تحبّه فأنعم، فما لبث أن صار من جلسائه. سئل بعض الجند عن نسبه، فقال: أنا ابن أخت فلان، فسمع ذلك أعرابي فقال: إنّ الناس ينتسبون طولاً، وهذا الفتى ينتسب عرضاً. خطب معاوية خطبة عجيبة، فقال: أيّها الناس هل من خلل؟ فقال رجل من عرض الناس: نعم من حلمك كخلل المنخل، فقال: وما هو؟ قال: إعجابك بها ومدحك لها. أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها:

فبتن بجانبي مصرعات ... وبتّ أفضّ أغلاق الختام

فقال له: ويحك يا فرزدق، أقررت عندي بالزّنا، ولا بدّ من حدّك، فقال: كتاب الله يدرأ عنّي الحد، قال: وأين؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ -٢٢٦] إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء ٢٢٤- ٢٢٦]، فضحك وأجازه. ومن هذا أخذ صفي الدين قوله:

نحن الّذين أتى الكتاب مخبراً ... بعفاف أنفسنا وفسق الألسن

وفد حاجب بن زرارة على أنوشيروان، واستأذن عليه فقال للحاجب: سَلْه مَنْ هو؟ فقال: رجلٌ من العرب، فلمّا مَثُل بين يديه قال له أنوشيروان: من أنت؟ قال: سيّد العرب، قال: أليس زعمت أنّك واحد منهم؟ فقال: إنّي كنت كذلك، ولكن لمّا أكرمني الملك بمكالمته صرت سيّدهم، فأمر بحشو فيه درّاً.

دعا رجل آخر إلى منزله، وقال: لنأكل معك خبزاً وملحاً، فظنّ الرجل أنّ ذلك كناية عن طعامٍ لذيذ، فمضى معه فلم يزد على الخبز والملح، فبينا هما يأكلان إذ وقف بالباب سائل فنهره صاحب المنزل فلم ينزجر، فقال: اذهب وإلاّ خرجت وكسرت رأسك، فقال المدعو: يا هذا انصرف، فإنّك لو عرفت من صدق وعيده ما عرفت من صدق وعده لما تعرّضت له.

قال الزمخشري في ربيع الأبرار: مرّ رجل بأديب، فقال: كيف طريق البغداد؟ فقال: من هنا، ثمّ مرّ به آخر فقال: كيف طريق كوفة؟ فقال: من هنا، فبادر مسرعاً فقال: إنّ مع ذلك المارّ ألف ولام لا يحتاج إليهما، فخذهما فإنّك أحوج إليهما منه. قال بعضهم: الدنيا مدوّرة ومدارها على ثلاث مدوّرات الدّرهم والدينار والرغيف. وجد يهوديّ مسلماً يأكل شواءً في نهار شهر رمضان، فأخذ يأكل معه، فقال له المسلم: يا هذا إنّ ذبيحتنا لا تحلّ على اليهود، فقال: أنا في اليهود مثلك في المسلمين. من كلامهم :الكريم شجاع القلب والبخيل شجاع الوثبة. قال رجل للفرزدق: متى عهدك بالزّنا يا أبا فراس؟ فقال: منذ ماتت امرأتك يا فلان.

من كتاب المدهش في حوادث سنة ٢٤١: ماجت النجوم وتطايرت شرقاً وغرباً كالجراد من قبل غروب الشمس إلى الفجر. وفي السنة التي بعدها رجمت السويدا وهي ناحية من نواحي مصر، فوزن منها حجر فكانت عشرة أرطال وزلزل في الريّ وجرجان وطبرستان ونيشابور وأصفهان وقم وقاشان ودامغان في وقتٍ واحد، فهلك في دامغان خمسة وعشرون ألفاً، وتقطّعت جبال ودنا بعضها من بعض ووقع طائر أبيض بحلب وصاح أربعين صوتاً: أيّها الناس اتّقوا الله ثمّ طار وأتى من الغد وفعل مثل ذلك، ثمّ ما رئي بعدها. ومات رجل في بعض أكوار الأهواز فسقط طائر على جنازته وصاح بالفارسية: إنّ الله قد غفر لهذا الميت ولمن حضر جنازته.

قال ولد الأحنف لجارية أبيه: يا زانية! فقالت: لو كنت زانية لأتيت بمثلك.

ولمّا قتل جعفر بن يحيى البرمكي، قال أبو نواس: والله مات الكرم والجود والفضل والأدب، فقيل له: ألم تكن تهجوه حال حياته؟ فقال: ذلك والله لشقائي

وركوني إلى هواي، وكيف يكون في الدنيا مثله في الجود والأدب؟ ولمّا سمع فيه قولي:

لقد غرّني من جعفر حُسْن بابه ولم أدرِ أنّ اللّؤم حشو إهابه
ولست إذا أطنبت في مدح جعفر بأوّل إنسانٍ خري في ثيابه

بعث إليّ بعشرين ألف درهم، وقال: غسّل ثيابك بها. قال رجل لأحمد بن خالد الوزير: لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ، قال: وكيف ذاك يا أحمق؟ فقال: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأنت فظّ غليظ ونحن لا نبرح من حولك. مدح بعض الشعراء صاحب شرطة، فقال: أمّا أن أُعطيك شيئاً من مالي، فلا يكون أبداً، ولكن اجن جناية قتل حتّى لا أعاقبك بها.

دخلت عزّة على عبد الملك فأمرها بالدخول على زوجته عاتكة، فلمّا دخلت قالت لها: خبّريني عن قول كثير فيك:

قضى كلّ ذي دين فوفّى غريمه وعزّة ممطول معنّى غريمها

ما هذا الدين؟ فقالت: قبلة، فقالت عاتكة: أنجزي وعدك وعليّ إثمه. قال أبو العينا: أخجلني ابنٌ صغير لعبد الرحمٰن بن خاقان، قلت له: وددت أنّ لي ابناً مثلك، فقال: هذا بيدك، قلت: كيف ذلك؟ قال: احمل أبي على امرأتك تلد لك مثلي.

السبب في تسمية الأيّام التي في آخر البرد أيّام العجوز، وهو ما يُحكى أنّ عجوزاً كاهنة في العرب كانت تُخبر قومها ببرد يقع وهم لا يكترثون بقولها حتى جاء فأهلك زرعهم وضروعهم، فقيل: أيّام برد العجوز. وقال جار الله في كتاب ربيع الأبرار: قيل: الصواب أنّها أيّام العجز، أي آخر البرد، وقيل: إنّ عجوزاً طلب من أولادها أن يزوّجوها فشرطوا عليها أن تبرز إلى الهواء سبع ليال، ففعلت فماتت.

وادّعت سجاح بنت الحارث النبوّة في أيّام مُسيلمة وقصدت حربه، فأهدى إليها مالاً واستأمنها حتى أمّنته وأمّنها، فجاء إليها واستدعاها وقال لأصحابه: اضربوا لها قبّة وحمّروها لعلّها تذكر الباه، ففعلوا، فلمّا أتت قالت له: اعرض ما عندك حتى نتدارس، فلمّا خلت معه في القبّة، قالت: اقرأ عليّ ما يأتيك به جبرائيل، فقال: اسمعي هذه الآية: إنكن معاشر النساء خلقن أفواجاً، وجعلن لنا أزواجاً نولج فيكن

إيلاجاً، ثمّ نخرجه منكن إخراجاً، قالت: صدقت إنّك نبيٌّ مرسل، فقال لها: هل لك في أن أتزوّجك، فيقال نبيّ تزوّج نبيّة؟ فقالت: افعل ما بدا لك، فقال لها:

ألا قـومـي إلـى الـمـخـدع		فـقـد هـيّـىء لـك الـمـضـجـع
وإن شـئـت سـلـقـنـاك		وإن شـئـت عـلـى أربـع
وإن شـئـت بـثـلـثـيـه		وإن شـئـت بـه أجـمـع

فقالت: بل به أجمع، فإنّه أجمع للشمل، فضرب بعض ظرفاء العرب لذلك مثلاً، وقال: أعلم من سجاح، فأقامت عنده ثلاثاً وخرجت إلى قومها، فقالوا: كيف وجدتيه؟ فقالت: لقد سألته فوجدت نبوّته حقّاً وإنّي قد تزوّجته، فقال قومها: ومثلك يتزوّج بغير مهر؟ فقال مسيلمة: مهرها أنّي قد رفعت عنكم صلاة الفجر والعتمة، ثمّ أقامت بعد ذلك مدّة في بني تغلب ثم سلمت في إسلامها. ومن مزخرفات مسيلمة: والزارعات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات ذرواً، والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، فالآكلات أكلاً، فقال بعض ظرفاء العرب: والخاريات خرواً.

في المحاضرات: نظرت امرأة من البادية في المرآة وكانت حسنة الصورة، وكان زوجها رديء الصورة، فقالت له والمرآة في يدها: إنّي لأرجو أن ندخل الجنّة أنا وأنت، فقال: وكيف ذلك؟ فقالت: أمّا أنا فلأنّي ابتليت بك فصبرت وأمّا أنت فلأنّ الله سبحانه أنعم بي عليك فشكرت. لمّا تزوّج المهلب بديعة المطريّة أراد الدخول بها، فجاءها الحيض فقرأت: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠]، فقرأ هو: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣]، فقرأت هي: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [هود: ٤٣].

كتب العبّاس إلى القاضي ابن قريعة فتوى: ما يقول القاضي أدام الله أيّامه في يهودي زنا بنصرانية فولدت له ولداً جسمه للبشر ووجهه للبقر، فما يرى القاضي في ذلك، فلْيُفتنا مأجوراً. فأجاب: هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود أنهم أُشربوا حبّ العجل في صدورهم، فخرجوا من أيورهم، وأرى أن يعلّق على اليهوديّ رأس العجل وتربط مع النصرانية الساق مع الرجل ويسحبا سحباً على الأرض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض.

أحمد بن علي بن الحسين المؤدّب:

تـصـدر لـلـتـدريـس كـلّ مـهـوس		بـلـيـد يـسـمّـى بـالـفـقـيـه الـمـدرّس

يحقّ لأهل العلم إن سمُّوا به ببيت قديم شاع في كلّ مجلس
لقد هزلت حتّى بدا من هُزالها كلاها وحتّى رامها كلّ مفلس

شعر

قد بُلينا بأمير ظلم الناس وسبّح فهو كالجزّار فيهم يذكر الله ويذبح

قال جار الله في كتاب ربيع الأبرار، يقال: إنّ مَنْ لا تعلّم إلّا فنّاً واحداً من العلم ينبغي أن يسمّى خصيّ العلماء. حضرت الحطيئة الوفاة، فقيل له: أوْصِ للمساكين بشيءٍ من مالك، فقال: أوصَيْت لهم بطول المسألة، فإنها تجارة لن تبور. أتى بعض الزهّاد إلى تاجر ليشتري قميصاً، فقال له بعض الحاضرين: إنّه فلان الزّاهد فأرخص عليه، فغضب الزاهد وولّى عنهما، وقال: جئنا لنشتري بدراهمنا لا بأدياننا.

هلكت إبل أعرابيّ بأجمعها في يوم ففرح، وقال: إنّ موتاً تخطّاني إلى إبلي لعظيم النّعمة. قيل للبهلول: أتعدّ مجانين بلدك؟ قال: هذا شيء يطول ولكن أعدّ العقلاء. ضلّ لأعرابيّ بعير فحلف إنْ وجده أن يبيعه بدرهم واحد، فوجده فلم يحتمل قلبه أن يبيعه بذلك الثمن، فعمد إلى سنّور وعلّقه في عنقه وأخذ ينادي عليه: الجمل بدرهم والسنّور بخمسمائة، ولا أبيعهما إلّا معاً، فمرّ بعض الأعراب به وقال: ما أرخص الجمل لولا القلادة. قال في المحاضرات: ادّعى رجل على آخر طنبوراً عند بعض القضاة، فأنكر المدّعى عليه وتوجّه اليمين عليه، فقال القاضي: قل إن كانت الطنبور عندي، فأيري في حرّ أُخته، فقال: وأي يمين هذه؟ فقال القاضي: هذه يمين الدعوى إذا كانت طنبوراً.

قال بعض الخلفاء لبعض الزهّاد: إنّك لعظيم الزّهد، فقال: إنّك أزهد منّي، قال: كيف ذلك؟ قال: لأنّك زهدت في نعيم دائم عظيم وزهدت أنا في نعيم الدنيا الحقير المنقطع. تسمّى المائة سنة من التاريخ حماراً وسمّي مروان الحمار لأنّه كان على رأس المائة من دولة بني أُميّة.

قيل للحسن البصري: هلاّ يصلّي، فإنّ أهل السوق قد صلّوا، فقال: أُولئك قوم إن نفقت سوقهم أخّروا الصلاة، وإن كسدت عجّلوها. كان بعضهم في أيّام صغره أشدّ منه ورعاً في أيّام كبره، وقد أنشأ في هذا المعنى يقول:

عصيت هوى نفسي صغيراً وعندما أتتني اللّيالي بالمشيب وبالكبر

أطعت الهوى عكس القضيّة ليتني ‏ ‏ ‏ ‏ خلقت كبيراً ثمّ عدت إلى الصغر

قال بعض الحكماء: حججت في بعض السنين، فبينما أنا أطوف بالبيت إذا أنا بأعرابي متوشّح بجلد غزال، وهو يقول:

أما تستحي يا ربّ أنّك خلقتني ‏ ‏ ‏ ‏ أُناجيك عرياناً وأنت كريم

قال: وحججت في العام القابل، فرأيت الأعرابي وعليه ثياب وحشم وغلمان، فقلت له: أنت الّذي رأيتك في العام الماضي وأنت تُنشد ذلك البيت؟ فقال: نعم خدعت كريماً فانخدع. شهد جماعة عند ابن شُبْرمة على فراخ نخل، فقال لهم: كم عددها؟ فقالوا: لا ندري، فردّ شهادتهم فقال واحد منهم: كم لك تقضي في هذا المسجد؟ فقال: ثلاثون سنة، قال: كم فيه أسطوانة؟ فخجل وقبل شهادتهم. وشهد عنده رجل فردّ شهادته وقال: بلغني أنّ جارية غنّت فقلت لها: أحسنت، فقال: قلت ذلك حين ابتدأت أو حين سكتت؟ فقال: حين سكتت، فقال: إنّما استحسنت سكوتها أيّها القاضي، فقَبِل شهادته.

كان سائل وخلفه ابن صغير فسمع الصغير امرأة تصيح خلف جنازة وتقول: يذهبون بك يا سيّدي إلى بيت ليس فيه وطاء ولا غطاء ولا غداء ولا عشاء، فقال: يا أبت إنّما يأخذونه إلى بيتنا. وجد بعض الأعراب رجلاً مع أُمّه فقتلها، فقيل له: هلاّ قتلت الرجل وتركت أُمّك؟ فقال: كنت أحتاج كلّ يوم أن أقتل رجلاً. قيل لأبي العينا: فما أشدّ عليك من ذهاب بصرك؟ فقال: قوم يبدأوني بالسلام كنت أحبّ أن أبدأهم، وربّما حدثت المعرض عنّي، فكنت أحبّ أن أعلم لأقطع كلامي عنه.

رمى المتوكّل عصفوراً فأخطأ، فقال وزيره ابن جهدون: أحسنت يا سيدي، فقال: أتهزأ بي! كيف أحسنت؟ قال: إلى العصفور. وقال يوماً لبعض الصبيان: في أيّ باب من أبواب النّحو أنت؟ فقال: في باب الفاعل والمفعول به، فقال: أنت في باب النيك إذن. وقالت له قينة: يا أعمى، فقال: ما أستعين على قُبْح وجهك بشيء أنفع منه.

كان الجاحظ قبيح الصورة جدّاً، حتّى قال الشاعر:

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ‏ ‏ ‏ ‏ ما كان إلّا دون قبح الجاحظ

قال يوماً لتلامذته: ما أخجلني إلّا امرأة أتت بي إلى صائغ، فقالت: مثل هذا، فبقيت حائراً في كلامها فلمّا ذهبت سألت الصائغ، فقال: استعملتني لأصوغ لها

صورة جنّي، فقلت: لا أدري كيف صورته، فأتَتْ بك. من كلامهم: إذا علم الثقيل أنّه ثقيل فليس بثقيل. قيل لأعرابيّ: ما تسمّون المرق؟ قال: السخين، قيل: فإذا برد؟ قال: نحن لا نتركه يبرد.

قيل لأعرابي على مائدة بعض الخلفاء وقد حضر فالوذج وهو يأكل منه: يا هذا إنّه لم يشبع منه أحد إلّا مات، فأمسك يده ساعةً ثمّ ضرب بالخمس، وقال: استوصوا بعيالي خيراً. حكى الأصمعي قال: نزلت في بعض الأخباء فنظرت إلى قطع من القديد منظومة في خيط، فأخذت في أكلها، فلمّا استوفيتها أتت المرأة صاحبة الخباء وقالت: أين ما كان في الخيط؟ فقلت: أكلته، فقالت: ليس هذا ممّا يؤكل، فإنّي أخفض الجواري، وكلّما خفضت جارية علقت خفضتها في هذا الخيط.

قال أعرابيّ لآخر: أقرضني عِشرين درهماً وأجّلني شهراً، فقال: أمّا الدراهم فليست عندي، وأمّا الأجل فقد أجّلتك سنة. كان رجل جار الفيروز الديلمي، فأراد بيع داره لدين ركبه فلمّا سامها وأخبر المشتري بالثمن، قال البائع: هذا ثمن الدار، فأين ثمن الجوار؟ فقال: فهل يباع الجوار؟ فقال: نعم جوار فيروز يُباع بأضعاف ثمن الدار، فلمّا بلغه ذلك بعث إليه بأضعاف ثمنها، وقال له: بِعْها على نفسك، بُورك لك فيها.

قال المنصور لبعض الخوارج وقد أُتي به أسيراً أي أصحابي أشدّ إقداماً في الحرب؟ فقال إنّي لا أعرفهم بوجوههم فإنّي لم أر في الحرب إلا قفاهم. سأل شقيق البلخي رجلاً كيف يفعل فقراؤكم؟ قالوا إن وجدوا أكلوا وإن فقدوا صبروا. قال كلّ كلاب بلخ كان هكذا، قال فأنتم؟ قال إن وجدنا آثرنا وإن فقدنا شكرنا. وقال يحيى بن معاذ من أكل حتّى شبع عوقب بثلاث: أُلقي الغطاء على قلبه والنعاس على عينيه والكسل على بدنه.

أكل رجل من العرب عند معاوية فرأى على لقمته شعرة فقال خذ الشعرة من لقمتك فقال وأنت كنت تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة لا والله لا واكلتك بعدها أبداً وأكل آخر مع معاوية وجعل يمزق جدياً على الخوان تمزيقاً عنيفاً ويأكله أكلاً ذريعاً فقال له معاوية إنّك لحرد عليه كانّ أمّه نطحتك، فقال وإنّك لشفيق عليه كأنّ أمّه أرضعتك. قيل لفيثاغورس: ما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر ممّا يأتي الأغنياء أبواب العلماء فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى وجهل الأغنياء بفضل العلم.

طول عائد عند مريض؛ فقال له ما تشتكي، فقال له طول جلوسك. في بعض التواريخ أنّ بعض الأعراب في البادية أصابه حمى في أيّام القيظ فأتى الأبطح وقت الهاجرة فتعرى في شديد الحرّ وطلا بدنه بزيت وجعل يتقلّب في الشمس على الحصا ويقول سوف تعلمين يا حمى ما نزل بك وبمن ابتليت عدلت عن الأمراء وأهل التزين ونزلت بي وما زال يتمرغ حتّى عرق وذهبت حماه وقام. فسمع في اليوم الثاني قائلاً: قد حمّ الأمير بالأمس فقال الأعرابي: أنا والله بعثتها إليه ثمّ ولّى هارباً. عرض على أبي مسلم فرس جواد فقال لمن بحضرته لماذا يصلح هذا الفرس فقالوا للغزو فقال: إنّما يصلح لأن يركبه الإنسان ويفر من جار السوء. لبعضهم:

لو ضرط الموسر في مجلس	قالوا له يرحمك الله
لو عطس المفلس في مجلس	سبّ وقالوا فيه ما ساه
فمضرط المفلس عرنينه	ومعطس الموسر نعساه

قال الراغب في المحاضرات إنّ بقزوين قرية أهلها متناهون في التشيّع فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال: عمر، فضربوه ضرباً شديداً فقال: ليس اسمي عمر فتضربونني بل عمران، فقالوا: هذه أشدّ من الأول فإنّه عمر وفيه حرفان من اسم عثمان فهو أحق بالضرب.

قال بعض الأعراب لابن عبّاس: من يحاسب الناس يوم القيامة؟ فقال يحاسبهم الله تعالى فقال الأعرابي: نجونا إذن وربّ الكعبة، فقيل: وكيف؟ قال: لأن الكريم لا يدقق في الحساب. كان بعضهم يقول: اللّهم احفظني من صديقي، فقيل له في ذلك فقال: لأنّي أتحرّز من العدو ولا أقدر أتحرز من الصديق. قدّم قوم غريمهم إلى الوالي وادّعوا عليه بألف دينار فقال الوالي: ماذا تقول فقال: صدقوا فيما ادّعوا لكنّي أسألهم أن يمهلوني لأبيع عقاري وإبلي وغنمي ثمَّ أُوفيهم، فقالوا: أيها الوالي ليس عنده ممّا يقول، فقال: قد سمعت شهادتهم بإفلاسي فكيف يطالبونني، فأمر بإطلاقه.

كان في بغداد رجل قد علته ديون كثيرة وهو مفلس فأمر القاضي أن لا يقرضه أحد شيئاً ومن أقرضه فليصبر عليه ولا يطالبه بدينه، وأمر بأن يركب على بغل ويطاف به في المجامع ليعرفه الناس ويحترزوا من معاملته، فطافوا به في البلد ثمَّ جاؤوا به إلى باب داره، فلمّا نزل عن البغل قال له صاحب البغل أعطني أجرة بغلي، فقال: وفي أيّ شيء كنّا من الصباح إلى هذا الوقت يا أحمق. وقف أعرابي على قبر

هشام بن عبد الملك وإذا بعض خدامه يبكي على قبره ويقول ما لقينا بعدك، فقال الأعرابي أما إنّه لو نطق لأخبرك أنّه لقي أشد ممّا لقيتم.

شعر

لا أشتكي زمني هذا فأظلمه وإنّما أشتكي من أهل هذا الزمن
هم الذباب التي تحت الثياب فلا يكن إلى أحد منهم بمؤتمن
قد كان لي كنز صبر فافتقرت إلى إنفاقه في مداراتي لهم ففني

قال أبو حنيفة: لمؤمن الطاق: مات إمامك، يعني جعفراً الصادق عليه السلام. فقال له مؤمن الطاق: لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم. فضحك المهدي وأمر لمؤمن الطاق بعشرة آلاف درهم. قال في الكشكول قد صمم العزيمة بهاء الدين العاملي على أن يبني مكاناً في النجف الأشرف لمحافظة نعال زوار ذلك الحرم الأقدس، وأن يكتب على ذلك المكان هذين البيتين اللذين سنحا بالخاطر الفاتر وهما:

هذا الأفق المبين قد لاح لديك فاسجد متذللاً وعفّر خديك
ذا طور سينين (سيناء) فاغضض الطرف به هذا حرم العزة فاخلع نعليك

قال شيخنا البهائي رحمه الله لما تشكى طول الإقامة في قزوين مع الأردو:

قد اجتمعت كل الفلاكات في الأردو فقوموا بنا نغدو فقوموا بنا نغدو
فمختلطات الهمّ فيه كثيرة فليس لها رسم وليس لها حد
وأشكال آمالي أراها عقيمة ومعكوسة فيها قضاياي يا سعد
فقم نرتحل عنهم فلا عدل فيهم ولكن لديهم عجمة ما لها حد
فمن قلّة التمييز حالي سيىء وفعلي معتلّ وهمّي ممتد
كأنّ على الأبصار منهم غشاوة فمن بين أيديهم ومن خلفهم سد

قال رجل لحكيم: ما بال الرجل الثقيل أثقل على الطبع من الحمل الثقيل فقال: لأنّ الحمل الثقيل يشارك الروح الجسد في حمله والرجل الثقيل تنفرد الروح بحمله. كتب بعض الحكماء على باب داره :لا يدخل داري شرّ فقال له بعض الحكماء: فمن أين تدخل امرأتك؟ قال بعض الحكماء: المرأة كلّها شرّ وشر ما فيها أنّه لا بد منها. كان لابن الجوزي امرأة كانت تسمّى نسيم الصبا فطلّقها، ثمّ ندم على ما كان

منه فحضرت يوماً مجلس وعظه فعرفها، واتّفق أن جلس امرأتان أمامها وحجباها عنه فأنشد مشيراً إلى تينك المرأتين:

أيا جبلي نعمان بالله خلّيا نسيم الصبا يخلص إليَّ نسيمها

ممّا ينسب إلى ليلى:

باح مجنون عامر بهواه وكتمت الهوى فبحت بوجدي

وقالت أيضاً:

باح مجنون عامر بهواه وكتمت الهوى فمتّ بوجدي
فإذا كانت القيامة نودي من قتيل الهوى تقدّمت وحدي

قيل لأشعب الطماع: قد صرت شيخاً كبيراً وبلغت هذا المبلغ ولا تحفظ من الحديث شيئاً، فقال: بلى والله ما سمع أحد عن عكرمة ما سمعت، قالوا: فحدّثنا قال: سمعت عكرمة يحدث عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ قال خلّتان لا تجتمعان إلّا في مؤمن نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأُخرى. شعر:

إنّ القلوب بحار في مودّتها فاسأل فؤادك عنّي فهو يكفيني
لا أسأل الناس عمّا في ضمائرهم ما في ضميري لهم من ذاك يغنيني

كتب بعض الأدباء إلى القاضي ابن قريعة: ما يقول القاضي أيّده الله تعالى في رجل سمّى ابنه مداماً وكنّاه أبا الندامى، وسمّى ابنته الراح، وكنّاها أُم الأفراح وسمّى عبده الشراب، ووليدته القهوة وكنّاها أمّ النشوة، أينهى عن بطالته أم يترك على خلاعته ؟ فكتب في الجواب لو لُفت هذا لأبي حنيفة لأقعده خليفة ولعقد له راية وقاتل تحتها من خالف رايه ولو علمنا مكانه مسحنا أركانه فإن أتبع هذه الأسماء أفعالاً وهذه الكنى استعمالاً علمنا أنه قد أحيا دولة المجون، وأقام لواء البزرحون فبايعناه وشايعناه وإن لم يكن إلا أسماء سمّاها ما له بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن إلى إمام فعّال أحوج منّا إلى إمام قوّال.

وقال الحسن عليه السلام لمولانا علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أما ترى حب الناس للدنيا قال: هم أولادها أفيلام المرء على حب والدته. قيل لحكيم: ما مثل الدنيا؟ قال هي أقل من أن يكون لها مثل. أراد بعض الأعراب السفر في أول السنة فقال: إن سافرت في المحرم كنت جديراً أن أُحرم، وإن أُسافر في صفر خشيت على

يدي تصفر، فأخّر السفر إلى شهر ربيع فلمّا سافر مرض ولم يحظ بطائل فقال: ظننته من ربيع الرياض فإذا هو من ربيع الأمراض.

قيل للحسن: يا أبا سعيد أما رويت عن النبي ﷺ أنّه لا يزداد الزمان إلّا شدّة فما بال زمان عمر بن عبد العزيز؟ قال لا بدّ للناس من تنفيس. صدع ملك فأمر الطبيب أن يضع قدميه في الماء الحار، فقال خصيّ عنده أين الرأس من القدم؟ فقال أين وجهك من بيضتيك نزعتا فذهبت لحيتك. قال رجل دخلت سقاية بالكرخ فتوضأت فلمّا خرجت تعلّق السقاء بي فقال: هات القيمة، فضرطت ضرطة وقلت: خلّ الآن سبيلي فقد نقضت وضوئي، فضحك وخلّاني. ولما أخذ محمّد بن سليمان صالح بن عبد القدوس ليوجه به إلى المهدي قال له أطلقني حتّى أفكر لك فيولد لك ولد ذكر ولم يكن لمحمّد بن سليمان غير بنت واحدة، قال: بل اصنع ما هو أنفع لك فكر حتّى تفلت من يدي.

حمل بعض الصوفية طعاماً إلى طحان ليطحنه فقال: أنا مشغول، فقال: اطحنه وإلاّ دعوت عليك وعلى حمارك ورحاك؛ قال فأنت مجاب الدعوة؟ قال: نعم. قال فادع الله عزّ وجلّ أن يصيّر حنطتك دقيقاً فهو أنفع لك وأسلم لدينك. دخل الشعبي الحمّام وفيه رجل مكشف، فغمض عينيه، فقال له الرجل: يا شيخ متى ذهبت عيناك؟ قال: مذ هتك الله سترك. اعترض رجل المأمون فقال يا أمير المؤمنين أنا رجل من العرب، قال: ما ذاك بعجب قال: وإنّي أريد الحج، قال الطريق أمامك نهج، قال: وليست لي نفقة، قال: سقط عنك الفرض، قال: إنّي جئتك مستجدياً لا مستفتياً، فضحك وأمر له بصلة.

قال الأصمعي مررت بكنّاس يكنس كنيفاً بالبصرة وهو ينشد:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له أمّا سداد الكنيف فأنت مليّ به، وأمّا الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه. وكنت حديث السنّ وأردت العبث به فأعرض عنّي ملياً ثمّ أقبل عليّ فأنشد متمثّلاً:

وأكرم نفسي إنّني إن أهنتها ... وحقّك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت له والله ما يكون من الهوان شيء أكثر ممّا بذلتها له فأيّ شيء أكرمتها فقال: بلى والله إنّ من الهوان لما هو شرّ ممّا أنا فيه فقلت: وما هو؟ قال: الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس.

قدم رجل عجوزاً دلالة إلى القاضي، فقال أصلح الله القاضي زوّجتني هذه المرأة فلمّا دخلت بها وجدتها عرجاء، فقالت: أعزّ الله القاضي زوّجته امرأة يجامعها أم زوجته حمارة يحجّ عليها. قيل لامرأة ظريفة أبكر أنت قالت أعوذ بالله من الكساد.

قال أبو العينا: خطبت امرأة فاستقبحتني، فكتبت إليها:

فإن تنفري من قبح وجهي فإنّني أديب أريب لا عييّ ولا فدم

فأجابت ليس لديوان الرسائل أريدك. خرجت حبّى المدنية في جوف الليل فلقيها إنسان فقال لها: أتخرجين في هذا الوقت، قالت ولا أُبالي إن لقيني شيطان فأنا في طاعته أو لقيني رجل فأنا في طلبه. غاب رجل عن امرأته فبلغها أنّه اشترى جارية فاشترت غلامين، فبلغ الخبر زوجها فجاء مبادراً لها ما هذا؟ فقالت أما علمت أنّ الرحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رحوين؟ بع الجارية حتّى أبيع الغلامين، ففعل ذلك.

دخل أبو يونس فقيه مصر على بعض الخلفاء، فقال له ما تقول في رجل اشترى شاة فضرطت فوثبت من استها بعرة ففقأت عين رجل على من الدية؟ قال: على البائع. قال: ولم؟ قال لأنّه باع شاة في استها منجنيق فلم يبرىء من العهدة. غضب سعيد بن وهب يوماً على غلام له فأمر به فبطح وكشف عنه الثوب ليضربه فقال: يابن الفاعلة إنّما غرتك استك هذه حتّى اجترأت عليَّ هذه الجرأة، وسأريك هوانها عليّ فقال الغلام: طالما غرتك هذه الاست حتّى اجترأت على الله وسوف ترى هوانك. قال سعيد فورد عليّ من جوابه ما حيّرني وأسقط السوط من يدي.

سأل أعرابي عبد الملك فقال سل الله تعالى، فقال الأعرابي: قد سألته فأحالني عليك، فضحك وأعطاه. دخل أعرابي المخرج فخرج منه صوت، فجعل فتيان حضروه يضحكون منه، فخرج فقال: يا فتيان هل سمعتم شيئاً في غير موضعه؟ قال ابن أبي البغل لرجل: ولد لي مولود فما أُسميه قال: لا تخرج من الإصطبل وسمّه ما شئت. دخل كلب مسجداً خراباً فبال على المحراب وفي المسجد قرد نائم فقال للكلب: أما تخاف الله تبول في المحراب؟ فقال الكلب ما أحسن ما خلقك الله حتّى تتعصّب له. وقالوا إنّ جدياً وقف على سطح يشتم ذئباً في الأرض، فقال له الذئب لست الّذي تشتمني ولكن مكانك يفعل ذلك.

عدا كلب خلف ظبي فقال الظبي: إنّك لا تلحقني، قال: لِمَ؟ قال: لأنّي أعدو

لنفسي وأنت تعدو لغيرك. وقف مطيع بن إياس على رجل يعرف بأبي العمير من أصحاب المعلى الخادم، فجعل يعبث به ويمازحه إلى أن قال له:

ألا أبـلـغ لـديـك أبـا الـعـمـيـر أرانـي الله فـي إسـتـك نـصـف أيـري

فقال له أبو العمير يا أبا سلمى لو جدت بالأير كلّه لأحد جدت لي به لما بيننا من الصداقة لكنّك لحبك له لا تريده كلّه إلّا لك، فأفحمه ولم يعاود العبث به وكان مطيع يرمى بالأُبنة. جلس بعض الأعراب يبول وسط الطريق بالبصرة، فقيل له: يا أعرابي أتبول في طريق المسلمين، فقال: وأنا من المسلمين بلت في حقّي من الطريق.

قال أبو زيد النحويّ مرّ رجل من قيس ومعه ابن له يريد الجمعة وأبو علقمة المعتوه على باب المسجد جالس، فقال الغلام لأبيه أكلّم أبا علقمة، قال: لا فأعاد عليه الكلام ثلاثاً، فقال له أبوه أنت أعلم، فقال له الغلام يا أبا علقمة ما بال لحى قيس قليلة خفيفة المؤونة ولحى اليمن كثيرة عريضة شديدة المؤونة؟ قال من قول الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]؛ مثل لحية أبيك، قال فجذب القيسي يده من يد ابنه ودخل في غمار الناس حياء وخجلاً. سأل رجل رجلاً ما اسمك؟ قال: بحر قال: أبو من؟ قال: أبو الفيض، قال: ابن من قال: ابن الفرات، قال: ما ينبغي لصديقك أن يزورك إلّا في زورق. ونظيره أنّ رجلاً سأل شاباً ما اسم أبيك؟ قال: عمر، فقال: ما اسم أمّك؟ قال عائشة، قال: ما اسم عمّك؟ قال: عثمان، ثمّ قال له: ما اسمك أنت؟ فقال رجل من الحاضرين: اسمه شمر، فضحك الحاضرون، وكنت أنا شاهدت ذلك الشاب في العراق وقد كانوا أهل بيت عظيم، وكانوا من أهل السنة فتشيّعوا كلّهم وبقيت عليهم تلك الأسماء.

قدم عبد الله بن علي بعض الأمويين للقتل وجرّد السيف لقتله فضرط الأموي فانزعج السياف فألقى السيف من يده، فضحك عبد الله بن عليّ وأمر بتخلية سبيل الأمويّ، فقال هذا أيضاً من الإدبار كنّا ندفع الموت بأسيافنا ونحن الآن ندفعه بأستاهنا. دخل اللصوص على رجل فقير ليس في بيته شيء وجعلوا يطلبون ويفتشون، فانتبه الرجل فقال يا فتيان هذا الّذي تطلبونه بالليل قد طلبناه بالنهار فلم نجده. دخل لص دار قوم فلم يجد فيها شيئاً إلّا دواة فكتب على الحائط عزّ عليّ فقركم وعنائي كان أبو الشمقمق أديباً شاعراً ظريفاً وكان فقيراً حتّى إنّه لم يجد ما

يلبس وكان يجلس بالبيت فأتاه رجل فقال له: يا أخي إنّ العارين في الدنيا أهل الثياب في الآخرة، قال إن كان الّذي تقول حقّاً لأكونن بزازاً يوم القيامة.

نظر ابن سمانة إلى مبارك التركي على دابة، فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا رب هذا حمار له فرس وأنا إنسان وليس لي حمار. سأل بعض المغاربة الجراوي الشاعر أيّ بروج السماء لك؟ فقال وا عجباً منك ما لي بيت في الأرض فكيف يكون لي برج في السماء فضحك وأمر له بدار. لقيت امرأة من الأزد المهلب وقد قدم من الحرب، فقالت أيّها الأمير إنّي نذرت إن وافيت سالماً أن أُقبل يدك، وأصوم يوماً، وتهب لي جارية سندية وثلاثمائة درهم، فضحك المهلب وقال: وفينا بنذرك فلا تعاودي مثله فليس كلّ أحد يفي لك به.

سافر أعرابي فرجع خائباً فقال: ما ربحنا من سفرنا إلّا ما قصرنا من صلاتنا. خرج رجلان من خراسان إلى بغداد في متجر لهما فمرض أحدهما وعزم الآخر على الرجوع، فقال لصاحبه ما أقول لمن يسألني عنك؟ قال قل لهم لما دخل بغداد اشتكى رأسه وأضراسه ووجد خشونة في صدره وغرراً في طحاله، وخفقاناً في فؤاده، وضرباناً في كبده، وورماً في ركبتيه، ورعشة في ساقيه، وضعفاً عن القيام على رجليه، فقال بلغني أنّ الإيجاز في كل شيء ممّا يستحبّ فأنا أكره أن أُطول عليهم لكنّي أقول لهم قد مات.

نظر زياد إلى رجل على مائدته قبيح الوجه يذرع في الأكل، فقال له: كم عيالك قال تسع بنات، قال: فأين هنّ منك؟ قال: أنا أجمل منهنّ وهن آكل منّي قال: ما أحسن ما سألت وفرض لهنّ فرضاً كان سبب غناه. سأل أبو العينا أحمد بن صالح حاجة فوعده ثمّ اقتضاه إياها فقال: حال دونها هذا المطر والوحل، قال: فحاجتي صيفية. وقف سائل على باب فقال: يا أهل الدار فبادر صاحب الدار قبل أن يتمّ السائل كلامه فقال: صنع الله لك فقال السائل: يابن البظراء كنت تصبر حتّى تسمع كلامي عسى جئت أدعوك إلى دعوة. وقف سائل على باب قوم فقال: تصدّقوا عليّ فإني جائع، قالوا: لم نخبز بعد قال: فكف سويق؟ قالوا ما اشترينا بعد، قال فشربة ماء فإنّي عطشان، قال: ما أتانا السقاء بعد، قال: فيسير دهن أضعه على رأسي، قالوا ومن أين الدهن؟ قال: يا أولاد الزنا ما قعودكم هٰهنا قوموا واسألوا معي.

وقف أعرابيّ على قوم يسألهم فقال أحدهم بورك فيك، وقال آخر ما أكثر السؤّال فقال الأعرابي: ترانا أكثر من بورك فيك والله لقد علمكم الله كلمة ما تبالون

معها ولو كنّا مثل ربيعة ومضر. كان لمزيد غلام وكان إذا بعثه في حاجة قد جعل بينه وبينه علامة إذا رجع سأله فقال: حنطة أو شعير، فإن كان عاد بقضاء الحاجة قال: حنطة وإن لم تقض الحاجة قال: شعير، فبعثه يوماً في حاجة فلمّا انصرف قال له: حنطة أو شعير؟ قال: خراء قال: ويلك، وكيف ذاك قال: لأنهم لم يقضوا الحاجة وضربوني وشتموك.

قال مطيع بن إياس: عبرت جسر بغداد على بغلتي فاعترضني رجل أعمى وظنني من الجند فقال: اللّهمّ سخّر الخليفة أن يعطي الجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة فتربح التجار عليهم فتكثر أموالهم فتجب فيها الزكاة عليهم فيتصدقوا عليّ منها، فقلت له يا أعمى سل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك وبينه هذه الحوالات. ونظير هذا أنّ سائلاً في أصفهان أتى إلى دار رجل غني فسأل شيئاً، فنادى صاحب البيت لعبده وقال: يا جوهر قل لقنبر وقنبر يقل لبلال وبلال يقل لعنبر وعنبر يقل لهذا السائل يرزقك الله، فلمّا سمع السائل رفع يديه إلى السماء وقال: إلهي قل لجبرائيل يقل لميكائيل وميكائيل يقول (يقل خ) لإسرافيل وإسرافيل يقول: (يقل خ) لعزرائيل حتّى يقبض روح هذا البخيل وانصرف.

حدّث الأصمعي عن يونس قال: صرت إلى حيّ بني يربوع فلم أجد إلّا النساء وأضرّ بي الجوع فقلت: هل لكن في الصلاة؟ قلن أيم الله إنّ لنا فيها رغبة، فأذنت وتقدّمت وكبرت وقرأت الحمد لله رب العالمين، ثم قلت يا أيّها الّذين آمنوا إذا نزل بكم الضيف فلتقم ربّة البيت فتملأ قعباً زبداً وقعباً تمراً فإنّ ذلك خير وأعظم أجراً، قال: فوالله ما فرغت من صلاتي وانقلبت إلّا وصحاف القوم حولي فأكلت حتّى شبعت فجاء رجال الحي فسمعت امرأة وهي تقول لزوجها: يا فلان ما سمعت قرآناً مثل الّذي قرأه ضيفنا اليوم، فقال لها زوجها: تبارك ربّنا إنّه ليأمرنا بمكارم.

وقد خرج بعض السلاطين بكرة من منزله فلمّا بلغ إلى رأس الطريق عثرت به الفرس فوقع إلى الأرض فلمّا ركب رأى في رأس الطريق رجلاً فقال السلطان: هذا رجل نحس مشؤوم لمّا رأيته عثرت بي الفرس فاذهبوا اضربوا عنقه. فلمّا سمع الرجل ذلك قال: أنت قاتلني ولكن لي كلمة أقولها، قال له: قل، قال أحلفك وأُقسم عليك: أي الرجلين أنحس وأشأم أنا أم أنت رأيتني عثرت بك الفرس وقمت سالماً وأنا رأيتك حصل لي القتل من رؤياك، فأيّنا أنحس على صاحبه، فضحك

السلطان فأمر له بجائزة كبيرة. قد تعارف بين الناس وفي الطبّ أنّ الرجل إذا عظم منخره كبر ذكره، والمرأة إذا اتسع فمها اتّسع فرجها.

وقد أعطى بعض السلاطين لرجل من أصحابه جارية بيضاء فاتّفق أنّها كانت واسعة الفم وأخيه، فبقيت عند ذلك الرجل مدّة فزعمت في نفسها أنّ الرجل لم يشعر باتّساع الموضعين، فقالت له يوماً أيّها الرجل هلمّ إلى أن تعدّ عيوبي وأعد عيوبك،فقال: ليس فيك عيب لأنّك من جواري السلطان فقالت لا بدّ من هذا فأخذت في تعداد عيوبه فلمّا فرغت قالت: عدّ أنت، فقال: فمك واسع قولي اثنان فعلمت أنّه علم وانقطعت عن الكلام وهذا الرجل قد كان راكباً مع السلطان وهو الشاه عبّاس الأوّل واسم ذلك الرجل كان عناية وهو مضحكته، فلمّا بلغا إلى طريق بين المنازل رأوا كلباً وثب من سطح بيت إلى سطح بيت آخر وفي أثناء طفرته ضرط ذلك الكلب فقال السلطان لذلك الرجل هذه الضرطة أهي لصاحب هذا البيت أم صاحب هذا البيت؟ فقال: أعز الله السلطان هذه الضرطة وقعت في الهوى وكلّ شيء هوائي فهو للسلطان لا لهذا ولا لهذا فضحك السلطان كثيراً.

وقد دخل يوماً على ذلك السلطان وهو في بستانه يحرث ويزرع داخل البيت؛ فقال له: يا مولاي ما تزرع هذا اليوم في هذا البستان المبارك؟ فقال أيورة الحمير؛ فقال: يا مولاي لا ترفع صوتك أخاف أن يكون الحرمات يسمعن هذا الكلام فيقلعنه قبل أن يخضر ويخرج من الأرض.

وقد كان في بلاد العراق في أرض الجزائر رجل فقير وقد كان سعى وكسب بأنواع الكسب حتّى وقع بيده مائتا درهم تقريباً فتزوّج بها امرأة وبقيت عنده أيّاماً، فماتت فبكى عليها وصاح وكان يقول: واي بمن وضعت مالي كلّه فيها وكان الحاضرون يضحكون من كلامه وهو يقصد الدراهم. ولمّا ماتت امرأة رجل بحراني أتى إلى رجليها وجلس عندهما فبكى فقيل له: إنّها امرأة ماتت وسيجيء غيرها، فقال بلسان البحرين :إنّها أمّ بكسر الهمزة لا زوجة فقالوا له لم لا تجلس عند رأسها؟ فقال: إنّي ما رأيت الخير إلّا في رجليها.

وقد كان رجل بحراني نائماً فوق مرتفع فسقط من ذلك المرتفع إلى الأرض ليلاً وقد كانت زوجته في الأرض فقالت ما هذه الطقة؟ قال: عباتي وقعت من فوق فقالت: وقعتها ثقيلة على الأرض؟ قال: أنا فيها. وكان أيضاً رجل قد قال لامرأته: تعالي نروح إلى بيت أبيك وقد كان بين المنزلين فرسخ أو نحوه فقال له زوجته: ربّما

لقينا قاطع طريق فكيف نقاومه؟ فقال لها: أضربه بعصاي هذه حتّى أقتله، فمضيا فلمّا توسط الطريق فإذا بفتى من أهل البصرة وخلفه عنزة تمشي فلمّا رأى تلك المرأة أعجبته فقال لزوجها بخشونة من الكلام: تعال اقبض هذه العنزة، فقال: حبّاً وكرامة فأخذ البصري تلك المرأة إلى مكان قريب من زوجها وفعل بها ما فعل فلمّا فرغ ناداه هات العنزة وخذ امرأتك فأخذ الرجل عنزته ومضى؛ فقالت المرأة لزوجها: ألم تقل إني أضرب قاطع الطريق بعصاي فأين عصاك هذا الوقت؟ فقال لها: إنّ هذا البصري ما ربح علي بل أنا الذي غلبته، قالت: وكيف غلبته؟ فقال هو كان معك وأنا كنت أنيك العنزة حتّى قطعت سفلها من النيك، أما سمعتها تمعمع؟ فقالت: نعم سمعتها، فقال وأيضاً تبعته وقلت له كلمة أحرقت بها قلبه، فقالت كيف قلت له قال: قلت له: أيّها الرجل حصّل تلك كساً تأتي إليها كلّ وقت فإنّ كساسة النّاس ما تتهيأ لك كلّ وقت، فحرقت كبده في هذه الكلمَة.

وقد تمتّع رجل بحراني امرأة عجميّة فلمّا أصبح سأله بعض إخوانه كيف وجدتها فقال: وجدت فيها خصلتين من خصال الجنّة وهما البرد والسعة يعني: إنّها باردة وواسعة. وكان رجل منهم في البصرة فلقيه رجل من أهلها وبيده حيّة عظيمة، فقال لذلك البحراني أقسم عليك بحبّ أبي بكر الصديق إلّا ما لزمت هذه الحيّة فقال: انظر في أيّ شيء تحلفني وأي شيء تقبضني؟ لأنّ أهل البحرين كلّهم مثل أهل الجزائر في كونهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حتّى إنّه حكى لي رجل ثقة فقال إنّ بحرانياً وضع في القبر فسأله الملكان عن ربّه وعن نبيّه فقال الله ربّي ومحمّد نبيّي، فسأله عن إمامه فقال: أنا من أهل البحرين يعني لا أحتاج إلى السؤال عنه.

وقد سمعت من جماعة من الثقات أن قافلة من أهل البحرين سافروا إلى زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا فرغوا وخرجوا إلى قريب من بلد الحلّة كان بينهم رجل لا يخلو من قلّة العقل فقالوا له: يابا حميد أعطاك الإمام براءة مكتوبة؟ فقال لا فقالوا له: إذن لم يقبل زيارتك فها نحن كلّنا أعطانا براءات بقبول الزيارة، فقال لهم انتظروني هنا ثمّ رجع فأتى إلى الروضة الطاهرة واستقبل القبر وبكى وقال: يا مولاي ما التقصير الّذي وقع منّي حتّى لم تعطني براءة مثل أصحابي، فخرجت إليه براءة من المحجر الشريف مكتوب فيها أبو حميد عتيق من النار كتبه عليّ بن أبي طالب، فرجع إلى أصحابه مسروراً فلمّا رأوها تبرّكوا بها وقيل لي: إنّها إلى الآن موجودة عند أولاده وذراريه.

وقد جاء جماعة منهم إلى البصرة فلمّا دخلوا شطّ البصرة أراد واحد من أهلها أن يعبث بهم، فقال لهم كيف أحوال مخنثي البحرين أهم قليلون أم كثيرون؟ فقام إليه رجل منهم فقال: نعم قد قلّوا وأرسلونا نملأ هذه السفينة من مخنّثي البصرة ونرسلها إلى هناك. ونظير هذا أنّ شاباً حسن الصورة من أهل أصفهان كان جالساً في السوق وهو مغرور بحسنه وجماله ويعبث بكلّ من يمر به، فمرّت به فتاة جميلة فقال لها: أيّتها المرأة كيف يباع القبل والدبر عندكم؟ فقالت له: أمّا القبل فلا يباع بالموازين والمثاقيل وأما الدبر فأنت أعرف به منّي كيف يباع فانقطع من الكلام.

ونقل عن ابن الراوندي أنّه أتى يوماً إلى السوق فمرّ بدكّان يباع فيه الباقلا فرأى رجلاً غنيّاً اشترى باقلا وجلس يأكله فأكل لبّه ورمى قشوره، فقام من غير حمد لله تعالى ولا شكر، فرأى بعده رجلاً فقيراً جاء إلى تلك القشور فالتقطها من التراب وأكلها وحمد الله وشكره وقام، وابن الراوندي واقف ينظر إليه فلمّا قام أتى إلى ذلك الرجل وصفعه على رقبته وبالغ في ضربه وقال له ما طمع الله فينا ولا جرّأه علينا معاشر الفقراء إلّا أنت وأمثالك، لأنّه نظر إلى أنّكم تحمدونه على القشور والأغنياء ما يحمدونه على اللباب فعلم أنكم راضون بهذا.

ونقل عنه أيضاً أنّه كان جالساً تحت حائط وليس على رأسه قلنسوة فرفع يديه إلى السماء وطلب من الله سبحانه أن يرزقه قلنسوة فاتّفق أنّ وراء ذلك الجدار رجلاً كنّاساً كان يكنس كنيفاً وكان في تلك الكنيف قلنسوة خلق بين الفضلات، فأخذها ورماها بمسحاته فوقعت على رأس ابن الراوندي، فلمّا نظر إليها رأى ما عليها فأخذها ورمى بها في الهواء وقال هذه اجعلها على رأس جبرائيلك إن كان رأسه مكشوفاً بغير قلنسوة، هكذا كان حاله مع الله تعالى.

وقد تمتّع رجل من أصحابنا امرأة وكان ذلك فقيراً فصار القرار على درهمين تقريباً، فجامعها تلك الليلة خمس مرّات فلمّا أصبح طالبته بالدرهمين ولم يكن عنده شيء، فألحّت عليه بحضور جماعة من المؤمنين فقالت: أيّها الناس إنّه جامعها خمس مرّات ولم يعطها شيئاً فقال لها يا حبّابة تعالي ثمّ إنّه نام ورفع أرجله وقال: تعالي جامعيني سبع مرّات، عوض الخمس مرّات، فقال الحاضرون الحقّ مع العالم.

وتمتّع رجل من أصحابنا امرأة في شيراز وأعطاها محمّديّة وكان الوقت حارّاً فصعدنا السطح وأمّا هو فغلق باب حجرته عليه وبقي مع المرأة، فلمّا قرب نصف

الليل فإذا صوت المرأة قد ارتفع وهي تقول: هلموا إليّ فقد قطع فرجها، فنزلنا إليهما فأتيت إليها وقلت: ما جرى عليك؟ فقالت إنّ الليل لم ينتصف وإنّه قاربني عشرين مرة وما صرت أطيق فهذه المحمّدية يأخذها ويعفيني من بقيّة الليل، فقلت له: يا فلان ما تقول في كلامها هذا فقال: إنّها كذّابة ما بلغت العشرين فلزمني من يدي وقال تعال، فأتيت معه فأدخلني الحجرة وإذا هو قد خطّ المرات خطوطاً في الجدار فعددتها وإذا هي ثمان عشرة فقال: انظر كيف كذبت عليّ، فقلت له: يا فلان أقسم عليك بالله ما كان في نظرك الشريف إلى وقت الصباح من مرة، فقال والله كان في خاطري أربعين مرة ليكون بإزاء كل نصف غازي مرة، ثمَّ إنّ المرأة أعطته المحمديّة وانهزمت نصف الليل.

وقد أراد بعض المؤمنين أن يتمتّع في أصفهان فقالت له عجوز دلاّلة: أنا أهديك على امرأة جميلة فأخذته إلى بيت امرأة فرأى امرأة تحت الأستار والحجب فظنّ بها القبول وقد كان أعطى الدراهم للعجوز وانصرفت فلمّا خلي معها ورفعت الحجب نظر إلى وجهها وإذا لها من العمر ما تجاوز التسعين ولا تتكلم إلّا بالدرادر لعدم الأسنان، ففكر في نفسه فانتهى فكره إلى أن قال لها يا حبّابة أريد شيئاً من الدهن فقامت وأحضرته عنده فكشف رأسه ودهنه دهناً جيّداً فقال لها: نامي على اسم الله تعالى حتّى نقضي الحاجة فنامت فقدّم رأسه فقالت: ما تصنع؟ فقال: قاعدة بلادنا أن يأتون النساء برؤوسهم، فقالت: خرب الله بلادكم وهذا شيء ما يكون، فقال: انظري كيف يكون فقامت من تحته وقالت: هذه دراهمك خذها لابارك الله لك فيها فلم يقبل حتّى ضاعفت له الدراهم أضعافاً كثيرة بالتماس كثير حتّى أخذها وخرج منها.

وواحد آخر أيضاً قد جرت عليه مثل هذه المقدّمة فلمّا خلا بها فرآها تزيد في العمر على عجائز بني إسرائيل قام وأخذ إبريقاً إلى الكنيف، فأخذ لفّافة عمامته وعصب بها ذكره حتى صار كالجاون الصغير فأقبل إليها وهو يتوجّع ويئنّ فانكشف لها، فقالت: ما هذه العصابة على ذكرك، فقال إنّ معي داء البشل والطبيب أمرني بأن أتمتّع امرأة عجوزاً وألفظ سمّ هذا الوجه فيها حتّى أبرأ، فصاحت من هذا الكلام وقالت: خذ دراهمك لا بارك الله لك فيها، فقال: هيهات هيهات لا أقبل هذا أبداً حتّى زادت على ما أعطاها زيادة وافرة فأخذها ومضى.

وقد جاء رجل إلى مجلس واحد من العلماء فسمع أنّ من جامع امرأته مرّة واحدة

كان ثوابه مثل ثواب من قتل كافراً فجاء إلى زوجته ونقل لها هذا الحديث ففرحت به؛ فلمّا جاء الليل قالت له: أما تقتل كافراً؟ قال: بلى فجامعها مرّة وناما، ثمّ أيقظته وقالت: اجلس نقتل كافراً فأتاها مرّة أُخرى فكررت عليه قتل الكفّار تلك الليلة حتّى انتصف الليل، فاستلقى الرجل على قفاه من الضعف فقالت: ذهب الليل فقم نقتل كافراً فقام إليها وقال: يا أيّتها المرأة إتّقي الله تعالى في دمي فإنّ سيف عليّ بن أبي طالب ذو الفقار لم يحط بقتل الكفار في مدّة ستّين سنة وتريديني أنا أقتل الكفّار كلّهم في ليلة واحدة.

وكان عند رجل من أهل البصرة هرّة مؤذية تسرق طعامهم وتفسد عليهم أمورهم وكلما أبعدوها عن منزلهم رجعت إليه، فوضعوها فوق لوح وقيّروا رجليها ويديها فوقها وأجروها على وجه الماء، فأخذها الماء فاتّفق أنّ حاكم البصرة كان في سفينة في الشط فرأى الهرة تصيح وسط الشط فأمر بها فأُتي بها إليه، فعرف أنّ صاحبها فعل بها هذا الفعل، فلمّا أتى بها إلى البصرة كتب كتابة ووضع فيها خاتمه مضمون الكتابة أنّ هذه الهرة لأجل خاطر الحاكم ينبغي أن يعفو صاحبها عن ذنبها ويجعلها في منزله، فعلّق الكتابة في عنقها وسيّبها فأتت إلى بيت صاحبها فرآها صاحبها والكاغذة في رقبتها معلّقة ففتحها وقرأها وإذا فيها حكم الحاكم وخاتمه في قبول الهرّة وأن صاحبها لا يخرجها من بيته وإن أخرجها أخرجه الحاكم من البصرة فلمّا قرأه جمع مفاتيح بيته وحملها مع الهرة إلى حضرة الحاكم فقال أيّها الأمير هذه مفاتيح منزلي فسلّمها إلى هذه الهرة وأنا أخرج من المنزل لأنّ هذه الهرة بدون حكم منكم وكاغذ كانت تخرب علينا وتفسد والآن حكمكم معلّق في عنقها لا نقدر على إضرارها ولا إبعادها، فضحك الأمير وخلاها.

ودخل اللص على دار رجل وكان البيت مظلماً فوجد في البيت شيئاً من الطحين وكان معه رداء ففرش رداءه ومضى إلى أن يأتي بالطحين ليضعه في الرداء، وكان صاحب المنزل يقظاناً فمدّ يده إلى رداء اللص وأخذه، فأتى اللص بالطحين وصبّه فوق الإزار يظنّ أنّ الإزار مطروح، فأراد رفع الإزار فلم يجده؛ فصاح به صاحب المنزل هذا لصّ؛ فقال اللص قد علم أيّنا السارق أنا أو أنت، فخرج اللص من غير رداء. وكان في العراق رجل مؤمن فقير وكان عنده حصير ينام عليه مع زوجته، فإذا أرادوا المواقعة ربّما تنجس ذلك الحصير فقال لامرأته: إذا أردنا ذلك الأمر إفرشي لنا القباء الخلق حتّى لا ينجس الحصير، فقالت: هكذا يكون فأتت إليه ذلك اليوم

من العصر؛ فقالت له: افرش القباء هذه الليلة؛ فقال: بلى فقضوا حاجتهم تلك الليلة فأتت إليه في اليوم الثاني واستأمرته في وضع القباء فأمرها فصارت كلّ يوم تبكر عليه في هذا الأمر؛ فكلّ ذلك المؤمن من كثرة المجامعة فأتت إليه يوماً تستأمره؛ فقام إليها وضربها، وقال لها: يا ملعونة أنا قلت لك إذا أردنا قضاء هذه الحاجة فافرشي لنا خلق القباء ولم أقل لك إفرشيه كلّ ليلة.

وقد غار جماعة من عساكر الروم على قبيلة من الأعراب فانهزمت أهل القبيلة وبقيت منهم امرأة عجوز في مكانها لعدم قوّتها على المسير فأتى إليها رجلان أو ثلاثة من عسكر الروم وقالوا لها أيّتها العجوز نجامعك مرات على عدد أضراسك وكانت قليلة الأضراس، فعدوا أضراسها وتناوبوا عليها حتّى فرغوا من ذلك الحساب، فلمّا ركبوا وأدبروا عنها نادت إليهم وقالت هذه الرحى من ضروسي خفيت عليكم وقت العدّ؛ فرجعوا إليها وجامعوها مرّة، فلمّا ركبوا وضعت أصبعها على ضرس وقالت: هذا ضرس مكسور تعدّيتم عنه، فرجعوا فكانت كلّما ركبوا تطالبهم بحساب رحىً أو سنّ أو ضرس إلى أن عجزوا عنها هاربين. وقيل للأعمش: لم عمشت عينك؟ فقال: من النظر إلى الثقلاء.

قال صاحب الأغاني إنّ رجلاً قال لجرير من أشعر الناس؟ قال قم حتّى أُعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء إلى أبيه عطيّة وقد أخذ عنزة فاعتقلها وجعل يمتصّ ضرعها؛ فصاح به أخرج يا أبه، فخرج شيخ دميم رثّ الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته، فقال: ترى هذا؟ قال: نعم، قال: أولا تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا أبي أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنزة قال: لا، قال: مخافة أن يسمع صوت الحلب أحد فيطلب منه، ثمَّ قال: أشعر الناس من فاخر بهذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم فغلبهم جميعاً.

ذكر أنّ الحجاج خرج يوماً متنزّهاً فلمّا فرغ من تنزّهه صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه، فإذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيّها الشيخ؟ قال: من هذه القرية قال: كيف ترون عمّالكم؟ قال: شرّ عمّال يظلمون الناس ويستحلّون أموالهم، قال: فكيف قولك في الحجاج؟ قال: ذلك ما ولي العراق أشرّ منه قبّحه الله تعالى وقبّح من استعمله قال: تعرف من أنا؟ قال: لا، قال: أنا الحجّاج، فقال له: أتعرف من أنا قال: لا، قال: أنا مجنون بني عجل أُصرع في كلّ يوم مرتين فضحك وأمر له بصلة.

دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميماً فقال له معاوية: إنّك لدميم والجميل خير من الدميم، وإنّك لشريك وما لله شريك؛ وإنّ أباك لأعور والصحيح خير من الأعور فكيف سدت قومك؟ فقال له: إنّك معاوية وما معاوية في اللغة إلّا كلبة عوت فاستعوت الكلاب، وإنّك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنّك لابن حرب والسلم خير من الحرب، وإنّك ابن أمّية فصغرت فكيف صرت علينا أمير المؤمنين ثمّ خرج من عنده وهو يقول:

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارم ومعي لساني

وقال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة؟ فقال: أجهل من قومي قومك الّذين قالوا لمّا دعاهم الرسول ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ولم يقولوا اللّهم إن كان هذا هو الحقّ فاهدنا إليه.

وخطب معاوية يوماً فقال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] فعلام تلومونني؟ فقال له الأحنف: ما نلومنّك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله من خزائنه وجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه.

حكي أنّ بعض الأكابر مرّ بامرأة من بعض أحياء العرب فقال لها: ممّن المرأة؟ فقالت: من بني فلان، فقال: أتكنون؟ فقالت: نعم نكتني، فقال لها معاذ الله ولو فعلته لاغتسلت؛ فأجابته على الفور وقالت: دع ذا أتحسن العروض؟ قال: نعم، قالت: قطع حوّلوا عنّا كنيستكم يا بني حمّالة الحطب، قال: حولوا عن فاعلات ناكني فاعلن، فقالت من الفاعل؟ فقال الله أكبر إنّ للباغي مصرعاً مرّ رجل بأبي بكر ومعه ثوب، فقال له أبو بكر: أتبيعه؟ فقال: لا يرحمك الله، فقال له أبو بكر: لو تستقيمون لقوّمت ألسنتكم هلاّ قلت ويرحمك الله. قال شيخنا البهائي تغمده الله برحمته: اعتراض أبي بكر غير وارد على ذلك الرجل لاحتمال أن يكون قصده من قوله لا يرحمك الله معناه الظاهر.

قال الأصمعي دخلت البادية معي كيس فأودعته امرأة منهم، فلمّا طلبته أنكرته فقدّمتها إلى شيخ من الأعراب فأقامت على إنكارها، فقال: ليس عليها إلّا يمين، فقلت: كأنّك لم تسمع قوله تعالى:

ولا تقبل لسارقة يمينا ولو حلفت بربّ العالمينا

فقال صدقت، ثمّ تهدّدها فأقرّت فردّت إليّ مالي، ثمَّ التفت إليّ الشيخ فقال: في أيّ سورة تلك الآية فقلت في سورة:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبغي خمور الأندرينا

فقال سبحان الله لقد كنت أظنّها في سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. قال الرشيد لمسكين سأله حاجة ما بال الملوك وعندهم الأطبّاء لا تطول أعمارهم؟ فقال المسكين: لأنّ الملوك يعطون رزقهم جملة فيأكلون وأرزاقنا تأتينا من خرت الإبرة فنأكلها شيئاً فشيئاً فنبقى حتّى نستوفيها، فعجب من جوابه وأعطاه عشرة آلاف درهم فما أتت عليه أيّام حتّى مات، فقال الرشيد: جمعنا له رزقه فمات.

جلس كسرى يوماً لمظالم العباد فتقدّم إليه رجل قصير وجعل يقول: أنا مظلوم فلم يلتفت إليه، فقال الوزير: أنصف الرجل فقال: إنّ القصير لا يظلمه أحد فقال: الّذي ظلمني أقصر منّي. قال حائك للأعمش ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟ قال: لا بأس بها على غير وضوء، قال وشهادته قال تقبل مع عدلين يشهدان معه. وقد كان رجل في أصفهان يقرأ في علم الحساب فدخل يوماً على الوزير الأعظم الّذي بيده الموقوفات يريد منه شيئاً من غلات الأوقاف فسأله الوزير في أيّ شيء تقرأ قال في بحث القسمة من خلاصة الحساب فأراد الوزير أن يعبث به فقال له: كيف تقسم مائة ضرطة على تسعين لحية، فقال الرجل: قسمتها أنّ الوزير سلّمه الله تعالى له العشر من كلّ شيء فإذا رفع العشر تصير القسمة ظاهرة فضحك الوزير هو والحاضرون.

ومضى رجل من أهل العراق إلى قرية في خراسان اسمها جام وهي قرية لملاّ جامي في حياة الملاّ المذكور، فلمّا أتى الرجل العراقي إلى مسجدها أخذ في الصلاة وشدّ الحنك، فلمّا رآه أهل تلك القرية مواظباً على الصلوات متلبساً الثياب البيض تركوا الصلاة مع الملا وأقبلوا إلى الصلاة خلف ذلك الرجل، فوبخهم الجامي وقال: هذا عربي جاهل كيف تصلّون خلفه، فعزموا أن يجمعوا بينهما للمباحثة، فاجتمع الناس فلمّا جلسوا قال العراقي للجامي ما معنى لا أعلم فقال معناه (نميدانم) فصاح العراقي وقال: اشهدوا أنّه قال: (نميدانم) وهذه اللفظة معناها لا أعلم فظن الحاضرون من الأعاجم أنّه سأله مسألة وقال الجامي لا أعلم يعني لا أعلم هذه المسألة فأقبلوا على الرجل وهجروا الجامي، فلمّا آل الحال إلى هذا خرج الجامي من تلك القرية وخرج الناس لمشايعته فوقف على باب البلد فقال أيّها الناس

أوصيكم في هذا الرجل العربي فإنّه رجل صالح فامضوا إليه والتمسوا إليّ منه شعرة من لحيته تكون معي في السفر أتبرك بها فمضوا إلى الشيخ فنتف شعرة وأرسلها له فأخذها وسافر، فقال أهل القرية: إنّ لحية إمامنا تصلح للتبرّك فأتوه وطلبوا منه شعرة شعرة إلى أن أتوا على آخرها، فبقي الرجل العربي معدوم اللحية فانهزم من بينهم.

وقد تنازع رجل شيعي ورجل سنّي في أنّ الأفضل بعد رسول الله ﷺ أهو علي بن أبي طالب، أو أبو بكر؟ فتراضيا على أنّهم يمشون فأول من يطلع عليهم في الطريق يكون حكماً يرضون بقوله، فلمّا مشيا وإذا برجل قد طلع عليهما من رأس الطريق فأتوا إليه فقال له الشيعي إنّا رضيناك حكماً في مسألة، فقال: ما هي؟ قال: أنا أقول إنّ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: وهذا ابن الزانية ما يقول؟ فلمّا سمع ذلك الرجل هذه الكلمة ولّى هارباً.

وحكى لي في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام رجل كان مخالفاً ثمّ استبصر فقال: إنّي كنت أتوضّأ بعد تشيّعي في مكان لم يكن فيه أحد، فتوضّأت وضوء الشيعة فمسحت رجلي فالتفت وإذا رجل من أكابر المخالفين فوق رأسي فعمدت إلى رجليّ فغسلتهما فقال لي: ما هذا الوضوء مسحت أولاً ثمّ غسلت؟ فقلت له هذه المسألة قد وقع فيها الخلاف بين الله تعالى وبين أبي حنيفة فقال الله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] وقال أبو حنيفة ويجب غسل الرجلين في الوضوء فأنا مسحت رجلي خوفاً من الله تعالى ثمّ غسلت رجلي خوفاً منكم، فضحك ذلك الرجل وانصرف.

قد يشدّ الإنسان في أصبعه أو يده خيطاً ونحوه ليتذكر به ويسمّى الرتيمة فهل في جسدك عرق أو شعرة إلّا وهي تذكرك الخالق فما هذا النسيان البارد:

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسكم … فليس بمغن عنه عقد الرتائم

ما ابيضّ الرغيف حتّى اسودّ وجه الضعيف:

ما ابيض وجه المرء في طلب العلى … حتّى تسوّد وجهه في البيد

رأت فأرة جملاً فجرّت خطامه فتبعها فلمّا وصل إلى بيتها وقف ونادى بلسان حاله إما أن تتخذي داراً تليق بمحبوبك أو محبوباً يليق بدارك، وأنت إما أن تصلّي صلاة تليق بمعبودك أو تتّخذ معبوداً يليق بصلاتك، من لم يسمع كلام الصامت ولم يفهم عبادة الجامد فليس بفطن لا يغرّنك صفو العيش فالدرد في أسفل الكأس:

كان للقوم في الزجاجة باقي — أنا وحدي شربت ذاك الباقي
وصلاح الأجسام سهل ولكن — في صلاح العقول يعيى الطبيب
وسمّيتها ليلى وسمّيت دارها — بنجد فلا ليلى أردت ولا نجدا
يا كاسباً من غير حلّ درهماً — ولعلّه في أجرة الحفّار
وما حاجر إلا بليلى وأهلها — إذا لم تكن ليلى فلا كان حاجر
وليس هوى العيون هوى صحيح — إذا لم يتصل بهوى القلوب
وليس يشين السيف أن لا ترى له — لدى الضرب جفناً مذهباً ومفضضا
وما أسفي إلّا على العمر ينقضي — وليس لنا في الاجتماع نصيب
وما الغل في الأعناق طوق حديدة — ولكنّ ما منّ اللئيم هو القتل
ومن يسأل الركبان عن كل غائب — فلا بدّ أن يلقى بشيراً وناعيا
أصحّ وأقوى ما سمعناه في الندى — من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا — عن البحر عن كف الأمير تميم
لا تتبعن كلّ دخان ترى — فالنار قد توقد للكيّ

الهمم تتفاوت في جميع الحيوانات العنكبوت من حين يولد ينسج لنفسه بيتاً ولا يقبل منّة الأمّ، والحيّة تطلب ما حفره غيرها إذ طبعها الظلم. لمّا كان الطائر يحتاج أن يزق فرخه لم يحمل عليه إلّا تدبير بيضتين، ولمّا كانت الدجاجة تحضن ولا تزق كان بيضها أكثر، ولمّا كانت الرقة[1] لا تحضن ولا تزق صارت تبيض ستّين بيضة وتحفر لهنّ وتترك التراب عليهن، وبعد أيام ينبشن ويخرجن. إذا صبّ في القنديل ماء ثم صب عليه زيت صعد الزيت فوق الماء فيقول الماء: أنا ربّيت شجرتك فأين الأدب لم ترتفع علي؟ فيقول الزيت أنت في رضراض الأنهار تجري على طريق السلامة وأنا صبرت على العصر وطحن الرحى وبالصبر يرفع القدر، فيقول الماء ألا إنّي أنا الأصل فيقول الزيت استر عيبك فإنّك لو تولّيت المصباح لانطفأ.

كان داود عليه السلام يقول في مناجاته إلهي خرجت أسأل أطبّاء عبادك يداووا لي جرح خطيئتي وكلّهم عليك دلّني. من امتطى راحلة الشوق لم يشق عليه بعد السفر.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم — وتأتي على قدر الكرام المكارم

---

(١) الرقة العظيم من السلاحف يعني: (لاك پشت) أو دويبة صغيرة.

كان بعض الأغنياء كثير الشكر فطال عليه الأمد فبطر وعصى فما زالت نعمته ولا تغيّرت حالته، فقال يا ربّ تبدّلت طاعتي وما تغيّرت نعمتي فهتف هاتف يا هذا لأيّام الوصال عندنا حرمة ضيّعتها وحفظناها. العود في بلاده خشب فإذا سوفر به إلى طالبي الطيب عزّ. البهائم تنظر العواقب هذا الأيّل يأكل الحيّات فيشتدّ عطشه فيحوم حول الماء فلا يشربه لعلمه أنّ الماء ينفذ السمّ إلى أماكن لا يبلغها الطعام؛ ومن عادته أن يسقط قرنه في كلّ سنة وهو سلاحه فيختبىء إلى أن ينبت. هذه الحيّة تستتر طول الشتاء في الأرض فتخرج وقد عشي بصرها فتحكه بأصول الرازيانج لأنّه يزيل العشى. إذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيّدك فاستعمل أخلاق الأطفال فإنّ الطفل إذا طلب من أبيه شيئاً فلم يعطه بكى.

يا سادتي هل يخطرنّ ببالكم ... من ليس يخطر غيركم في باله
حاشاكم أن تغفلوا عن حال من ... هو غافل في حبّكم عن حاله
باتوا وخلفت أبكي في ديارهم ... قل للديار سفاك الرائح الغادي
وقل لأظعانهم حييت من ظعن ... وقل لواديهم حييت من وادي

قال البازي للديك ما على وجه الأرض أقلّ وفاء منك أخذوك أهلك بيضة فحضنوك فلمّا خرجت جعلوا مهدك حجورهم، ومائدتك أكفّهم حتّى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا - طرت هٰهنا وهٰهنا؛ وأنا أُخذت مسنّاً من الجبال فعلّموني ثم أرسلوني فجئت بالصيد لهم، فقال له الديك: لم نر بازياً مشوياً في سفود وكم رأيت في سفود من ديك! البحتري:

وإذا تكامل للفتى من عمره ... خمسون وهو إلى التقى لا يجنح
عكفت عليه المخزيات فما له ... متأخّر عنها ولا متزجر
فإذا رأى الشيطان غرّة وجهه ... حيّا وقال فديت من لا يفلح

الفخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية. من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة. كان بيّاع لبن يخلط اللبن بالماء فجاء السيل فذهب بالغنم؛ فجعل يبكي ويقول اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً.

أُسائل عمّن لا أريد وإنّما ... أريدكم من بينهم بسؤالي

رأى رجل في طريق مكّة امرأة فتبعها فقالت ما لك؟ قال قد سلب حبّك قلبي؛ قالت: فلو رأيت أختي هذه! فالتفت فلم ير أحداً، فقالت: أيّها الكاذب في دعواه

لو صدقت ما التفتّ. بات الفرزدق عند ديرانيّة فأكل طفيشلها[١] بلحم خنزير، وشرب خمرها، وفجر بها؛ وسرق كساها ثمّ قال لله درّ ابن المراغة يعني جريراً حيث يقول:

وكنت إذا نزلت بدار قوم رحلت مخزية وتركت عارا

نظر أعرابي إلى القمر حين طلع فأبصر به الطريق وقد خاف أن يضلّ؛ فقال: ما عسيت أن أقول إن قلت حسّنك الله فقد فعل أو رفعك الله فقد فعل. نظر رجل حجازي إلى هلال شهر رمضان وقال: قد جئتني بقرينك قطع الله أجلي إن لم أقطعك بالأسفار. قيل لأعرابي: ما علمك بالنجوم؟ قال: من الّذي لا يعلم أجذاع بيته. قيل لأعرابي: ما أعددت للبرد قال طول الرعدة.

كان لابن إسحاق الموصلي غلام يستقي له، فقال له يوماً: يا فتح ما خبرك؟ قال خبري أنّي لا أرى أحداً في الدار أشقى منّي ومنك، قال: كيف؟ قال: لأنّك تطعمهم الخبز وأنا أسقيهم الماء، فضحك وأعتقه. استطاب إسماعيل بن أحمد نيشابور ثمّ قال: نعم الوطن لولا، قيل: كيف؟ قال: كان ينبغي أن يكون مياهها التي في باطنها على ظاهرها ومشايخها الّذين في ظاهرها في باطنها. الإيوان من بغداد على مرحلة بناه كسرى في نيف وعشرين سنة طوله مائة ذراع في عرض خمسين في سمك مائة، ولمّا بنى المنصور بغداد أحبّ أن ينقضه ويبني بنقضه، فاستشار خالد بن برمك فنهاه فقال هو آية الإسلام ومن بناه علم أنّ من هذا بناؤه لا يزيل أمره إلّا نبي، وهو مصلّى عليّ بن أبي طالب، والمؤونة في نقضه أكثر من الاتفارق، فقال: أبيت إلّا ميلاً إلى العجم فهدمت ثلمة، فبلغت النفقة عليها مالاً كثيراً فأمسك، فقال له خالد: أنا الآن أشير بهدمه لئلاّ يتحدّث بعجزك عنه فلم يفعل.

اعتل شابور ذو الأكتاف بالروم وكان أسيراً، فقالت له بنت الملك وقد عشقته ما تشتهي؟ قال شربة من ماء دجلة وشمّة من تراب اصطخر، فأتته بعد أيّام بماء وقبضة من تراب وقالت: هذا من ماء دجلة وهذا من تربة أرضك؛ فشرب واشتم بالوهم فشفي من علّته. قيل لحكيم: أيّ الأوقات أحمد للأكل؟ قال من قدر فإذا اشتهى؛ وأمّا من لم يقدر فإذا وجد. قيل لمدني: بم تتسحر الليلة؟ قال: باليأس من فطور القابلة.

---

(١) الطفيشل نوع من المرق.

قيل لابن الحارث: ما تقول في الفالوذج؟ قال: وددت أنّها وملك الموت قد اعتلجا في صدري، والله لو أنّ موسى لقي فرعون بفالوذجة لأمن ولكن لقيه بعصى. شكى إلى أبي العينا مدني سوء الحال فقال له: أبشر فإنّ الله قد رزقك الإسلام والعافية، فقال: أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد. شكى رجل إلى طبيب وجع البطن، فقال: أكلت سمكاً ولحم بقر وبيضاً وماستاً، فقال: انظر إن مت في هذا وإلاّ فارم بنفسك من حالق.

اشترى أعرابي غلاماً فقيل: يبول في الفراش، فقال: إن وجد فراشاً فليبل عليه راشداً. وقال المأمون لأحمد بن يوسف إنّ أصحاب الصدقات تظلّموا منك، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما رضي أصحاب الصدقات عن رسول الله ﷺ حتّى أنزل الله تعالى فيهم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]؛ فكيف يرضون عنّي، فاستضحك المأمون وقال له: تأمّل أحوالهم وأحسن النظر في أمرهم. دعا الرشيد أبا يوسف ليلاً فسأله عن مسألة فأفتاه فأمر له بمائة ألف درهم، فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح، فقال: عجّلوها له، فقيل: إنّ الخازن في بيته والأبواب مغلقة، فقال أبو يوسف وقد كنت في بيتي والأبواب مغلقة فحين دعي بي فتحت.

كان أبو الأسود يتشيّع وكان ينزل في بني قشير وهم عثمانية وكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكى ذلك فشكاهم مرّة، فقالوا له ما نحن نرميك ولكن الله يرميك؟ فقال: كذبتم والله لو كان يرميني لما أخطأني. كان بعض أهل البصرة يتشيّع وكان له صديق يوافقه في المذهب فأودعه مالاً فجحده، فاضطر إلى أن قال لمحمّد بن سليمان وسأله أن يحضره ويحلفه بحقّ علي عليه السلام ففعل ذلك، فقال الرجل أعزّ الله الأمير هذا الرجل صديقي وهو أعزّ علي وأجلّ من أن أحلف له بالبراءة من مختلف في ولايته وإيمانه، ولكنّي أحلف بالبراءة من متفق على إيمانهما وولايتهما أبي بكر وعمر، فضحك محمّد بن سليمان والتزم المال وخلى عن الرجل.

أُتي عتاب بن ورقاء بامرأة من الخوارج، فقال لها يا عدوّة الله ما دعاك إلى الخروج أما سمعت الله سبحانه يقول:

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذيول

قالت: يا عدوّ الله أخرجني قلّة معرفتك بكتاب الله. قال المنصور لبعض الخوارج: من أشدّ أصحابي إقداماً كان في مبارزتك؟ فقال: ما أعرفهم بوجوههم،

ولكنّي أعرف أقفيتهم فقل لهم يدبروا حتّى أصفهم فاغتاظ وأمر بقتله.

قال الحجاج لرجل من الخوارج والله إنّي أبغضكم، فقال الخارجي أدخل الله أشدّنا بغضاً لصاحبه الجنّة. خفّف أشعب الصلاة مرّة، فقال له بعض أهل المسجد خففت الصلاة جدّاً؟ قال: لأنه لم يخالطها رياء. قال رجل لجاوسيس الصقلي إنّك من مدينة خسيسة فقال: أمّا أنا فيلزمني العار من قبل بلدي وأمّا أنت فيلزم العار أهل بلدك منك.

وفي المثل (أبخل من مارد) وهو رجل من بني هلال بن عامر كان يسقي إبله في حوض فلمّا بقي في أسفل الحوض قليل ماء سلح فيه لئلاّ يشربه غيره.

وفيه (أبله من باقل)وهو رجل من ثعلبة اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فسئل عن ثمنه ففتح يديه وأخرج لسانه يريد بذلك أحد عشر درهماً فهرب الظبي من يده.

(أسرع من نكاح أمّ خارجة) وهي عمرة بنت سعد كانوا يقولون لها خطب فتقول نكح أي: كلّ من يخطبها نكحها.

(أهيم من المرقش) وهو سعد بن مالك كان عاشقاً لفاطمة بنت المنذر بن ماء السماء متيّماً بها، ومن حبّه لها أنّه قطع إبهامه وجهزه إليها.

(أجود من فم كعب) هو كعب بن مادة رافق رفقة فعطشوا فآثرهم بالماء ومات عطشاً.

(أجبن من صافن) هو طائر يتعلّق بالشجر برجليه وينكس رأسه من الخوف أن يصاد فيصفن إلى السحر.

(أجوع من زرعة) هي كلبة لبني يربوع أماتوها جوعاً.

(أحمق من عجل) بن لخيم بن صعب بن عديّ بن بكر بن وائل قيل له: ما سميت فرسك فقام وفقأ عينه وقال: سميته الأعور.

(أحمى من مجير الجراد) وهو مدلج بن سويد كان إذا نزل الجراد بأرضه منع الناس من التعرض له.

(أحذر من الغراب) أوصى الغراب ولده فقال: يا بني إذا رميت فتلوص قال: أنا أتلوص قبل أن أُرمى.

(أحذر من الذئب) لأنّه ينام وإحدى عينيه مفتوحة من الخوف

(أحير من ضبّ) لأنّه إذا فارق جحره لا يهتدي إليه

(أزنى من ظلمة) امرأة زنت أربعين سنة واستخنثت أربعين سنة ولمّا عجزت اتّخذت تيساً وعنزاً (معزاً خ) فقيل لها في ذلك فقالت: لأسمع أصوات الجماع.

(أسأل من فلحس)وهو سيّد عزيز كان إذا غزا قومه سألهم أن يجعلوا له قسماً من الغنيمة ولجميع من عنده حتّى لناقته

(أشأم من البسوس) وهي خالة جسّاس بن مرة الشيباني كانت لها ناقة يقال لها شرّان فرآها كليب ترعى في حماه وقد كسرت بيض طائر كان قد أجاره فرمى ضرعها بسهم فوثب جساس إلى كليب فقتله فهاجت الحرب بين بكر وتغلب بن وائل بسببها أربعين سنة.

(أشأم من رغيف الحولاء) هي خبازة كانت في بعض أحياء العرب فأُخذ منها رغيف فقتل عليه ألف رجل

(أشغل من ذات النحيين) هي امرأة من تيم كانت تبيع السمن في الجاهليّة، فأتاها خوّات الأنصاري يبتاع منها سمناً فلم يجد عندها أحداً فساومها فحلّت نحياً مملوءً فنظر إليه وقال أمسكيه حتّى أنظر إلى غيره، ثمّ فتحت له نحياً آخر فنظر فيه، وقال: أمسكيه فمسكت النحيين فلمّا شغل يديها قام إليها وجامعها ولم تقدر على دفعه فقضى حاجته وهرب

(أظلم من حيّة) لأنّها لا تتخذ بيتاً لنفسها وتدخل بيوت الغير فتخرجهم عنها.

(أحجم من حجّام ساباط) كان يحجم الجند فإذا بطل حجم أمّه حتّى لا يقال إنّه بئس الحجام فما زال يحجم أمّه حتّى سرق دمها فماتت

(أكبر من عجوز بني إسرائيل) وهي التي دلّت موسى عليه السلام على تابوت يوسف عليه السلام، وهي من ولد إسحاق عليه السلام وعاشت أربعمائة سنة.

(ألأم من أسلم) هو ابن زرعة كان قد ولي خراسان فقيل له: إنّ الفرس كانت إذا مات لهم ميّت جعلوا في فيه درهماً فنبش المقابر لذلك

(ألأم من راضع اللبن) هو رجل من بني تميم كان يرتضع ناقته ولا يحلبها لئلاّ يسمعه أحد.

(أندم من الكسعي) وهو محارب بن قيس من بني كسع كان يرعى إبلاً بواد معشب فرأى نبعة على صخرة فأعجبته، فقطعها واتّخذ منها قوساً فمرّت به قطعان

من حمر الوحش ليلاً فرمى عشيراً فأنفذها، واخرج السهم منها فأصاب الجبل فرأى ناراً فظنّ أنّه أخطأ ثمّ مرّ قطيع آخر فرماه فأنفذه كالأوّل وفعل ذلك مراراً، فعمد إلى قوسه فكسرها من حنقه، فلمّا أصبح رأى الحمر قتلى مضرجة بالدم فندم وعضّ إبهامه فقطعها

(أنمّ من صبح) لأنّه يهتك الأستار.

قال أعرابي لأبي الأسود الدؤلي وكان الأعرابي أعور: ما الشيء ونصف الشيء ولا شيء؟ فقال: أمّا الشيء فالبصر، وأمّا نصف الشيء فالأعور كما أنت، وأمّا لا شيء فالأعمى. شمّ أعرابي إبطيه فقطب وقال: أخرجني الله من بينكما. وفي ربيع الأبرار أنّ مخنّثاً لقي آخر وقد تاب فقال له: من أين معاشك؟ قال: بقيت لي بقية من الكسب القديم فقال له: إنّ لحم الخنزير طرياً خير من قديده. أطعم رجل قوماً طعاماً أضرس أسنانهم فقيل له: قَدْ لعمري اقتصصت من كلّ ضرس يجني عليك في رغفانك. قيل لأعرابي كيف حزنك على ولدك؟ قال: ما ترك حبّ الغداء والعشاء لي حزناً.

مرّ سكران بمؤذّن رديء الحنجرة، فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه، فاجتمع عليه الناس فقال: ما بي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين. قيل لأبي العيناء: هل بقي في دهرنا من يلقى؟ قال: نعم ولكن في البئر. وقال رجل لابن سيرين إنّنا ننال منك فاجعلنا في حلّ، فقال ما كنت لأُحلّ لكم ما حرّم الله عليكم. مرّ رجل بأبي الحارث خمير فسلّم عليه بسوطه فلم يرد عليه، فقيل له، فقال: سلّم عليّ بالإيماء فرددت عليه بالضمير. قال رجل لبعض الأعراب: لا أحسبك تحسن الخراءة، فقال: بلى وأبيك إنّي بها لحاذق أُبعد الأثر وأُعدّ المدر وأستقبل الشيح، وأستدبر الريح، وأُقعي إقعاء الظبي وأُجفل إجفال النعام.

استأجر رجل حمّالاً ليحمل معه قفصاً فيه قوارير على أن يعلّمه ثلاث خصال ينتفع بها، فلمّا بلغ ثلث الطريق قال هات الخصلة الأولى، فقال: من قال لك إنّ الجوع خير من الشبع فلا تصدّقه، فقال: نعم، فلمّا بلغ نصف الطريق قال: هات الثانية، قال: من قال لك إنّ المشي خير من الركوب فلا تصدّقه، قال: نعم، فلمّا انتهى إلى باب الدار قال: هات الثالثة، قال: من قال لك إنّه وجد حمّالاً أرخص منك فلا تصدّقه؛ فرمى الحمّال بالقفص فكسر جميع القوارير، وقال: من قال لك إنّه بقي في القفص قارورة واحدة فلا تصدّقه.

وفي محاضرات الراغب الأصفهاني قال إياس لأهل مكّة قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين، قيل له: كيف؟ قال: كان معنا خيار وأشرار فلحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم فألف كلّ شكله. وفيها أيضاً ترك المعاتبة دليل على قلّة الاكتراث بالصديق وقيل: المعاتبة تزيل الموجدة وأوكد المحبّة ما كان بعد المعتبة. وفيها قول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

كان رجل في بغداد وكان عنده كلب يتبع قطيع الغنم فاتّفق أنّ ذلك الكلب قد مات ولأجل أنّ صاحبه كان يحبّه دفنه في المقبرة، فبلغ الخبر إلى قاضي بغداد فأمر بإحضاره وأفتى بإحراقه حيث أنّه دفن الكلب في مقابر المسلمين، فلمّا أخذوه للإحراق قال: يا قوم لي حاجة إلى القاضي فدنا منه وقال: أيّها القاضي إنّ الكلب قد أوصى بوصيّة وأريد أعرضها على جنابك حتّى لا تبقى في عنقي لأنّي أنا مقتول، فقال القاضي وما هي؟ قال: إنّ الكلب لمّا حضرته الوفاة أشرت إليه أنّ هذا القطيع هو مالك فأوص به لمن شئت، فأشار إلى بيت مولانا القاضي وهذا قطيع الغنم حاضر فقال القاضي: ما كانت علّة المرحوم أما أوصى بشيء غير هذا الفاتحة إنّ الله سبحانه يمنّ عليه بنعيم الآخرة، إمض سالماً حتّى تأتينا بوصايا المرحوم فمضى الرجل سالماً وأتى إليه بالقطيع.

قال الحجّاج لكاتبه لا تجعلنّ مالي عند من لا استطيع أخذه منه قال: ومن لا يستطيع الأمير أن يأخذ منه ماله: قال المفلس.

وكان في أصفهان في زمن تأليف هذا الكتاب أخوان فأمّا الأعلم منهما فقد كلّفه السلطان بأن يلي قضاء أصفهان كتب له سجلاً وأرسل إليه خلعة فاخرة فلم يقبل بل أعطى من ماله مبلغاً خطيراً للوزراء حتّى عاونوه على الاستعفاء منها وأمّا أخوه الآخر فقد بذل الأموال على تحصيلها حتّى وقعت في يده، فأتى الوزير الأعظم يوماً من الأيّام يذكر عند السلطان محاسن الأخ الأوّل بأنّه لم يقبل القضاء مع وفور مداخله وزيادة الجاه والاعتبار فيه وليس هذا إلّا من علوّ همّته، فضحك السلطان وقال: إنّ أخاه وهو القاضي أعلى همّة منه وذلك أنّ القاضي طلّق الآخرة وعافها وهذا عاف الدنيا فالهمّة العالية لمن عاف الآخرة وطلّقها، فضحك الحاضرون من حسن كلامه وعبثه بالقاضي.

وقد كان بين رجلين منازعة في بعض الدعاوى فأتى أحدهما إلى بيت القاضي ومعه ظرف لبن وقد كان القاضي داخل البيت ورأى فلمّا خرج إلى مجلس القضاء أتى الآخر بكبش سمين إلى بيت القاضي لكن القاضي لم يعلم به فلمّا تداعيا جعل الحق مع صاحب اللبن فأتى إليه خادمه يخبره بالكبش فقال: إنّ الكبش أتى إلى اللبن وأراقه في الأرض فبقينا بغير لبن فعرف القاضي مضمون كلامه فقال: أعيدا عليّ الدعوى فإنّي كنت أتفكر في أمور الآخرة وقد غفلت عن أمور الدنيا فلمّا أعادا الكلام قال سبحان الله الحق مع هذا الرجل وأنا أخذني الفكر فجعله مع صاحب الكبش.

وفي كتاب ربيع الأبرار أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام رأى أعرابيّاً قد خفّف صلاته فعلاه بالدرة ليضربه على تلك الصلاة الخفيفة، فأعاد الأعرابي تلك الصلاة بتأنّ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام هذه أحسن أم تلك؟ فقال: يا أمير المؤمنين الأولى خير من الثانية لأنّ الأولى صلّيتها خوفاً من ربّي، وأمّا الثانية فقد صلّيتها خوفاً منك فضحك عليه السلام.

ومن الآثار ما نقل أنّ الأشعث كان يصلّي خلف مروان بن عثمان في الصف الأوّل فضرط مروان فقطع ابن الأشعث صلاته وانصرف حتّى ظنّ الناس أنّ تلك الضرطة منه وبقي مروان يصلّي، فلمّا فرغ وانصرف إلى منزله أتى إليه ابن الأشعث فقال له: أعطني الدية، فقال: أيّ دية؟ قال: دية الضرطة التي جعلتها على نفسي فإن تعطني ديتها وإلاّ أخبرت أهل المسجد وفضحتك بينهم فأعطاه ما أراد.

ومن ذلك ما وجد في كتب السير أنّ السلطان هلاكو لمّا أقبل بعسكره إلى أرض بابل انهزم الناس عنه وقد بقي رجل واحد قد كان جالساً وحده، فسأله واحد من العسكر: من أنت وكيف بقيت قال: أنا الله ولكنّي إله الأرض أما سمعت في السماء إله وفي الأرض إله فأنا إله الأرض فذهب ذلك الرجل وحكى للسلطان هلاكو، فأقبل ذلك السلطان يمشي إليه وسأله فقال له: أنا إله الأرض فقال: تقدر على أيّ شيء؟ فقال: على كل شيء فنظر السلطان إلى صبي كان معه وقال هذا الصبي فمه ضيّق فإن كنت إلهاً وسّع فمه فقال ذلك الرجل: قد تعاقدت وتحالفت مع إله السماء بأنّ توسعة ما بين السرة إلى فوق على إله السماء وتوسعة ما بين السرة إلى تحت علي أنا فإن أردت هذا فأنا قادر عليه فضحك السلطان وانصرف عنه.

ومنه أيضاً أنّ رجلاً بحرانيّاً كان عنده امرأة سليطة فطبخت طعاماً وقعد معها

يأكل وكان الطعام مالحاً فلم يقدر على إظهاره خوفاً منها فقال: أقول ثمّ سكت ثم قال: أقول ثمّ سكت فقالت: ما تقول ورفعت المسّ (المداس خ) وضربته على رأسه فسال دمه فقام ووقف ناحية فقال: أنا ما أترك شمخرتي ولا عطاس رأسي الطعام مالح مالح مالح. ورأيت في بعض الكتب أنّ سكينة بنت الحسين عليه السلام غضبت على رجل فأمرت بحلق لحيته فأتاه الحالق يحلقها فقال له: انفخ شدقيك حتى أحلق لحيتك فقال: أمروك بحلق لحيتي أو بأن تعلّمني لعب الزمر فقال الحالق: هكذا يكون حلق الشعر. فقال: إذا امرأتك حلقت ذلك الموضع من ينفخ لها طرفي شعرتها (شفريها خ) فحكوا لسكينة فضحكت وتجاوزت عنه[1].

وأتى رجل إلى الوزير الأعظم الّذي ترجع إليه أمور القضاة وهو الّذي يعزل وينصب لكن بالرشاوي والبرطيل فعمد الرجل إلى دبة كبيرة وملأها من التراب والحجارة والجص والنورة ووضع في رأسها قليلاً من الدهن وأتى بها إلى الوزير فلمّا رآها كتب له سجلاً محكماً على القضاء فأخذه ومضى إلى بلاده فلمّا أرادوا أن يخرجوا من الدهن اطلعوا على ما في الدبة من المكر والحيلة، فأرسلوا وأخبروا الوزير فأرسل الوزير إلى القاضي أنّ ذلك السجل الّذي كتبناه لك فيه بعض الخلل والغلط أرسله إلينا لنصلحه ونرسله إليك. فكتب إليه القاضي أعزّ الله مولانا الوزير عن حال السجل الّذي أمرتم لنا به قرأناه ولا رأينا فيه خللاً ولا غلطاً ولكن إن كان شيء فالخلل والغلط إنّما وقع في الدبة فضحك الوزير وخلاّه.

وقد أعطى قضاء بعض البلدان لرجل وكان ذلك الوزير رحمه الله كلّ رجل أعطاه رشوة أكثر من القاضي الآخر عزل من أعطى القليل فأتى إليه ذلك الرجل لمّا كتب له كتابه على القضاء فقال أعزّ الله الوزير إنّي اكتريت دابة إلى بلادي فاستكيرها رأساً أو رأسين فضحك الوزير وعرف ما أراد.

---

(١) يظهر بعد إمعان النظر في هذه الحكاية أنها من القصص الموضوعة التي نسبها أمثال أبي الفرج الأصفهاني المرواني في كتابه الأغاني وغيره إلى السيدة سكينة عليها السلام فإن القارىء العزيز جد خبير بما في هذه الحكاية من القباحة فإن السيدة سكينة عليها السلام كيف أمرت بحلق لحية الرجل؟ بل شأنها أجل وأسنى أن تصدر عنها أمثال هذه الأوامر الشنيعة وقد وضعوا كثيراً من هذه الحكايات الكاذبة ونسبوها إلى تلك السيدة الجليلة وبعضها واقعة في حق غيرها ولكن ألصقوها إليها. انظر: إلى كتاب «جنة المأوى» ص ٢٣٢ - ٢٣٧ ط تبريز، وكتاب السيدة سكينة للسيد المقرم النجفي وإلى سائر الكتب الممتعة التي ألفها جمع من عباقرة هذا العصر في تحقيق تلك القصص الموضوعة والأساطير المنسوبة إلى السيدة سكينة عليها السلام.

وقد أراد السلطان المرحوم الشاه عبّاس الأوّل أن يعرض بعساكره فيراها فلمّا عرض بهم رأى بينهم ولداً جميلاً حسن الصورة واللباس والمركوب والسلاح فسأله عن مقرّره من دفتر السلطان فذكر شيئاً قليلاً فقال له الشاه إنّ وظيفتك هذه لا تفي بزيّك هذا وهيئتك هذه فلعلّك تمضي بالليل وتؤجر نفسك لمن يعمل بك فقال له ذلك الولد: أعز الله السلطان إنّ عبيده الأتراك قد أرخصوا هذه التجارة بكثرتهم حتّى إنّهم لم يبقوا لأحد سبباً فيها فضحك السلطان وأمر له بعطايا جزيلة.

وكان هذا السلطان رَحِمَهُ اللَّهُ يخرج في الليل بزيّ الفقراء يدور في بلده لينظر الظالم من المظلوم ويتصفّح أحوال الناس فأتى ليلة إلى بقّال فقال أيّها البقال أنا رجل فقير وليس عندي إلّا نصف فلس وأريد هذه الليلة لا أنام فأعطني بهذا النصف شمعة تشتعل إلى الصباح فقال: الشمعة لا يكون هذا حالها ولكن أبيعك رأساً من الثوم كبيراً تضعه في دبرك فإنّه يشتعل به إلى الصباح ولا تقدر أن تنام فضحك ومضى عنه ولمّا أصبح الصباح وجلس على سرير الملك أرسل إلى ذلك البقال فلمّا دخل عليه وتعارفا خاف البقّال منه فأمنه وأعطاه.

وقد أتى رجل بدويّ إلى بعض البلدان فأضافه صديق له وقدّم إليه فالوذج فلمّا شرب منها جرعة ورأى لطافتها وضع يده على دبره فقيل له في ذلك فقال: لئلاّ تخرج من هناك سريعاً لنعومتها فقال له صديقه تعرف اسم هذه فقال له البدويّ: نحن نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم وأظنّ هذا هو الصراط المستقيم فقال له: نعم هذا هو. وقدم أعرابي إلى البلاد فقدّم إليه صديقه عنباً فصار يأكل العنقود بعنقوده فقال له صاحب البيت: إنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أمر أن يؤكل العنب اثنتين اثنتين فكيف تأكل أنت عنقوداً عنقوداً؟ فقال: ذلك الحديث إنّما روي في الباذنجان والرقي.

قال التفتازاني سمعت أنّ بعض البغّالين كان يسوق بغلة في سوق بغداد وكان بعض عدول دار القضاء حاضراً فضرطت البغلة فقال البغال على ما هو دأبهم: بلحية العدل بكسر العين يعني أحد شقي الوقر فقال بعض الظرفاء افتح العين فإنّ المولى حاضر. ثمّ قال وممّا يناسب هذا المقام أنّ بعض أصحابي ممّن الغالب على لهجتهم إمالة الحركات نحو الفتحة أتاني بكتاب فقلت له لمن هو؟ فقال لمولانا عمر بفتح العين فضحك الحاضرون فنظر إليّ كالمتعرّف سبب ضحكهم المسترشد لطريق الصواب فرمزت إليه بغض الجفن وضمّ العين فتفطنّ للمقصود واستطرف ذلك

الحاضرون. وقد كان أبو العلاء المعري يتعصّب لأبي الطيب فحضر يوماً مجلس المرتضى رحمه الله فذكر أبو الطيب فأخذ المرتضى في ذمّه والإزراء عليه، فقال له المعري لو لم يكن له من الشعر إلّا قصيدته اللامية وهي:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهنّ منك أواهل

لكفى في فضله فغضب المرتضى وأمر بسحب المعري فسحب وضرب، فلمّا أُخرج قال المرتضى رحمه الله لمن بحضرته: هل تدرون ما عنى الأعمى؟ عنى قول المتنبي في أثناء قصيدته:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنّي كامل

ولمّا بلغ الخبر إلى أبي العلاء قال: قاتله الله تعالى ما أشدّ فهمه وذكاءه والله ما عنيت غيره.

ومن المحاضرات أنّه رأى رجل شيخاً ينيك أتاناً يوم الجمعة وهي تضرط والشيخ يصلّي على النبي ﷺ فقال له رجل ويحك تفعل هذا يوم الجمعة ومع ذلك تصلّي على النبي ﷺ فقال: أما يجوز أن أشكر الله على أير يضرط الأتان منه. وسئل الأحنف ما بال استاه الرجال يكون عليها الشعر أكثر من استاه النساء؟ فقال: إنّ استاه الرجال حمى وإنّ استاه النساء مرعى. ومنه قال أبو زيد للكتاف بقيت زماناً لا أجد امرأة تستوعب ما عندي فظفرت يوماً بواحدة فكنت أولج فيها شيئاً فشيئاً حتّى استوعبت فقلت أتأذنين في الإخراج فقد أدخلت فقالت: سقطت بعوضة على نخلة فقالت للنخلة: استمسكي لأطير فقالت النخلة: ما شعرت بوقوعك فكيف أشعر بطيرانك. ومنه قالت امرأة لرجل يجامعها ويبطىء الفراغ أفرغ فقد ضاق قلبي فقال: لو ضاق فرجك كنت قد أفرغت منذ ساعات. ورأى رجل آخر وهو يبول وكان معه أير كأير حمار فقال: يا هذا كيف تحمل هذا الأير؟ فقال: أكبير هو؟ فقال: نعم قال: إنّ امرأتي تستصغره. شكى رجل امرأة كثرت شعرتها فنتفت وكتبت إلى محبّها

فديتك سهّلت السبيل الّذي اشتكى به جوادك فيه الجفا من خشونة
فإن كنت تهوى أن تزور جنابنا فلا تبط عنّا فالهلال ابن ليلة

قال يزيد بن عروة: لمّا مات كثير لم تتخلّف امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازته وغلبت النساء عليه يبكينه ويذكرن عزّة في ندبتهنّ له، فقال أبو جعفر محمّد بن علي الباقر: أفرجوا عن جنازة كثير لأرفعها قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل

محمّد بن علي عليه السلام يضربهنّ بكمّه ويقول تنحّين يا صواحبات يوسف فانتدبت له امرأة منهنّ فقالت: يابن رسول الله لقد صدقت إنّا لصواحباته وقد كنا خيراً منكم له قال فقال أبو جعفر عليه السلام لبعض مواليه: احتفظ بها حتّى تجيئني بها إذا انصرفت، قال: فلمّا أُتي بتلك المرأة كأنّها شرر النار فقال لها الباقر عليه السلام أنت القائلة إنّكن ليوسف خير منّا؟ قالت: نعم تؤمنني غضبك يابن رسول الله دعوناه إلى اللذّات من المطعم والمشرب والتمتع والنعم وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن فأيّنا كان أحنّى به وأرأف؟ فقال الباقر عليه السلام لله درّك لن تغالب امرأة إلّا غلبت ثمَّ قال لها: ألك بعل قالت: لي من الرجال من أنا بعله فقال أبو جعفر عليه السلام: ما أصدقك مثلك من تملك زوجها ولا يملكها قال: فلمّا انصرفت قال رجل من القوم هذه بنت فلانة بنت متعقّب.

وقد تزوّج الثعالبي امرأة عجوزاً؛ وذلك أنّه رآها محلاّة فظنّ أنّها مقبولة، فلمّا تزوجها انكشف له سوء حالها فقال شعراً:

عجوز تشهّى أن تكون فتية ... وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر
تروح إلى العطار تصلح شبابها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر
وما غرّني إلّا خضاب بكفها ... وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
بنيت بها قبل المحاق بليلة ... فكان محاقاً كلّه ذلك الشهر

ومن هذا القبيل أنّ واحداً من إخواننا الصالحين تمتّع امرأة في شيراز فلمّا غلق عليها الأبواب ونظر إلى وجهها فإذا هو كالشنّ البالي وليس لها إلّا درادر تتكلّم فيها، قال: فغمضت عيني وقبضت على أنفي وأصبت منها مرّة، فلمّا فرغت أردت فتح الباب فقالت لا تفتحه ودعنا اليوم في عيشنا وإن لم ترد من القبل فهذا غيره حاضر، فعرفت الموت في المواقعة الأُخرى فصحت إلى أصحابي هلموا إليّ وخلّصوني من هذا الموت الحاضر فأتوا إلي وحلّوا الباب وأخرجوني منها.

ومن هذا أنّ رجلاً من الأخوان تمتّع أيضاً في شيراز وكان معنا في مدرسة المنصوريّة، قال: فلمّا تكشفت لي واستلقت على قفاها نظرت إلى ذلك الموضع وإذا هي غلفاء لم تختتن، فعمدت إلى سكين صغير وأتيت به وختنتها، فصاحت وجرى الدم، فلمّا قامت طالبتني بالجراحة فطالبتها بكروة الختان وغلبتها وأخذت منها القيمة، لكن لا من جنس الدراهم والدنانير.

وقيل لبصريّة: أيّ الرجال تشتهين؟ فقالت: ما أدري غير أنّي أعلم أنّ الأوّل داء والثاني دواء، والثالث شفاء، ومن ربّع فنفسي له الفداء.

وفي المحاضرات أنّ الحسن بن علي عليه السلام كان مطلاقاً مذواقاً[1] فقيل له في ذلك فقال: رأيت الله علّق بهما الغنى؛ فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]؛ وقال في موضع آخر ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠].

وفي المحاضرات قال أبو الشمقمق لبعض من أراد التزويج: تزوّج بقحبة، فقال: أسمع القحبة تكون أملح وأحرى بأنّها تكون عالمة بما يحبّه الرجل، وتأخذ نفسها بالتنظف، ومتى قلت لها يا زانية لم تأثم، ولأنّها تجتهد أن لا تأتيك بولد ثمّ إنّها تعلم أنّك تعرفها فلا تتكبّر عليك.

وفيها أيضاً أنّه كان رجل قد تزوج امرأة كانت تفجر وتنفق. فطلّقها وتزوج بعفيفة فطلب منها ما كانت تأتي به الأولى؛ فعاد يوماً إلى داره وقدّمت المرأة إليه طعاماً طيّباً، فقال: من أين؟ فقالت: جاءني فلان وحمل طعاماً وشراباً وحلواء فأكلنا وجامعني وهذا نصيبك، فقال: إذا تعاطيت هذا فإيّاك وإخباري بتفاصيل ما يجري

---

(١) لا شك عند من سبر التاريخ بالتنقيب والتحليل الصحيح أن ما اشتهر أن الإمام الحسن عليه السلام كان مطلاقاً كثير الزواج من الأقوال المفتعلة التي وضعتها أنصار الأمويين وخصوم الهاشميين ولا سيما في دور بني أمية الذي كثر فيه الوضع والافتعال من أذناب السلطة الغاشمة الأموية فقد وضعوا وزوروا وافتعلوا وبثوا كل ما يحط من كرامة العلويين وتقولوا في حقهم من الأفائك والمفتريات ما لا يحصى وبقيت تلك الأكاذيب في الألسنة والأفواه وبعد مدة سجلوها في الكتب والمسفورات التاريخية كما هو شأن أغلب المؤرخين من ضبط كل ما سمعوه من دون تثبت وتحقيق حتى وضعوا على لسان أمير المؤمنين عليه السلام إنه كان يصعد على المنبر فيقول: «لا تزوجوا الحسن فإنه مطلاق» ولا يصدر عن أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام في المنبر قطعاً ولنا على ذلك شواهد لا وسع في المقام لذكرها وهو من مرويات أبي طالب المكي المتوفى سنة (٣٨٠هـ) في كتابه: «قوت القلوب». ولا يعتمد على هذا المؤلف ولا على كتابه كما يظهر من ترجمته وهو قدم بغداد واعظاً فاحتف به البغداديون فرأوا في حديثه هذياناً وخروجاً عن موازين الاستقامة فتركوه ونبذوه ومن هجره وهذيانه وشذوذه قوله: «ليس على المخلوقين أضر من الخالق» وقد روى ابن شهر آشوب والمحدث الجليل المجلسي رحمه الله كثرة أزواج الإمام عليه السلام وأنه كان مطلاقاً عن كتاب «قوت القلوب» الذي عرفت حال مؤلفه إجمالاً والله العاصم.

عليك فإنّي غيور. وقد كان مضحكة الشاه عبّاس الأوّل جالساً في المجلس فأمر السلطان رحمه الله تعالى جارية من جواريه بأن تعبث به وتحمله على الكلام، وقيل: إنّ هذا هو أوّل يوم دخل مجلس السلطان، فأتت إليه وكشفت عمّا عندها وقالت: هذه المزرعة إذا كريت وزرعت في بلادكم ما يكون حاصلها؟ ومنّ البذر إذا رمي فيها ما يكون حاصله عند الحصاد؟ فقام إليها ناعظاً ذكره قابضاً بيده فقال: إن كان سنبلة هذه المزرعة تجيء على هذا المقدار فمنّ البذر يجيء حاصله مائة منّ، وإن كان أصغر من هذا فحاصله قليل، فضحك السلطان والحاضرون.

وقد كان لهذا السلطان صقر يصيد عليه وقد شغف بحبّه، فقال للصقارين احتفظوا على هذا الصقر واعلموا أنّ كل من يأتي بخبر موته ضربت عنقه، فاتّفق بعد مدّة أنّ ذلك الصقر قد مات، فتحيّر الصقارون في إخبار السلطان ويعلمون أنّه يطلبه، فأتوا إلى ذلك المضحكة وأخبروه بالحال، فقال لا عليكم فدخل إلى السلطان فقال: أين كنت؟ قال: كنت مع الصقّارين أنظر إلى الصقور؛ فقال له: رأيت صقري الفلاني؟ فقال: نعم أعزّك الله تعالى رأيته ولكن رأيت فيه أحوالاً عجيبة، قال: وما هنّ؟ قال: رأيته مغمضاً عينيه ناشراً جناحيه وكلّما أتاه الصقار بلحم لم يأكله وقد عقص برأسه فقال السلطان: فإذاً مات؟ فقال: اشهدوا أيّها الحاضرون أنّ السلطان أعزّه الله تعالى هو الّذي تلفظ بموته لا أنا ولا الصقار؛ فضحك السلطان ولم يعاقب أحداً على موته.

وقد كانت عنده امرأة جميلة وكان السلطان له هوى فيها، فأراد أن يرسله بحاجة ليخلو له البيت، فقال له: يا عنايت أُرسلك بخدمة يحصل لك منها فائدة كثيرة؟ فقال: أمرك فقال: إنّ لنا في البلد الفلانية خيولاً كثيرة فامض إلى هناك واعزل الذكور عن الإناث فكتب له كتاباً وأرسله، فأتى إلى منزله وقال لامرأته: إنّ السلطان يريد ارسالي ولكن أعلم أنه يريد يأتي إليك هذه الليلة ولكن أنا اختفي تحت الباب، فإذا جاء إليك وأرادك قولي له تعال نلهو ونلعب، فاجعلي نفسك فرساً وقولي له حتّى يكون حصاناً فيأتي إليك ويصهل ويحمحم، وهذا يكون شأنك معه حتّى أخرج إليكما، فلمّا جاء الليل أخذ بيده عصا واختفى تحت الباب. فلمّا جنّ الليل أتى السلطان إلى تلك الامرأة فلمّا دخل قال لها: إنّي أرسلت فلاناً في خدمة حتّى يخلو لنا البيت، فتحاكيا فلمّا أراد أن يقاربها قالت له هلم إلى الملاعبة، فقال لها هو الأحسن، فقالت له: كن أنت حصاناً وأنا فرساً، واصهل وحمحم وتجيء إليّ فلمّا

أخذا في ذلك اللهو وشرع السلطان في الصهيل خرج من تحت الباب وبيده تلك العصا فضرب السلطان بها ضربة شديدة، فصاح السلطان ونظر إليه وإذا هو الرجل فقال له: قاتلك الله أنا أرسلتك بخدمة، فقال: إنّك أرسلتني لأعزل الحصن عن الأفراس فها أنا جئت لهذا، فعزل السلطان عن المرأة فعرف السلطان أنّه علم ما أراد.

وفي المحاضرات أنّه وقع بين مزيد ورجل خصومة، فقال الرجل: أتخاصمني وقد نكت امرأتك كذا مرّة، فعاد مزيد إلى داره وقال: يا فلانة أتعرفين فلاناً؟ فقالت: أي والله أبو عينيه، فقال: ناكك وربّ الكعبة أسألك عن اسمه وتجيبيني بكنيته.

حكاية: حملت زانية فلمّا وضعت أتت إلى رجل عالم من أهل الحديث فقالت له سمّ لي هذا الولد، فقال: سمّيه ابن كثير. حكاية أُخرى: زوج رجل امرأة فأتت بولد صحيح لخمسة أشهر، فقالت له: سمِّ ولدك، فقال: أُسمّيه شاطر علي، لأنّه قطع مسافة تسعة أشهر في خمسة أشهر.

وكان عند سلطان البصرة رجل مؤمن عالم يقوم بحوائج المؤمنين وهو مقدمهم عند ذلك السلطان، فأتى إليه جماعة من المؤمنين وطلبوا منه أن يمشي معهم إلى ذلك السلطان ليسلموا عليه، فأتى معهم فوجدوا ذلك السلطان جالساً في أعلى قصره، فقال لهم ذلك الشيخ قفوا هنا حتّى أصعد أنا إليه وأطلب لكم الإذن، فلمّا صعد إليه وجده مشغولاً ببعض الملاهي، فقال له إنّ العلماء واقفون يريدون الإذن وأنت أعزّك الله في شغل، ولكن أقول لهم يقرأون الفاتحة من تحت وينصرفون إلى وقت آخر، فضحك وقال: يا شيخ الفاتحة التي من تحت ما نريدها ولكن اطلبهم إلى فوق.

وقد كان ذلك الشيخ واسمه الشيخ عبد الله رجلاً طلق اللسان حسن الصحبة، واتّفق أنّه مضى ليلاً إلى خدمة ذلك السلطان لقضاء بعض حوائج المؤمنين، فلمّا أراد القيام مطرت السماء فقال له السلطان: يا شيخ أنت رجل كبير السن ويشقّ عليك الحركة في هذا الوقت ولكن بات هذه الليلة عندنا وأنا أنام معك، فقبل منه فلما أراد النوم أمر السلطان بعض غلمان خزانته فوضعوا للشيخ فراشاً وأخذ السلطان اللحاف بيده ووضعه فوق الشيخ ونام السلطان إلى جنبه وغلمانه باتوا قربه؛ فلمّا انتصف الليل استيقظ السلطان وقام ليسوّي اللحاف على الشيخ، فوضع يده

فوق رجل الشيخ فاستيقظ الشيخ وظنّ أنّ السلطان يريد واحداً من غلمانه ليفعل به ما يفعل، فقال له: أعز الله مولانا السلطان لا يغلط فهذا الغلام نائم في الجانب الآخر وأنا فلان، فضحك السلطان في تلك الليلة ضحكاً كثيراً، وقال: يا شيخ جئت لأتفقد أحوالك، فقال: يا مولاي هو ليل وخفت فيه علي نفسي من الغلط.

وقد تشاتم رجلان فقال أحدهما للآخر: والله لئن لم تسكت عني لأضربنّك صفعة أنقلك بها من البصرة إلى مكّة، فقال له الآخر: أُحب أن تصفعني أُخرى فتنقلني إلى المدينة ليتمّ حجي على يديك.

وقد كان صفي الدين الحلي الشاعر جالساً يوماً مع جماعة، فضرط فشاعت ضرطته في البلد فلم يتمكن من الإقامة في بلده، فخرج إلى البصرة وإلى غيرها وبقي أعواماً كثيرة فتذكر بلده وقال طال الزمان فقد نسي أهل بلدي ما وقع منّي، فأتى إلى الحلّة فقبل أن يدخلها أتى إلى خارج البلد وإذا بامرأتين على شاطىء الفرات وهما يتحاكيان وهو يسمع، فقالت إحداهما للأخرى: كم عمر ابنك من سنة، فقالت: والله لا أعلم ضبط عدده ولكن تاريخه من سنة ضرطة صفيّ الدين الحلّي، فلمّا سمعها قال: جعلوها تاريخاً فهم لا ينسونها أبداً فرجع ولم يدخل البلد إلى أن مات.

وقد كان كسرى لابساً حلة سنية القيمة فرآها مضحكته فاحتال في أخذها، فطلبها منه يوماً، فقال: إذا أعطيتك هذه الحلة الرفيعة فأيّ شيء أُعطي الأمراء والعمّال حتّى يجيء في النظر هذا لا يكون؟ فلمّا كان بعض الليالي بقي ذلك الرجل في المجلس حتى انتصف الليل ولا بقي إلّا هو والسلطان، فقال له السلطان إذا بقيت إلى هذا الوقت فبات ههنا، فقال: يا مولاي ليس هنا لحاف أتغطّى به، قال له السلطان: أغطيك في هذه الحلة، فقال هذا مليح، فغطّاه بها ومضى إلى داخل منزله، فعمد ذلك الرجل إلى تلك الحلّة وخرىء فيها ونام، فلمّا جاء الصبح أتى الفراشون إليه وقالوا له قم حتّى نفرش الفراش، فقال: لا أقوم حتّى يجيء السلطان وأقصّ عليه مناماً رأيته في هذه الليلة فجاء السلطان وقال له: قم من هذه النومة. فقال: يا مولاي رأيت طيفاً أهالني رؤيته فقال: وما هو؟ قال: رأيت كأن ثورين قصدا نحوي ووضع أحدهما قرنيه في بطني ووضع الآخر قرنيه في ظهري فعصراني عصرة شديدة، فقال له السلطان: لا يكون خروت في ثيابك وفي الحلة، فقام وقال: يا مولاي فما يكون هذا الخرء أهو من الثورين أم ليس إلّا منّي وقد افتضحت عندك في شأن الحلّة، فضحك السلطان وقال هي لك.

وكان يوماً في المجلس مع السلطان وكان تحت السلطان بساط عالي القيمة فطلبه منه، فقال السلطان: لا أُعطيك هذا إلّا أن تخرى مثقالاً لا أزيد منه ولا أنقص، فقال: لك عليّ فقام وخرىء خروة كبيرة، فقال السلطان: كيف هذا؟ قال: أعزّك الله خذ أنت مثقالك والباقي لهؤلاء الأمراء الحاضرون أخاف أن يعتبوا علي إذا خرجوا من عندك فضحك وأمر له بذلك البساط.

وفي ربيع الأبرار للزمخشري أنّه كان لرجل غلام من أكسل الناس، فأمر بشراء عنب وتين فأبطأ ثمّ جاء بأحدهما فضربه، وقال: ينبغي لك إذا ما استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين، ثمّ مرض فأمر أن يأتي بطبيب فأتى به وبرجل آخر، فسأله فقال: أما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة؟ قال: بلى، قال: قد جئتك بطبيب فإن رجاك وإلاّ حفر هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفّار.

في أمالي الزجاج أخبرنا أبو عبد الله اليزيدي عن عمّه أبي القاسم يرفعه إلى أبي محمّد يحيى بن المبارك قال: عوتب دعبل بانصرافه عن النساء، فتزوج امرأة أقامت عنده ليلة، ثمّ خلاها فقيل له في ذلك؟ فأنشأ يقول:

رأيت عجوزاً وقد أقبلت ... فأبدت لعينيّ عن مبصقه[1]
فصيره الخلق دحداحة ... تدحرج في المشي كالبندقه
تخطط حاجبها بالمداد ... وتربط في عجزها مرفقه
وثديان ثدي كبلوطة ... وآخر كالقربة المفهقه

وقد غاب رجل عن زوجته فتزوّجت بعده وولدت أولاداً، فجاء الزوج الأول فلزمته المرأة وقالت له: هؤلاء أولادك فأنفق عليهم، فقال: يا قوم أنا كنت في بلاد أُخرى وليس لي خبر بهذه الأولاد، فحاكمته إلى قاضي الحنفية فألحق الأولاد بالزوج الأول فقال: أيّها القاضي أعزّك الله أنا رجل فقير وليس عندي ما أقوم بنفقتهم، فقال القاضي للحاضرين عنده: ليأخذ كلّ واحد منكم ولداً يربيه لأجل الثواب، وكان في المجلس رجل خصيّ فأعطاه فحمله على كتفه؛ فلمّا وصل إلى السوق سأله رجل من أين لك هذا الولد وأنت خصي؟ فقال: نعم كنّا عند مولانا القاضي وقسّم أولاد الزنا على الحاضرين فهذا كان سهمي منهم.

واعلم يا أخي أيقظك الله من الغفلة أنّنا بهذين الكراسين أبعدناك عن دار

(١) في الديوان: رأيت غزالاً.

الحضور وقرّبناك إلى دار الغرور، فاستيقظ من هذه وكفر الضحك بما روي عن الأئمّة الطاهرين عليهم أفضل الصلوات من أن كفّارته أن تقول بعده رب لا تمقتني، كما أنّ كفّارة ما يكون منك في المجلس هو أن تقول إذا أردت القيام: سبحان ربّك رب العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وتذكر إن الدنيا ليست بدار فرح ولا مرح وأن أضحكت يوماً أبكت أيّاماً.

دنيا إذا ما أضحكت في يومها أبكت غداً تعساً لها من دار

فارفع طرفك وامسح دموع الضحك عن خدّيك ليكون المكان خالياً لدموع الحزن فقد جاء ذكر هادم اللذات الذي قال فيه ﷺ أكثروا ذكر هادم اللذات. فها نحن قد أخذنا في تفاصيل أحواله.

نور في مقدمات الموت من الأمراض ودوائها وما ناسب هذا المقام

اعلم أرشدك الله تعالى أنّ الله سبحانه بمنزلة المؤدّب والناس بمنزلة الأطفال، والمؤدّب شأنه تأديب الأطفال بما تقتضيه المصلحة، فالأمراض كلّها تأديبات من الحكيم لمصالح لا يخفى بعضها.

منها ما رواه صاحب كتاب «طبّ الأئمّة عليهم السلام» وهو من إخوان عبد الله بن أبي بسطام الزيات وأخوه الحسين بن أبي بسطام ذكرهما النجاشي رحمه الله رويا عن الصادق عليه السلام رواه أن جدّه الحسين بن علي عليهما السلام قال: عاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقال: يا أبا عبد الله كيف أصبحت من علّتك؛ قال: يا أمير المؤمنين أحمد الله كثيراً وأشكو إليك كثرة الضجر. قال: فلا تضجر يا أبا عبد الله فما من أحد من شيعتنا يصيبه وجع إلّا بذنب قد سبق منه، وذلك الوجع تطهير له، قال سلمان: فإن كان الأمر على ما ذكرت وهو كما ذكرت فليس لنا في شيء من ذلك أجر خلا التطهير قال علي عليه السلام: يا سلمان إنّ لكم الأجر بالصبر والتضرع إلى الله تعالى عزّ اسمه والدعاء له بهما يكتب لكم الحسنات ويرفع لكم الدرجات، وأمّا الوجع خاصّة فهو تطهير وكفارة، قال: فقبّل سلمان ما بين عينيه وبكى، وقال: من كان يميّز لنا هذه الأشياء لولاك يا أمير المؤمنين؟!.

وروى شيخنا الكليني عن الباقر عليه السلام قال: كان الناس يعتبطون اعتباطاً[1] فلمّا

---

(١) أي يموتون من غير علّة.

كان زمن إبراهيم عليه السلام قال: يا رب اجعل للموت علّة يؤجر بها الميّت ويسلى بها عن المصاب قال: فأنزل الله البرسام ثمّ أنزل بعده الداء. وروى عن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رفع رأسه إلى السماء فتبسّم، فقيل يا رسول الله رأيناك رفعت رأسك إلى السماء فتبسّمت؟ قال: نعم عجبت لملكين هبطا من السماء إلى الأرض يلتمسان عبداً صالحاً مؤمناً في مصلّى كان يصلي فيه ليكتبا له عمله في يومه وليلته فلم يجداه في مصلاه؛ فعرجا إلى السماء فقالا ربّنا أنّ عبدك فلان المؤمن التمسناه في مصلاه لنكتب عمله في يومه وليلته فلم نصبه فوجدناه في حبالك، فقال الله عزّ وجلّ اكتبا لعبدي مثل ما كان يعمله في صحّته من الخير في يومه وليلته ما دام في حبالي، فإنّ عليّ أن أكتب له أجر ما كان يعمله في صحته إذا حبسته عنه، وكذلك إذا ضعف عن العمل لكبر فإنّ الله يكتب له من الأعمال الصالحة مثل ما كان يعمله في نشاطه.

ومنها أنّ الأمراض زواجر للعبد عن المعاصي، فالأمراض بمنزلة الأسواط التي يضرب المؤدّب الولد بها. ومنها أنّ الإنسان إذا كان صحيح البدن كان غافلاً عن الوصية نائماً عنها ولا يوقظه إلّا المرض إن كان لبيباً وإلاّ فأكثر الناس في غفلة حتّى عند الموت. روى صاحب روضة الواعظين أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله من مات بغير وصيّة مات ميتة جاهليّة.

وقال صلى الله عليه وآله: لا ينبغي لامرىء مسلم أن يبيت ليلة إلّا ووصيّته تحت رأسه. وقال الصادق عليه السلام: من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية.

ومنها تحصيل الثواب لعوّاده؛ روي عن الصادق عليه السلام أنّه إذا كان يوم القيامة أُوتي العبد المؤمن إلى الله عزّ وجلّ فيحاسبه حساباً يسيراً فيقول ما منعك أن تعودني حين مرضت؟ فيقول المؤمن أنت ربّي وأنا عبدك أنت الحي القيوم الّذي لا يصيبك ألم ولا نصب، فيقول عزّ وجلّ من عاد مؤمناً فقد عادني، ثمّ يقول له أتعرف فلان بن فلان؟ فيقول: نعم يا رب فيقول ما منعك أن تعوده حين مرض؟ أما إنّك لو عدته لعدتني ثمّ لوجدتني به وعنده، ثمّ لو سألتني حاجة لقضيتها لك ولم أردّك عنها. وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من عاد مريضاً فله بكلّ خطوة خطاها حتّى يرجع إلى منزله ألف ألف حسنة، ويمحى عنه سبعون ألف ألف سيئة، ويرفع له سبعون ألف ألف درجة ويوكل به سبعون ألف ألف ملك يعودونه في قبره ويستغفرون له إلى يوم القيامة.

أمّا وجع العين فلا عيادة فيه، وأعظم العائدين ثواباً من خفّف الجلوس عند المريض إلّا أن يعلم من حال المريض رضاه بطول الجلوس، وقدر جلوس العيادة على ما في الروايات مقدار حلب ناقة، وينبغي أن يحمل معه إلى المريض تفاحة أو سفرجلة أو أترجة أو لعقة من طيب أو قطعة من عود، لأنّ المريض يستريح إلى كل من دخل عليه بها، كذا جاء في الرواية عن الصادق عليه السلام، ومن تمام العيادة أن يضع إحدى يديه على الأُخرى أو على جبهته، وينبغي أن يطلب العائد من المريض الدعاء للعائد، وأن يأذن المريض لكلّ العائدين لأنّ مستجاب الدعوة مخفيّ بينهم، فلعله الممنوع عن الدخول، ومرض الصبي كفّارة لذنوب والديه.

وروي عن الباقر عليه السلام قال حمّى ليلة تعدل عبادة سنة، وحمّى ليلتين تعدل عبادة سنتين، وحمّى ثلاث ليال تعدل عبادة سبعين سنة؛ قال أبو حمزة: قلت فإن لم يبلغ سبعين سنة؟ قال: فلأبيه وأمّه، قال: قلت فإن لم يبلغا قال: فلقرابته، قال: فإن لم يبلغ قرابته؟ قال لجيرانه.

وروي أنّ حمّى يوم كفّارة ذنوب سنة، وذلك أنّ ألمها يبقى في البدن سنة، وأنّها تأخذ من البدن عافية سنة أيضاً، وهي حظّ المؤمن من جهنّم لأنّها من فيحها، وذلك لما عرفت من أنّ نوعاً من النار تحت الأرض فإذا فارت خرجت حرارتها فأصابت المياه سيّما رؤوس الجبال وما فيها من المياه.

وينبغي للمريض أن لا يشكو إلى العواد فإنّه ينقص الثواب، وأمّا كيفيّة الشكوى فرواها جميل بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن حدّ الشكاية للمريض، فقال: إنّ الرجل يقول حممت اليوم وسهرت البارحة وقد صدق وليس هذا شكاة إنّما الشكوى أن يقول لقد ابتليت بما لم يبتل به أحد ويقول: لقد أصابني ما لم يصب أحداً، وليس الشكوى أن يقول: سهرت البارحة وحممت اليوم ونحو هذا.

وأمّا التداوي والمضي إلى الطبيب فقد ورد الأمر به قال النبيّ صلى الله عليه وآله تداووا فإنّ الله عزّ وجلّ لم ينزل داء إلّا وقد أنزل له شفاء وقال صلى الله عليه وآله تجنّب الدواء ما احتمل بدنك من الداء، فإذا لم يحتمل الداء فالدواء. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال إنّ نبيّاً من الأنبياء مرض، فقال: لا أتداوى حتّى يكون الّذي أمرضني هو الذي يشفيني، فأوحى الله عزّ وجلّ لا أشفيك حتّى تداوى فإنّ الشفاء منّي. وقد قال موسى عليه السلام: يا رب ممّن الداء؟ قال: منّي، قال: فلم أمرت المرضى بالطبيب؟ قال: ليطيب نفوسهم، فمن هذا سمّي الطبيب طبيباً.

فإن قلت: ما فائدة رجوع المريض إلى الطبيب الحاذق والأخذ بدوائه؟ قلت: لعل فائدته رفع استمرار المرض لا دفع الأجل فإنّه لا يدفعه عن نفسه فكيف يدفعه عن غيره:

إنّ الطبيب له في الطبّ معرفة ما دام في أجل الإنسان تأخير
حتّى إذا ما انقضت أيّام مدّته حار الطبيب وخانته العقاقير

نعم سيأتي إن شاء الله تعالى في تحقيق الأجل أنّ منه الأجل القابل للزيادة والنقصان باعتبار ارتباطه بالأسباب كصلة الأرحام وصلة المساكين وفعل بعض الطاعات والعبادات، وحينئذٍ فيجوز أن يكون التداوي من جملة أسباب الزيادة وتركه من أسباب النقيصة حيث ورد الأمر به، ولا يلزم في التداوي الرجوع إلى الأطبّاء والحكماء بل إلى من تركن النفس إلى دوائه ولو كنّ العجائز وأضرابهن، فإنّ دواءهنّ أنفع في الغالب من أدوية أكثر الأطباء، وذلك لأنّ دواءهنّ قد مرّت عليه التجاريب وأمّا أدوية الأطباء فالغالب عليها مجرّد الأخذ من الكتب المدوّنة في الفنّ.

فإن قلت: إذا جاز للطبيب استعمال الطب وأمر المريض بالرجوع إليه فلم جعله الشارع ضامناً وإن كان حاذقاً؟ قلت: جوازه لا ينافي ضمانه فإنّ كثيراً من الحرف الجائزة قد ضمّن الشارع أهلها ما يتلفونه كالقصار والصائغ وصاحب الحمام ونحوهم احتياطاً لأموال الناس، وهذا أيضاً احتياطاً في دمائهم حتّى لا يتجرأ على الطبّ من لا معرفة له به ولا وقف على مفرداته ومركّباته، ولا على تمييز العقاقير بعضها عن بعض كما هو الغالب في هذه الأعصار، ولهذا أسقط الشارع الضمان عنه إذا أخذ البراءة إمّا من المريض أو من وليّه.

واعلم أنّ التداوي قد روي عن الأئمّة عليهم السلام على قسمين دعاء ودواء، فأما الدعاء فهو صالح لكلّ الأبدان كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وأمّا الدواء فقد روي في بعض الأمراض أدوية لا تصلح ظاهراً ولا توافق كلّ الأبدان في جميع البلدان، نعم، ربّما وافق طبائع أهل العراق ومكّة والمدينة وما والاها، ومن ثمّ قال جماعة من الأصحاب إنّ تلك الأدوية والمعالجات المذكورة في كتاب طب الأئمّة وغيره من المروي عنهم عليهم السلام إنّما هو مخصوص بأهل تلك البلاد المذكورة، ولكنّ الحق أنّ في بعض الأخبار ما يدلّ على العموم مثل ما روي في غير حديث من الاستشفاء والمداواة بالعسل لقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، فإنّ القرآن لم ينزل

لخصوص بلد دون آخر، وحينئذٍ فالحقّ في الجواب هو أنّ ما ورد عنهم عليهم السلام من أنواع الدواء لأنواع الأمراض عامّ شامل للأبدان والبلدان.

نعم ينبغي للمريض أن يتعاطى تلك الأدوية من عزائم القلب وصميمه وأن لا يتوهّم من شيء منها فإنّك قد تحققت أنّ من تطيّر من شيء ضرّه ذلك الشيء، وقد شاهدنا جماعة من الأفاضل ممّن ساعدهم وفور الإخلاص يتداوون في خراسان بالأدوية المذكورة في طبّ الأئمّة وغيره التي لو تداوى بها أهل ذلك البلد لنالوا منها أنواع الضرر بزعمهم، وحصل أولئك الأفاضل منها الشفاء العاجل ، فليس السبب إلاّ ما عرفت.

وأعظم أنواع الدواء النافع ما روي عن الرضا عليه السلام أنّه قال: لو أنّ الناس قصروا في الطعام لاستقامت أبدانهم، وفي الرواية أنّ طبيباً نصرانيّاً دخل على مولانا الصادق عليه السلام فقال له: يابن رسول الله أفي كتاب ربّكم أم في سنّة نبيّكم شيء من الطبّ؟ فقال: نعم أمّا كتاب ربّنا فقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١]، وأمّا سنّة نبيّنا فقال صلى الله عليه وآله: الحمية من الأكل رأس كلّ دواء، والإسراف في الأكل رأس كلّ داء، فقام النصراني وهو يقول: والله ما ترك كتاب ربّكم ولا سنّة نبيّكم شيئاً من الطب لجالينوس، وقال عليه السلام: ليس الحمية من الشيء تركه إنّما الحمية من الشيء الإقلال منه، إذا عرفت هذا فلنتلُ عليك أدوية الأمراض الدعائيّة المرويّة عن أرباب العصمة من أهل البيت عليهم السلام التي جرّبها العلماء والأخيار واستعملها الفضلاء في كلّ الأعصار.

اعلم أنّ القرآن وآياته فيهما شفاء من جميع الأمراض خصوصاً آية الكرسي فإنّي جرّبتها وكذا غيري فإنّها تحفظ من اللصوص وفي الحروب ومن هوامّ الأرض ودوابّها، ولو أنّ أحداً قرأها ودخل بين السيوف والرماح لنجاه الله تعالى بها من كلّ الأهوال وحفظها يتضاعف بتضاعف قراءتها، ففي الحديث أنّ من قرأها مرّة أرسل الله تعالى ملكاً يحفظه، وإذا قرأها مرّتين أرسل إليه ملكين يحفظانه، وهكذا إلى خمس مرّات فإذا قرأها خمساً قال الله تعالى للملائكة خلّوني أنا أحفظه لا عليكم وحفظه.

رقية الحمى: عن الصادق عليه السلام هي كتابة آية الكرسي في إناء ودوّفه بجرعة ماء يشربه المريض، أُخرى وهي رقية جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله لمّا حمّ فقرأ عليه بسم الله أشفيك من كل داء يؤذيك بسم الله والله شافيك بسم الله خذها فليهنّيك بسم الله

الرحمٰن الرحيم فلا أُقسم بمواقع النجوم وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم لتبرأنّ بإذن الله عزَّ وجلَّ وهذه العوذة من خزانة في السماء السابعة. أُخرى للحمّى وغيرها قال الصادق عليه السلام حلّ أزرار قميصك وأدخل رأسك في جيبك وأذّن وأقم واقرأ الحمد سبع مرات.

أُخرى عن مولانا الباقر عليه السلام إنّه كان إذا حم بلّ ثوبان ويطرح عليه أحدهما فإذا جفّ طرح عليه الآخر؛ وقال محمّد بن مسلم سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما وجدنا للحمى مثل الماء البارد والدعاء.

وقال ابن بكير كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وهو محموم فدخلت عليه مولاة له، فقالت له: كيف تجدك فديتك؟ وسألته عن حاله وعليه ثوب خلق قد طرحه على فخذيه وقالت له: لو تدثرت حتّى تعرق فقد أبرزت جسدك للريح؛ فقال: اللهم أولعتهم بخلاف نبيّك صلى الله عليه وآله قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحمى من فيح جهنّم، وربّما قال: من فور جهنم، فأطفئوها بالماء البارد والله الشافي.

رقية الصداع: اشتكى رجل إلى الصادق عليه السلام الصداع، فقال: ضع يدك على الموضع الّذي يصدعك واقرأ آية الكرسي وفاتحة الكتاب وقل الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلّا الله والله أكبر وأجلّ وأكبر ممّا أخاف وأحذر أعوذ بالله من عرق نعّار وأعوذ بالله من حر النار. أُخرى رواها عمر بن حنظلة قال شكوت إلى أبي جعفر عليه السلام صداعاً يصيبني قال: إذا أصابك فضع يدك على هامتك وقل: لو كان معه آلهة كما تقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً؛ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً.

وصدع المأمون بطرسوس فلم ينفعه علاج، فوجّه إليه قيصر قلنسوة وكتب إليه بلغني صداعك فضع هذه على رأسك تسكن، فخاف أنّها مسمومة فوضعت على رأس حاملها فلم تضره، ووضعت على رأس مصدّع فسكن فوضعها على رأسه فسكن، فتعجب من ذلك ففتقت فإذا فيها بسم الله الرحمٰن الرحيم كم من نعمة لله في عرق ساكن حمعسق لا يصدّعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمٰن خمدت النيران ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم.

رقية العين: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا اشتكى أحدكم عينه فليقرأ عليها آية الكرسي وفي قلبه أنّه يبرأ ويعافى إن شاء الله تعالى. أُخرى يقرأ على الماء ثلاث مرات ويغسل به وجهه: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد، ولو نشاء لطمسنا

على أعينهم إلى قوله يبصرون. أُخرى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النور: ٣٥] الآية في جام بالتربة معجوناً بماء زمزم ثمّ يغسله ويصيّره في قارورة ويكتحل منه بالميل.

وأمّا رقيّة الشبكور[١]: فهي على ما قال مولانا الكاظم عليه السلام أن يكتب ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية ثلاث مرّات في جام ثمَّ يغسله ويصيّره في قارورة ويكتحل به فهو مجرّب.

رقية وجع الأذن: يقرأ على دهن الياسمين والبنفسج مرّات قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧] ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ويصبّ في الأذن.

رقية وجع الضرس: إقرأ فاتحة الكتاب ثلاث مرات وقل هو الله أحد ثلاث مرات ويقول يا ضرس أبالحار تسكنين أم بالبارد تسكنين أم باسم الله تسكنين اسكن سكنتك بالذي سكن له ما في السمٰوات وما في الأرض وهو السميع العليم، ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤] ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ [النمل: ٣٧] الآية فخرج منها خائفاً يترقّب. أُخرى يأخذ مسماراً ويقرأ عليه ثلاث مرات فاتحة الكتاب والمعوذتين ثمّ يقرأ من يحيي العظام إلى قوله عليم، ثم يقول: يا ضرس فلانه بن فلانة أكلت الحار والبارد أبا لحار تسكنين أم بالبارد تسكنين ثمَّ يقرأ ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣] الآية شددت داء هذا الضرس من فلان بن فلانه باسم الله العلي العظيم ثمّ يضربه في حائط ويقول: الله الله الله[٢].

رقية رعاف: يكتب على جبهة المرعوف بدمه أو بالزعفران: وقيل يا أرض أبلعي ماءكِ ويا سماء أقلعي إلى آخره فإنّه يسكن إن شاء الله تعالى.

رقية الزكام: عن أبي عبد الله عليه السلام قال يأخذ دهن بنفسج في قطنة فاحتمله في سفلتك عند منامك فإنه نافع للزكام إن شاء الله تعالى.

رقية وسوسة القلب: يقول: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله، ويقرأ المعوذتين، وقال أمير المؤمنين عليه السلام إذا وسوس الشيطان إلى أحدكم فليتعوذ بالله وليقل بلسانه وقلبه آمنت بالله ورسوله مخلصاً له الدين.

---

(١) نقل هذه الكلمة العجمية بين الألفاظ العربية وإلحاق الألف واللام عليها عجيب.

(٢) في مجربات الإمامية لمغنية: أن هذه الرقية لعقد الضرس، والزيادة بين قوسين منه.

رقية وجع القلب: يقرأ هذه الآيات على الماء ويشربه لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين سيهزم الجمع ويولّون الدبر إلى قوله أدهى وأمر إنّ الله يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا إلى قوله: غفوراً .

وأمّا ضيق القلب فيقرأ سبع عشر يوماً ألم نشرح إلى آخره كل يوم مرّتين مرة بعد الغداة ومرة بالعشاء .

رقية وجع البطن: يقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْـهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] إلى آخر الآية ويقرأ فاتحة الكتاب سبع مرات فإنه جيد مجربّ. أُخرى يقرأ لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشّاكرين إن الله بالناس لرؤوف رحيم وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .

رقية وجع الظهر: يقرأ شهد الله إلى قوله سريع الحساب .

رقية احتباس البول: يغسل رجليه ويكتب على ساقه اليسرى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر إلى قوله: لمن كان كفر. أُخرى ربّنا الله الّذي في السماء تقدّس اللّهم اسمك في السماء والأرض اللّهم كما جعلت رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ .

رقية الولادة: يقرأ هذه الأدعية في كوز مملوء ماء ثلاث مرّات وتشرب المرأة ويصب بين كتفيها وثدييها فتضع الولد إن شاء الله تعالى: بسم الله الّذي لا إلٰه إلّا هو الحليم الكريم سبحان الله رب السمٰوات ورب العرش العظيم الحمد لله ربّ العالمين [كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشية أوضحاها] كأنّهم يوم يرون ما يوعدو [لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ،وصلى الله على محمد وآله أجمعين][١] .

رقية وجع الركبة: عن أبي حمزة قال: عرض لي وجع في ركبتي فشكوت ذلك إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: إذا أنت صلّيت فقل: يا أجود من أعطى يا خير من سئل يا أرحم من استرحم ارحم ضعفي وقلّة حيلتي واعفني من وجعي، قال: ففعلت فعوفيت .

رقية للخنازير: عن الرضا عليه السلام قال: خرج بجارية لنا خنازير في عنقها، قال يا عليّ قل لها فلتقل: يا رؤوف يا رحيم يا سيّدي، تكرره قال: فقالت فأذهب الله عزّ وجلّ عنها .

---

(١) الزيادات بين قوسين من كتاب مجربات الإمامية .

رقية الآبق والضالة: روي عن الرضا عليه السلام قال: إذا ذهب لك ضالّة أو متاع فقل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ إلى قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ ثمّ تقول إنّك تهدي من الضلالة وتنجي من العمى وترد الضالّة صلّ على محمّد وآله واغفر لي وردّ ضالتي وصل على محمّد وآله وسلّم.

رقية العين: معمر بن خلاد قال: كنت مع الرضا عليه السلام بخراسان على نفقاته فأمرني أن أتّخذ غالية فلمّا أخذتها فأعجب بها فنظر إليها فقال لي: يا معمّر إنّ العين حقّ فاكتب في رقعة الحمد وقل هو الله أحد والمعوذتين وآية الكرسي واجعلها في غلاف القارورة. وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال العين حقّ وليس تأمنها منك على نفسك ولا منك على غيرك، فإذا خفت شيئاً من ذلك فقل ما شاء الله لا قوة إلّا بالله العلي العظيم ثلاثاً وقال: إذا تهيّأ أحدكم تهيئة تعجبه فليقرأ حين يخرج من منزله المعوذتين فإنّه لا يضره بإذن الله، وقال عليه السلام من أعجبه من أخيه شيء فليبارك عليه فإنّ العين حقّ.

رقية فزع الصبيان: إذا زلزلت إلى آخر السورة فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً إلى قوله: أمداً وآية شهد الله وقل ادعوا الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه إنّ الله بالغ أمره.

رقية النعاس: يقرأ ولمّا جاء موسى لميقاتنا إلى قوله: أوّل المؤمنين يقرأ على الماء ويمسح به رأسه ووجهه وذراعيه.

رقية الصرع: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٢] الآية.

رقية الثالول: يأخذ صاحبه قطعة ملح ويمسحها بالثالول ويقرأ عليه ثلاث مرات لو أنزلنا هذ القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله إلى آخر سورة الحشر ويطرحها في تنور وينصرف سريعاً يذهب إن شاء الله تعالى.

رقية البرص والجذام: يقرأ عليه ويكتب ويعلّق عليه بسم الله الرحمٰن الرحيم يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب الحمد لله فاطر السمٰوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أُولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع باسم فلان بن فلانة. شكى رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام البرص فأمره أن يأخذ طين قبر الحسين عليه السلام بماء السماء ففعل ذلك فبرىء.

رقية البهق: يكتب على موضع البهق وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرّون.

رقية التعب والنصب: من لحقه علّة في ساقه أو تعب أو نصب فليكتب عليه ولقد خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيّام وما مسّنا من لغوب.

رقية الجرب والدمل والقوباء: يقرأ عليه ويكتب ويعلق عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] الآية منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أُخرى الله أكبر وأنت لا تكبر والله يبقى وأنت لا تبقى والله على كل شيء قدير.

رقية القولنج: عن الأئمّة عليهم السلام: يكتب للقولنج أمّ القرآن وقل هو الله أحد والمعوذتين ويكتب أسفل ذلك أعوذ بوجه الله الكريم وبعزّته التي لا ترام وبقدرته التي لا يمتنع منها شيء من شرّ هذا الوجع ومن شرّ ما فيه ومن شرّ ما أجد فيه.

رقية الطحال: يقرأ على كفّه إذا جاء نصر الله ثلاث مرّات ثمّ يقرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] إلى آخر الآية ثلاث مرّات ثمّ امسح بهما رأسه ثلاث مرّات. أُخرى يكتب ويعلّق على هذا الموضع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [فاطر: ٤١] الآية إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمٰن الرحيم.

رقية الحيّة: وهي مجربة جربناها نحن وغيرنا يقرأ على قدح جديد إن أمكن ويكون فيه ماء والقراءة ثلاث مرّات، وإذا شربها رسول الملسوع نفعت الملسوع وإن كان بعيداً، تقرأ الحمد وقل هو الله أحد وقل يا أيّها الكافرون وقل أعوذ بربّ الفلق وقل أعوذ بربّ الناس وتقول باسم الله وبالله ومن الله وإلى الله ولا باق إلّا الله ولا واق إلّا الله ولا إلٰه (غائب) إلّا الله لا يغلب الله غالب ربّ المشارق والمغارب ثمانية من الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وعن ذكر الله لا يفترون يسبّحون ويهلّلون ويكبرون ويقدّسون سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سمع عندنا راق فاسترقى، فقال: أنا الراقي والله الواقي إنّه قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم من شرّ تسعة وتسعين حيّة حيّات البرور وحيّات البحور وحيّات الزروع وحيّات التراب وحيّات الخراب وحيّات الماء وحيّات السماء، وأعوذ بربّ الأبصام من شرّ البظير والقصير وأسود الرأس والأرطب والربربة والسلحوت والأقب، ومن شرّ حوريين وجوريين وشبّان وباران وبهران، ومن شرّ الأرقم والأدقم والأفقم، ومن شرّ البثن التي تقرب النفس من النعش والكفن ومن شرّ غبراء كالمرّة وصفراء كالزهرة، ومن شرّ أمّ طاقتين مع أمّ الخرافس، ومن شرّ الأسود الخالص كالليل الدامس، ومن شرّ بنات حربا والسرطانيّة وحوريا وجوريا، ومن شرّ الحيّة

التي ترقد سنة وتقعد سنة، ومن شرّ أسود الرأس والذنب وأبو نقطة، ومن شرّ رئيس الخشاب.

أُخرى: ذكر عندنا آدم أنه مشى على الحيّة فلسعته حيّة فاسودّ وجهه وذوى جنبه وصاح منها صيحة، فسمعه الربّ فناداه الشافي السميع العليم وقال يا آدم هذه من بركات الأرض وأشجاره (قسم) نسم الخلائق (بايدا) بادانها بكا بكر طلسم طوسان طوسان طاب طاب حربا عالم بمشوثا ثويت شميثا غيثا سمخيثا برديثا جافوثا (خافر) كهيج كهكهيج آمين ربّ موسى وهارون فناداه الشافي أيّتها الحيّة الحارة المارّة عزمت عليك بالله العظيم الأعظم وبكلمات الله الكريم الأكرم وبحق عيسى ابن مريم والكعبة وزمزم والركن الأعظم وبمحمّد صاحب الحوض والحرم عودي إلى منشرك (بحق الف) بألف لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، أيّتها الحيّة اجمعي سمّك في صدرك كما تجتمع الملائكة بالبيت المقدس كلمة من كلام الله تحرق الشجر الأخضر فإن كان السمّ في المخ فيخرج إلى العظم وإن كان في العظم فيخرج إلى اللحم وإن كان في اللحم فيخرج إلى الدم وإن كان في الدم فيخرج إلى الجلد، وإن كان في الجلد فيخرج إلى الفضا بحق من خلق الفضا وبما نزل بخاتم سليمان بن داود عليه السلام إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمٰن الرحيم. إن شربه الملدوغ شفا، وإن شربه المندوب كفى بألف لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين برحمتك يا أرحم الراحمين.

رقية أُخرى: بسم الله الرحمٰن الرحيم قل من يكلؤكم في الليل والنهار من حيّة وعقرب، وبرية، يا دابّتي اخرجي ولا تقتلي وتسلسلي وتسبسبي من المفاصل والعظام وأظهري وسمّه تستحطان ذمّه الفلفي حجالجا، لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون، يا أيها السم الناقع أخرج بنور لامع، إن كنت بالمخ أخرج إلى العظم، وإن كنت بالعظم أخرج إلى اللحم، وإن كنت باللحم أخرج إلى الجلد، وإن كنت بالجلد أخرج خارجاً بحق ألف لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم بسم الله الرحمٰن الرحيم يا ثمانية الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وعن ذكر ربّهم لا يفترون، سبّوح سبّوح قدّوس قدّوس ربّنا وربّ الملائكة والروح، جانا أبونا يسعى فلسعته حيّة قال: اقرأ كلّما يا طلس طلوس بكاليك عزمت على تسعة وتسعين حيّة من حيّات المدوّرات؛ وعن أناران وأمير الحنشاء، وعن الفقم والبقم والأرقم وعن الملك الخافس كالليل الدامس وعن الساقي مع أمّ

خراشا؛ وعن لدغه التي ترقد سنة وتقعد سنة يا أيّها السمّ الناقع أخرج بنور وجه الله الساطع وبالضياء اللامع إن كنت بالمخ أخرج باللحم، وإن كنت باللحم أخرج بالدم وإن كنت بالدم أخرج بالريش وايبس يبوس الحشيش وطر طيران الريش بألف لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

كفاك ربّك كم يكفيك واكفة ... كميتها ككميت كان من كلكا

تكر كرّاً ككرّ الكرّ في كبدي ... يحكي مشكشكة كلّت لك الغلكا

يكفيك ربّك كف الكاف كافية ... يا كوكب كان يحكي كوكب الفلكا

ثمّ تقرأ الفاتحة سبع مرّات والإخلاص كذلك وآية الكرسي كذلك وتقول اللهمّ أنا الراقي وأنت الواقي وأنا الراشف وأنت الكاشف إن شربه الملدوغ شفى وأن شربه المندوب كفى.

رقية جُربت: وأنا انظر مراراً من أراد أن يبقر خدّه أو شيئاً من أعضائه فليقرأ على رأس الإبرة هذا الدعاء مرّة واحدة بسم الله الرحمٰن الرحيم يا الله يا عزيز يا رحيم بحقّ هذا الاسم العظيم وبحقّ سليمان راعي الملك العظيم، وبحقّ إبراهيم الخليل جدّ الأنبياء والمرسلين، وهذا ينفع إذا قرئ على النشتر في حال الفصد.

رقية الحرب: إذا تقابلت العساكر فيأخذ رجل قبضة من التراب بيديه كلتيهما ويقرأ سورة والتين والزيتون ثلاث مرّات فإذا فرغ قال: بلى إنّه على كلّ شيء حاكم فيرمي التراب الّذي في يده اليمنى على الجانب الأيسر؛ والّذي في يده اليسرى على الجانب الأيمن فإنّ العسكر المقابل ينهزم بإذن الله تعالى.

رقية أُخرى يكتب آيات الفتح في كاغذ ويشدّ في السهم ويرمي به جانب العدوّ فإنّه ينهزم إن شاء الله تعالى:

الأولى: ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألّا تقاتلوا قالوا وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا، فلمّا كتب عليهم القتال تولوا إلّا فريق منهم والله عليم بالظالمين.

الثانية: لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حقّ ونقول ذوقوا عذاب الحريق.

الثالثة: ألم تر إلى الّذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلمّا كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية قالوا ربّنا لم كتبت علينا القتال لولا أخّرتنا إلى أجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتّقى ولا يظلمون فتيلاً.

الرابعة: واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحقّ إذ قربا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنّما يتقبّل الله من المتّقين.

الخامسة: قل من ربّ السمٰوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كلّ شيء وهو الواحد القهّار.

السادسة: إنّ ربّك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الّذين معك والله يقدّر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسّر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تيسّر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم.

رقية لحل المربوط: ذكره شيخنا ابن فهد قدّس الله روحه يكتب أوّل سورة الفتح إلى مستقيماً، وسورة النصر، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢١] الآية ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنّكم غالبون، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر، وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً، كذلك حللت فلان ابن فلان عن فلانة بنت فلانة، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتمّ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إلٰه إلّا هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم.

رقية أُخرى يكتب ويعلّق أوّل الفتح إلى قوله نصراً عزيزاً، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر، وجعلنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً، وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم، ثمّ يكتب حتّى إذا ركب في

السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها، ثلاثاً ثمّ يكتب اللهمّ إنّي أسألك بحقّ اسمك المكنون بين الكاف والنون، وبحقّ محمّد وأهل بيته الطاهرين أن تحلّ ذكر فلان ابن فلانة عن فلانة بنت فلانة بكهيعص بحمعسق بقل هو الله أحد، وعنت الوجوه للحيّ القيّوم وقد خاب من حمل ظلماً بألف لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

أُخرى يكتب على ورقتين من الزيتون يبلع الرجل واحدة والمرأة واحدة يكتب للرجل والسماء بنيناها بأيد وإنّا لموسعون، وللمرأة والأرض فرشناها فنعم الماهدون.

أُخرى يكتب على ثلاث بيضات بعد أن يسلقوا ويقشروا: الأولى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف: ٧١] الآية. الثانية: أو لم ير الذين كفروا أنّ السمٰوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون، الثالثة: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية ثمّ يأكل الأولى فإن انحلّ وإلاّ أكل الثانية فإن انحلّ وإلاّ أكل الثالثة، والرقيات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام كثيرة ولكن ما ذكرناه ممّا لا شكّ فيه ولا ريب يعتريه.

نور آخر في طب الرضا عليه السلام وضعه للمأمون

نقلتها بلفظها وهذه الرسالة الذهبية (المذهبة) في الطب الذي بعث به الإمام الهمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون العبّاسي في صحّة المزاج وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية، قال إمام الأنام عزّة وجه الإسلام، مظهر الغموض بالرؤية اللامعة كاشف الرموز في الجفر الجامعة، أقضى من قضى بعد جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأغزى من غزى بعد أبيه المرتضى صلوات الله وسلامه عليه وآله إمام الإنس والجنّ عليّ بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده النجباء الكرام النقباء: اعلم يا أمير المؤمنين أنّ الله تعالى لم يبتل العبد المؤمن ببلاء حتّى جعل له دواء يعالج به، ولكلّ صنف من الداء صنف من الدواء وتدبير ونعت، وذلك أنّ الأجسام الإنسانيّة جعلت على مثال الملك فملك الجسد هو في القلب، والعمّال العروق والأوصال والدماغ، وبيت الملك قلبه وأرضه الجسد والأعوان يداه ورجلاه وعيناه وشفتاه ولسانه وأذناه، وخزانته معدته وبطنه؛ وحجابه صدره، فاليدان عونان يقرّبان ويبعّدان ويعملان على ما يوحي إليهما الملك والرجلان ينقلان الملك حيث يشاء، والعينان يدلان على ما يغيب عنه لأنّ الملك

من وراء حجاب لا يوصل إليه إلّا بهما وهما سراجاه أيضاً، وحصنه الجسد وحرزه الأذنان لا يدخلان على الملك إلّا ما يوافقه لأنّهما لا يقدران أن يدخلا شيئاً حتّى يوحي الملك إليهما، فإذا أوحى إليهما أطرق الملك منصتاً لهما حتّى يسمع منهما ثمّ يجيب ما يريد فترجم عنه اللسان بأدوات كثيرة منها ريح الفؤاد وبخار المعدة ومعونة الشفتين وليس للشفتين قوة إلّا بالأسنان، وليس يستغني بعضها عن بعض والكلام لا يحسن إلّا بترجيعه بالأنف لأنّ الأنف يزيّن الكلام كما يزيّن النفخ المزمار وكذلك المنخران هما ثقبتا الأنف يدخلان على الملك ما يحب من الريح الطيّبة، فإذا جاءت ريح تسوء على الملك أوحى إلى اليدين فحجبا بين الملك وتلك الريح، وللملك مع هذا ثواب وعقاب، فعذابه أشدّ من عذاب الملوك الظاهرة القاهرة في الدنيا وثوابه أفضل من ثوابهم، فأمّا عذابه فالحزن وأمّا ثوابه فالفرح وأصل الحزن في الطحال وأصل الفرح في الثرب[1] والكليين ولهما عرقان موصلان إلى الوجه، فمن هناك يظهر الحزن والفرح فترى علامتيهما في الوجه وهذه العروق كلها طرق من العمّال إلى الملك ومن الملك إلى العمّال ومصداق ذلك أنّه إذا تناولت الدواء أدّته العروق إلى موضع الداء بإعانتها.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ الجسد بمنزلة الأرض الطيّبة متى تعوهدت بالعمارة والسقي من حيث لا يزاد في الماء فيغرق ولا ينقص منه فيعطش دامت عمارتها وكثر ريعها وزكّا ونمى زرعها، وإن تغوفل عنها فسدت ولم ينبت فيها العشب، فالجسد بهذه المنزلة وبالتدبير بالأغذية والأشربة يصلح ويصحّ وتزكو العافية فانظر يا أمير المؤمنين ما يوافقك ويوافق معدتك ويقوى عليه بدنك ويستمرئه من الطعام فقدّره لنفسك واجعله غذاءك.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ كلّ واحدة من هذه الطبائع تحبّ ما يشاكلها فاغتذ ما يشاكل جسدك. ومن أخذ الطعام زيادة لم يغذوه ومن أخذه بقدر لا زيادة ولا نقص عليه نفعه وكذلك الماء سبيله أن تأخذ من الطعام كفايتك في إبّانه ووقته وارفع يديك منه وبك إليه بعض القرم وعندك إليه ميل فإنّه أصلح لمعدتك وبدنك وأزكى لعقلك، وأخفّ على جسمك يا أمير المؤمنين كل البارد في الصيف والحار في الشتاء والمعتدل في الفصلين على قدر قوّتك وشهوتك، وابدأ في أوّل الطعام بأخفّ الأغذية التي تتغذى بها بقدر عادتك وبحسب طاقتك ونشاطك وزمانك الذي يجب

(١) الثرب على وزن فلس شحم رقيق على الكرش والأمعاء.

أن يكون في كلّ يوم عندما يمضي من النهار ثمان ساعات أكلة واحدة أو ثلاث أكلات في يومين تتغذى باكراً في أوّل يوم تتعشى؛ فإذا كان اليوم الثاني فعندما مضى ثمان ساعات من النهار أكلت أكلة واحدة ولم تحتج إلى العشاء كذا أمر جدي محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وعليّ صلوات الله عليه في كلّ يوم وجبة وفي غده وجبتين وليكن ذلك بقدر لا يزيد ولا ينقص، وارفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه وليكن شرابك على أثر طعامك من هذا الشراب الصافي العتيق الّذي يحلّ شربه.

وأنا أصفه فيما بعد ونذكر الآن ما ينبغي ذكره من تدبير فصول السنة وشهورها الرومية الواقعة فيها في كلّ فصل على حدة، وما يستعمل من الأطعمة والأشربة وما يتجنب منه وكيفيّة حفظ الصحّة من أقاويل القدماء ونعود إلى قول الأئمّة عليهم السلام في صفة شراب يحل شربه ويستعمل بعد الطعام.

ذكر فصول السنة: أمّا فصل الربيع فإنّه روح الزمان وأوّله آذار وعدة أيّامه أحد وثلاثون يوماً وفيه يطيب الليل والنهار ويلين ويذهب سلطان البلغم، ويهيج الدم ويستعمل فيه من الغذاء اللطيف واللحوم والبيض الـ(نيم برشت) ويشرب بعد تعديله؛ ويتّقى فيه أكل البصل والثوم والحامض ويحمد فيه شرب المسهل ويستعمل فيه الفصد والحجامة.

نيسان: ثلاثون يوماً فيه يطول النهار ويقوى مزاج الفصل ويتحرك الدم وتهبّ فيه الرّياح الشرقيّة ويستعمل فيه المآكل المشويّة وما يعمل بالخلّ ولحوم الصيد ويعالج الجماع والتمريخ بالدّهن في الحمام، ويشرب الماء على الرّيق وتشم الرّياحين والطيب.

أيار: أحد وثلاثون يوماً تصفو فيه الرّياح وهو آخر فصل الرّبيع وقد نهي عن الملوحات واللّحوم الغليظة كالرؤوس وكوم البقر واللّبن، وينفع فيه دخول الحمام أول النّهار وتكره فيه الرّياضة قبل الغداء.

حزيران: ثلاثون يوماً يذهب فيه سلطان الدّم ويقبل زمان المرّة الصفراء وينهى فيه عن التعب وأكل اللّحم دائماً والإكثار منه، وشمّ المسك والعنبر، وينفع فيه أكل البقول الباردة كالهندباء والبقلة الحمقاء؛ وأكل الخضر كالخيار والقثاء والشيرخشت، والفاكهة الرّطبة، واستعمال المحمضات، ومن اللّحوم لحم المعز الثنيّ والجدي، ومن الطيور الدجاج والطيهوج والدّراج والألبان والسمك الطريّ.

تموز: أحد وثلاثون يوماً فيه تشتدّ الحرارة وتفور المياه ويستعمل فيه شرب الماء

البارد على الرّيق، وتؤكل فيه الأشياء الباردة، ويكثر فيه مزاج الشراب وتؤكل فيه الأغذية السريعة الهضم كما ذكر في حزيران.

آب: أحد وثلاثون يوماً، فيه تشتدّ السموم ويهيج الزّكام باللّيل، وتهبّ الشمال، ويصلح المزاج بالتّبريد والترطيب وينفع فيه شرب اللّبن الرّائب، ويجتنب فيه الجماع والمسهل، ويقلّ من الرياضة وتشمّ الرّياحين الباردة.

أيلول: ثلاثون يوماً فيه يطيب الهواء ويقوى سلطان المرّة السوداء، ويصلح شرب المسهل، وينفع فيه أكل الجلاّب وأصناف اللّحوم المعتدلة كالجدي والحوالي من الضأن، ويجتنب لحم البقر والإكثار من الشويّ ودخول الحمّام، ويستعمل فيه الطيب المعتدل المزاج، ويجتنب فيه أكل البطيخ والقثاء.

تشرين الأول: أحد وثلاثون يوماً فيه تهبّ الرياح المختلفة، ويتنفّس فيه ريح الصبا، ويجتنب فيه الفصد وشرب الدّواء ويحمد فيه الجماع، وينفع أكل اللّحم السمين والرّمان المزّ والفاكهة بعد الطعام، ويستعمل فيه من أكل اللّحوم بالتوابل، ويقلّل فيه من شرب الماء وتحمد فيه الرّياضة

تشرين الثاني: ثلاثون يوماً فيه يقع المطر الوسمي ونهي فيه عن شرب الماء في اللّيل، ويقلل فيه من دخول الحمّام والجماع، ويشرب كلّ يوم بكرة جرعة ماء حار، ويجتنب فيه أكل البقول الحارّة كالكرفس والنعناع والجرجير.

كانون الأول: أحد وثلاثون يوماً، تقوى فيه العواصف ويشتد فيه البرد، وينفع فيه كلّ ما ذكر في تشرين الثاني، ويحذر فيه من أكل الطعام البارد، ويتقى فيه الحجامة والفصد، وتستعمل فيه الأغذية الحارّة بالقوّة والفعل.

كانون الثاني: أحد وثلاثون يوماً يقوى فيه غلبة البلغم، وينبغي أن يتجرع فيه الماء الحارّ على الرّيق، ويحمد فيه الجماع، وينفع فيه الأحساء مثل البقول الحارة كالكرفس والجرجير والكراث، وينفع فيه دخول الحمّام أول النّهار والتّمريخ بدهن الخيري وما ناسبه، ويحذر فيه الحلو وأكل السمك الطري واللّبن.

شباط: ثمانية وعشرون يوماً تختلف فيه الرّياح وتكثر الأمطار. ويظهر فيه العشب ويجري فيه الماء في العود؛ وينفع فيه أكل الثوم ولحم الطير والصيود والفاكهة اليابسة، ويقلّل من أكل الحلاوات، وتحمد فيه كثرة الحركة والرّياضة.

صفة الشراب الذي يحل شربه: واستعماله بعد الطعام وقد تقدّم ذكر نفعه عند

ابتدائنا بالقول على فصول السنة وما يعتدّ فيها من حفظ الصحّة وصفته أن يؤخذ من الزّبيب المنقى عشرة أرطال فيغسل وينقّع بماء صاف غمره وزيادة عليه أربع أصابع ويترك في إنائه ذلك ثلاثة أيّام في الشتاء وفي الصيف يوم وليلة، ثم يجعل في قدر نظيف، وليكن الماء ماء السماء إن قدرت عليه وإلاّ فمن الماء العذب الذي ينبوعه من ناحية المشرق ماء برّاقاً أبيض خفيفاً وهو القابل لما يعرضه على سرعة من السخونة والبرودة، وتلك دلالة على خفّة الماء. ويطبخ حتّى ينتفخ الزّبيب وينضج، ثمّ يعصر ويصفى ماؤه ويبرد، ثمّ يردّ إلى القدر ثانياً ويؤخذ مقداره بعود ويغلى بنار لينة غلياناً رقيقاً حتّى يمضي ثلثاه، ثمّ يؤخذ من العسل المصفى رطل فيلقى عليه ويؤخذ مقداره مقدار الماء إلى أين كان من القدر، ويغلى حتى يذهب قدر العسل ويعود إلى حدّه، ويؤخذ خرقة ضعيفة فيجعل فيها زنجبيل وزن درهم، ومن القرنفل نصف درهم، ومن الدارچيني مثله، ومن الزّعفران درهم، ومن السنبل نصف درهم، ومن الهندباء مثله، ومن المصطكى نصف درهم بعد أن يسحق كلّ واحد على حدة وينخل ويجعل في خرقة ويشدّ بخيط شدّاً جيداً ويلقى فيه وتمرس الخرقة في الشراب بحيث تنزل العقاقير القوى التي فيها ولا يزال يعاهد بالتحريك على نار لينة برفق حتى يذهب منه مقدار العسل ويرفع ويزداد ماء ويؤخر مدّة ثلاثة شهور حتى يتداخل مزاجه بعضه في بعض، وحينئذٍ يستعمل ومقدار ما يشرب منه أوقية إلى أوقيتين من الماء القراح، فإذا أكلت يا أمير المؤمنين مقدار ما وصفت لك من الطعام فاشرب من هذا الشراب مقدار ثلاثة أقداح بعد طعامك، فإذا فعلت ذلك فقد أمنت بإذن الله تعالى يومك وليلتك من الأوجاع الباردة المزمنة كالنقرس والرّياح، ومثل ذلك من أوجاع الكبد والطحال والأمعاء والأحشاء والعصب والدّماغ والمعدة، فإن صدقت بعد ذلك شهوة الماء فليشرب نصف ما كان يشرب قبل فإنّه أصلح لبدن أمير المؤمنين وأكثر لجماعه وأشد لضبطه وحفظه، وإنّ صلاح البدن يكون بالطعام والشراب وفساده بهما فإن أصلحتهما صلح البدن وإن أفسدتهما فسد البدن.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ قوّة النفوس تابعة لأمزجة الأبدان، وأنّ الأمزجة تابعة للهواء، ويتغير بحسب تغيُّر الهواء في الأمكنة فإذا برد الهواء مرّة وسخن أُخرى تغيّرت بسببه أمزجة الأبدان وأثر ذلك تغييراً في القوى، فإن كان الهواء معتدلاً اعتدلت أمزجة الأبدان وصلحت تصرّفات الأمزجة في الحركات الطبيعيّة كالهضم

والجماع والنوم والحركة وسائر الحركات لأنّ الله تعالى بنى الأجسام على أربع طبائع وهي المرّتان والدّم والبلغم، وبالجملة حارّان وباردان قد خولف ما بينهما فجعل الحارّين ليناً ويابساً وكذلك الباردين رطباً ويابساً؛ ثمّ فرّق ذلك على أربعة أجزاء من الجسد على الرأس والصدر والشراسيف وأسفل البطن.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ الرّأس والأذنين والعينين والمنخرين والفم والأنف من الدّم، وأنّ الصدر من البلغم والرّيح، وأنّ الشراسيف من المرّة الصفراء، وأنّ أسفل البطن من المرة السوداء، واعلم يا أمير المؤمنين أنّ النّوم سلطان الدّماغ وهو قوام الجسد وقوته، فإذا أردت النوم فليكن انضجاعك على شقّك الأيمن ثمّ انقلب على الأيسر وكذلك قم من مضجعك كما بدأت به بعد نومك، وعود نفسك القعود من اللّيل ساعتين، وادخل الخلاء لحاجة الإنسان والبث فيه بقدر حاجتك ولا تطل فيه فإن ذلك يورث الداء الدفين.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ أجود ما استكت به ليف الأراك فإنّه يجلي الأسنان ويطيب النكهة ويشدّ اللّثة ويسمنها، وهو نافع من الحفر إذا كان معتدلاً والإكثار منه يرقق الأسنان ويزعزعها ويضعف أصولها فمن أراد حفظ الأسنان فليأخذ قرن الأيل محروقاً وكذا مارجاً (مارخاً) وسعداً ووردًا وسنبل الطيب وحبّ الأثل أجزاء سواء، وملحاً اندرانياً ربع جزء فيدقّ الجميع ناعماً ويستن به فإنّه ينفع الأسنان ويمسكها ويحفظ أصولها من الآفات والعاهات العارضة، ومن أراد أن يبيض أسنانه فليأخذ جزءاً من ملحاً اندرانيّاً ومثله زبد البحر وليسحقهما ناعماً ويستنّ بهما.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ أحوال الإنسان التي بناه الله تعالى عليها وجعله متصرفاً بها أربعة أحوال: الحالة الأولى خمسة عشر سنة، وفيها شبابه وحسنه وبهاؤه وسلطان الدّم في جسمه، ثمّ الحالة الثانية من خمسة عشر سنة إلى خمسة وثلاثين سنة، وفيها المرّة الصفراء وقوة غلبتها وهي أقوى ما يكون، ولا يزال كذلك حتّى يستوفي المدّة المذكورة ثمّ يدخل في الحالة الثالثة إلى أن تتكامل مدّة العمر ستّين سنة، فيكون في سلطان المرّة السوداء وهو سن الحكمة والمعرفة والدراية وانتظام الأمور وصحّة النظر في العواقب وصدق الرأي وثبات الجأش في التصرفات، ثم يدخل في الحالة الرابعة وهو سلطان البلغم وهي الحالة التي لا يتحوّل منها ما بقي إلا إلى الهرم ونكد العيش، ونقص من القوة وفساد في كونه، ونكتته أنّ كلّ شيء كان لا يعرفه حتى يعود ينام عند القعود ويسهر عند النوم ولا يتذكر ما يتقدّم، وينسى

ما يحدث من الأوقات، ويذبل عوده، ويتغيّر معهوده، ويجفّ ماء رونقه وبهائه ويقلّ نبت شعره وأظفاره، ولا يزال في جسمه انعكاس وإدبار ما عاش لأنّه في سلطان البلغم وهو بارد جامد، فبروده وجموده يكون فناء كلّ جسم يستولي عليه في آخر القوة البلغميّة وقد ذكرت للأمير ما يحتاج إليه في سياسة المزاج وأحوال جسمه وعلاجه.

وأنا أذكر ما يحتاج إلى تناوله من الأغذية والأدوية وما يجب أن يفعله في أوقاته، فإذا أردت الحجامة فليكن في اثنتي عشرة ليلة من الهلال إلى خمسة عشرة، فإنّه أصح لبدنك؛ فإذا نقص الشهر فلا تحتجم إلا أن تكون مضطرّاً إلى ذلك وهو لأنّ الدّم ينقص في نقصان الهلال ويزيد في زيادته، ولتكن الحجامة بقدر ما يمضي من السنين ابن عشرين سنة يحتجم في كل عشرين يوماً، وابن ثلاثين سنة يحتجم في كل ثلاثين يوماً مرّة واحدة، وكذلك ابن الأربعين سنة يحتجم في كلّ أربعين يوماً فما زاد فبحسب ذلك.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ الحجامة إنّما يؤخذ دمها من صغار العروق المبثوثة في اللّحم ومصداق ذلك أنّها لا تضعف القوة كما يوجد من الضعف عند الفصد، وحجامة النقرة تنفع من ثقل الرأس والوجه والعينين وهي نافعة لوجع الأضراس، وربّما ناب الفصد عن جميع ذلك، وقد يحتجم تحت الذقنين لعلاج القلاع في الفم ومن فساد اللثة وغير ذلك من أوجاع الفم، وكذلك الحجامة بين الكتفين تنفع من الخفقان الّذي يكون من الامتلاء والحرارة، والذي على الساقين قد ينقص من الامتلاء نقصاناً بيّناً وينفع من الأوجاع المزمنة في الكلى والمثانة والأرحام، ويدرّ الطمث غير أنّها تنهك الجسد وقد يعرض منها الغشي الشديد إلا أنّها تنفع ذوي البثور والدماميل، والّذي يخفف من ألم الحجامة تخفيف المصّ أول ما تضع المحاجم، ثم يدرج المص قليلاً والثواني أزيد من المص في الأوائل وكذا الثوالث فصاعداً، ويتوقف عند الشرط حتى يحمرّ الموضع جيداً بتكرير المحاجم ويلين المشرط على جلود لينة ويمسح الموضع قبل شرطه بالدهن وكذا الفصد، ويمسح الموضع الذي يفصد فيه بدهن فإنّه يقلّل الألم، وكذلك يلين المشرط والمبضع بالدهن عند الحجامة وعند الفراغ منها يلين الموضع بالدهن وليقطر على العروق إذا فصد شيئاً من الدهن كيلا يحتجب فيضرّ ذلك المفصود ويتعمّد الفاصد أن يفصد من العروق ما كان في مواضع قليلة اللحم لأن في قلّة اللّحم من فوق العروق قلة الألم؛

وأكثر العروق ألماً إذا فصد حبل الذراع والقيفال لاتّصالهما بالعضل (بالعضد) وصلابة الجلد.

وأما الباسليق والأكحل فإنّهما في الفصد أقلّ ألماً لما لم يكن فوقهما لحم؛ والواجب تكميد موضع الفصد بالماء الحارّ ليظهر الدم وخاصّة في الشتاء فإنّه يليّن الجلد ويقلّل الألم، ويسهّل الفصد. ويجب في كلّ ما ذكرناه من إخراج الدم اجتناب النّساء قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة ويحتجم في يوم صاح صاف لا غيم فيه ولا ريح شديدة، ويخرج من الدم بقدر ما يرى تغييره ولا تدخل يومك ذاك الحمّام فإنّه يورث الداء واصبب على رأسك وجسدك الماء الحارّ ولا تفعل ذلك من ساعتك. وإيّاك والحمّام إذا احتجمت فإنّ الحمى الدّائمة تكون فيه، فإذا اغتسلت من الحجامة فخذ خرقة فرعوني فألقها على محاجمك؛ وثوباً ليّناً من قزّ وغيره وخذ قدر حمّصة من الترياق الأكبرَ فاشربه إن كان شتاء، وإن كان صيفاً فاشرب السكنجبين العنصلي فإنّه الترياق الأكبر، وامزجه بالشراب المفرّح المعتدل وتناوله أو بشراب الفاكهة فإن تعذرّ ذلك فشراب الأترج، فإن لم تجد شيئاً من ذلك فتناوله بعد علكه ناعماً تحت الأسنان واشرب عليه سكنجبيناً عسلياً فإنّك متى فعلت ذلك أمنت اللّقوة والبرص والبهق والجذام بإذن الله تعالى، وامتصّ من الرّمّان المزّ فإنّه يقوي القلب ويجيء بالدم، ولا تأكل طعاماً مالحاً بعد ذلك بثلاث ساعات فإنه يخاف أن يعرض من ذلك الجرب، وإن كان عشاء فكل من الطباهيج إذا احتجمت واشرب عليه من الشراب الزكيّ الّذي ذكرته لك أوّلاً؛ وادهن بدهن الخيري وشيء من المسك وماء بارد وصبّ منه على هامتك ساعة فراغك من الحجامة، وأمّا بالصيف فإذا احتجمت فكل السكباج والهلام والمصوص أيضاً والحامض، وصبّ على هامتك دهن بنفسج بماء الورد وشيء من الكافور واشرب من ذلك الشراب الّذي وصفته لك بعد طعامك، وإيّاك وكثرة الحركة والغضب ومجامعة النساء يومك.

واحذر يا أمير المؤمنين أن تجمع بين البيض والسمك في المعدة في وقت واحد فإنّهما متى اجتمعا في جوف إنسان ولد عليه النقرس والقولنج والبواسير والأضراس. واللّبن والنبيذ الّذي يشربه أهله إذا اجتمعا ولد النقرس والبرص، ومداومة أكل البصل يعرض منه الكلف في الوجه؛ وأكل الملوحة واللّحمان المملوحة وأكل السمك المملوح بعد الفصد والحجامة يعرض منه البهق والجرب.

وأكل كلية الغنم وأجواف الغنم يعكر المثانة ودخول الحمام على البطنة يوجب القولنج، والاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك يورث الفالج، وأكل الأترج في اللّيل يقلب العين ويوجب الحول وإتيان المرأة الحائض يورث الجذام في الولد والجماع بعد الجماع من غير فصل بينهما بغسل يورث الولد الجنون، وكثرة أكل البيض وإدمانه يولد الطحال ورياحاً في رأس المعدة والامتلاء من البيض المسلوق يورث الرّبو والابتهار، وأكل اللّحم النيْء يورث الدود في البطن وأكل التين يقمل منه الجسد إذا أُدمن عليه، وشرب الماء البارد عقيب الشيء الحارّ أو الحلاوة يذهب الأسنان، والإكثار من لحوم الوحش والبقر يورث تغيُّر العقل وتحيّر الفهم وتبلّد الذهن وكثرة النسيان، وإذا أردت دخول الحمّام وأن لا تجد في رأسك ما يؤذيك فابدأ عند دخول الحمام بخمس جرع من الماء الفاتر فإنّك تسلم بإذن الله تعالى من وجع الرأس والشقيقة، وقدر خمس أكفّ ماء حارّ تصبّها على رأسك عند دخول الحمام.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ الحمّام ركب على تركيب الجسد على أربع بيوت مثل أربع طبائع الجسد: البيت الأول: بارد يابس، البيت الثاني: بارد رطب، الثالث: حارّ رطب، الرابع: حارّ يابس، ومنفعة الحمّام عظيمة تؤدّي إلى الاعتدال وتنقي الدّرن، وتليّن العصب والعروق وتقوي الأعضاء الكبار، وتذيب الفضول وتذهب العفن، فإذا أردت أن لا يظهر في بدنك بثرة ولا بخر فابدأ عند دخول الحمام بدهن بدنك بدهن البنفسج، وإذا أردت استعمال النورة ولا يصيبك قروح ولا شقاق ولا سواد فاغتسل بالماء البارد قبل التنوير ومن أراد دخول الحمّام للنورة فليجتنب الجماع قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة وهو يوم تامّ، وليطرح في النورة شيئاً من الصبر والقاقيا والحضض أو يجمع ذلك ويأخذ منه اليسير إذا كان مجتمعاً ومتفرّقاً، ولا يلقى في النورة شيء من ذلك حتى تماس النورة بالماء الحارّ الّذي طبخ فيه بابونج ومرزنجوش ورد أو بنفسج يابس، أو يجمع ذلك أجزاء يسيرة مجموعة أو متفرّقة بقدر ما يشرب الماء رائحته، وليكن الزرنيخ مثل سدس النورة ويدلك الجسد بعد الخروج منها بشيء يقلع رائحتها كورق الخوخ، وثجير العصفر أو السعد والحناء والورد والسنبل مفردة ومجتمعة، ومن أراد أن يأمن إحراق النورة فليقلّل من تقليبها وليبادر إذا عمل في غسلها وأن يمسح البدن بشيء من دهن الورد، فإن أحرقت والعياذ بالله يؤخذ عدس مقشّر يسحق ناعماً ويداف بماء ورد وخلّ ويطلى به الموضع

الّذي أثرت به النورة فإنّه يبرأ بإذن الله والّذي يمنع من آثار النورة في الجسد هو أن يدلك الموضع بخل العنب الثقيف[1] ودهن الورد دلكاً جيّداً.

ومن أراد أن لا يشتكي مثانته فلا يحبس البول ولو على ظهر دابّة، وأن لا تؤذيه معدته فلا يشرب على طعامه حتى يفرغ منه، ومن فعل ذلك رطب بدنه وضعفت معدته، ولم تأخذ العروق قوّة من الطعام فإنه يصير في المعدة فجاً إذا صبّ الماء على الطعام أوّلاً.

ومن أراد أن لا يجد الحصاة وعسر البول فلا يحبس المنيّ عند نزول الشهوة ولا يطيل المكث على النساء، ومن أراد أن يأمن وجع السفل ولا يظهر به رياح البواسير فليأكل كلّ ليلة سبع تمرات برني بسمن البقر، ويدهن بين أُنثييه بدهن زنبق خالص ومن أراد أن يزيد حفظه فليأكل سبع مثاقيل زبيباً بالغداة، ومن أراد أن يقلّ نسيانه ويكون حافظاً فليأكل كلّ يوم ثلاث قطع زنجبيل مربّى بعسل ويصطبغ بالخردل مع طعامه في كلّ يوم، ومن أراد أن يزيد في عقله فليتناول كلّ يوم سكر أبلوج، ومن أراد أن لا ينشقّ ظفره ولا يميل إلى الصفرة ولا يفسد حول ظفره فلا يقلم أظفاره إلّا يوم الخميس، ومن أراد أن لا تؤلمه أذنه فليجعل فيها عند النّوم قطنة، ومن أراد ردع الزّكام مدّة أيّام الشتاء فليأكل كلّ يوم ثلاث لقم من الشهد.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ للعسل دلائل يعرف بها نافعه من ضارّه، وذلك أن منه شيئاً إذا أدركه الشم عطس، ومنه شيء يسكر، وله عند الذوق حرافة شديدة فهذه الأنواع من العسل قاتلة ولا تؤخر شمّ النرجس فإنّه يمنع الزكام في مدة أيّام الشتاء وكذلك الحبّة السوداء، وإذا خاف الإنسان الزكام في زمان الصيف فليأكل كلّ يوم خيارة وليحذر الجلوس في الشمس.

ومن خشي من الشقيقة والشوصة فلا بدّ من أكل السمك الطريّ صيفاً كان أو شتاء، ومن أراد أن يكون صالحاً خفيف اللّحم والجسم فليقلّل من عشائه باللّيل، ومن أراد أن لا يشتكي سرّته فليدهنها متى دهن رأسه، ومن أراد أن لا تنشقّ شفتاه ولا يخرج منهما ناسور فليدهن حاجبيه متى دهن رأسه.

ومن أراد أن لا تسقط أذناه ولهاته فلا يأكل حلواً حتّى يتغرغر بالخلّ، ومن أراد أن لا تفسد أسنانه فلا يأكل حلواً إلّا بعد خبز، ومن أراد أن لا يصيبه اليرقان فلا

---

(١) الثقيف الحامض جداً.

يدخل بيتاً في الصيف حين أوّل ما يفتح، ولا يخرج منه أول ما يفتح بابه في الشتاء غدوة، ومن أراد أن لا يصيب ريحاً في بدنه فليأكل الثوم كلّ سبعة أيّام مرّة، ومن أراد أن يستمرىء طعامه فليتّك بعد الأكل على شقّه الأيمن ثمّ ينقلب على شقّه الأيسر حين ينام.

ومن أراد أن يذهب البلغم من بدنه وينقصه فليأكل كلّ يوم بكرة شيئاً من الجوارش الحريف، ويكثر دخول الحمام ومضاجعة النساء والجلوس في الشمس، ويجتنب كلّ بارد من الأغذية فإنّه يذيب البلغم ويحرقه؛ ومن أراد أن يطفىء لهب الصفراء فليأكل كلّ يوم شيئاً رطباً وبارداً وليّناً ويروح بدنه، ويقلّل الحركة، ويكثر النظر إلى من يحب، ومن أراد أن يحرق السوداء فعليه بكثرة القيء، وفصد العروق، ومداومة النورة، ومن أراد أن يذهب بالريح الباردة فعليه بالحقنة والأدهان اللّينة على الجسد، وعليه بالتكميد بالماء الحارّ في الأبزن، ومن أراد أن يذيب البلغم فليتناول بكرة كلّ يوم من الأطريفل الصغير مثقالاً واحداً.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ المسافر ينبغي له أن يحترز في الحرّ إذا سافر وهو ممتل من الطعام ولا خالي الجوف وليكن على حدّ الاعتدال وليتناول من الأغذية الباردة مثل القريص، والهلام والخلّ والزّيت وماء الحصرم ونحو ذلك من الأطعمة الباردة.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ السير في الحرّ الشديد ضارّ بالأبدان المنهوكة إذا كانت خالية من الطعام، وهو نافع في الأبدان الخصبة فأمّا صلاح المياه للمسافر مع دفع الأذى عنه فهو أن لا يشرب الماء من ماء كلّ منزل إلّا بعد أن يمزجه من ماء المنزل الّذي قبله، أو بشراب واحد غير مختلف يشربه بالمياه على اختلافها، والواجب أن يتزوّد المسافر من تربة بلده وطينه التي ربي عليها وكلّما ورد إلى منزل طرح في إنائه الّذي يشرب منه الماء شيئاً من الطين الّذي تزوده من بلده، ويتعاهد الماء والطين في الآنية بالتحريك ويؤخر قبل شربه حتى يصفو صفاء جيّداً، وخير المياه شرباً لمن هو مقيم أو مسافر ما كان ينبوعه من الجهة الشرقيّة الخفيف الأبيض، وأفضل المياه ما كان مخرجها من مشرق الشمس الصيفي، وأصحها وأفضلها ما كان بهذا الوصف الّذي ينبع منه وكان مجراه في جبال الطين وذلك أنّها تكون في الشتاء باردة وفي الصيف مليّنة للبطن نافعة لأصحاب الحرارة.

وأمّا الماء المالح والمياه الثقيلة فإنّها تيبس البطن، ومياه الثلوج والجليد رديئة لسائر الأجساد كثيرة الضرر جدّاً، وأما مياه الجبّ فإنّها عذبة صافية نافعة إن دام

جريها ولم يدم حبسها في الأرض، وأمّا البطائح والسباخ فإنّها حارّة غليظة في الصيف ولو كررها وداوم طلوع الشمس عليها، وقد يتولّد على من داوم شربها المرة الصفراوية وتعظم به أطحلتهم، وقد وصفت لك يا أمير المؤمنين فيما تقدّم من كتابي هذا ما فيه كفاية لمن أخذ به.

وأنا ذاكر من الجماع فلا تقرب النساء من أول اللّيل صيفاً ولا شتاء وذلك لأنّ المعدة والعروق تكون ممتلئة وهو غير محمود، ويتولّد منه القولنج والفالج واللقوة والنقرس والحصاة والتقطير والفتق وضعف البصر ورقته، فإذا أردت ذلك فليكن في آخر اللّيل فإنّه أصلح للبدن وأرجى للولد، وأزكى للعقل في الولد الذي يقضي الله بينهما، ولا تجامع امرأة حتى تلاعبها وتكثر ملاعبتها وتغمز ثدييها فإنّك إذا فعلت ذلك غلبت شهوتها واجتمع ماؤها، لأنّ ماءها يخرج من ثدييها، والشهوة تخرج من وجهها وعينيها، واشتهت منك مثل الذي اشتهيت منها، ولا تجامع النساء إلّا طاهرة فإذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً ولا تجلس جالساً ولكن تميل على يمينك ثمّ انهض مسرعاً إلى البول من ساعتك فإنّك تأمن الحصاة بإذن الله تعالى، ثم اغتسل من ساعتك واشرب من الموميائي بشراب العسل أو بعسل منزوع الرغوة فإنّه يردّ من الماء مثل الذي خرج منك.

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ جماعهنّ والقمر في برج الحمل أو في الدّلو من البروج أفضل وخير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر، ومن عمل بما وصفت في كتابي هذا ودبّر به جسده أمن بإذن الله تعالى من كلّ داء وصحّ جسمه بحول الله تعالى وقوّته، فإن الله يعطي العافية ويمنحها إيّاه، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين[١].

(١) اشتهر نقل هذه الرسالة عن الإمام الرضا سلام الله عليه وشرحها جمع من علمائنا كالسيد فضل الله الراوندي المتوفى بعد سنة (٥٤٨هـ) والسيد عبد الله شبر المتوفى (١٢٤٢هـ). وشرحها الدكتور صاحب زيني شرحاً لطيفاً على وفق الطب الحديث وعليه مقدمة وتعليقات بقلم العلامة السيد مرتضى العسكري وتكلم أيضاً في آخر الكتاب في إسناد الرسالة وتراجم رواتها والشارحين لها وهذا الشرح مطبوع بمطبعة المعارف (بغداد). قال الدكتور صاحب زيني: «وقد جاءت الرسالة بسيطة بظاهرها لمماشاة عقلية ذلك الزمان إلا أنها عميقة ومعقدة ببواطنها تحتاج إلى دراسات علمية وبحوث طويلة لتفسير أسرارها وكشف بواطنها ومقارنتها بالحقائق العلمية الحديثة» (ا هـ).

وقال العلامة العسكري في آخر الكتاب: «إسناد الرسالة الذهبية». قد تواتر نقل هذه الرسالة =

نور آخر في مقدمة من مقدمات هادم اللذات وهي الأجل

اعلم أرشدك الله تعالى أنّ الكلام هنا يقع في مقامين: الأوّل في قبوله الزيادة والنقصان فقد تعارضت فيه الآيات ظاهراً وكذا الأخبار، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا

= عن الإمام الرضا عليه السلام بالتفصيل المذكور، وانتهت إلينا بواسطة حسن بن محمد بن جمهور عن أبيه محمد بن جمهور العمي. ومحمد هذا ابن الحسن بن جمهور العمي نسب إلى جده تارة فيذكر في كتب الرجال باسم محمد بن جمهور، وتارة ينسب إلى أبيه فيذكر بإسم محمد بن الحسن بن جمهور. تميمي بصري من بني العم. قد عاصر الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه كتاب أدب العلم، وكتاب صاحب الزمان، وكتاب وقت خروجه، مضافاً إلى روايته عن الرضا عليه السلام الرسالة الذهبية وقد عمر أكثر من ١٠٠ سنين. وفي خزانة كتب آية الله العسكري بسامراء نسخة مخطوطة مروية عن أبي محمد الحسن بن محمد النوفلي، وهو الحسن بن الفضل بن يعقوب بن سعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الذي قال النجاشي في حقه: «ثقة جليل القدر روى عن الرضا عليه السلام نسخة وعن أبيه عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى إلخ» فلعل النجاشي يقصد الذهبية بقوله: روى عن الرضا عليه السلام نسخة. وقد ذكر المجلسي في البحار ج ١٤/ ٥٦٧ بعد انتهائه من شرح الرسالة: (قال أبو محمد الحسن القمي: فلما وصلت هذه الرسالة من أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون وقرأها فرح بها وأمر أن تكتب بالذهب وأن تترجم بالرسالة المذهبية - وفي بعض النسخ بالرسالة الذهبية - في العلوم الطبية) إلخ فهذا طريق آخر للرسالة غير رواية أبي جمهور والنوفلي وإن لم يرو عنه المجلسي جميع الرسالة. وقد أوردها المجلسي بتمامها في البحار ج ١٤ وذكر سندها إلى ابن جمهور واستنسخها عن خط المحقق الكركي والمحقق لم يروها عن أحد وإنما قال: (الرسالة الذهبية في الطب التي بعث بها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون العباسي في حفظ صحة المزاج وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية قال الإمام عليه السلام إلخ وقد ذكر في ص ٥٥٥ قبل إيراد الرسالة: «أن هذه الرسالة كانت من المشهورات بين علمائنا ولهم إليها طرق وأسانيد ولكن كان في نسخها التي وصلت إلينا اختلاف فاحش أشرنا إلى بعضه) إلخ فما هي طرقها وأسانيدها الأخرى التي يشير إليها المجلسي مع وجود الاختلاف الفاحش بين نسخها المروية وأين هي؟ إلخ انظر: ص ١٣٠ - ١٣٢.

مراده - دام بقاؤه - من آية الله العسكري هو شيخنا الجليل شيخ الفقهاء والمجتهدين الشيخ ميرزا محمد الطهراني العسكري - نزيل سامراء - قدس سره وهو شيخ إجازة كافة مشايخنا وأساتذتنا في الرواية وأنا أروي عنه بواسطة جمع من مشايخي الأعلام كما أروي عنه بلا واسطة أيضاً وقد كتب لي إجازة رواية مفصلة وأدرج فيها صورة إجازة الشيخ الفقيه الحاج ميرزا حسين الطهراني رحمه الله التي كتبها في حقه رحمه الله.

يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]، ففيهما تعارض بحسب الظاهر، وأمّا الأخبار فروي أنّ من يموت بالذّنوب أكثر ممّن يموت بالآجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممّن يعيش بالأجل.

وفي حديث آخر أنّه يكون قد بقي من عمر أحدكم ثلاث سنين فيصل رحمه أو يفعل شيئاً من أنواع البرّ فيمحو الله الثلاث ويثبت له ثلاثين، وقد يكون بقي من عمره، ثلاثون سنة فيقطع رحمه أو يعقّ والديه فيمحو منه الثلاثين ويثبت له ثلاثاً.

وفي حديث آخر أنّ الله سبحانه يمدّ للمؤمن في عمره ما علم أنّ الحياة خير له فإذا علم أنّ في حياته ارتكاب موبقات الذّنوب قبضه إليه. وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] قد ورد في الأخبار تفسيره بمحو الأعمار زيادة ونقصاناً، والأخبار الواردة بهذا المضمون مستفيضة بل متواترة، وفي بعضها ما يعارض ذلك كقوله عليه السلام في الدّعاء: ويا من لا تبدّل حكمته الوسائل، وفي الدّعاء الأول من الصحيفة السجاديّة: ثمّ ضرب له في الحياة أجلاً موقوتاً ونصب له أمداً محدوداً يتخطّى إليه بأيّام عمره، ويرهقه بأعوام دهره حتى إذا بلغ أقصى أثره واستوعب حساب عمره قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه أو محذور عقابه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع ألا وإنّ الرّوح الأمين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب، إلى غير ذلك من الأخبار.

ومن ثمّ وقع الاختلاف بين العلماء في قبول الأجل للزيادة والنقصان، فذهب جماعة منهم إلى أنّه لا يقبلهما وإنّما هو أجل واحد تعويلاً على ظواهر تلك الأخبار وما روي في معناها، وعلى دليل آخر وهو أنّ المقدورات في الأزل والمكتوبات في اللوح المحفوظ لا تتغيّر بالزّيادة والنقصان لاستحالة خلاف معلوم الله تعالى وقد سبق العلم بوجود كلّ ممكن أراد وجوده وبعدم كلّ ممكن أراد بقاءه على حالة العدم الأصلي أو إعدامه بعد ايجاده فكيف يمكن الحكم بزيادة العمر أو نقصانه بسبب من الأسباب؟ وأجابوا عن الإخبار الأوّل بوجوه:

أحدها: أنّ تلك الأخبار الدالة على الزّيادة والنقصان إنّما وردت على سبيل الترغيب حتى يقبل الناس على فعل الإحسان وبرّ الوالدين وصلة الأرحام، **وثانيها**: أنّ المراد بزيادة العمر الثناء الجميل بعد الموت كما قال الشاعر:

ذكر الفتى عمره الثاني وغايته (حاجته) ما فاته وفضول العيش اشغال

وقال:

ماتوا فعاشوا بحسن الذكر بعدهم ونحن في صورة الأحياء أموات

وقال:

كم مات قوم وما ماتت محاسنهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

وثالثها: أنّ المراد بزيادة العمر زيادة البركة في الأجل أمّا في نفس الأجل فلا، وذهب آخرون إلى ما دلّت عليه الأخبار الأُول من قبول الأجل للزيادة والنقصان وأجابوا عن آية ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] وعن الأخبار الواردة بمضمونها تارة بأنّ الأجل صادق على كلّ ما يسمّى أجلاً موهبيّاً أو أجلاً مسبّبيّاً ويحمل على الموهبي ويكون وقته الّذي لا يقبل التقدّم والتأخر؛ وأُخرى بأنّ الأجل عبارة عمّا يحصل عنده الموت لا محالة سواء كان بعد العمر الموهبي أو المسبّبي ونحن نقول كذلك لأنّه عند حصول أجل الموت لا يقع التأخير، وليس المراد به العمر إذ الأجل مجرّد الوقت.

وأمّا عن دليلهم العقلي فأجابوا عنه أوّلاً بأنّه وارد في كلّ ترغيب مذكور في القرآن والسنة حتى الوعد بالجنة والنعيم على الإيمان، وكذلك التوعد بالنيران وكيفية العذاب وذلك أن الله تعالى: علم ارتباط الأسباب بالمسبّبات في الأزل وكتبه في اللّوح المحفوظ، فمن علمه مؤمناً فهو مؤمن، ومن علمه كافراً فهو كافر، وهذا اللازم يبطل الحكمة في بعثة الأنبياء والأوامر الشرعيّة والمناهي وفي ذلك هدم الإيمان.

وأمّا ثانياً: فالجواب عن كلّ هذه الأمور واحد وهو أن الله تعالى كما علم كميّة العمر علم ارتباطه بسببه المخصوص وكما علم من زيد دخول الجنّة جعله مرتبطاً بأسبابه المخصوصة من ايجاده وخلق العقل له وبعث الأنبياء ونصب الألطاف وحسن الاختيار، والعمل بموجب الشرع، فالواجب على كلّ مكلّف الإتيان بما أُمر به ولا يتّكل على العلم فإنّه مهما صدر منه فهو المعلوم بعينه فإذا قال الصادق إنّ زيداً إذا وصل رحمه زاد الله في عمره ثلاثين سنة ففعل كان ذلك إخباراً بأن الله تعالى علم أن زيداً يفعل ما يصيّر به عمره زائداً ثلاثين سنة؛ كما أنّه إذا أخبر بأنّ زيداً إذا

قال: لا إلٰه إلّا الله دخل الجنة ففعل تبيّنا أنّ الله تعالى علم أنّه يقول ويدخل الجنة بقوله.

وبالجملة جميع ما يحدث في العالم معلوم لله تعالى على ما هو عليه واقع من شرط أو سبب وليس نصب صلة الرّحم زيادة في العمر إلّا كنصب الإيمان سبباً في دخول الجنة، والعمل بالصالحات في رفع الدرجة والدّعوات في تحقيق المدعو به، وقد جاء في الحديث لا تملّوا من الدعاء فإنّكم لا تدرون متى يستجاب لكم، وفيه سرّ لطيف وهو أنّ المكلّف عليه الاجتهاد ففي كلّ ذرة من الاجتهاد إمكان سببيّة لخير علمه الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وهذا الجواب لشيخنا الشهيد الأوّل قدس الله روحه، وأمّا تحقيق هذا المقام فانتظره في المقام الثاني سيأتيك إن شاء الله تعالى.

المقام الثاني: في اتّحاد الأجل وتعدّده، ذهب الأشاعرة إلى أنّ أجل الحيوان هو الزمان الّذي علم الله أنّه يموت فيه، فالمقتول عندهم مات بأجله الّذي قدره الله تعالى له وعلم أنّه يموت فيه ولا يتصوّر تغيير هذا المقدّر بتقديم ولا تأخير، والمعتزلة قالوا ما تولد من فعل القاتل فهو من أفعاله لا من فعل الله تعالى، وقالوا إنّه لو لم يقتل لعاش إلى الأمد الذي قدره الله تعالى له فالقاتل عندهم غيَّر بالتقديم الأجل الذي قدره الله تعالى له، وادعوا في هذه الضرورة واستشهدوا عليه بذم القاتل والحكم بكونه جانياً ولو كان المقتول مات بأجله الذي قدره الله تعالى له لمات وإن لم يقتله، فالقاتل لم يجلب بفعله أمراً لا مباشرة ولا توليداً، فكان لا يستحق الذمّ عقلاً ولا شرعاً لكنّه مذموم فيها قطعاً، إذا كان القتل بغير الحق، واستشهدوا أيضاً بأنّه ربّما قتل في المعركة الواحدة ألوف ونحن نعلم بالضرورة أنّ موت الجمّ الغفير في الزمان القليل بلا قتل مما تحكم العادة بامتناعه، ولذلك ذهب جماعة منهم إلى أنّ ما لا يخالف العادة كما في قتل واحد وما يقرب منه واقع بالأجل منسوب إلى القاتل.

وأمّا أصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم فمنهم من وافق المعتزلة في تعدّد الأجل وقالوا الأجل منه أجل محتوم كمن مات حتف أنفه، ومنه أجل مخروم كالمقتول والغريق ومن هوى من عال فمات، وبعضهم كما سمعت سمّى الأول أجلاً موهبيّاً والثاني مسببيّاً.

وذهب شيخنا الصدوق رحمه الله إلى مذهب الأشاعرة وأجاب عن بعض شبه

المعتزلة حيث قال في كتاب التوحيد أجل الإنسان هو وقت موته، وأجل حياته هو وقت حياته وذلك معنى قول الله عزّ وجلّ : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فإن مات الإنسان حتف أنفه على فراشه وإن قتل فإنّ أجل موته هو وقت موته، وقد يجوز أن يكون المقتول لو لم يقتل لمات من ساعته، وقد يجوز أن يكون لو لم يقتل لبقي وعلم ذلك مغيّب عنّا وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال عزّ وجلّ : ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦]، ولو قتل جماعة في وقت لجاز أن يقال إنّ جميعهم ماتوا بآجالهم، وإنّهم لو لم يقتلوا لماتوا من ساعتهم، كما كان يجوز أن يقع الوباء في جميعهم فيميتهم في ساعة واحدة، وكان لا يجوز أن يقال إنّهم ماتوا بغير أجلهم.

وبالجملة إنّ أجل الإنسان هو الوقت الّذي علم الله عزّ وجلّ أنّه يموت فيه أو يقتل، وقول الحسن عليه السلام في أبيه صلوات الله عليه إنّه عاش بقدر ومات بأجل، تصديق لما قلنا في هذا الباب انتهى كلامه رحمه الله.

وأمّا الّذي فهمناه من تتبع الأخبار فهو معنى ثالث جامع بين القولين، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق لوحاً وسمّاه لوح المحو والإثبات وكتب فيه الآجال والأرزاق وجميع ما يكون واقعاً في عالم الكونين معلّقة على الأسباب والشروط، وهي التي يقع فيها المحو والإثبات والتغيير والبداء، مثلاً كتب إنّ عمر زيد عشر سنين إن لم يصل رحمه وإن وصل رحمه فعمره ثلاثون سنة، وإنّ رزق زيد في هذه السنة مائة درهم إن لم يسعَ السعي الفلاني وإن سعى فيه فرزقه ألف درهم، وإنّ فلاناً في هذه السنة من الحاجّ إن لم يكن يصدر منه ذلك الفعل وإن وقع منه ذلك الفعل فلا يكون حاجّاً وكذلك جميع الكائنات فهذا اللّوح الّذي وصف سبحانه نفسه بأنه كلّ يوم في شأن.

وقد خلق سبحانه لوحاً آخر وهو اللّوح المحفوظ وكتب فيه الكائنات على ما علمه سبحانه وتعالى منها في الأزل فإنّ علمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها[1] وهذا العلم الذي علمه وكتبه في ذلك اللّوح لا يتغيّر ولا يتبدّل بوجه من

(١) قوله: فإن علمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها إلخ أقول هذا هو اعتقاد أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم فإن الله تعالى عالم بجميع الأشياء جزئياتها وكلياتها وعلمه تعالى بما كان وبما يكون وبالأشياء قبل وجودها وبعد وجودها على نهج واحد ولا يتغير علمه =

الوجوه لأن علمه مربوط بالمسببات والأسباب، وعلم وقوع الأسباب وعدم وقوعها

= سبحانه بالشيء بعد ايجاده فإن علمه عين ذاته وليس بزائد على ذاته فإن قلنا - العياذ بالله - إن له تعالى علماً حادثاً بعد وجود الشيء يلزم كون ذاته محلاً للحوادث والتغير ونسبة الجهل إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وأما من ذهب إلى أن لله تعالى علمين قديم وحادث وأن علمه الحادث هو من صفاته الفعلية فقد تورط في الهلكة وضل عن الصراط السوي وقال بمقالة لم يقل بها أحد من علماء الإسلام ولا الحكماء والفلاسفة الإلهيين وخالف ضرورة الدين وتكلم على خلاف القرآن المبين وأخبار أهل البيت الميامين صلوات الله عليهم أجمعين وقد صرح صاحب هذا المقال في كثير من كلماته أن لله تعالى علمين قديم وحادث وعلمه الحادث يحدث بحدوث المعلوم وأنه تعالى لم يكن في الأزل عالماً بجميع الأشياء على حد سواء وقال في كتابه حياة النفس المطبوع في هذه الآونة الأخيرة بتبريز سنة (١٣٧٧هـ - ق) ما هذا عين ألفاظه: وعلمه قسمان علم قديم هو ذاته وعلم حادث وهو ألواح المخلوقات - إلى أن قال - وأما العلم الحادث فهو حادث بحدوث المعلوم لأنه لو كان قبل المعلوم لم يكن علماً لأن العلم الحادث شرط تحققه وتعلقه أن يكون مطابقاً للمعلوم وإذا لم يوجد المعلوم لم تحصل المطابقة التي هي شرطه إلخ انظر: ص ٤، ٥ وقال في شرح العرشية بعد أن نقل اختلاف الحكماء في كيفية العلم: (الحاصل أن الحق في المسألة أن العلم عين المعلوم في الحادث والقديم وأما الحادث فقد كانت له مراتب كثيرة - إلى أن قال - فعلمه بذاته هو ذاته وعلمه بما سواه هو ما سواه وكما لا يوجد ما سواه في ذاته لا يوجد علمه تعالى بهم في ذاته (ا هـ) قوله: أن العلم عين المعلوم إلخ كلام لا يتفوه به من كان من أهل العلم.
وقال أيضاً في شرحه على العرشية عند قول صدر المتألهين رحمه الله: علمه بجميع الأشياء حقيقة واحدة ومع وحدته علم بكل شيء لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلخ ما هذا لفظه: القول بأنه تعالى عالم بها في الأزل يلزم منه وجودها في الأزل معه سبحانه وهو أجل من أن يكون معه في الأزل غيره فإن العلم في الأزل والمعلوم في الإمكان فلا يجوز أن يقول هو عالم بها في الأزل فيجب أن يقول إنه عالم في الأزل بها في الحدوث وحينئذٍ يكون العلم هو وقوع العلم أي تعلقه الحادث على المعلوم حين وجد المعلوم إلخ وله أمثال هذه الكلمات في كتبه كثيرة وحاصل مدعاه أن الله تعالى لا علم له بما سواه بعلمه الذاتي بل عالم بالأشياء بعلمه الفعلي بعد كونها وتحققها وتمسك في إثبات مرامه بأدلة واهية مردودة وتمسك أيضاً ببعض الآحاد والعجب إنه نسب مدعاه الباطل إلى أهل البيت عليهم السلام مع أن أخبارهم على خلافه متظافرة وأضف إلى ذلك أن مدعاه صريح في تجهيل ذاته تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.
والقارىء العزيز جد خبير بأن دحض شبهاته ورد أدلته الواهية يحتاج إلى بسط في الكلام ولا مجال له في المقام وقد أجاب العلامة الأكبر والمجتهد المتبحر الأشهر السيد إسماعيل الطبري النوري رحمه الله أربعة عشر جواباً علمياً تحليلياً عن مدعاه وذكرها في كتابه النفيس: «كفاية الموحدين». انظر: المجلد الأول في مبحث العلم من الصفات الثبوتية حتى تعرف =

لأنّه قد علم أنّ زيداً يصل رحمه فيكون عمره كذا أو لا يصل رحمه فيكون عمره كذا وأنّ زيداً إذا خرج إلى المعركة الفلانية يقتل وإذا لم يخرج لم يقتل، وقد علم في الأزل أحد الطرفين فكتبه في اللّوح، وهذا العلم المكتوب في هذا اللّوح هو الّذي أشارت إليه الأخبار المتشابهة كقوله ﷺ قد كتب القلم في اللّوح بما هو كائن إلى يوم القيامة وجفّ القلم بما فيه فلن يكتب بعد أبداً، وقوله عليه السلام قد فرغ من الأمر، ونحو ذلك وقد تقدّم أكثرها في الأخبار المذكورة في تضاعيف الأنوار السابقة.

وهذا اللّوح هو المسمّى في لسان الشرع بأمّ الكتاب في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]؛ يعني أنّه لا يدخله محو ولا إثبات.

نعم إذا بلغ بك البحث إلى هنا فليكن هذا حدّك ولا تلج في اللجّة العميقة التي بعد هذا الكلام فإنّك إذا وضعت قدمك خارج هذه المقالة دحضت بك المزالق في بحر لجيّ بعيد قعره كثير الحيات والأفاعي أسود الجوف والماء قد غرق فيه عالم كثير وكلّما أمكنك التنحي عن ساحله فابعد عنه، وإيّاك والفكر فيه فإنه الفكر الذي نهى عنه سيّد العارفين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتّصل ببحر القضاء والقدر.

وأما الجواب عن قول المعتزلة أنّ القتل لو كان هو الأجل لم يكن القاتل جانياً ولما استحقّ الذّم فهو أن نقول القاتل إنّما استحقّ هذا باعتبار أنّه أوصل هذا الألم إليه وكان الواجب عليه تركه حتى يكون الموصل إليه ذلك الألم هو الله سبحانه وتعالى لأنّ ايصال هذا الألم مقصور على الله عزّ وجلّ لإيصال أنواع المثوبات إليه وذلك القاتل لو لم يقتله لمات ذلك الوقت، وكان الواجب عليه أن يدعه وربّه في قبض روحه، وهذا ظاهر لا غبار عليه ومن تصفّح الأمور الواقعة في هذا العالم جزم بأن الآجال أمور مقرّرة موقوفة على البلوغ إلى حد كمالها.

= أن مدعاه لا ينطبق على العقائد الدينية ولا القواعد العلمية والمباني التي جعل بناء مدعاه وعقائده عليها من أن شرط العلم وتحققه وتعلقه أن يكون مطابقاً للمعلوم وأن يكون مقترناً بالمعلوم وقبله لم يتحقق الاقتران وأن يكون واقعاً على المعلوم وقبله لم يتحقق الوقوع وأن العلم عين المعلوم في الحادث والقديم وأن الله تعالى لو كان عالماً بالأشياء في الأزل يلزم منه وجودها في الأزل. كل تلك المباني مع ما وضع عليها من بناء عقائده باطلة فاسدة من أصلها وأساسها ولا وسع في المقام لذكرها تفصيلاً وردها وقد دحض تلك الشبهات الواهية وقلع أساس تلك الأضاليل والأباطيل العلامة الحكيم المتأله المولى إسماعيل الأصفهاني رحمه الله أيضاً في شرحه على عرشية صدر المتألهين رحمه الله فراجع.

ومن تلك الأمور أنّ جماعة من اللّصوص دخلوا دار رجل في اللّيل ليسرقوه فلما دخلوا الدار رأوا أن ذلك الرجل له ولد رضيع مشدود في المهد، فقالوا نخاف أن يبكي ويستيقظ أمّه وأبوه من بكائه، فأخذوا ذلك الولد في المهد وأخرجوه من الدار ووضعوه خارج الحوش، وشرعوا في نقل أثاث البيت ووضعه في الحوش، فلمّا فرغوا من نقل الأثاث رجعوا إلى داخل البيت لعله يكون قد بقي شيء، فلما دخلوا استيقظت المرأة لولدها فلم تره، فقالت لزوجها أين المهد؟ فخرجا إلى الحوش يطلبون الولد، فلما خرجوا من البيت وإذا البيت قد وقع سقفه وجدرانه فرأوا الولد في المهد مع جميع أثاث البيت، فلمّا أصبح الصباح حفروا التراب وإذا اللّصوص أموات، فانظر إلى هذا التقدير الأزلي كيف وافق الحكمة الإلٰهيّة.

ومن تلك الأمور أنّ رجلاً عالماً من علماء تستر وكان صاحباً لنا كان بيته على جرف الشطّ وكان الجرف عالياً، فكان ليلة من اللّيالي قدموا إليه طعاماً فجلس هو وأهله وأولاده ليأكلوا، فاتّفق أنّهم نسوا إحضار الملح، فقال لزوجته: أحضري الملح، فقامت ومضت فأبطأت، فتبعها الولد وأبطأ وقامت البنت أيضاً وتبعتهم الجارية وهم يريدون الإتيان بالملح من الحجرة الأُخرى، فتعجب ذلك العالم وخرج في أثرهم فلما وضع رجله خارج العتبة انهالت الحجرة في الماء مع ما فيها وكان بين الأرض والماء ما يقرب من طول المنارة، فسلموا كلّهم بحمد الله سبحانه، وفي هذا التاريخ بعضهم موجود في شيراز.

ومن الأمور أيضاً أنّي لمّا كنت أُسافر في البحار لطلب العلوم حكى لنا صاحب سفينة أنّه قد كان في يوم من الأيّام كثير الهواء والموج جلس رجل من أهل السفينة على حافتها لقضاء الحاجة، فاتّفق أنّه سقط في البحر فغطّاه الماء، فأتى إليه واحد من أهل السفينة ومدّ يده في الموضع الذي سقط فيه فاستخرجه من تحت الماء فدثروه بلحاف وبقي ساعات، فلما رفعوا الغطاء عنه وشرع في الكلام فإذا هو غير صاحبهم الذي وقع، فسألوه عن قصّته، فقال: إنّه قد كسر بنا السفينة منذ سبعة أيام وقد كانت لي لوحة أسبح عليها وقد ضعفت عن إمساكها هذا اليوم، فذهب عنّي فبقيت على وجه الماء ساعة وغشي عليّ وما شعرت بنفسي إلّا وأنا عندكم في هذا المركب، فذهب صاحبهم[1] فانظر إلى هذا التقدير كيف يمكن الكلام فيه.

---

(١) ونظير هذه الحكاية قصة عجيبة نقلها العالم الفاضل المرحوم الشيخ حسين الشام غازاني (شام غازان محلة بتبريز في الجانب الغربي) وقال: إني كنت في بعض الأيام في الكوفة على ضفة=

وذكر اليافعي في تاريخه في حوادث سنة تسع وخمسمائة أنّ بعض الملوك قال له منجّموه إنّه يموت في الساعة الفلانية من عقرب تلدغه، فلمّا كان قبل الساعة المذكورة تجرّد من جميع لباسه سوى ما يستر عورته وركب فرساً بعد أن غسله ونظفه ودخل به البحر حذراً ممّا قيل له، فبينما هو كذلك إذ عطست فرسه فخرجت من أنفها عقرب فلدغته فمات منها، فما أغناه الحذر من القدر.

وروي أن ذا النون المصري خرج ذات يوم يريد غسل ثيابه فإذا هو بعقرب قد أقبل إليه كأعظم ما يكون، قال: ففزع منها فزعاً شديداً واستعاذ بالله منها فكفي شرّها فأقبلت حتى وافت شط النيل فإذا هي بضفدع قد خرج من الماء، فاحتملها على ظهره وخرج بها إلى الجانب الآخر، قال ذو النون فعبرت خلفه فأتت إلى شجرة كثيرة الظل فإذا غلام أمرد تحتها وهو مخمور، فقلت إنّها أتت لقتل هذا الفتى فإذا أنا بأفعى أتت لقتل الفتى، فظفرت العقرب بالأفعى ولزمت دماغ الأفعى حتى قتلها ورجعت إلى الماء وعبرت على ظهر الضّفدع إلى الجانب الآخر، فأنشد ذو النون:

يا راقد والجليل يحفظه ... من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ... تأتيك منه فوائد النعم

قال: فانتبه الفتى من كلام ذي النون فأخبره الخبر فنزع ثياب اللّهو ولبس أثواب السياحة وساح ومات على تلك الحالة، وأمثال هذه الحكايات كثيرة، نعم يبقى الكلام في فائدة لوح المحو والإثبات وتغيير الكائنات وصفاتها فيه مع وجود اللوح المحفوظ، وعدم اطلاعنا على العلّة لا يقتضي نفيها، والتفحص عنها غير محتاج إليه بل إنما نحتاج في هذا المقام إلى التسليم والإذعان لا غير.

إذا عرفت هذا فلنشرع الآن في بيان الموت، فنقول إنّه كما قال مولانا عليه السلام قد

= الفرات والصيادون كانوا يصيدون السمك وجاء رجل موقر من العرب وأعطى فلوساً إلى أحد الصيادين وقال: (هاك على بختي) فألقى الصياد شبكة وأراد أن يخرجها وكانت الشبكة ثقيلة فإذا فيها ولد سنه يقرب من ثمان أو تسع سنين ولما رآه ذلك الرجل فصاح بأعلى صوته: (هاي ابني) فنجا ولده من الموت بفضل الله تعالى وتقديره. ونقل هذه القصة شيخنا العلامة المحدث المتتبع المعتمد الحاج مولى علي التبريزي الخياباني صاحب وقائع الأيام المتوفى (١٣٦٧هـ) في كتابه الذي ألفه في أواخر أيام حياته في ترجمة جمع من معاصريه انظر كتابه (علماء معاصر) ص ٤٠٠ ط تبريز.

خطّ الموت على ابن آدم كما خطّت القلادة على جيد الفتاة[١] وفي هذا التشبيه لطيفة مليحة: وهي أنّ الموت يزيّن ابن آدم وهو حلية له كما أنّ القلادة حلية لجيد الفتاة. روي أنّ نبيّاً من الأنبياء طلب منه قومه أن يدعو الله تعالى ليرفع الموت عنهم، فدعاه فرفع الموت عنهم حتى كان الرجل ينظر إلى أبيه وجدّه وجدّ أبيه وجدّ جدّه وهكذا وكذلك من طرف الأمّ، فكان يقوم بخدمتهم ويتعاهد أحوالهم كالأطفال فيشتغل بخدمتهم عن الكسب لهم وضاقت بهم الدور والمنازل، فطلبوا إليه بأن يدعو الله سبحانه ويجري عليهم الموت.

وروي أيضاً أنّ إبراهيم عليه السلام سأل الله تعالى أن لا يميته إلّا إذا سأل، فلمّا استكمل أيّامه التي قدرت له خرج، فرأى ملكاً على صورة شيخ فانٍ كبير قد أعجزه الضعف وظهر عليه الخرف ولعابه يجري على لحيته وطعامه وشرابه يخرجان من سبيله على غير اختياره، فقال له يا شيخ كم عمرك؟ فأخبره بعمر يزيد على عمر إبراهيم بسنة، فاسترجع وقال: أنا أصير بعد سنة إلى هذا الحال فسأل الموت.

هذا مع أنّ الإنسان إذا كبر سنّه ملّ الحياة وملّته الأهل والأحباب وطلبوا موته وإن تعاهدوا حاله بخدمة من الخدمات فإنّما هو من جهة التكليف الإلٰهي لا من باب المحبّة والوداد، نعم طلب الموت وإرادته مما ورد النهي عنه، وذلك أنّ عمر المؤمن جوهرة نفيسة لا قيمة لها ويمكنه في كلّ نفس منه أن يصل إلى درجة من درجات المقربين.

ومن هذا كان مولانا السجاد عليه السلام إذا رأى جنازة قال الحمد لله الّذي لم يجعلني من السواد المخترم، أي: لم يجعلني شخصاً هالكاً فهو يحمد الله سبحانه على الحياة، نعم يجوز الدعاء بما كان يدعو به عليه السلام من قوله اللّهمّ أبقني ما علمت أنّ الحياة خير لي فإذا صار عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك، ولا ينافي هذا ما ورد من قوله عليه السلام من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقائه، لأنّ هذا كما جاء في الرّوايات إنّما هو حال الموت ومعاينة أحوال تلك النشأة، وذلك أنّ الله سبحانه يوحي إلى ملك الموت أن إمض إلى فلان عبدي المؤمن واقبض روحه ولا تقبضها إلّا برضاً منه فيأتي إليه ويقف عنده وقفة العبد بين يدي

---

(١) هذه الكلمات النيرة من خطبة سيد الشهداء عليه السلام وقد ألقاها في مكة المكرمة قبل خروجه إلى العراق.

المولى ويقول له: إنّ الله تعالى قال لي لا أقبض روحك إلّا برضاك، فيقول المؤمن: لا أرضى، فيصعد ملك الموت ويقول: إلهي علمت ما قال عبدك المؤمن، فيقول الله سبحانه: إمض إلى بيته في الجنة وخذ له منه قبضة من الرّيحان واكشف له عن منزله في الجنة حتى يعاينه، فيأتي بقبضة الرّيحان إليه ويفتح له باباً إلى داره في الجنة، فيقول له يا ملك الموت ما هذا الريحان الطيّب؟ وذلك أنّ رائحته تشمّ من مسيرة خمسمائة عام، وما هذا المكان؟ فيقول هذا مكانك في الجنة، وهذا الرّيحان منه، فعند ذلك يضطرب ويقول عجّلوني عجّلوني، ويرشح جبينه عرقاً، فعند ذلك الوقت يحبّ لقاء الله ويحب الله لقاءه، وإن كان كافراً أتى إليه ملك الموت وكشف له عن مكانه في النار حتى يعاينه، فعند ذلك يقول ردّوني، ردّوني فيكره لقاء الله ويكره الله لقاءه.

وإلى هذه الألطاف الإلٰهيّة أشير حيث قال تعالى في الحديث القدسي ما ترددت في شيء أنا فاعله مثل ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، فكراهته للموت إنّما هي قبل المعاينة، وتردّده تعالى كناية عن ايصال تلك الألطاف إليه حتى توجبه الرّضى والقبول، مع أنّ الموت أمر قد رغبت عنه وعافته الأنبياء والأولياء وغيرهم، أمّا رغبة الأخيار عنه فلأنّهم أرادوا تحصيل أعالي الدرجات والفوز بما لديه من القربات، وأسبابه لا تكون إلّا قبل الموت، فأحبّوا الحياة رغبة فيما بعد الموت.

وأمّا رغبة الأشرار عنه فلما قال مولانا الحسن عليه السلام حين سئل يابن رسول الله ما بالنا نكره الموت وأنتم لا تكرهونه؟ فقال عليه السلام: لأنّكم عمرتم منازلكم هذه وخربتم تلك المنازل فلا تحبّون الانتقال من عمران إلى خراب، وأمّا نحن فنقلنا كلّ ما عندنا من الأثاث إلى تلك الدار فخربنا هذه وعمرنا تلك، فنحن نحبّ الانتقال من خراب إلى عمران. مع أنّ هذه الحياة ممّا جبلت الطبيعة على حبّها وطلبها، ولذا لا ترى أحداً يطلب الموت إلّا إذا تضايقت عليه أسباب الحياة، إمّا بفقر أو بكبر سنّ أو بخوف من عدوّ أو نحو ذلك، وأمّا وقت اتّساع أسباب الحياة فهو ممّا لا يخطر بباله بوجه من الوجوه، ومن هنا كان صلى الله عليه وآله يقول: اللّهم اجعل رزق محمد وآل محمد كفافاً لا كثيراً فأطغى ولا قليلاً فأشقى، وقد دعا إلى رجل أساء إليه بكثرة الرزق، ودعا لرجل أحسن إليه بالكفاف، فقيل له في ذلك! فقال: أما سمعتم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦-٧].

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ أول من عرف الموت وكرهه أبونا آدم عليه السلام، روى الصدوق طاب ثراه بإسناد إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ عرض على آدم عليه السلام أسماء الأنبياء وأعمارهم قال فمرّ بآدم اسم داود النبي عليه السلام فإذا عمره في العالم أربعون سنة، فقال آدم: يا ربّ ما أقلّ عمر داود وما أكثر عمري! يا ربّ إن أنا زدت من عمري ثلاثين سنة أتثبت ذلك له؟ قال نعم يا آدم، قال فإنّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك واطرحها من عمري، قال ابو جعفر عليه السلام فأثبت الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام من عمره ثلاثين سنة، وكانت له عند الله مثبتة فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] قال فمحا الله ما كان مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً، قال فمضى عمر آدم فهبط عليه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم يا ملك الموت إنّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة، فقال له ملك الموت يا آدم ألم تجعلها لابنك داود النبيّ وطرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذرّيّتك وعرضت عليك أعمارهم وأنت يومئذ بوادي الدّخنا ؟ قال فقال له آدم ما أذكر هذا، قال فقال له ملك الموت يا آدم لاتجحد ألم تسأل الله عزّ وجلّ أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك ؟ فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك في الذكر، قال آدم لم أذكر حتى أعلم ذلك، قال ابو جعفر عليه السلام وكان آدم صادقاً لم يذكر ولم يجحد؛ فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا الى أجل مسمّى لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه. **أقول**: لو كان آدم عليه السلام ممّن يحبّ الموت لما أقدم على هذه السؤالات وتفحّص عن هذه الأمور.

وأما إدريس الّنبي عليه السلام فروى الّشيخ الراوندي في كتاب القصص أنّ إدريس الّنبي عليه السلام كان يسبّح الّنهار ويصومه ويبيت حيث ما جنّه الليّل، ويأتيه رزقه حيث ما أفطر ، وكان يصعد له من العمل الصالح مثل ما يصعد لأهل الأرض كلّهم، فسأل ملك الموت ربه في زيارة إدريس وأن يسلّم عليه، فأذن له فنزل وأتاه فقال: إني أريدان أصبحك فأكون معك، فصحبه وكانا يسبحان الّنهار ويصومانه فإذا جنّهما الليّل أتى إدريس فطوره فيأكل ويدعو ملك الموت إليه فيقول لا حاجة لي فيه، ثم يقومان يصلّيان وإدريس يصلّي ويفطر وينام وملك الموت يصلّي ولا ينام ولا يفطر فمكثا بذلك أيّاماً ، ثمّ إنّهما مرّا بقطيع غنم وكرم قد أينع، فقال ملك الموت هل لك أن تأخذ من ذلك حملاً أو من هذا عناقيد فتفطر عليه، فقال أدعوك إلى مالي فتأبى فكيف تدعوني إلى مال الغير، ثمّ قال إدريس صلوات الله عليه قد صحبتني وأحسنت

فيما بيني وبينك من أنت؟ قال: أنا ملك الموت قال إدريس: لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تصعد بي إلى السماء. فاستأذن ملك الموت ربّه في ذلك فأذن له فحمله على جناحه فصعد به إلى السماء.

ثمّ قال له إدريس عليه السلام: إن لي إليك حاجة أُخرى، قال: وما هي؟ قال بلغني عن الموت شدة أُحب أن تذيقني منه طرفاً فأنظر هو كما بلغني، فاستأذن ربّه فأذن له فأخذ بنفسه ساعة ثمّ خلى عنه، فقال له: كيف رأيت؟ فقال: بلغني عنه شدّة فإنّه لأشدّ ممّا بلغني ولي إليك حاجة أُخرى تريني النار، فاستأذن ملك الموت صاحب النار ففتح له، فلما رآها إدريس عليه السلام سقط مغشيّاً عليه، ثمّ قال: لي إليك حاجة أُخرى تريني الجنة، فاستأذن ملك الموت خازن الجنة فدخلها فلمّا نظر إليها قال: يا ملك الموت ما كنت لأخرج منها إنّ الله تعالى قال: كلّ نفس ذائقة الموت وقد ذقته، ويقول: وأن منكم إلّا واردها وقد وردتها، ويقول: في الّجنة وما هم بخارجين منها، فانظر إلى إدريس النبي عليه السلام كيف احتال على رفع الموت عنه، وما ذلك إلّا لكراهته له وسماعه بشدّته ومرارته.

وأمّا نوح عليه السلام فروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة سنة وخمسون سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً [وهو في قومه يدعوهم] ومائتا عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة، ونضب الماء فمصّر الأمصار وأسكن ولده البلدان، ثمّ جاء ملك الموت وهو في الشمس فقال: السلام عليك، فردّ عليه نوح صلوات الله عليهما وقال: ما جاء بك؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: تدعني أدخل من الشمس إلى الظل؟ فقال له: نعم. قال فتحوّل نوح عليه السلام ثمّ قال: يا ملك الموت كأن ما مرّ بي من الدّنيا مثل تحوّلي من الشمس إلى الظلّ فامض لما أُمرت به فقبض روحه صلوات الله عليه[1].

أقول: كان ذلك الظلّ بيته عليه السلام الّذي بناه آخر عمره وإلاّ فطول عمره كان هو وعياله يستظلّ بالأشجار، فأذن الله تعالى له أن يصنع بيتاً من سعف النخل إذا نام فيه يكون نصفه في الظل ونصفه في الشمس، وطلبه التحول إليه من ملك الموت إما لأجل الاحترام والاعتزاز فإنّ حرمة المؤمن في منزله ومأواه، وإما لأجل طلب الحياة تلك اللحظة التي يتحوّل بها، وإمّا لكليهما، فانظر إلى نوح عليه السلام مع ما أُوتي

---

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٨٥ باب ١.

من العمر الطويل كيف لم يرغب بالموت ابتداء فكيف يكون حالنا نحن مع ما نحن عليه من قصر الأعمار وعمارة الديار.

وأمّا الخليل عليه السلام فروينا مسنداً إلى مولانا الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أراد الله تعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام هبط إليه ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم، قال: وعليك السلام يا ملك الموت أداع أنت أم ناع؟ قال: بل داع فأجبه، فقال إبراهيم: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله فقال: إلٰهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم، فقال الله جلّ جلاله يا ملك الموت اذهب إليه وقل له إنّ الحبيب يحب لقاء حبيبه هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ وتوفي إبراهيم عليه السلام بالشام ولم يعلم إسماعيل بموته فنزل جبرائيل عليه السلام فعزاه بأبيه.

وأمّا الكليم عليه السلام فقد كان أكثرهم كراهة للموت كما روي عن الصادق عليه السلام أنّ ملك الموت أتى موسى بن عمران فسلّم عليه فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: ما حاجتك؟ فقال له: جئت أقبض روحك من لسانك، قال: كيف وقد كلّمت به ربّي عزّ وجلّ ؟ فقال: من يديك فقال له موسى: كيف وقد حملت بهما التوراة، فقال: من رجليك فقال: كيف وقد وطئت بهما طور سيناء؟ قال: وعدّ أشياء غير هذا قال: فقال له ملك الموت: فإنّي أُمرت أن أتركك حتى تكون أنت الذي تريد ذلك، فمكث موسى عليه السلام ما شاء الله، ثمّ مرّ برجل وهو يحفر قبراً فقال له موسى عليه السلام : ألا أُعينك على حفر هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى قال: فأعانه حتّى حفر القبر ولحد اللحد فأراد الرجل أن يضطجع في اللّحد لينظر كيف هو، فقال له موسى عليه السلام : أنا أضطجع فيه فأُضطجع موسى فأُري مكانه من الجنة، فقال: يا ربّ اقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه ودفنه في القبر وسوى عليه التراب، قال: وكان الذي يحفر القبر ملك في صورة آدمي فلذلك لا يعرف قبر موسى عليه السلام .

وفي حديث آخر أن موسى عليه السلام لما جاء ملك الموت ليقبض روحه لطمه فأعوره[1] فقال: ربّ إنّك أرسلتني إلى عبد لا يحب الموت، فأوحى الله إليه أن ضع

(١) الظاهر أنه الحديث الذي أخرجه الشيخان - البخاري ومسلم - في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة، وهو من الأحاديث التي نقلها سيدنا الإمام المجتهد الأكبر السيد شرف الدين العاملي رحمه الله في كتابه: أبو هريرة. ثم أخذ في التنقيب حولها وكشف الحقيقة الراهنة في حق تلك الأحاديث الموضوعة حتى أسفر الحق بسبب كتابه النفيس وظهر فيه صبح اليقين. وقال =

يدك على متن ثور ولك بكل شعرة وارتها يدك سنة، فقال: ثمّ ماذا ؟ قال: الموت فقال: انته إلى أمر ربّك.

وأما المسيح عليه السلام فقد فرّ من الموت والتجأ إلى الله سبحانه حتى رفعه إليه فهو الآن في عالم الملكوت ويهبط إلى الأرض زمان خروج المهدي عليه السلام كما تقدم مفصلاً في بابه، لكن إذا أردت من استقبل الموت ولم يخف منه فهما الأخوان المباركان النبي صلى الله عليه وآله وأخوه علي بن أبي طالب عليه السلام أمّا النبي صلى الله عليه وآله فقد أرسل الله سبحانه إليه ملكاً في زمن مرضه ومعه بغلة عليها مفاتيح خزائن الأرض، فقال له: إنّ الله أرسلني إليك بهذه المفاتيح لتكون ملكاً في الدّنيا ولا ينقص عليك شيئاً من حظّ الآخرة فقال النبي صلى الله عليه وآله: أريد لقاء ربّي، وما قال هذا إلّا لما عرف من إرادة الحبيب لقاءه.

وأمّا سيد الموحدين عليه السلام فقد كان يباشر الحروب بثياب بدنه حتّى إنّ ابنه الحسن عليه السلام قال له في لبس الدّرع فقال: يا بني والله لا يبالي أبوك أعلى الموت وقع أم وقع الموت عليه والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه. ولمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله قال: فزت وربّ الكعبة[1] وفي تلك اللّيلة كان يكرر النظر إلى السماء ويقول: ما يمنع قاتلي عن قتلي، وكان قد ترك خضاب لحيته حتى

= بعد نقل هذا الحديث: وأنت ترى ما فيه مما لا يجوز على الله تعالى ولا على أنبيائه ولا على ملائكته، أيليق بالحق تبارك وتعالى أن يصطفي من عباده من يبطش على الغضب بطش الجبارين؟ ويوقع بأسه حتى في ملائكة الله المقربين؟ ويعمل عمل المتمردين؟ ويكره الموت كراهة الجاهلين؟ وكيف يجوز ذلك على موسى عليه السلام؟ وقد اختاره الله لرسالته وأئتمنه على وحيه وآثره بمناجاته وجعله من سادة رسله وكيف يكره الموت هذا الكره مع شرف مقامه؟ ورغبته في القرب من الله تعالى والفوز بلقائه؟ وما ذنب ملك الموت عليه السلام؟ وإنما هو رسول الله إليه، وبمَ استحق الضرب والمثلة فيه بقلع عينه؟ وما جاء إلا عن الله وما قال له: سوى أجب ربك أيجوز على أُولي العزم من الرسل إهانة الكروبيين من الملائكة؟ وضربهم حين يبلغونهم رسالات الله وأمره عزّ وجلّ؟ تعالى الله وتعالت أنبياؤه وملائكته عن ذلك علواً كبيراً (ا هـ) انظر كتاب: أبو هريرة ص ٨٣ - ٨٧ ط صيدا.

(١) معنى كلامه عليه السلام: أنه فزت بدرجة الشهادة التي كانت من آمال أمير المؤمنين طيلة حياته وعنه عليه السلام قال قلت: يا رسول الله إنك وعدتني الشهادة فاسأل الله تعالى أن يعجلها فقال: أجل قد كنت وعدتك الشهادة فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا وأومى إلى رأسي ولحيتي - الحديث - انظر: «الأمالي» للشيخ المفيد رحمه الله ص ١٦٩ ط النجف.

كانت بيضاء فقيل له في ذلك، فقال: إنّ حبيبي رسول الله ﷺ أخبرني أنّ لحيتي ستخضب من دم رأسي فأنا منتظر لذلك الخضاب. فانظر إلى رجل جعل زينته وخضابه دم مفرق رأسه وكان يقول والله لضرب الرجل ألف ضربة بالسيف على رأسه خير من أن يقال فيه إنّه مات على فراشه، يعني ينبغي للرّجل أن يقتل في سبيل الله لا أن يموت موتاً.

وقد اقتدى بهذين الأخوين أولادهم الطاهرون عليهم السلام، وناهيك به مبادرة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلى العراق عارفاً بقدومه على الموت والقتل سامعاً لصوت قائل يقول: تسير هؤلاء القوم والمنايا تسير معهم، ولمّا قرب إلى العراق وسمع بقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة أشار عليه أصحابه بالرجوع فقال: لا خير في الحياة بعد هؤلاء الفتية، فأقبل بأهل بيته وفتيته مبادراً إلى الموت مثل مبادرة الظمآن إلى الماء الزلال، فجالدهم بسيفه حتى أفنى منهم الجمّ الغفير إلى أن تكاثروا عليه فخرج إلى لقاء ربّه شاكياً من هذه الأمّة وفعالها، راغباً عن قيل الدنيا وقالها؛ وتبعه على هذا الأثر أولاده المعصومون فما منهم إلّا وقتيل أو مسموم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

والحاصل أنّ مثل الأنبياء إذا خافوا من الموت فكيف لا نخاف نحن منه لكن الّذي يطيب القلب ويجعله مطمئناً ما روي مستفيضاً بل متواتراً في الأخبار من حضور رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام عند المحتضر حال احتضاره.

روى شيخنا الكليني وغيره من أصحابنا عن مولانا الصادق عليه السلام: لو أنّ مؤمناً أقسم على ربّه أن لا يميته ما أماته أبداً، ولكن إذا حضر أجله بعث الله عزّ وجلّ ريحين، ريحاً يقال لها المنسية، وريحاً يقال لها: المسخية فأمّا المنسية فإنها تنسيه أهله وماله، وأمّا المسخية فإنها تسخي نفسه عن الدنيا حتى يختار ما عند الله.

وقال عليه السلام: إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت يا وليّ الله لا تجزع فوالّذي بعث محمّداً لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، فافتح عينيك فانظر، فينظر فيرى رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهؤلاء رفقاؤك. فينادي روحه مناد من قبل ربّ العزة فيقول: يا أيّتها النفس المطمئنة إلى محمّد وأهل بيته ارجعي إلى ربّك راضية بالولاية مرضيّة بالثواب، فادخلي في عبادي، يعني محمداً وأهل بيته؛ وادخلي جنّتي فما من شيء أحبّ إليه من انسلال روحه واللحوق بالمنادي.

وقال عليه السلام لعقبة يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة حتى تراهما، قلت فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ فقال: لا، يمضي أمامه، قلت له: أيقولان شيئاً؟ قال: نعم يدخلان على المؤمن فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه فيقول: يا وليّ الله أبشر أنا رسول الله إنّي خير لك ممّا تركت من الدنيا، ثمّ ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم علي عليه السلام حتى يكبّ عليه فيقول: يا وليّ الله أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبّ أما لأنفعنّك، ثمّ قال: إنّ هذا في كتاب الله عزّ وجلّ، فقلت: أين جعلني الله فداك؟ قال: في يونس قول الله عزّ وجلّ هٰهنا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٣-٦٤].

وفي خبر آخر قال أبو عبد الله عليه السلام إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه، والآخر عن يساره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأما ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه، ثمّ يفتح له باباً إلى الجنة فيقول: هذا منزلك في الجنة فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضّة، فيقول: لا حاجة لي في الدنيا، فعند ذلك يبيض لونه ويرشح جبينه وتقلص شفتاه، وتنتشر منخراه، وتدمع عينه اليسرى، فأيّ هذه العلامات رأيت فاكتف بها.

فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليها وهي في الجسد فتختار الآخرة فينزل عليه بكفن من الجنة بمسك أذفر، فيكفن بذلك الكفن ويحنّط بذلك ثمّ يكسى حلّة صفراء من حلل الجنة، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب الجنة ثمّ يفسح له عن أمامه مسيرة شهر، وعن يمينه وعن شماله، ثمّ يقال له: نم نومة العروس على فراشها، ثمّ يزور آل محمد في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم، ويشرب معهم من شرابهم، ويتحدّث معهم في مجالسهم حتّى يقوم قائمنا أهل البيت فأقبلوا معه يلبّون زمراً زمراً.

وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وجبرائيل وملك الموت عليه السلام فيدنو منه علي عليه السلام فيقول يا رسول الله إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل إنّ هذا كان يبغض الله ورسول الله وأهل بيت رسوله فأبغضه، ويقول جبرائيل يا ملك (لملك) الموت إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه واعنف عليه، فيدنو منه ملك الموت فيقول يا عبد الله

أخذت أمان براءتك من النّار، تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيقول: لا فيقول: أبشر يا عدوّ الله بسخط الله عزّوجلّ وعذابه والنار، أمّا الذي كنت تحذره فقد نزل بك ثمّ يسلّ نفسه سلّاً عنيفاً، ثمّ يوكّل بروحه ثلاثمائة شيطان كلّهم يبزق في وجهه ويتأذى بروحه، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من فيحها ولهبها.

وقال عليه السلام في الميّت تدمع عيناه عند الموت، قال ذلك معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله فيرى ما يسرّه، أما ترى الرّجل يرى ما يسره فتدمع عينه لذلك ويضحك، قال ابن أبي يعفور كان خطاب الجهني خليطاً لنا وكان شديد النصب لآل محمّد، قال فدخلت عليه أعوده للتقية فإذا هو مغمى عليه في الموت، فسمعته يقول: ما لي وما لك يا عليّ؟ فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام، فقال أبو عبد الله عليه السلام رآه وربّ الكعبة - ثلاثاً. ومخاطبته عليه السلام لحارث الهمداني متواتر نقله الخاصة والعامة وهو[1]:

(١) يظهر من كلام المصنف رحمه الله أن هذه الأشعار أنشدها أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً بها الحارث الهمداني رحمه الله وأنها من كلامه المنظوم ولكن الصواب أنها من أشعار السيد الحميري رحمه الله وقد حكى فيها ما تضمنه كلام أمير المؤمنين عليه السلام من مخاطبته لحارث الهمداني رحمه الله وقد وقع هذا التسامح والاشتباه في عبارات كثير من المؤلفين. وقد روى الشيخ الأعظم الإمام المفيد رحمه الله في كتابه «الأمالي» بإسناده حديثاً شريفاً عن جميل بن صالح - والظاهر أنه الأسدي الثقة الجليل من أصحاب الصادق عليه السلام عن أبي خالد الكابلي عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم - ثم نقل كلمات مشرقة نيرة من مخاطبات الإمام عليه السلام لحارث إلى أن قال عليه السلام: وأبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة قال الحارث وما المقاسمة؟ قال مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحيحة أقول هذا وليي فاتركيه وهذا عدوي فخذيه - وفي آخر الحديث: قال جميل بن صالح وأنشدني أبو هاشم السيد الحميري رحمه الله فيما تضمنه هذا الخبر:

قول عليّ لحارث عجب ... كم ثم أعجوبة له حملا

يا حار همدان إلى آخر الأبيات التي ذكرها المصنف رحمه الله ولكن حذف من أولها هذا البيت الذي ذكرناه وهذا الخبر الشريف صريح بأن هذه الأبيات للسيد الحميري رحمه الله انظر الخبر في أمالي الشيخ المفيد ص ٢ - ٤ ط ٢ النجف. وقال العلامة الأمين العاملي رحمه الله صاحب أعيان الشيعة في كتابه: (ديوان أمير المؤمنين عليه السلام على الرواية الصحيحة ص ٨ - ١٠ ط دمشق): ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما يوجب القطع بفساد نسبة البعض مما في الديوان المشهور إليه عليه السلام. . . . . . ومن ذلك إيراده الأبيات التي أولها: يا حار همدان من يمت =

يـا حـار هـمـدان مـن يـمـت يـرنـي	مـن مـؤمـن أو مـنـافـق قـبـلا
يـعـرفـنـي طـرفـه وأعـرفـه	بـنـعـتـه واسـمـه ومـا فـعـلا
وأنـت عـنـد الـصـراط تـعـرفـنـي	فـلا تـخـف عـثـرة ولا زلـلا
أسـقـيـك مـن بـارد عـلـى ظـمـأ	تـخـالـه فـي الـحـلاوة الـعـسـلا
أقـول لـلـنـار حـيـن تـوقـف	لـلـعـرض دعـيـه لا تـأخـذي الـرجـلا
دعـيـه لا تـقـربـيـه إنّ لـه	حـبـلاً بـحـبـل الـوحـي مـتّـصـلا

ولم يذهب أحد من الأصحاب إلى تأويل هذا ولا إلى إنكاره، نعم ذهب سيّدنا الأجل علم الهدى تغمّده الله برحمته إلى تأويله، فقال: معنى قوله من يمت يرني أنّه يعلم في ذلك الحال ثمرة ولايته عليه السلام وانحرافه عنه لأنّ المحتضرقد روي أنّه إذا

= يرني إلخ مع أنها للسيد الحميري وأولها: قول علي لحارث عجب إلخ فإنه صريح في أن ذلك حكاية قوله عليه السلام لا نفس قوله والعجب أن جامع الديوان ذكر هذا البيت في آخر الأبيات مع أنه في أولها وصريح في أنها ليست له عليه السلام والشيخ الطوسي في أماليه في المجلس الثامن عشر نسب الأبيات إلى السيد الحميري وذكر هذا البيت في أولها. وقد وقع في هذا الاشتباه ابن أبي الحديد في شرح النهج فنسب الأبيات إلى أمير المؤمنين عليه السلام لما رأى في أولها خطاباً للحارث ولم يذكر البيت الذي في أولها. وقال أيضاً في ص ١١٤ من الديوان: وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن الشيعة تروي عنه شعراً قاله للحارث الأعور الهمداني: يا حار همدان من يمت يرني إلخ ولكن الصواب أن هذه الأبيات للسيد الحميري نظم فيها هذه القصة فتوهم الرواة إنها لأمير المؤمنين عليه السلام من قوله فيها: يا حار همدان وإنما ذلك حكاية قول أمير المؤمنين لا نفس قوله روى ذلك الشيخ الطوسي في «أماليه» في مجلس يوم الجمعة ١٨ جمادى الآخرة سنة ٤٥٧ بسنده عن جميل بن صالح قال أنشدني السيد بن محمد: قول علي لحارث عجب إلخ (ا هـ). وانظر إلى تعليقة صديقنا العلامة الخطيب البارع الواعظ الجرندابي على كتاب أوائل المقالات ص ٤٦، ٤٧ ط ٢ تبريز. وقال العلامة الخبير السيد عبد الله شبر رحمه الله في كتابه حق اليقين: «قول أمير المؤمنين لحارث الهمداني يا حار همدان من يمت إلخ وهذا البيت قد رواه الخاصة والعامة (ا هـ) انظر: ص ٦٣ ج ٢ ط صيدا. ولعل مراده من كون هذا البيت مما رواه الخاصة والعامة هو مضمونه لا نفس هذا المنظوم وإلا فأين تلك الروايات المسندة التي رواها الخاصة والعامة وفيها هذا البيت وهذا القول من الخبير الماهر عجيب وأعجب منه ادعاء المصنف رحمه الله تواتر نقل مخاطبة الإمام عليه السلام لحارث بهذا البيت مع كونه خبيراً ماهراً أيضاً. ولعل المراد تواتر الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في حضورهم عليهم السلام عند المحتضر كما أن هذا الاعتقاد من ضروريات مذهب الإمامية وأخبارهم به متواترة.

عاين الموت وقاربه أُري في تلك الحال ما يدلّ على أنّه من أهل الجنّة أو النّار، وقد تقول العرب: رأيت فلاناً إذا رأى ما يتعلّق به من فعل أو أمر يعود إليه.

وإنّما اخترنا هذا التأويل لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام جسم فكيف يشاهده كلّ محتضر، والجسم لا يجوز أن يكون في الحالة الواحدة في جهات مختلفة، ولهذا قال المحصلون إنّ ملك الموت الذي يقبض الأرواح جنس، ولا يجوز أن يكون واحداً لأنّه جسم والجسم لا يجوز أن يكون في حالة واحدة في أماكن متعدّدة، فقوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] أراد به الجنس؛ كما قال: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧] هذا كلامه رحمه الله، والعجب منه كيف ارتكب تأويل هذه الأخبار الكثيرة مع أنّ بعضها من جهة صراحته في المطلوب غير قابل للتأويل لهذا الدّليل العقلي(١) وقد أسلفنا الجواب عن كلامه رحمه الله، وهو أنّ شيخنا المعاصر أدام

(١) اعلم أن الاعتقاد بحضور النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين بل الأئمة من ولده عليهم السلام عند المحتضر من اعتقادات الإمامية ومن العقائد الحقة الخاصة بهم وعليه ضرورة مذهبهم وقد أخذوا وتعلموا هذا الاعتقاد عن أهل البيت سلام الله عليهم. والدليل العقلي الذي أوجب لسيدنا علم الهدى رحمه الله وشيخه الأعظم شيخنا المفيد رحمه الله أن ذهبا إلى تأويل الدلائل النقلية الواردة عن أئمتنا عليهم السلام فهو بالنظر إلى الأجسام الطبيعية المادية ومكانها دليل تام لا شك فيه بحسب الظاهر فإن من الواضح أن حضور الجسم الواحد في آن واحد وحالة واحدة في أمكنة متعددة وجهات مختلفة غير ممكن و لكن لما لم يتحقق في زمن السيد رحمه الله هذه المباحث على نحو التحليل العلمي ولذا ذهب السيد رحمه الله إلى ذلك التأويل وأما اليوم فقد حقق في محله أن حضورهم عليهم السلام عند المحتضر لا ينحصر أن يكون في مكان الأجسام الطبيعية كما يتخيل في بادئ النظر حتى يرد ذلك الإشكال العقلي بل من الممكن أن يكون حضورهم في مكان الأجسام اللطيفة أو مكان الأرواح المجردة فإن الأمكنة بالنسبة إلى الأجسام المادية والأجسام اللطيفة والأرواح المجردة مختلفة كما نشاهد اليوم أن حركة بعض الأجسام بواسطة بعض القوى المادية في مكان الجسم اللطيف كالهواء أسرع بمراتب من الحركة في مكان الأجسام الكثيفة وهكذا يختلف تزاحم الأجسام في تلك الأمكنة بعضها مع بعض وعدمه وسرعة الحركة والسير أيضاً فيها مختلفة ولهم عليهم السلام بحسب نفوسهم القدسية القدرة والاستعداد بالتصرف في جميع الأمكنة من أمكنة الأجسام الكثيفة واللطيفة والأرواح الأدنى والوسطى والعليا وإحاطة التصرف في عالم الملك والملكوت بإذن الله تعالى وإقداره نعم إن كان المكان منحصراً إلى مكان الجسم المادي فقط فيرد حينئذٍ ذلك الإشكال العقلي ولكن ليس كذلك انظر إلى ما نقلنا عن شيخنا الأستاذ الإمام كاشف الغطاء رحمه الله في كتاب «جنة المأوى» وما كتبنا في ذيله من صفحة ١٧٤ إلى ١٧٨ ط تبريز. وما هو جدير بالذكر أنه غير خفي على الباحث الخبير أن الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب مختلفة في =

الله أيّامه بنى هذا على تعدد البدن المثالي، فيكون لعلي عليه السلام أبدان متعددة كل بدن منها في مكان من الأمكنة المختلفة، وأمّا الذي رجحناه نحن أخذاً من مفاهيم الأخبار فهو القول بالتمثل، بأنّ الله سبحانه يمثّل للميّت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام كما مثله لأهل السمٰوات حين رآه النبي صلى الله عليه وآله في جميع السمٰوات واقفاً يصلّي والملائكة تصلّي خلفه، فقال هذا علي بن أبي طالب تركته في الأرض وها هو قد سبقني إلى السماء! فقال الله عزّ وجلّ : هذا شخص مثل علي بن أبي طالب خلقته في جميع السمٰوات حتّى تنظر إليه الملائكة فتطمئن إليه نفوسهم من شدة حبّهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

ويؤيّده ما رواه الكليني في رواية سدير الصيرفي عن مولانا عليه السلام في قول ملك الموت للمحتضر افتح عينيك فانظر، قال: ويمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريّتهم عليهم السلام ، فيكون عليه السلام يأتي إلى بعض المحتضرين بنفسه الشريفة وصورته الأصلية، ويأتي إلى بعض آخر بصورته الممثّلة المشابهة لتلك الصورة الأصليّة، وهذا غير الجواب الأول الذي بني على البدن المثالي.

وهذا التمثل من باب ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأول يوم من أيّام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك، قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً وإنّي كنت عليكم محامياً فما لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك فنواريك فيها، قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً وإنّك كنت علي لثقيلاً فما لي عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أُعرض أنا وأنت على ربك- الحديث.

وبالجملة فإذا انقضت أيّامه وفرغ من أن يكون له رزق في الدنيا أقبل عليه ملك الموت لقبض روحه.

= تعبيراتها يظهر من بعضها حضورهم عند المحتضر بنفوسهم وأشخاصهم الشريفة ومن بعضها التمثل كما ذكره المصنف رحمه الله ومن بعض آخر أن المحتضر يرى النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وغيرهما من الأئمة عليهم السلام ورؤية المحتضر أعم من حضور أشخاصهم ولعل حضورهم يختلف بحسب مراتب الأشخاص والمحتضرين والله العالم.

وأما صفة ملك الموت: فروي أنّ الخليل عليه السلام قال لملك الموت يوماً: يا ملك الموت أُحبّ أن أراك على الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن، فقال: يا إبراهيم أعرض عنّي بوجهك حتى أتصوّر على تلك الصورة، فلمّا رآه إبراهيم رأى صورة شاب حسن الوجه أبيض اللّون، تعلوه الأنوار في أحسن ما يتخيّل من الهيئة، فقال: يا إبراهيم في هذه الصورة أقبض روح المؤمن، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلّا لقاءك لكفاه راحة، ثمّ قال له أريد أن أراك على الصفة التي تقبض فيها روح الكافر، فقال: يا إبراهيم لا تقدر، فقال: أحب ذلك، فقال: أعرض بوجهك فأعرض بوجهه ثمّ قال: انظر فنظر إليه فإذا هو أسود كالليل المظلم وقامته كالنخلة الطويلة والنار والدخان يخرجان من منخريه إلى عنان السماء فلمّا نظر إليه غشي على إبراهيم عليه السلام فرجع ملك الموت إلى حالته، فلمّا أفاق الخليل عليه السلام قال: يا ملك الموت لو لم يكن للكافر هول من الموت إلّا رؤيتك لكفته عن سائر الأهوال فإذا أتى إلى المؤمن سلّ روحه سلّاً رفيقاً لطيفاً حتى إنّه يحصل له الراحة من ذلك السلّ لما يشاهده من مكانه في الجنة، وإن كان كافراً أتى إليه بحديدة محميّة بنار جهنم فأدخلها في حلقومه وجذب روحه بها جذبة يخيّل إليه أنّ أطباق السمٰوات والأرض كلّها قد وقعت عليه وطبقته حتى يخرج زبده على فمه كالبعير.

وعن الصادق عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه، فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنّه مؤمن، فقال: أبشر يا محمد فإنّي بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أنّي أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول ما هذا الجزع؟ فوالله ما تعجّلناه قبل أجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب فإن تحتسبوه وتصبروا تؤجروا وإن تجزعوا تأثموا وتؤزروا، واعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثمّ عودة، فالحذر الحذر إنّه ليس في شرقها ولا غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلّا وأنا أتصفحهم في كلّ يوم خمس مرّات، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرني ربي بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما يتصفحهم في مواقيت الصلوات، فإن كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقنه شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ونحى عنه ملك الموت إبليس.

أقول: في هذا الحديث إشارة إلى أنّ البعوضة وغيرها من ذوات الأرواح لا تموت إلّا أن يكون ملك الموت يقبض أرواحها كما يقبض أرواح أولاد آدم، وعن

مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام قال: الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملِة وفكّ قيود وأغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطأ المراكب وآنس المنازل وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأعظم العذاب.

وفي خبر آخر قال عليه السلام القدوم على الله أمّا المؤمن فكالغائب يقدم على أهله وأما الكافر فكالآبق يرجع إلى مولاه.

وأمّا لحظات ملك الموت وتصفحاته فورد في بعض الأخبار أنّ القوم يكونون في المجلس يتكلّمون فربّما أخذتهم الفترة عن الكلام حتى يسكتوا كلهم عن الكلام فتلك السكتة هي اللحظة التي لحظهم فيها ملك الموت وهو أسكتهم، وأما ملك الموت المقدّم فهو عزرائيل عليه السلام.

وفي حديث المعراج أنّ النّبي صلى الله عليه وآله رآه في السماء الرابعة وهو عبوس الوجه ينظر في لوح بين يديه قد كتبت فيه الآجال فسأله صلى الله عليه وآله كيف تقبض الأرواح وأنت في هذا المكان؟ فقال: يا رسول الله إنّ الدّنيا في يدي كالدّرهم في يد أحدكم يقلّبه كيف شاء، أو كالعصفور بيد الطفل، ومع هذا الاقتدار التامّ قد جعل الله سبحانه له أعواناً من الملائكة يرسلهم إلى قبض الأرواح إلّا أنّهم إذا قبضوها أتوا بها إليه فعرضوها عليه حتى يأمرهم بأمره فيها أين يضعونها في الجنة أم في النار، ومن هنا ورد في الدعاء اللّهمّ صلّ على ملك الموت وأعوانه.

وأمّا النطفة التي خلق منها وهي المني وما مزج به من تراب قبره، فقال الصادق عليه السلام: إنّها تخرج منه حال خروج الرّوح فلذلك يغسل غسل الجنابة، وتلك النطفة تارة تخرج من عينه كالدّموع، وأُخرى من فيه كالزّبد، ولكن قدمنا أنّه لأجل الجمع بين الأخبار ينبغي أن نقول بخروج بعضها وبقاء بعضها تكون معه في القبر تدور معه كيف دار وهي التي يخلق بدنه منها إذا قامت القيامة الكبرى.

بقي الكلام في موت الفجأة فالذي ورد في الدعاء هو الاستعاذة بالله سبحانه منه وذلك لما تحققت ما في المرض من الثواب، نعم قد ورد في الأخبار أنّ موت الفجأة على المؤمن راحة معجّلة وعلى الكافر تدارك منه تعالى له على ما صنع من أعمال الخير حتى إذا مات تبادرته ملائكة العذاب وأمّا الموت الشديد فعلى الكافر عقاب معجّل، وأمّا على المؤمن فكفارة لما بقي عليه من الذنوب، وأمّا حدّه فقال الباقر عليه السلام: من مات دون الأربعين فقد اخترم، ومن مات دون أربعة عشر يوماً

فموته موت فجأة، وكذا روي عن الصادق عليه السلام أيضاً، وأمّا تشديد الموت على الأطفال والصبيان فهو كفّارة لوالديهم على ما في الرّوايات.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ الكافر الواقع في هذه الأخبار المراد به ما يشمل الفاسق المصرّ على فسقه، ولا تأخذك الغرّة أيّها الأخ، وتدخل نفسك في المؤمنين الذين ورد في شأنهم تخفيف الموت عنهم، وذلك أنّ للإيمان درجات ومراتب فلعلّ المراد بهم أهل الدرجة العليا، كيف لا وقد ورد في الخبر أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لمّا كان في بعض غزواته وانتهى بعسكره إلى قرب جبل، فقام وتوضّأ وأخذ ماء ورشه على ذلك الجبل فانفطر فخرج منه رجل أبيض الرّأس واللّحية، فسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام، فسأله من أنت؟ وهو أعلم به، قال: أنا وصيّ عيسى يا أمير المؤمنين لولا مرارة الموت لخرجت وكنت أُقاتل معك، فقال: أنا في هذا القبر منذ ثمانين سنة وما خرجت مرارة الموت من حلقي، فرجع إلى مكانه.

وفي الرواية أنّ جماعة قالوا لعيسى عليه السلام قد أحييت من كان حديث العهد من الموت فأحي لنا من كان بعيد العهد منه فقال عليه السلام اختاروا من شئتم، فاختاروا سام بن نوح فصلّى ركعتين فدعا الله تعالى فأحياه فإذا هو قد ابيض رأسه ولحيته، فقال عيسى عليه السلام: ما هذا الشيب؟ ولم يكن في زمانه بل عرض في زمان إبراهيم عليه السلام، قال: سمعت النداء فظننت أنّه يوم القيامة فشاب رأسي ولحيتي من الهيبة، وقال: كم وقتاً متّ؟ فقال: منذ أربعة آلاف سنة فما ذهبت عنّي سكرات الموت.

فإذا كان حالة خروج الرّوح ودعت جوارحه بعضها بعضاً فيقول السلام عليكم فما نلتقي بعد هذا اليوم أبداً إلى يوم القيامة، فعند ذلك يأتي إليه ملك الموت فيسلّ روحه من أصابع رجليه إلى صدره، فإذا بلغت الصدر وقفت وعاينت ورأت مكانها فذلك هو أوّل منزل من منازل الآخرة، وهو منزل الحسرة والندامة حتى إنّه يقول لملك الموت: أرجعني إلى الدّنيا يوماً لأعمل صالحاً، فيقول: فنيت الأيّام، فيقول: أرجعني ساعة فيقول: فنيت الساعات.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، فيجاب ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] يعني لو رجع إلى الدنيا لم يعمل إلّا ما كان يعمل سابقاً وليس ما يقوله إلّا مجرّد الكلام، فعند ذلك تسدّ عنه أبواب الرّجاء وتفتح له أبواب اليأس.

وأمّا راحة الموت فهو السكون عن الاضطراب والشعور الّذي يعرض له قبل قبض الرّوح حتى إنّ أهل الميّت ربّما رجوا حياته نظراً إلى السكون بعد الاضطراب واليقظة من سكر المرض فالذي ورد في الأخبار أنّ الله تعالى يرجع عليه عقله عند الموت لأجل الوصيّة حتى يفعل أو يترك فلا يكون له حجّة على الله سبحانه إذا قدم عليه بأنّي إنّما تركت الوصيّة لأجل سكرة الموت، وأمّا عند الأطباء فقالوا إنّ الطبيعة إنّما تضطرب من جهة مقاومة المرض والعراك بينهما، فإذا غلب المرض على الطبيعة أيست الطبيعة من قهر المرض فاستسلمت له فسكنت عن الاضطراب، فعند سكونها عقلت الأمور وعرفتها لأنّ المانع إنّما كان ذلك الحرب بين الطبيعة والمرض، فإذا خرجت الرّوح من الصدر أتت إلى الفم، وخرجت منه، فهنا ينتهي آخر الباب الثاني ويتلوه الباب الآخر.

الباب الثالث

في أحواله بعد الموت نور في بعض أحوال البرزخ

اعلم أن الرّوح إذا خرجت من البدن لم تخرج خروجاً دفعيّاً بل يبقى أثرها وهو حرارة البدن بعد خروجها ساعة؛ ومن ثمّ لم يجب الاغتسال على من مسه إلّا بعد برد بدنه لأنّه علامة خروج الروح وآثارها، وقال الصادق عليه السلام: إذا قبضت الروح فهي مظلّة فوق الجسد، روح المؤمن وغيره ينظر إلى كلّ شيء يصنع به، فإذا كفن ووضع على السرير وحمل على أعناق الرجال عادت الروح إليه ودخلت فيه فيمدّ له في بصره فينظر إلى موضعه من الجنّة ومن النّار، فينادي بأعلى صوته إن كان من أهل الجنة: عجلوني عجلوني، وإن كان من أهل النار ردّوني ردّوني وهو يعلم كلّ شيء يصنع به ويسمع الكلام، ومن هذا ورد الأمر بالرّفق به حال الغسل والكفن والحمل والإنزال في القبر.

وأمّا الكفن فينبغي أن يكون ثلاثة أثواب شاملة للميّت أو ثوبين وقميصاً، وأمّا المئزر الذي ذكره فقهاؤنا رضوان الله عليهم وهو الذي يشدّ على الوسط فلم نتحقّقه في صريح الأخبار، وحينئذٍ فالاحتياط في الجمع بين الأمرين، ويكون الكفن حسناً قال عليه السلام تنوّقوا بأكفانكم فإنّها زينتكم يوم القيامة، ومن ثمّ استحب الحبرة اليمانية وهو حلّة مخطّطة بخطوط الإبريسم ذات قيمة عالية تبلغ قيمة الحبرة مائة دينار أو أكثر أو أقلّ، ولمّا لم تتعارف في هذه الأعصار ذهب شيخنا المعاصر أدام الله أيّامه

إلى أنّه ينبغي أن يجعل بدلها ما ناسبها في اللّون والقيمة مثل التفاصيل اليزديّة والقطاني القاشانيّة أو الهنديّة أو البروجيّة أو نحو ذلك بأن تجعل فوق الأكفان زينة للمؤمن لأنّ حرمته ميتاً كحرمته حيّاً.

فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الخبر وبين ما روي في الأخبار الصحيحة من أنّ الناس يحشرون حفاة عراة يمنعهم النظر إلى عورات بعضهم أهوال القيامة وأشغالها وأن أبصارهم شاخصة إلى فوق لملاحظة ما يرونه من العذاب الذي يأتي من فوق رؤوسهم حتى إنّه روي أنّ النبي ﷺ لما قال لابنته فاطمة عليها السلام: إنّ الناس يحشرون عراة قالت: يا رسول الله وأنا أحشر عُريانة؟ فقال: نعم. فقالت: واسوأتاه حياء من الله سبحانه، فأتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ وقال: قل لفاطمة إنّها استحيت من الله تعالى فضمن لها أن يبعثها في حلّتين يغشي نورهما المحشر وكذلك يكسو علياً مثلهما، ولمّا ماتت فاطمة بنت أسد كفنها النبي ﷺ بثوبه، فقيل له في ذلك، فقال: إنّي ذكرت لها يوماً أحوال الناس في القيامة وأنّهم يحشرون حفاة عراة فقالت: وافضيحتاه فقلت لها: إنّي أضمن لك على الله تعالى أن يحشرك مكسوّة فكفنتها بثوبي لأنّ الأرض لا تبليه ولا يندرس بها. قلت: يمكن الجمع بين هذه الأخبار بوجوه:

أحدها: إنّه محمول على تفاوت مراتب أهل المحشر فمنهم العريان ومنهم المكسو بكفنه أو بحلّة من الجنّة.

وثانيها: أنّ المكسوّين إنّما هم المؤمنون والعراة إنّما هم الكفّار، ولكن المؤمنين بالّنسبة إلى الكفار كالقطرة بالنسبة إلى البحر المحيط، فمن ثمّ أُطلق عليهم الناس من باب تغليب الأكثر على الأقل.

وثالثها: إنّه محمول على تعدد أرض القيامة واختلاف أحوال الناس في كلّ أرض فيكونون عراة في بعضها ومكسوين في البعض الآخر، وذلك لأنّ يوم القيامة يوم طويل عريض ويقابل ألف سنة من أيّام الدنيا، ومثل هذا اليوم تفنى فيه الأكفان وغيرها.

ورابعها: أنّ المكسوّ في أرض القيامة من كان يستحي من الله عزّ وجلّ كما علل في حديث فاطمة عليها السلام والعريان من لم يستح من الله تعالى، فإذا رفع على رؤوس الرجال تكون الروح مع التابوت ترفرف فوقه فهو يناشد حامليه ويتمنّى الرجوع إلى الدنيا ولو ساعة واحدة؛ قال بعض العارفين: أيّها الغافل عن مستقبل أحوالك ينبغي أن تتعقل بخاطرك أنّك قد متّ وحملت على أكتاف الرّجال وتمنّيت الرجوع إلى

الدنيا، فها أنت قد رجعت إلى الدنيا فاعمل بمقتضى ما تمنّيت قبل أن يأتيك يوم يحال بينك وبين متمنّاك.

فإذا شيّعه المؤمنون إلى قبره غفر الله لهم ذنوبهم، كما روي أنّ أول ما يتحف به الميت في قبره أن يغفر لمن شيّعه، فإذا بلغوا الميّت إلى قبره وضعوا تابوته قريباً من القبر ليأخذ أهبته وعدّته، فإذا وضعوه في لحده وهالوا عليه التراب دخلت الروح فيه إلى حقويه، وفي حديث أنّه يسمع نفض أيدي القوم من تراب قبره، فعند ذلك ينظر يميناً وشمالاً فلا يرى إلّا ظلمات ثلاث: ظلمة الأرض، وظلمة العمل، وظلمة الوحشة، فيا لها من داهية عظيمة ومرزئة جسيمة.

فإذا وضع في القبر فأوّل ملك يدخل عليه رومان فتّان القبور، روي عن عبد الله بن سلام[1] أنّه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول ملك يدخل في القبر على الميّت قبل منكر ونكير، فقال رسول الله ﷺ: ملك يتلألأ وجهه كالشمس اسمه رومان، يدخل على الميّت ثمّ يقول له: أكتب ما عملت من حسنة ومن سيّئة، فيقول له: بأي شيء أكتب؟ أين قلمي ودواتي ومدادي؟ فيقول له: ريقك مدادك، وقلمك أصبعك، فيقول: أيّ شيء أكتب وليس معي صحيفة؟ قال: صحيفتك كفنك فاكتبه فيكتب ما عمله في الدنيا خيراً فإذا بلغ سيّئاته يستحي منه؛ فيقول له الملك: يا خاطىء ما تستحي من خالقك حتى عملتها في الدنيا وتستحي الآن، فيرفع الملك العمود ليضربه به فيقول العبد: ارفع عنّي حتى أكتبها فيكتب فيها جميع حسناته وسيّئاته، ثمّ

---

(١) هذا التفصيل الذي نقله عبد الله ابن سلام عن النبي ﷺ في حق الملك رومان لم يصل إلينا بطريق أهل البيت عليهم السلام وإنما رواه أهل السنة وقد صرح العلامة الفيض القاشاني رحمه الله في كتابه علم اليقين أن هذا الخبر مروي بطريق العامة حيث قال: وفي الأخبار العامية عن عبد الله بن سلام قال: سألت رسول الله ﷺ إلخ انظر: ص ١٩٧. نعم في الصحيفة السجادية في صلاته على الملائكة قوله عليه السلام: «ورومان فتان القبور» يظهر من كلامه عليه السلام في مقام تعداد الملائكة وظاهر العطف أن رومان غير ملك الموت وغير منكر ونكير فراجع. ولكن لم يشر صلوات الله عليه إلى وظيفة هذا الملك وإلى التفصيل المذكور في خبر عبد الله بن سلام وهو الإسرائيلي ثم الأنصاري المتوفى (٤٣هـ). قال شيخنا العلامة المامقاني رحمه الله في تنقيح المقال: ويمكن استفادة سوء حاله مما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج وغيره من أن أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع أرسل خلف جمع وأمرهم بالبيعة فقيل له لا تبعث إلى حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن سلام فقال لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا (ا هـ) ونقل صاحب كفاية الموحدين خبر عبد الله ابن سلام من هذا الكتاب وهو أيضاً كالمصنف رحمه الله لم يشر إلى كون الخبر من الأخبار العامية.

يأمره أن يطوي ويختم، فيقول: بأيّ شيء أختمه وليس معي خاتم؟ فيقول: اختمه بظفرك وعلّقه في عنقك إلى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء: ١٣].

وفي رواية أُخرى أنّه يأتي إلى الميت فيشمّه فإن عرف منه خيراً أخبر منكراً ونكيراً حتى يرفقا به وقت السّؤال، وإن عرف منه شرّاً أخبرهما حتى يشدّدا عليه الحال والعذاب.

ثمّ يأتيانه ملكا القبر كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يجرّان أشعارهما ويخدان الأرض بأقدامهما أصواتهما كالرّعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك؟ فيقول: الله ربي، وديني الإسلام، ونبيّي محمد، وإمامي علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ يعدّ الأئمة واحداً بعد واحد حتى يصل إلى إمام زمانه، وهو في هذا الزمان مولانا المهدي عليه وعلى آبائه السلام، فيقولان ثبتك الله فيما تحبّ وترضى وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ثمّ يفسحان له في قبره مدّ بصره ثمّ يفتحان له باباً إلى الجنّة ثمّ يقولان له نم قرير العين نوم الشّاب الناعم، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

وإذا كان لربّه عدوّاً فإنّه يأتيه أقبح من خلق الله زيّاً وأنتنه ريحاً فيقول: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم، فإذا أتيا إليه ألقيا أكفانه فيسألانه عن ربّه وعن نبيّه وعن دينه وعن إمامه، فيقول: لا أدري فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله عزّ وجلّ من دابّة إلّا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار، ثمّ يقولان له نم بشرّ حال، ويسلّط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره.

أقول: قد وقع في هذا الخبر أنّ الفسح بمقدار مدّ البصر، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين(١) وفي الكافي عن الإمام أبي عبد الله

---

(١) لا منافاة بينهما فإن كلمة السبعين في كلام العرب جارية مجرى التمثيل للتكثير ولعل المراد من قوله صلى الله عليه وآله يفسح له في قبره سبعون إلخ يعني يفسح له كثيراً وصرح في الخبر الأول أن الفسح بمقدار مد البصر ولعل (السبع) أيضاً مثل (السبعين) و(سبعين ألف) من باب التمثيل أو أن الاختلاف في الفسحة بحسب اختلاف الدرجات كما ذكره المصنف رحمه الله وقبله العلامة الفيض القاشاني رحمه الله في كتابه: علم اليقين انظر: ص ١٩٦ ط طهران سنة (١٣٠٣هـ - ق).

جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يفسح له في قبره سبعة أذرع، ولا منافاة بينهما لاختلاف الفسحة باختلاف الدرجات.

فلعلّ فسحة الأدنى سبعة أذرع والأوسط سبعون والأعلى مدّ البصر، ولعلّ الحكمة في عدم سماع الثقلين صوت المرزبة أنّهم لو سمعوه لصار الإيمان ضرورياً فيرتفع التكليف الاختياري، وروي عن مولانا الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي كنت لأنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها وليس من نبيّ إلّا وقد رعى الغنم فكنت أنظر إليها وهي ترعى وما حولها شيء يهيّجها حتى تذعر فتطير فأقول ما هذا وأعجب حتى جاءني جبرائيل عليه السلام فقال: إنّ الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلّا سمعها ويذعر لها إلّا الجن والإنس.

وعن زيد بن ثابت قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في حائط لبني النجّار على بغلة له ونحن معه إذحادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة فقال صلى الله عليه وآله: «من يعرف صاحب هذه الأقبر»؟ قال رجل: أنا قال: «متى ماتوا»؟ قال في الشرك، فقال: «إنّ هذه الأمّة تبتلى في قبورها فلولا أن تدافنوا[1] لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه - الحديث»، وقوله عليه السلام «لولا أن تدافنوا» قد ذكر في معناه المحدّثون وجوهاً:

(١) هكذا في النسخ والمناسب للوجوه المذكورة في معناه أن تكون العبارة فلولا أن لا تدافنوا بزيادة لفظة «لا» قبل قوله صلى الله عليه وآله تدافنوا أو فلو تدافنوا بدون لفظة «لا» قبل قوله صلى الله عليه وآله أن تدافنوا هذا وفي القاموس تدافنوا تكاتموا فعلى هذا يكون معنى قوله صلى الله عليه وآله على ما في النسخ فلولا كتمانكم ما سمعتم لدعوت الله أن يسمعكم يعني إنكم لفضاحة ما سمعتموه تكتمونه ولا تخبرونه لأحد فلا يكون لسماعكم ذلك فائدة فلولا كتمانكم ذلك لدعوته أن يسمعكم فتأمل. محمد علي عفى الله عنه (ا هـ). كذا في هامش بعض النسخ المطبوعة. أقول في النسخة المخطوطة الموجودة عندنا العبارة كما احتمله هذا المحشي في الموضعين أعني في قوله: (فلولا أن لا تدافنوا) وقول المصنف رحمه الله وقوله عليه السلام (لولا أن لا تدافنوا) وهكذا العبارة أيضاً في كتاب علم اليقين للعلامة الكاشاني رحمه الله ولا مجال الآن للرجوع إلى كتب الحديث قال في لسان العرب: التدافن التكاتم يقال في الحديث لو تكاشفتم ما تدافنتم أي لو تكشف عيب بعضكم لبعض (ا هـ) ويخطر على بالي إنه على النسخة المخطوطة يكون المعنى فلولا أنكم لا تكتمون أحوال موتاكم إذا سمعتم من أحوالهم وما هم عليه من العذاب أو الثواب بل أظهرتم حالاتهم فيقول أحدكم مثلاً أن أبا فلان معذب وأبي في الثواب ويقول آخر أن أخاه في العذاب وأخي في الثواب وأظهرتم أسرار موتاكم لدعوت الله تعالى أن يسمعكم أحوال الموتى وما هم عليه في عالم البرزخ ولكن علمي بأنكم لا تكتمون ذلك فما دعوت الله تعالى أن يسمعكم.

منها: أنّهم لو سمعوا ذلك لم يدفنوا الميّت ليسلم من عذاب القبر، وأورد عليه أنّ المؤمن ينبغي أن يعتقد حصول العذاب لأهله ولو في حواصل الطيور وبطون السباع والحيتان فلا يمنع ترك التدافن.

ومنها: أنّ المراد أنّهم لو سمعوا ذلك لكانوا يهربون عن كلّ ميّت لعدم طاقتهم سماع عذابه، فلا يدفنونه إذ العذاب يحصل لأهله عقيب الموت بغير فاصلة.

ومنها: أن يكون المراد أنّهم ما كانوا يقربون المقابر من أصوات عذاب الأموات، وأورد عليه أنّ هذا لا يقتضي ترك التدافن مطلقاً وإنّما يقتضي تركه بين المقابر والحديث مطلق.

ومنها أنّهم لو سمعوا ذلك لحملهم سماعه على عدم التدافن لخوف الفضيحة في أقاربهم وعشائرهم، فإنّ زيارة القبور كانت متعارفة بينهم وسماع صوت القريب يوجب فضيحة قريبه إلى غير ذلك من الوجوه، وقوله عليه السلام في الحديث السابق ويسلّط الله عليه حيات الأرض وعقاربها . . .روى في الكافي عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّ الله يسلط عليه تسعة وتسعين تنيناً لو أنّ تنيناً واحداً منها نفخ على الأرض ما أنبتت شجراً أبداً، قال بعض العارفين: ولا ينبغي أن تتعجّب من التخصيص بهذا العدد فلعلّ عدد هذه الحيّات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرّياء والحسد والحقد وسائر الأخلاق والملكات المرديئة، فإنّها تتنوّع أنواعاً كثيرة، وهي بعينها تنقلب حيّات في تلك النشأة. إذا تحقّقت هذا كلّه، فقد بقي الكلام في أمور:

الأول: أنّ الملائكة وهم منكر ونكير أهما بعينهما مبشّر وبشير أم غيرهما؟ قلت ظاهر الدّعوات المأثورات عن الأئمة الأطهار عليهم السلام المغايرة بينهما، وذلك أنّ منكراً ونكيراً يأتيان لسؤال الكفار والفساق، ومبشّراً وبشيراً يأتيان لسؤال المؤمن على أحسن هيئة وأتمّ خلق، حتى إنّ المؤمن ليفرح بدخولهما عليه وإلى هذا ذهب بعض العلماء.

وأمّا الأخبار فظاهر كثير منها أنّهما واحد، ولكن قادران على التشكلات المختلفة، فيأتيان إلى المؤمن بصورة مبشّر وبشير، وإلى غيره بصورة منكر ونكير، ومع كلّ واحد منهما عمود من نار لو أراد الجنّ والإنس أن يحرّكوا طرفه لما قدروا عليه، وإلى هذا ذهب جماعة من الأصحاب ولعلّه الأقوى، وما في ظاهر الدّعوات يحمل عليه أيضاً وليس هو بحمل بعيد، وأمّا أنّ منكراً ونكيراً هل هما شخصان أو نوعان فذاك خلاف آخر وإن كان الظاهر من الأخبار هو الأول.

الأمر الثاني: في تجسّم الأعمال في البرزخ[1] والقيامة بأن تكون هذه الأعراض المعنوية في هذه النشأة الدنيّة تكون أجساماً بعد الموت والأخبار متظافرة في الدّلالة على هذا كما أنّ الصلاة تأتي إلى الميّت في قبره بصورة شابّ حسن الوجه والثياب وكذلك الزكاة والبر وصلة الأرحام فيؤنسانه في قبره، وكذلك إدخال السرور على المؤمن وقضاء حوائجه ونحو ذلك.

روى أصحابنا رضوان الله عليهم عن قيس بن عاصم قال وفدت مع جماعة من بني تميم على النبي ﷺ فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدّلهمس، فقلت يا نبيّ الله عِظنا موعظة ننتفع بها فإنّا قوم نعبر في البرية، فقال رسول الله ﷺ: «يا قيس إنّ مع العز ذلاً وإنّ مع الحياة موتاً، وإنّ مع الدنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء رقيباً؛ وعلى كلّ شيء حسيباً، وإنّ لكلّ أجل كتاباً، وإنّه لا بدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً اسلمك ثمّ لا يحشر إلّا معك ولا تحشر إلّا معه ولا تسأل إلّا عنه، فلا تجعله إلّا صالحاً فإنّه أن صلح أنست به وإن فسد لا تستوحش إلّا منه وهو فعلك.

فقال: يا نبي الله أحبّ أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفتخر به على من يلينا من العرب وندّخره، فأمر النبي ﷺ من يأتيه بحسّان، فاستبان لي القول قبل مجيء حسّان، فقلت يا رسول الله قد حضرني أبيات أحسبها توافق ما تريد فقلت:

تخيّر خليطاً من فعالك إنّما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بدّ بعد الموت من أن تعدّه ... ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فإن تك مشغولاً بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... ومن قبله إلّا الذي كان يعمل

وذهب بعض المحدثين من المعاصرين وغيرهم إلى أنّ الأعراض لا يعقل تجسمها فيكون مثال الصلاة والزكاة ونحوها معناه أنّ الله سبحانه يخلق للمؤمن في قبره جزاء الصلاة مثالاً نورانياً يأنس به المؤمن في البرزخ والقيامة، وكذا يخلق له جزاء الزّنا حيّة وعقرباً، لأن الزّنا يتصور حيّة وعلى هذا القياس أعمال الخير والشر.

(١) تجسم الأعمال بل الأحوال والصفات والملكات هو الحق الموافق لظواهر الأخبار والآيات وقد كتبنا حول هذا الموضوع في الجزء الثالث من هذا الكتاب انظر: ج ٣ من ص ٥ إلى ص ٨.

أقول: وهذا تأويل للأخبار من غير علّة محوجة إليه، وذلك لأنّ النشأة لا يدركها العقل وهي أمر وراء طور العقل.

والحاصل أنّ الصواب هو القول بصريح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدّالة على تجسّم الأعمال وأنّها هي التي توزن في موازين العدل يوم القيامة كما سيأتي عن قريب إن شاء الله تعالى.

الأمر الثالث: في ضغطة القبر اعلم أنّ المؤمن إذا وضع في القبر قالت الأرض له: مرحباً وأهلاً أما والله لقد كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك، قال: فيفسح له مدّ البصر، وإذا دخلها الرّجل الخبيث الفاسق قالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني سترى ذلك، فتضغطه ضغطة تخرج مخّ رأسه من أظافير رجليه ويفتح له باب إلى النار.

ثمّ يخرج إليه رجل قبيح فيقول: يا عبد الله من أنت ما رأيت شيئاً أقبح منك؟ فيقول: أنا عملك السيىء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث، وهذه الضغطة الشديدة هي التي ضمنها رسول الله ﷺ لفاطمة بنت أسد، وذلك أنّه لمّا حفر لها قبراً اضطجع فيه رسول الله ﷺ، فقيل له في ذلك، فقال: «إنّي ذكرت عندها ضغطة القبر يوماً وذكرت شدّتها فقالت: وا ضعفاه ليس لي طاقة عليها فقلت لها: إنّي أضمن لك على الله فاضطجعت في قبرها لذلك».

وروى في الكافي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر، إنّ رقيّة لمّا قتلها عثمان وقف رسول الله ﷺ على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس: ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضمّة القبر، قال: فقال: اللّهمّ هب لي رقية من ضمّة القبر فوهبها الله له.

قال: وإنّ رسول الله ﷺ خرج في جنازة سعد وقد شيّعه سبعون ألف ملك، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء ثمّ قال مثل سعد يضمّ، قال: قلت جعلت فداك إنّا نتحدّث أنّه كان يستخف بالبول فقال: معاذ الله إنّما كان من زعارة في خلقه على أهله، قال: فقالت أمّ سعد: هنيئاً لك يا سعد، قال: فقال لها رسول الله ﷺ يا أمّ سعد لا تحتمي على الله[1].

---

(١) الكافي ج ٣ ص٢٣٦ باب المساءلة في القبر.

أقول: إذا كان سعد الذي شيّعت جنازته الملائكة أصابته ضغطة القبر فمن الذي ينجو منها، ومن هنا روي عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّي سمعتك وأنت تقول كلّ شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم؟ قال: صدقت كلّهم والله في الجنة، قال: قلت جعلت فداك إنّ الذّنوب كبائر فقال: أما في القيامة فكلّكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصيّ النبي، ولكنّي والله أتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر(١) منذ حين موته إلى يوم القيامة. نعم قد ورد في الأخبار المعتبرة أنّ من مات من المؤمنين ليلة الجمعة أو يومها أمن من ضغطة القبر.

وكذلك الجريدتان فإنّهما ما دامتا خضراوين لم ينله عذاب القبر وقد ورد أنّ بعض أعمال البر والأدعية المأثورة تدفعها أيضاً وهو ليس ببعيد فإنّ رحمة الله قريب من المحسنين.

وأيضاً ذكر في إرشاد القلوب في فضل المشهد الشريف الغروي وما لتربته والدّفن فيها من المزيّة والشرف، روى عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: الغري قطعة من الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام تكليماً وقدس عليه تقديساً واتخذ عليه إبراهيم خليلاً ومحمّداً صلى الله عليه وآله حبيباً وجعل للنبيّين مسكناً، وروى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نظر إلى ظهر الكوفة فقال: ما أحسن منظرك وأطيب قعرك اللهمّ اجعل قبري بها.

ومن خواص تربته إسقاط عذاب القبر وترك محاسبة منكر ونكير من المدفون هناك كما وردت به الأخبار الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام، وروي عن القاضي ابن بدر الهمداني الكوفي وكان رجلاً صالحاً متعبّداً قال: كنت في جامع الكوفة ذات ليلة مطيرة فدقّ باب مسلم جماعة ففتح لهم وذكر بعضهم أنّ معهم جنازة فأدخلوها وجعلوها على الصفّة التي تجاه باب مسلم بن عقيل ثمّ إنّ أحدهم نام فرأى في منامه قائلاً يقول لآخر: ما نسفره حتى نبصر هل لنا معه حساب أم لا؟ فكشف عن وجه الميّت وقال لصاحبه: بل لنا معه حساب وينبغي أن نأخذ منه معجّلاً قبل أن يتعدّى الرصافة(٢) فما يبقى لنا معه طريق فانتبه وحكى له المنام وقال: خذوه معجّلاً فأخذوه ومضوا به في الحال إلى المشهد الشريف صلوات الله وسلامه على مشرّفه، شعر:

---

(١) للقبر اطلاقان في الأخبار والأحاديث الشريفة أحدهما المراد به عالم البرزخ والثاني القبر الدنيوي المحسوس المحفور في التراب كما صرح به بعض الأعاظم من المحدثين.

(٢) الرصافة اسم موضع.

إذا متّ فادفنّي إلى جنب حيدر أبي شبر أكرم به وشبير
فلست أخاف النار عند جواره ولا أتّقي من منكر ونكير
فعار على حامي الحمى وهو في الحمى إذا ضلّ في البيدا عقال بعير

وروى جماعة من صلحاء المشهد الشريف الغرويّ أنّه رأى أنّ كلّ واحد من القبور التي في المشهد الشريف الطاهر قد خرج منه حبل ممتدّ متّصل بالقبّة الشريفة صلوات الله وسلامه على مشرّفها.

وأمّا المصلوب والغريق فروي أنّ الله سبحانه يأمر الماء والهواء فيضغطانه أشدّ من ضغطة القبر، وقال أمير المؤمنين عليه السلام من مات يوم الخميس بعد الزّوال وكان مؤمناً أعاذه الله عزّ وجلّ من ضغطة القبر وقبل شفاعته في مثل ربيعة ومضر.

الأمر الرابع: قد عرفت من تضاعيف الأخبار المذكورة وغيرها أنّ السؤال في القبر قد وقع في شأن الميّت مطلقاً، فما تقول في الأخبار الصحيحة المعتبرة التي رواها المشايخ رضوان الله عليهم في الأصول الأربعة وغيرها عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال: لا يسأل في القبر إلّا من محض الإيمان محضاً والكفر محضاً، وأمّا ما سوى ذلك فملهوّ عنهم إلى يوم القيامة؟.

قلت: أمّا شيخنا الشهيد تغمّده الله برحمته فقال: إنّ هذا الخبر وهو: لا يسأل في القبر إلّا من محض الإيمان أو من محض الكفر، على سؤال خاصّ ليوافق الأخبار العامّة في سؤال القبر، وتفصيله أنّه قال مولانا الصادق عليه السلام يسأل الميّت في قبره عن خمس: عن صلواته، وزكاته، وحجّه وصيامه وولايته إيّانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع ما دخل فيكنّ من نقص فعليّ تمامه، وحينئذ فلعل الملهوّ عنه السؤال عن تفاصيل الصلاة والزكاة ونحوهما فإنّ كثيراً من المستضعفين من النساء والكهول ومن كان في أطراف البلاد وأهل الصحارى وبعض أهل القرى الذين بعدوا عن ديار العلم ولم يوجد بينهم عالم ولا فقيه ولم يعرفوا تفاصيل هذه الواجبات ولا تحقّقوا وجوب السؤال عليهم ولا وجوب المهاجرة إلى ديار العلم، بل تحقّقوا أنّ الواجب عليهم إنّما هو هذا الّذي يأتون به من الواجبات من صلاة وصيام، بل وبعض ساكني الأمصار حالهم أيضاً مثل هذا، وحينئذٍ فلعلّ السؤال الملهوّ عنه إلى يوم القيامة هو هذا السؤال لا السؤال عن الربّ والنبي والإمام ونحو ذلك من البديهيّات التي ملأت الأسماع والأقطار.

وأمّا شيخنا الكليني قدس ضريحه فقال في الكافي باب المسألة في القبر ومن

يسأل ومن لا يسأل ثمّ شرع في نقل هذه الأخبار فظاهره العمل بظاهرها، وكذلك شيخنا الصدوق رحمه الله فإنّه نقل الخبر من غير تعرّض لتأويله، وهو قد ذكر في أوائل كتابه أنّ كلّ ما يذكره فيه فهو حجة بينه وبين ربّه، وظاهر شيخنا البهائي رحمه الله أنه جنح إليه أيضاً.

أقول: ويمكن أن يراد بالملهو عنهم الذين وردت الأخبار في شأنهم وأنّهم يكلّفون يوم القيامة بأن تؤجج لهم نار فيؤمروا بالدّخول فيها مثل البله والمجانين، ومن كان في فترات الأنبياء والشيخ الفاني والعجوز الفانية ونحوهم ممّا سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى وهؤلاء لم يمحضوا الإيمان وهو ظاهر ولم يمحضوا الكفر أيضاً لقصورهم عن ورود الموردين فيبقون على حالتهم في قبورهم حتّى يمنحهم الله سبحانه في القيامة قوة إدراك التكاليف والعقل القابل له.

الأمر الخامس: في بيان الأمور النافعة للميّت في أحوال البرزخ، فمنها ذكر من بقي بعده من أرحامه وإخوان دينه له بشيء من أنواع البر والصدقة وصلاة وتلاوة قرآن وحجّ ونحو ذلك، فقد ورد في الخبر أنّ الميّت قد يكون في ضيق من العذاب فيهدي إليه واحد من إخوانه شيئاً من البرّ فيدخل عليه ملك في قبره بطبق من نور فيقول: هذه هديّة من فلان إليك فيوسع عليه ويرفع عنه العذاب، ومن هذا ورد أنّه قد يكتب البار بوالديه في حياتهما عاقّاً لهما بعد موتهما، إذا لم يذكرهما بشيء من أفعال البرّ وكذا العكس.

وقد أورد بعض المحقّقين شبهة في هذا المقام وهي أنّه تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، فإنّ ظاهره أن سعي أحد في فعل من أفعال الخير لا يصل ثوابه إلى غيره، وقد أجيب عنه بوجوه:

الأول: أن سعي الغير لا ينفعه إذا أوقعه عن نفسه فأمّا إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه كالوكيل في إخراج الزكاة والخمس مثلاً.

الثاني: أنّ وصول ثواب تلك الأعمال إليه لا ريب أنّه نتيجة سعيه في تحصيل الإيمان وأصول العقائد وفي اتخاذ الأصدقاء والإخوان ومعاشرتهم وإهداء المعروف إليهم فما أهدوا إليه بعد موته فهو ممّا حصل بسعيه في الحقيقة.

الثالث: أنّ مضمون الآية مخصوص بأمّة موسى وإبراهيم كما يساعد عليه السياق لأنّ الآية هكذا: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٦-٣٧] ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم ٣٦ -

٣٩]، وأمّا هذه الأمّة فلا بعد في أن يصل إليهم ما سعى فيه غيرهم أيضاً تفضّلاً من الله عليهم، وأقوى هذه الوجوه أوسطها كما أنّ أضعفها أخيرها وفي الصحيح عن عمر بن يزيد قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يصلّي عن ولده في كلّ ليلة ركعتين وعن والديه في كل يوم ركعتين قلت له: جعلت فداك وكيف صار للولد الليل قال: لأنّ الفراش للولد، قال وكان يقرأ فيهما ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ و﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

ومنها: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال المؤمن إذا مات يصعد ملكاه إلى السماء فيقولان عبدك فلان قد مات فأذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله تعالى: إنّ سماواتي مملوءة بملائكتي ولكن اذهبا إلى قبره واكتبا له إلى يوم القيامة.

ومنها: شهادة المؤمنين له بالخير والصلاح، فإنّه قد ورد في الخبر أنّ الله تعالى يجيز شهادتهم ويكتبه عنده من الأخيار وإن كان في علم الله تعالى أنّه من الأشرار، وقال الصادق عليه السلام إذا حضر الميّت أربعون رجلاً فقالوا اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً، قال الله عزّ وجلّ قد قبلت شهادتكم وغفرت له ما علمت ممّا لا تعلمون.

وروى شيخنا الكليني قدس الله روحه بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام إنّه مراء، قال: ثمّ إنّه مات فلم يشهد جنازته داود عليه السلام فقام أربعون من بني إسرائيل فقالوا: اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً وأنت أعلم به منا فاغفر له قال: فلمّا غسل أتى إليه أربعون غير الأربعين وقالوا اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً وأنت أعلم به منّا فاغفر له، قال: فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ما منعك أن تصلّي عليه؟ قال داود عليه السلام للّذي أخبرتني به قال: فأوحى الله إليه إنّه قد شهد له قوم فأجزت شهادتهم وغفرت له وعلمت ما لا يعلمون.

ومن هنا كان شيخنا المعاصر أدام الله أيّامه قد طلب من إخوانه المؤمنين أن يكتبوا على كفنه بالتربة الحسينيّة الشهادة منهم بإيمانه، فكتبوا هذا لا ريب في إيمانه كتبه شاهداً به فلان وربّما جعلوا تحت الشهادة نقش خواتيمهم، وكان يأمر الناس بهذا وأمثاله وهو حسن، وذلك أنّ الله تعالى كريم والوافد عليه يكفيه أدنى الأعمال.

وقد كتب المولى الورع الأردبيلي رحمه الله كتابة إلى الشاه طهماسب تغمده الله برحمته يوصيه في رجل سيّد وأنّه من أهل الاستحقاق فصدّر كتابته بقوله أيّها الأخ، فلمّا بلغ السيّد بذلك الكتاب إلى الشاه قبّل ذلك الكتاب وقام له تعظيماً واحتراماً،

فلما قرأه ورأى أنّه ذكر فيه لفظ أيها الأخ قال لغلامه عليَّ بكفني، فأتى إليه بكفنه فوضع الكتابة في الكفن وقال لخاصّته إذا أنتم دفنتموني فضعوا هذه الكتابة تحت رأسي لأحتج بها على منكر ونكير، وأقول إنّ المولى الأردبيلي[1] الذي هو أتقى أهل الزمان قد قبلني أخاً وهذا خطّه وكاغذه، ففعلوا ما أُمروا ولا ريب في نجاته بهذا وأمثاله، ثمّ إنّه قضى جميع حوائج ذلك السيّد وزاد عليه بما أراد.

وقد نقل لي رجل من الثقات قال: إنّ الوزير الأعظم ميرزا تقي وزير الشاه المرحوم الشاه عباس طلب رجلاً من خواصّه يوماً وقال: أريد منك قضاء حاجة. فقال: وما هي؟ قال: أن تأخذ منّي ثلاث بغال وتمضي إلى مشهد مولانا الحسين عليه السلام وتأتيني بتراب من حرمه الشريف حتى إذا أنامتّ أُوصي بأن يطين قبري بذلك التراب، ويوضع منه فوقي وتحتي، فمضى ذلك الرجل من أصفهان وأتى بذلك التراب، واتّفق أنّ ذلك الوزير قد قتل فجعل ذلك التراب في قبره كما قال، ولا شكّ في أنّ الله سبحانه يرفع عنه بيمن التراب وبركته.

ورأيت جماعة من العلماء والأخيار يكتبون على الأكفان هذين الشعرين:

وفدت على الكريم بغير زاد ... من الحسنات والقلب السليم
وحمل الزاد أقبح كلّ شيء ... إذا كان الوفود على الكريم

وآخرون يكتبون هذا البيت وربّما نسبوه إلى مولانا علي بن الحسين عليه السلام وهو هذا:

فزادي قليل لم أراه مبلّغي ... أللزّاد أبكي أم لبعد مسافتي

وقد ذكر بعض أصحاب المصابيح من أصحابنا استحباب كتابة دعاء الجوشن وهذا كلّه زيادة خير وبركة فلا بأس به، وفي الرواية عنه صلى الله عليه وآله أنّه خرج يوماً إلى

(١) الإمام العالم الرباني والمجتهد الأكبر أحمد بن محمد الأذربيجاني الأردبيلي من آيات الله الباهرة ومن أكبر فقهاء الإمامية ورؤساء الأمة وهو في الرعيل الأول بين المحققين ومن أعلام الدين الشاهقة لا نظير له في علمائنا من المتقدمين والمتأخرين وكفاك شاهداً على قولنا هذا ما ذكره العلامة المجلسي رحمه الله في حقه بقوله: «لم أسمع بمثله في المتقدمين والمتأخرين». توفي سنة: (٩٩٣هـ) ودفن في جوار القبة العلوية البيضاء في النجف الأشرف في مقبرته المعروفة. وتوفي السلطان المتشرع المبرور (شاه طهماسب) الحسيني الموسوي الصفوي رحمه الله سنة: (٩٤٨هـ) كان سلطاناً عادلاً عالماً من أعدل السلاطين ومتشرعيهم لم يحم حول المعاصي ولم يرتكب الموبقات.

أصحابه فقال: ما تقولون في رجل مات، فقام رجلان ذوا عدل فقالا لا نعلم منه إلّا خيراً؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذاك في الجنة، قال: فما تقولون في رجل مات فقام رجلان ذوا عدل وقالا لا نعلم منه إلا شراً؟ قالوا ذلك في النار فقال: بئس ما قلتم! عبد مذنب والله غفور رحيم.

وروي أنّ رجلاً من الصالحين قال يوماً لرجل والله لا يغفر الله لفلان، قال: فأوحى سبحانه وتعالى إلى نبيّ ذلك الوقت أن قل لفلان قد غفرت له وأحبطت عمل ذلك الرّجل. وروي أيضاً أنّ شابّاً كان يتعاطى الفواحش فلم يدع شيئاً إلّا فعله، فمرض فلم يعده جيرانه فدعا بعضهم وقال: إنّ جيراني تأذّوا منّي في حال حياتي وأعلم أنّ جيراني في المقبرة يتأذّون منّي ومن جواري فادفنوني في زاوية بيتي، فلمّا مات رئي في المنام على هيئة حسنة، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي عبدي ضيّعوك وأعرضوا عنك أما إنّي لا أضيعك ولا أعرض عنك برحمتي.

فإن قلت إذا كان الرجل معلوم الحال بالفسق والمعاصي والإصرار على أنواع الذنوب فكيف يجوز للمصلّين أن يقولوا في حقّه اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً مع أنّ المعلوم منه خلافه، قلت يجوز أن يقال هذا الكلام في حقه وذلك لأنّه معلوم المذهب بأنّه من الشيعة الإماميّة فهذا الخير منه معلوم، وأمّا الفسق فهو غير معلوم بقاؤه واستمراره إلى وقت الموت لاحتمال التوبة فإنّك قد عرفت أنّها مقبولة إلى ما قبل المعاينة والدّخول في أحوال تلك النشأة، ولو سلّمنا عدم توبته لكن عفو الله سبحانه عن المجرمين لا يفقد بحالة من الحالات فلعلّه قد شمله وأحاط به.

وما قيل بأنّ مثل هذا الشخص يجوز أن يضطرب أصل إيمانه عند صدمات الموت وحضور الشياطين فتعدله جماعة الشياطين من محض الإيمان إلى محض الكفر كما هو الواقع في شأن بعض الناس من أهل الإيمان المستودع:

فمعارض بأنّ الأصل في أفعال المؤمن الصحة إلى أن يعلم نقيضها، وأمّا الاستصحاب فليس هو بحجّة في مثل هذه المقامات فلا تغفل.

ومنها: أن يجري صدقة في حياته كوقف مزرعة أو قرآن أو كتاب أو أن يخلف ولداً صالحاً يستغفر له بعد موته، قال الصادق عليه السلام: ستّة خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يقرأ فيه، وقليب يحفره، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وسنة حسنة يؤخذ بها بعده، إلى غير ذلك من الأمور النافعة للميّت.

الأمر السادس: قد عرفت أنّ الأخبار قد تواترت في الدلالة على حقيّة عذاب القبر وقد اتّفقت عليه الأمّة سلفاً وخلفاً وبه قال أكثر أهل الملل ولم ينكره أحد من المسلمين سوى ضرار بن عمرو وجماعة من المعتزلة، وقد ظهر في شيراز في عشر الستين بعد الألف جماعة من علماء الملاحدة وكان عالمهم يذهب إلى إنكار عذاب القبر ويموّه على عوام الناس بأنّ الميّت ينبغي أن يتعرّف حاله، بأن يحشى فمه بالدّخن وما شابهه ويدفن فيؤتى إليه في اليوم الآخر وينبش قبره فإنّك تراه على حاله، فلو كان في القبر سؤال وحساب لتغيّرت حالته ولسقط الدّخن من فمه، وأيضاً فإنّا لا نسمع عذابه في القبر مع شدّته وصعوبته، وهذا كلام بارد فإنّ هذه الأذن والعين لا تصلحان لسماع تلك الأمور الملكوتيّة ومشاهدتها، بل إنّما تدرك تلك الأمور بحسّ آخر من الحواس ألا ترى إلى الصحابة فإنّهم كانوا يجلسون عند النبي ﷺ وقت نزول جبرائيل عليه السلام عليه ﷺ وهو يراه ويتكلّم معه في حضورهم والناس لا يرونه، ونظيره في عالم الشهود أنّ النائم بحضور الجالسين قد يشاهد في نومه الحيات والعقارب والبلدان البعيدة وربما يتألم ممّا يرى غاية الألم وربمّا صرخ الصراخ العالي ومع هذا فالحاضرون الجالسون عنده لا يسمعون ولا يرون شيئاً ممّا يرى.

الأمر السابع: في مآل الروح بعد عذاب القبر، قد تحقّقت أنّ السؤال في القبر وضغطته وبعض أنواع عذابه إنّما هو على هذا البدن، فإذا فرغت الروح من هذا العذاب أو الثواب لأنّه، كما قال عليه السلام القبر إمّا روضة من رياض الجنان وإمّا حفرة من حفر النيران، انتقلت إلى سعادة أُخرى أو شقاوة كالأولى فدخلت في قالب مثل هذه القوالب والهياكل إلّا أنّها ألطف منها وأرقّ فهي عالم بين المجردات والماديّات أقدرها الله سبحانه بذلك القالب على الطيران في الهواء وقطع المسافات البعيدة بالزمان القليل؛ فإذا دخلت في ذلك القالب طارت به إلى عالم الأرواح، فإن كانت مؤمنة مضت إلى وادي السلام وهي جنة الدنيا خلقها الله تعالى في ظهر الكوفة وغيّبها عن أبصار الناظرين وفيها أرواح المؤمنين التي في القوالب المثاليّة وهم يتنعّمون فيها بكل ما في جنة الآخرة، فإنّ في هذه الجنّة الأثمار والأنهار، والولدان والحور العين، والشراب والسلسبيل، وأنهار اللّبن والعسل وأنواع الحلي والحلل فهم يأكلون ويشربون وينكحون ويجلسون حلقاً حلقاً يتحاكون ويتكلّمون.

روى الكليني بإسناده إلى مولانا الصادق عليه السلام قال: إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنّة تتعارف وتتساءل، فإذا قدمت الروح على تلك الأرواح

تقول: دعوها فإنّها قد أقبلت من هول عظيم، ثمّ يسألونها ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيّاً ارتجوه، وإن قالت لهم قد هلك قالوا: هوى هوى.

وفي حديث آخر أنّ أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، ويقولون ربّنا أقم لنا الساعة وأنجز لنا ما وعدتنا وألحق آخرنا بأوّلنا.

وفي التهذيب عنه أيضاً أنّه قال ليونس بن ظبيان ما تقول الناس في أرواح المؤمنين فقال يونس: يقولون يكونون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش.

فقال عليه السلام سبحان الله المؤمن أكرم على الله عزّ وجلّ من ذلك أن يجعل روحه في حوصلة طائراً أخضر. إذا كان ذلك أتاه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا، والأخبار الواردة بهذه الجنّة ومكانها وكيفيّتها مستفيضة بل متواترة.

روى الكليني طاب ثراه عن حبّة العرني قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى ظهر الكوفة فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى أعييت ثمّ جلست حتى مللت، ثمّ قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ثمّ جلست حتى مللت ثمّ قمت وجمعت ردائي، فقلت: يا أمير المؤمنين إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرّداء ليجلس عليه فقال لي: يا حبّة إن هو إلّا محادثة مؤمن أو مؤانسته.

قلت: يا أمير المؤمنين وإنّهم لكذلك؟ قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين[1] يتحادثون، فقلت: أجساد أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقاع الأرض إلّا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وإنّها لبقعة من جنة عدن.

وعن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له أن أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها، فقال: ما يبالي حيث ما مات أما إنّه لا يبقى مؤمن في شرق

(١) احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامة وقد يحتبي بيديه.

الأرض ولا غربها إلّا حشر الله روحه إلى وادي السلام، قال: قلت له وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة أما إنّي كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدّثون.

ورويتا من كتاب بحار الأنوار من مؤلفات بعض مشايخنا رواه بسنده إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال يوماً لأمير المؤمنين عليه السلام بعد موت عمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين إنّي حزين من فوت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذا اليوم وأريد أن تروّحني هذا اليوم وتريني من كراماتك ما يزيل عني هذا الغم، فقال عليه السلام علي بالبغلتين اللتين من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا أُتي بهما ركب هو واحدة وركب سلمان الأُخرى:

قال سلمان فلمّا خرجنا من المدينة وإذا لكل بغلة جناحان فطارا في الهواء وارتفعا فتعجب غاية التعجب، فقال لي: يا سلمان انظر هل ترى المدينة فقلت أمّا المدينة فلا ولكن أرى آثار الأرض فأشار إلى البغلتين فارتفعتا في الجوّ لحظة، فنظرت فلم أر شيئاً في الأرض وإذا أنا أسمع أصوات التسبيح والتهليل، فقلت: يا أمير المؤمنين الله أكبر إنّ هٰهنا لبلاداً قد وصلنا إليها؟ فقال: يا سلمان هذه أصوات الملائكة بالتسبيح والتهليل وهذه هي السماء الدنيا فقد وصلنا إليها، فأشار إلى البغلتين وحرّك شفتيه فانحطتا طائرتين نحو الأرض فكان وقوعهما على بحر عريض كثير الأمواج كأنّ أمواجه الجبال، فنظر إلى ذلك البحر مولانا أمير المؤمنين فسكنت أمواجه فنزل عليه السلام ومشى على وجه الماء، ونزلت أنا والبغلتان تمشيان خلفنا، فلمّا خرجنا من ذلك البحر وإذا هو تتلاطم أمواجه كهيئته الأولى، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا البحر؟ فقال عليه السلام: هذا هو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه فهو يضطرب خوفاً من الله تعالى من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، فلمّا نظرت إليه خاف منّي فسكن وها هو رجع إلى حالته الأولى، قال سلمان: فلمّا خرجنا من ذلك البحر ومشينا رأيت جداراً أبيضاً مرتفعاً في الهواء ليس يدرك أوّله ولا آخره، فلمّا قربنا إليه وإذا هو جدار من ياقوت أو نحوه، فإذا بباب عظيم فلمّا دنا منه أمير المؤمنين عليه السلام انفتح فدخلنا فرأيت أشجاراً وأنهاراً وبيوتاً ومنازل عالية فوقها غرف، وإذا في تلك البستان أنهار من خمر، وأنهار من لبن؛ وأنهار من عسل، وإذا فيها أولاد وبنات وكل ما وصفه الله تعالى في الجنة على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله رأيته فيها فرأيت أولاداً وبناتاً أقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقبّلون أياديه وأقدامه، فجلس على كرسي ووقف الأولاد والبنات حوله، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما هذا الهجران

الذي هجرتنا؟ هذا سبعة أيّام ما رأيناك فيها يا أمير المؤمنين، فقلت يا أمير المؤمنين ما هذه المنازل في هذا المكان؟ فقال: يا سلمان هذه منازل شيعتنا بعد الموت تريد يا سلمان أن تنظر إلى منزلك؟ فقلت: نعم، فأمر واحداً وأخذني إلى منزل عال مبنيّ من الياقوت والزّبرجد واللؤلؤ وفيه كلّ ما تشتهيه الأنفس فأخذت رمّانة من ثماره وأتيت إليه، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا منزلي ولا أخرج منه، فقال: يا سلمان هذا منزلك بعد الموت، وهذه منازل شيعتنا بعد الموت، وهذه جنّة الدنيا تأتي إليها شيعتنا بعد الموت فيتنعّمون بها إلى يوم القيامة حتى ينتقلوا عنها إلى جنة الآخرة.

فقال: يا سلمان تعال حتى نخرج، فلما خرج عليه السلام ودعه أهل تلك الجنة فخرجنا فانغلق الباب فمشينا، فقال لي: يا سلمان أتحب أن أُريك صاحبك؟ فقلت: نعم، فحرّك شفتيه فرأيت ملائكة غلاظاً شداداً يأتون برجل قد جعلوا في عنقه سلاسل الحديد والنار تخرج من منخريه وحلقه إلى عنان السماء، والدخان قد أحاط بتلك البرّية وملائكة خلفه تضربه حتى يمشي ولسانه خارج من حلقه من شدّة العطش فلمّا قرب إلينا قال لي: تعرفه؟ فنظرته وإذا هو عمر بن الخطاب.

فقال يا أمير المؤمنين أغثني فأنا عطشان معذّب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ضاعفوا عليه العذاب، فرأيت السلاسل تضاعفت والملائكة والنيران تضاعفت فأخذوه ذليلاً صاغراً فقال: يا سلمان هذا عمر بن الخطّاب وهذا حاله فإنه ما من يوم يمضي من يوم موته إلى هذا اليوم إلّا وتأتي الملائكة به وتعرضه عليّ فأقول لهم ضاعفوا عذابه فيتضاعف عليه العذاب إلى يوم القيامة.

قال سلمان: فركبنا فقال لي: غمّض عينيك يا سلمان، فغمضت عيني فقال لي: افتحها وإذا أنا بباب المدينة، فقال: يا سلمان مضى من النهار سبع ساعات وطفنا في هذا اليوم البراري والقفار والبحار وكل الدنيا وما فيها.

أقول: هذا الحديث لا ينافي كون محلّها ومكانها ظهر الكوفة، وذلك لأنّ هذه الجنة التي رآها سلمان هي التي بظهر الكوفة، ويكفي في هذا قوله عزّ وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] (١) وقوله صلى الله عليه وآله: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وهذا ليس للمقتول فقط إذ لا قائل به.

---

(١) من ينعم النظر إلى هذه الآية الشريفة يراها تدل على بقاء جميع الأرواح بعد الموت ومفارقتها =

وقد أنكر بعضهم هذا النعيم وقال: إنّ الروح عرض فلا يجوز أن تتنعّم، وهذا لا يصحّ لأنّ الروح كما سبق جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح، ويدلّ على ذلك أنه يخرج من البدن ويردّ إليه وهي الحساسة الفعالة مع أنّك قد عرفت أنّها تدخل في قالب مثل هذا القالب إلّا أنّه ألطف منه ليست في كثافة المادّيات ولا لطافة المجردات بل هي ذوات وجهين وواسطة بين العالمين، وهذا ما قاله طائفة من أساطين الحكماء كأفلاطون وأتباعه من أنّ في الوجود عالماً مقداريّاً غير العالم الحسيّ وهو واسطة بين عالم المجرّدات وعالم المادّيات ليس في تلك اللطافة ولا في هذه الكثافة، فيه الأجسام والأعراض من الحركات والسكنات والأصوات والطعوم والرّوائح وغيرها مثل قائمة بذاتها معلّقة لا في مادّة، هو عالم عظيم الفسحة وسكّانه على طبقات متفاوتة في اللطافة والكثافة وقبح الصورة وحسنها، ولأبدانهم المثاليّة جميع الحواس الظاهرة والباطنة فيتنعّمون ويتألّمون باللّذات والآلام النفسانيّة والجسمانيّة.

وقد نسب العلاّمة في شرح حكمة الإشراق القول بوجود هذا العالم إلى الأنبياء والأولياء والمتألّهين من الحكماء، قال شيخنا البهائي عطّر الله مرقده: هذا وإن لم يقم على وجوده شيء من البراهين العقليّة لكنّه قد تأيّد بالظواهر النقليّة، وعرفه المتألّهون بمجاهداتهم الذوقيّة وتحقّقوه بمشاهداتهم الكشفيّة.

وأنت تعلم أنّ أرباب الأرصاد الروحانيّة أعلى قدراً وأرفع شأناً من أصحاب الأرصاد الجسمانيّة. فكما أنّك تصدق هؤلاء فيما يلقونه إليك من خفايا الهيئات الفلكيّة فحقيق أن تصدق أولئك أيضاً فيما يتلونه عليك من خبايا العوالم المقدّسة الملكيّة هذا كلامه رحمه الله.

فهذه الجنّة التي هي دار السلام هي مأوى المؤمنين في نهارهم، وأمّا ليلهم فلهم جنّة أُخرى يأوون إليها في الليل ويسكنون فيها فهي محلّ نومهم، فإذا أضاء الصبح

= الأبدان العنصرية ولا يختص هذا البقاء بالشهداء ولما كان المقصود بيان حال الشهداء وما يختص بهم من نعم الآخرة خص الله تعالى الكلام بهم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥] مع أن الله تعالى عليم بغيرهم أيضاً. وأضف إلى ذلك أن بقاء الأرواح ليس للشهداء فقط ولم يكن مختصاً بهم إذ لا قائل بالاختصاص. وأيضاً يستفاد من هذه الآية الشريفة تجرد الروح كما ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب انظر: ج ١ ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

طاروا منها إلى وادي السلام وتلاقوا فيها وتعارفوا وتصاحبوا وتحادثوا وأكلوا من ثمارها وبقوا فيها إلى الليل، فإذا جاء الليل طاروا إلى الجنّة التي في المغرب ليناموا فيها وتكون محلاً لهم في الليل.

روى الكليني في الصحيح عن ضريس الكناسي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام إنّ الناس يذكرون أنّ فراتنا يخرج من الجنّة فكيف وهو يقبل من المغرب وتصب فيه الأودية والعيون؟! فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لله جنّة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعّم فيها وتتلاقى وتتعارف فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض تطير ذاهبة وجائية وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء وتتعارف.

وأمّا أرواح الكفّار والمصرين على الفسق فأرواحهم بعد الفراغ من عذاب القبر وأنّى لهم الفراغ منه تدخل أرواحهم في قوالب مثل هذه القوالب فيطيرون بها إلى برهوت وهو وادٍ في حضرموت في أرض اليمن وهو وادٍ مملوء من النار وعقاربها وحيّاتها وما نعته الله سبحانه في نار جهنّم من أنواع العذاب وأقسامه قال الله تعالى حكاية عن آل فرعون ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فإنّ العطف يقتضي أنّ العرض على النار غدوّاً وعشيّاً غير العذاب بعد قيام الساعة فيكون في القبر.

وعن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة إذ لا غدوّ ولا عشيّ في القيامة، ثمّ قال عليه السلام ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾، وقال سبحانه في حقّ قوم نوح ﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [نوح: ٢٥]، والفاء للتعقيب من غير مهلة، فالمراد نار البرزخ ولو أراد الله سبحانه إدخالهم النار يوم القيامة لكان المناسب الإتيان بثمّ، والآيات الدالّة على عذاب البرزخ كثيرة، وهذه النّار التي هي برهوت هي محلّ عذابهم في النهار وأمّا في الليل فقد خلق الله سبحانه لهم ناراً في المشرق إذا جاء الليل طاروا إليها وعذّبوا فيها إلى أن يجيء النهار.

وفي صحيحة ضريس المتقدّمة عن مولانا الصادق عليه السلام قال: وإنّ لله في المشرق ناراً خلقها ليسكنها أرواح الكفّار ويأكلون من زقّومها ويشربون من حميمها ليلهم فإذا طلع الفجر هاجت إلى وادٍ باليمن يقال له برهوت أشدّ حرّاً من نيران الدنيا

فكانوا فيها يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة، قال قلت: أصلحك الله ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمّد ﷺ من المسلمين المذنبين الّذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: أما هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها فمن كان منهم له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فإنّه يخدّ له خدّاً إلى الجنّة التي خلقها الله في المغرب فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة، فيلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئاته فإمّا إلى جنّة وإمّا إلى النار فهؤلاء موقوفون لأمر الله، قال: وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الّذين لم يبلغوا الحلم فأمّا النصّاب من أهل القبلة فإنّهم يخدّ لهم خدّاً إلى النار التي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة ثمّ مصيرهم إلى الحميم ثمّ في النار يسجرون، ثمّ قيل لهم: أينما كنتم تدعون من دون الله أين إمامكم الّذي اتّخذتموه دون الإمام الّذي جعله الله للناس إماماً.

وينبغي زيارة القبور لأنس الميّت بالزائرين، روى الكليني في الصحيح عن مولانا الصادق عليه السلام في زيارة القبور قال إنّهم يأنسون بكم فإذا غبتم عنهم استوحشوا، وعن إسحاق بن عمّار عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له المؤمن يعلم من يزور قبره؟ قال: نعم لا يزال مستأنساً به ما زال عند قبره فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة، وقال صفوان بن يحيى لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بلغني أنّ المؤمن إذا أتاه الزائر أنس به فإذا انصرف عنه استوحش فقال: لا يستوحش.

أقول: يمكن الجمع بين هذه الأخبار بوجوه: **الأوّل**: حملها على تفاوت مراتب المؤمنين، فمنهم الكاملون الّذين لا يستوحشون من مفارقة الزائرين لأنسهم بربّهم وأنواع عطاياه. الثاني: أن يكون المراد أنّه لا يستوحش من جهة ما رزقه الله من اللذّات الروحانيّة بل والجسمانيّة وإن كان يستوحش من جهة مفارقة الزائرين كما هو الظاهر من خبر إسحاق بن عمّار، **الثالث**: أنّ المراد بالوحشة المتّقية الوحشة الكاملة والمراد بالوحشة الثابتة الناقصة القليلة.

فإن قلت إذا كانت الأرواح في قوالبها المثاليّة محلّها وادي السلام فكيف تعلم بمن يزور قبرها وبينهما المسافات البعيدة؟ قلت: قد روي عن الصادق عليه السلام أنّ الأرواح وإن كانت في وادي السلام إلّا أنّ لها أشعة علميّة متّصلة بالقبر فهي بتلك

الأشعّة تعلم بالزائرين والواردين إلى القبور، وقد مثّلها عليه السلام بالشمس فإنّها في السماء وأشعتها في أقطار الأرض، فيقال: أنّ الشمس هنا وهناك وفي الأماكن البعيدة مع أنّ قرصها في السماء، وفي بعض الأوقات تأتي هي أيضاً بذلك المثال إلى القبر فتزوره وتطلع عليه وتزور أهلها.

روى الكليني رحمه الله عن إسحاق بن عمّار عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: سألته عن الميّت يزور أهله؟ قال: نعم فقلت في كم يزور؟ قال: في الجمعة والشهر والسنة على قدر منزلته، فقلت: في أي صورة يأتيهم؟ فقال: في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم فإن رآهم بخير فرح وإن رآهم بشرّ وحاجة حزن واغتمّ. وعن مولانا الصادق عليه السلام قال: إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحبّ ويستر عنه ما يكره، وإنّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحبّ، قال: منهم من يزور كلّ جمعة ومنهم من يزور كلّ سنة على قدر عمله.

وقال عليه السلام في حديث آخر: ما من مؤمن ولا كافر إلّا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة.

وقال عليه السلام يزور أهله عند زوال الشمس ومثل ذلك، قال: قلت في أيّ صورة؟ قال: في صورة العصفور وأصغر من ذلك، فيبعث الله عزّ وجلّ معه ملكاً فيريه ما يسرّه ويستر عنه ما يكرهه فيرى ما يسرّه ويرجع إلى قرّة عين، وأمّا إذا كان كافراً يريه الملك ما يكره ويستر عنه ما يحب وهذا الصنع مع المؤمن هو أحد معاني قوله عليه السلام في الدعاء: يا من أظهر الجميل وستر القبيح.

وأمّا التسليم على القبور فهو ما قال الصادق عليه السلام: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا فرط ونحن إن شاء الله بكم لاحقون، وفي الصحيح عن مولانا الرضا عليه السلام قال: من أتى قبر أخيه ثمّ وضع يده على القبر وقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ سبع مرّات أمن يوم الفزع الأكبر.

وقال الصادق عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى تطوّل على عباده بثلاث: ألقى الريح بعد الموت ولولا ذلك ما دفن حميم حميماً، وألقى عليهم السلوة ولولا ذلك لانقطع النسل وألقى على هذه الحبّة الدابّة ولولا ذلك لكنزها ملوكهم كما يكنزون الذهب والفضّة. وقال عليه السلام: إذا مات الميّت بعث الله ملكاً إلى أوجع أهله فمسح على قلبه فأنساه لوعة الحزن ولولا ذلك لم تعمر الدنيا.

خاتمة: هذا النور في أحوال الأطفال. أمّا أطفال المسلمين فقد انعقد الاجماع على دخولهم الجنّة بغير حساب، وقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السمٰوات والأرض ألا إنّ فلان ابن فلان قد مات، فإن كان قد مات والداه أو أحدهما دفع إليه يغذوه وإلاّ دفع إلى فاطمة عليها السلام تغذوه حتّى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته فتدفعه إليه.

وعنه عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى يدفع إلى إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجرة في الجنّة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من درّ، فإذا كان يوم القيامة أُلبسوا وطيّبوا وأُهدوا إلى آبائهم فهم ملوك في الجنّة مع آبائهم وهو قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١]، ولا منافاة بين هذين الخبرين لجواز أن يكون بعض الأطفال عند فاطمة عليها السلام والبعض الآخر عند إبراهيم وسارة، وهذا إنما يكون في عالم البرزخ وإلاّ فهم في الجنّة الأُخرويّة مع آبائهم ولا حاجة بهم إلى التربية.

وأمّا أطفال الكفّار فقد اختلفت في شأنهم أقوال العلماء، فمن الأقوال أنّهم خدمة أهل الجنّة وهم في الجنّة لقوله تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠]، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد على الفطرة، ولم يصدر منهم ما يوجب العذاب.

ومنها: ما قيل من أنّهم من أصحاب الأعراف الّذين حكى الله سبحانه عنهم بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾ [الأعراف: ٤٦] وفي بعض الأخبار دلالة عليه.

ومنها: ما قيل إنّهم تابعون لآبائهم في دخول النار ولكن لا يتألّمون بحرارتها، فإنّه قد روي في كثير من الأخبار أنّ بعض الناس يدخلون النار ولا يتألّمون بها كما تقدّم في حديث الكافر الّذي أضاف المؤمن لما ورد عليه فارّاً من سلطان بلاده.

ومنها: مذهب التوقّف في شأنهم وارجاع علم حالهم إلى الله تعالى وهذا أيضاً موجود في الأخبار، ومنها أنّ الله تعالى يعمل معهم بمقتضى علمه فمن علم منه الإيمان لو بقي إلى وقت التكليف أدخله الجنّة، ومن علم منه الكفر في ذلك الوقت أدخله النار، والصواب هو ما دلّت عليه الأخبار. روى الصدوق رحمه الله في الصحيح عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أولاد المشركين يموتون قبل أن يبلغوا الحنث؟ قال إن الله تعالى يؤجج لهم ناراً فيقال لهم ادخلوها فإن دخلوها

كانت عليهم برداً وسلاماً وإن أبوا قال الله عَزَّوَجَلَّ هو ذا أنا قد أمرتكم فعصيتموني فيأمر الله عَزَّوَجَلَّ بهم إلى النار.

أقول: وهذه النار التي تؤجّج يجوز أن تكون في عالم البرزخ، ويجوز أن تكون في القيامة الكبرى وإذا جاء النصّ الصحيح قطع مادّة النزاع والكلام.

تذييل: في حال ولد الزنا إذا ورد على ربّه عَزَّوَجَلَّ . اعلم أنّ المشهور بين أصحابنا رضوان الله عليهم هو أنّه إذا أظهر دين الإسلام كان مسلماً بحكم المسلمين في الطهارة ودخول الجنّة(١) وقد نقل عن المرتضى والصدوق وابن إدريس أنّه كافر

(١) الأوفق بقواعد العدلية والموازين العقلية في حال ولد الزنا هو ما ذهب إليه المشهور من طهارته ودخوله الجنة فإن ولد الزنا إذا أظهر الإسلام والإيمان واعتقد ما هو الموجب لدخول الجنة والخلود فيها والبعد عن النار والدخول فيها فإن قلنا أنه مع ذلك يدخل النار فهذا مخالف لضرورة العقل والعدل الإلهي فكل ما ورد على خلاف ضرورة العقل من الروايات لا بد من تأويلها ورفع اليد عن ظاهرها فقول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا مما لا مسلك فيه للعقول» كلام عجيب فإن القواعد الثابتة بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية لا بد لنا من مراعاتها وارجاع ظاهر كل ما ورد من الآحاد إليها فظاهر الأخبار الواردة في حال ولد الزنا إن طابق مع القواعد المسلمة فنأخذ بها وإلا فلا بد أن نرفع اليد من ظاهرها فإن قلنا لا مسلك فيما نحن فيه للعقول فيلزم لنا الأخذ على كثير من الآحاد الظاهرة في خلاف القواعد المذهبية فاللازم الأخذ بالمسلمات ورفع اليد عن المحتملات والرجوع إلى القطعيات ورفض المظنونات والله العالم بالواقعيات. وقد سئل شيخنا الأستاذ الإمام كاشف الغطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: ولد الزنا هل له نجاة في الآخرة أم لا؟ وفرض كونه من الهالكين خلاف مقتضى العدل لأن الذنب على أبويه. فأجاب رحمه الله ما هذا لفظه: ولد الزنا حسب قواعد العدلية المطابقة للموازين العقلية والأدلة القطعية - من أنه لا تزر وازرة وزر أُخرى ولا يعاقب شخص بجريمة غيره فحاله إذاً حال سائر المكلفين إن اختار الطاعة وعمل الخير فهو من أهل الجنة والنعيم وإن اختار المعصية وعمل الشر كان من أهل الجحيم وكل ما في الأخبار مما ينافي هذا فلا بد من تأويله وحمله على ما ينافي تلك القاعدة المحكمة وخبث نطفته وشقاوة أبويه ليسا بحيث يسلبان منه القدرة والاختيار على الطاعة والمعصية فهذه الأخبار كأخبار الطينة والسعادة والشقاوة مثل أنه تعالى قبض قبضة من طينة البشر وقال هذه للنار ولا أبالي وقبض أُخرى وقال هذه للجنة ولا أُبالي، وأمثال قوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٩٣]، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وهي كثيرة في القرآن العزيز مما يدل بظاهره أن الإغواء والاضلال والطبع والشقاء هو من الله قهراً وجبراً على العباد وليس ذلك هو المراد قطعاً ولا مجال لبسط الكلام في هذا المقام بأكثر من هذا (ا هـ). انظر: «الفردوس الأعلى» ص ٧٣ ط ٢ تبريز. فالرواية التي رواها الشيخ الصدوق رَحِمَهُ اللَّهُ ونقلها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لا بد من تأويلها كما أولها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله وإن أردت تأويل مثل هذا الخبر إلخ.

نجس يدخل النار كغيره من الكفّار، ولكن وجد بخطّ شيخنا الشهيد الثاني قدّس الله روحه مسائل نقلها عن المرتضى تغمّده الله برحمته وهذه عبارته: وسئل عن ولد الزنا وما روي فيه من أنّه في النار وأنّه لا يكون من أهل الجنّة، فأجاب رضي الله عنه أنّ هذه الرواية موجودة في كتب أصحابنا إلّا أنّه غير مقطوع بها ووجهها إن صحّت أنّ كلّ ولد زنا لا بد أن يكون في علم الله أنّه يختار الكفر ويموت عليه وإنّه لا يختار الإيمان، وليس كونه من ولد الزنية ذنباً يؤاخذ به فإنّ ذلك ليس بذنب له في نفسه وإنّما الذنب لأبويه ولكنّه إنّما يعاقب بأفعاله الذميمة القبيحة التي علم الله أنّه يختارها ويصير كونه ولد زنا علامة على وقوع ما يستحق به العقاب وأنّه من أهل النار بتلك الأفعال لا لأنه مولود من الزنا.

أقول: وهذا لا ينافي ما حكيناه عنه لأنّه رحمه الله تعالى قد يذهب في المسألة الواحدة إلى مذاهب مختلفة يكون له في كلّ كتاب من مصنّفاته مذهب من المذاهب والحقّ أنّ الأخبار متظافرة في الدلالة على سوء حاله وأنّه من أهل النار، روى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: يقول ولد الزنا يا ربّ ما ذنبي فما كان لي في أمري صنع؟ قال: فيناديه مناد فيقول: أنت شرّ الثلاثة أذنب والداك فتبت عليهما وأنت رجس ولن يدخل الجنّة إلّا طاهر، وهذا ممّا لا مسلك فيه للعقول وإن أردت تأويل مثل هذا الخبر لينطبق على أقوال الأصحاب رضوان الله عليهم فاحمله على إرادة ولد الزنا إذا كان مخالفاً في المذهب مع أنّ هذه سياسات شرعيّة أظهرها الشارع لحكم ومصالح حتّى لا يتجرّأ الناس على الزناء وله نظائر كثيرة.

مع أنّ الغالب في ولد الزنا سوء الحال والأعمال حتّى يكون هو الذي يدخل النار بعمله على أنّه يجوز أنّ الله تعالى يحتجّ عليه يوم القيامة بدخول نار يؤجّجها كما يحتجّ على غيره ممّن تحققت سابقاً والظاهر وروده في الأخبار أيضاً وبالجملة فأحوال الناس في عالم البرزخ على ما سمعت من أنّه إمّا نعيم مقيم أو عذاب أليم حتّى تجيئهم القيامة الصغرى وهي ظهور مولانا صاحب الزمان عليه السلام فيحشر الله سبحانه له من كلّ أمّة فوجاً كما تقدّم تفصيله فلا يبقى إلاّ القيامة الكبرى وما أقربها فها ذا نحن نعقد نوراً لبيانها.

نور في القيامة الكبرى

اعلم وفّقك الله تعالى أنّ وقتها ومعرفته ممّا استأثر به تعالى وتقدّس فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، نعم قد علّمها لنبيه وأوصيائه عليهم السلام وهم قد كتموا

هذا العلم عنّا كغيره من أكثر العلوم لحكم ومصالح كثيرة فتبقى النّاس على هذه الأحوال بعضهم أحياء وبعضهم أموات حتّى يأذن الله تعالى بفناء الدنيا وأهلها فيأمر إسرافيل فينفخ نفخة يهلك فيها كلّ ذي روح ثمّ ينفخ النفخة الثانية التي يحييهم بها للحشر.

وروى الجليل عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه سئل عن النفختين كم بينهما قال: ما شاء الله وفي خبر آخر أربعين سنة فقيل له: فأخبرنا يابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أمّا النفخة الأولى فإنّ الله جلّ جلاله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرفي كلّ رأس منهما ما بين السماء (إلى) والأرض قال: فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله تعالى في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء قال: فيهبط إسرافيل عليه السلام بحظيرة بيت المقدس ويستقبل القبلة فإذا رآه أهل الأرض قالوا قد أذن الله تعالى في موت أهل الأرض قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الّذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلّا صعق ومات ثمّ ينفخ فيه نفخة أُخرى فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء فلا يبقى في السماء ذو روح إلّا صعق ومات إلّا إسرافيل، قال: فيقول الله تعالى لإسرافيل يا إسرافيل مت فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله تعالى، ثمّ يأمر الله تعالى السمٰوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ٩-١٠] يعني تبسط ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أوّل مرّة ويعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّة.

فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصوت له جهوريّ يسمع أقطار السمٰوات والأرض أين الجبّارون وأين الملاك (الملوك) لمن الملك؟ فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبّار عزّ وجلّ مجيباً لنفسه: لله الواحد القهّار أنا قهرت الخلائق كلّهم وأمتهم إنّي أنا الله لا إلٰه إلّا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير وأنا خلقت خلقي وأمتّهم بمشيئتي وأنا أُحييهم بقدرتي قال: فينفخ الجبّار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السمٰوات فلا يبقى أحد في السمٰوات إلا حيي وقام كما كان وتعود حملة العرش وتحضر الجنّة والنار وتحشر الخلائق للحساب، قال: فرأيت عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاء شديداً. وقال

رسول الله ﷺ: كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وأحنى جبهته ينتظر حتّى يؤمر بالنفخ» فقالوا يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل».

وروى شيخنا الكليني تغمّده الله برحمته في الصحيح عن يعقوب الأحمر قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نعزيه بإسماعيل فترحّم عليه، ثمَّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ نعى إلى نبيّه ﷺ نفسه فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ثمّ أنشأ يحدّث فقال: إنّه يموت أهل الأرض حتّى لا يبقى أحد ثمّ يموت أهل السماء حتّى لا يبقى أحد إلاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل قال: فيجيء ملك الموت حتّى يقوم (يقف) بين يدي الله عزّ وجلّ فيقول له من بقي؟ وهو أعلم فيقول: يا ربّ لم يبق إلاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرائيل وميكائيل فيقال له: قل لجبرائيل وميكائيل فليموتا فتقول الملائكة عند ذلك: يا ربّ رسوليك وأمينيك؟ فيقول: إنّي قد قضيت على كلّ نفس فيها الروح الموت ثمّ يجيء ملك الموت حتّى يقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيقال له: من بقي وهو أعلم فيقول: يا ربّ لم يبق إلّا ملك الموت وحملة العرش فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا، ثمّ يجيء كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه فيقول له: من بقي فيقول: يا رب لم يبق إلّا ملك الموت فيقول له: مت يا ملك الموت فيموت ثمّ يأخذ الأرض بيمينه (بشماله ظ) والسمٰوات بيمينه ويقول: أين الّذين كانوا يدعون معي شريكاً أين الّذين كانوا يجعلون معي إلٰهاً آخر؟.

وبالجملة فإذا أمات تعالى شأنه جميع أهل السمٰوات والأرض بقي وحده لا شريك له في الحياة والقدرة كما كان قبل ابتداء الخلق وهاتان النفختان قد حكاهما سبحانه حيث قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٦٧-٧٠].

والصور على ما قاله المفسّرون قرن ينفخ فيه إسرافيل، والنفخة الأولى التي للإهلاك تأتي الناس بغتة وهم في أسواقهم وطلب معايشهم فإذا سمعوا صوت الصور تقطّعت قلوبهم وأكبادهم من شدّته فيموتوا دفعة واحدة. فيبقى الجبّار جلّ

جلاله فيأمر ريحاً عاصفة فتقلع الجبال من أماكنها وتلقيها في البحار وتغور مياه البحار وكلّ ما في الأرض ويسطّح الأرض كلّها للحساب فلا يبقى جبل ولا شجر ولا بحر ولا وهدة ولا تلعة فتكون أرضاً بيضاء حتّى إنّه روي لو وضعت بيضة في المشرق رئيت من المغرب فيبقى سبحانه على هذا الحال مقدار أربعين سنة.

فإذا أراد أن يبعث الخلق قال مولانا الصادق عليه السلام مطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم ويأمر الله تعالى ريحاً حتّى تجمع التراب الّذي كان لحماً واختلط بعضه ببعض وتفرق في البراري والبحار وفي بطون السباع فتجمعه تلك الريح في القبر، فعند ذلك يجيء إسرافيل وصوره ويأمره بالنفخة الثانية، فإذا نفخ تركبت اللحوم والأعضاء وأُعيدت الأرواح إلى أبدانها وانشقّت القبور فخرجوا خائفين من تلك الصيحة ينفضون التراب عن رؤوسهم، فيجيء إلى كل واحد ملكان عند خروجه من القبر يقبض كلّ واحد منهما عضداً منه فيقولان له أجب ربّ العزة فيتحيّر من لقائهما ويأخذه الخوف والفزع حتّى إنّه في تلك الساعة يبيض شعر رأسه وبدنه بعدما كان أسود، وعند ذلك يكثر في الأرض الزلزال حتّى تخرج ما فيها من الأثقال وتشيب الأطفال وتضع كلّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

روي أنّ الأرض تزلزلت في زمن تخلف عمر بن الخطّاب ففزع الناس إليه فقال: أغدوا بنا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فأتوا إليه وقام معهم بيده قضيب رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج معهم إلى البقيع والأرض تزلزل فضربها بالقضيب وقال: ما لك أيتها الأرض مالك لا تتكلّمين؟ فلمّا لم تتكلّم قال عليه السلام ليست هذه تلك، فقيل له: كيف هذا؟ قال: إنّ الأرض تزلزل عند القيامة فآتي أنا إليها وأنا ذلك الإنسان فأقول لها ما لك أيّتها الأرض فتحدّثني بأخبارها، وتقول: إنّ الله تعالى أوحى إليّ أن أُخرج ما في بطني من المعادن والأموات والأثقال فيومئذٍ يصدر الناس من الأرض متفرّقين يطلبون أرض القيامة ليروا أعمالهم من خير وشرّ فيحشرون وهم حفاة عراة غرلاً يعني بلا ختان ينظرون إلى ما فوقهم من العذاب وإلى ما تحت أرجلهم فإذا خرجوا من القبور بهذه الأبدان الدنيويّة وأرادوا التوجّه إلى الله تعالى وإلى عرصات القيامة فعند ذلك تتفرّق أحوال الناس في المضي إلى عرصات القيامة وتنصبّ عليهم أنواع العذاب أو أنواع الرحمة.

وقد روي أنّ الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول

الملائكة: ليس هذا يوم السجود هذا يوم الثواب والعقاب فتقول البهائم هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله سبحانه من بني آدم ويقال: إنّ الملائكة تقول للبهائم لم يحشركم الله جلّ جلاله لثواب ولا عقاب وإنّما حشركم لتشهدوا فصائح بني آدم، وفي قوله تعالى: وإذا الوحوش حشرت دلالة على حشرها ولكنّ الّذي ورد في أحاديث أُخرى أنّ الله تعالى يحشر الوحوش والبهائم للعدل وليقتصّ بعضها من بعض، كما قال عليه السلام يوم يقتص للجماء من القرناء، وذلك أنّ القرناء إذا نطحت الجمّاء أُتي بها يوم القيامة فتؤخذ قرون القرناء وتعطى الجماء فتقتصّ منها.

وكذلك جميع الحيوانات وكلّ ذي روح حتّى الذباب يحشرها ليوصل إليها ما تستحقّه من الأعواض على الآلام التي لاقتها في الدنيا، فإذا أوصل إليها ما استحقّت من الأعواض فمن قال: إنّ العوض دائم قال: تبقى منعمة على الأرض، ومن قال: تستحق العوض منقطعاً قال: يديم الله تعالى لها تفضّلاً لئلاّ يدخل على المعوض غمّ بانقطاعه، وقال بعضهم: إذا فعل الله بها ما استحقّته من الاعواضات صارت تراباً فلا يبقى منها إلّا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه، وفي بعض الأخبار أنّ الله تعالى يخلق لها حظيرة بين الجنّة والنار لمرعاها فتبقى فيه أبد الآبدين.

فإذا توجّه الناس إلى عرصات القيامة فمنهم من يبعث الله إليه ملائكة مع ناقة من نوق الجنّة فيركبها فتطير به إلى الجنّة ولا يرى عرصات القيامة إلّا مارّاً عليها، وأكثر هؤلاء هم الفقراء وأهل الآفات في الدنيا والصابرون على البلايا، ومنهم من يمشي مع الناس إلى عرصات القيامة ولكنّه يحشر بصورة الذرّ تطأه الخلائق تحت أرجلها حتّى يوافي القيامة وهؤلاء هم المتكبّرون، إمّا في المشي أو في الأكل، أو على قبول الحقّ من أهله؛ أو على التكاليف الشرعيّة فلم يأتوا بها كما سبق في باب الكبر والعجب.

ومنهم من يحشر أسود الوجه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يحشر صاحب الطنبور يوم القيامة وهو أسود الوجه وبيده طنبور من نار وفوق رأسه سبعون ألف ملك بيد كلّ ملك مقمعة يضربون رأسه ووجهه، ويحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم، ويحشر الزاني مثل ذلك، وصاحب المزمار مثل ذلك، وصاحب الدف مثل ذلك» وروي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ما رفع أحد صوته بغناء إلّا بعث الله شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتّى يمسك.

ومنهم من يحشر تحت أظلاف الأنعام فهي تطأه بأظلافها فيموت ويحيى وهو تحت أظلافها، وهذا هو الّذي منع زكاة الأنعام فتلك الأنعام التي منع زكاتها هي التي يحشرها الله تعالى حتّى تطأه بأرجلها، وأمّا من منع زكاة الغلاّت فيكلّفه الله تعالى بأن ينقل تراب تلك الأرض إلى المحشر، بل في بعض الأخبار أنّه يكلّف نقل ترابها من طبقات الأرض السابعة فلا يقدر عليه فتضربه الملائكة؛ وأمّا من منع زكاة النقدين فيأمر الله سبحانه بإحضارها فتحضر وتحمى بنار جهنّم فتكوى بها جبهته التي أعرض بها أوّلاً عن الفقير، ثمّ يكوى بها جنبه الّذي أعرض به ثانياً عن مستحقّها، ثمّ يكوى بها ظهره الّذي هو أشدُّ مراتب إعراضه عن الفقير وآخرها.

فإذا مشى الناس من القبور مشوا في ظلمات كقطع الليل والملائكة تسوقهم وتنصب وراءهم سرادقات من نار حتّى تسوقهم فلا يقفون، كما قال عليه السلام تسوقهم النار وتجمعهم الظلمة، وذلك لأنّ الشمس والقمر يكوّران فيذهب نورهما ولا تبقى فيهما إلّا الحرارة، وتنحطّ الشمس عن مكانها كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١]، فتصير على رؤوس الخلائق حتّى تغلي بحرارتها الهام والدماغ، ولكنّ الله سبحانه يرسل إلى المؤمنين غماماً يظلّهم من حرها.

وأمّا ظلمة القيامة فقد قال عليه السلام: بشّر المشّائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة، وذلك أنّ الله سبحانه يعطي المؤمن نوراً يمشي به في تلك الظلمات فمنهم من يكون نوره مقدار خمسة فراسخ، ومنهم الأقلّ على تفاوت مراتب أعمالهم ويكون الأقلّ منهم من نوره يرى به مواضع أقدامه فهؤلاء يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا، وفي الخبر أنّ مطالع هذه الأنوار هي أعضاء الوضوء كما ورد في نعوت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قائد الغرّ المحجّلين وهم المؤمنون، وتلك الأنوار يمشي بها المؤمن وأهل بيته وجيرانه كما روي أنّ المؤمن ليشفع في مثل قبيلة ربيعة ومضر فيشفّعه الله تعالى.

وقال العسكري عليه السلام يأتي علماء شيعتنا القوّامون بضعفاء محبّينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كلّ واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبثّ فيها كلّها فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه ومن ظلمة الجهل قد أنقذوه ومن حيرة التيه أخرجوه إلاّ تعلّق بشعبة من أنوارهم، فترفعهم إلى العلوّ حتّى تحاذي بهم فوق الجنان ثمّ تنزلهم على منازلهم المعدّة في جوار استاديهم ومعلّميهم وبحضرة أئمّتهم

الّذين كانوا إليهم يدعون، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلّا عميت عينه وصمّت أذنه وأخرس لسانه وتحول عليه أشدّ من لهب النيران فتحملهم حتّى تدنيهم إلى الزبانية فيدعونهم إلى سواء الجحيم.

ومنهم من يأتي من قبره وله لسانان من نار وهو الّذي كان في الدنيا يلاقي الناس بلسان وله في غيبتهم لسان آخر، ومنهم من يأتي ولسانه مخرج من قفاه وهو الّذي كان يؤذي الناس بلسانه إلى غير ذلك.

وأمّا أرض القيامة التي يحشرون إليها فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فروي عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه تبدّل خبزاً نقيّاً يأكل منه أهل المحشر حتّى يفرغوا من الحساب، حتّى قال له أبو حنيفة: يابن رسول الله إنّ الناس في عرصات القيامة في شغل عن الأكل، فقال عليه السلام: إنّ شغل أهل النار بالعذاب أشدّ منهم وهم يقولون لأهل الجنّة أفيضوا علينا ممّا أفاض الله عليكم فيقولون لهم إنّ طعام الجنّة محرّم على أهل النار فيسقون حميماً وصديداً، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وفي بعض الأخبار أنّ أرض القيامة جمر يتوقّد فتقف عليه الخلائق وحرارة الشمس من فوق رؤوسهم.

وفي حديث الصادق عليه السلام لابن أبي ليلى: ما تقول إذا جيء بأرض من فضة وسمٰوات من فضّة ثمّ أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدك فأوقفك بين يدي ربّك وقال: إنّ هذا قضى بغير ما قضيت؟ فاصفرّ وجه ابن أبي ليلى. وفي أخبار أُخرى أنّها تبدّل بأرض أُخرى لم يكتسب عليها ذنوب، ووجه الجمع بين هذه الأخبار بوجوه:
أحدها: أنّ الاختلاف منزّل على اختلاف مراتب أهل القيامة، فالمؤمنون تكون أرض محشرهم خبزة بيضاء، وأمّا الكافرون فأرض محشرهم الجمر والنار، وأمّا القضاة والفسّاق فيحشرون على أرض من فضّة محميّة بالنار تتوقّد، وأمّا غير هؤلاء فيحشر على أرض كهذه الأرض إلّا أنّها غيرها والكلّ يحتاج إلى الخبز في عرصات القيامة لكن يكون بعضهم أهله كالمؤمنين وبعضهم أهل السؤال منهم.

وثانيها: إنّه منزل على أراضي القيامة وقطعاتها فمنها جمر، ومنها خبز، ومنها فضّة، وكلّ الخلائق ترد على هذه القطعات لكنّها تكون على المؤمنين برداً وسلاماً.

وثالثها: أن يكون الاختلاف محمولاً على اختلاف أحوالهم في القيامة، فتكون أرضهم قبل سؤالهم وظهور فضائحهم وقبائحهم أرضاً بيضاء من الخبز، وبعد ظهور

أعمالهم وقبائحهم يدفعونهم إلى تلك الأرض الأُخرى، وبالجملة فهم على اختلاف أحوالهم وسوئها ينبغي أن يبلغوا أرواحهم إلى الموقف.

نور في موقف الناس في القيامة وبعض أحوالهم

اعلم ثبّتك الله تعالى أنّ السمٰوات تطوى يوم القيامة كطيّ المكتوب فلا يبقى سماء وينزل العرش من مكان ارتفاعه إلى الأرض التي هي أرض القيامة، وفي الأخبار أنّها ظهر الكوفة، وينزل الله سبحانه الجنّة من مكانها وكذا النار فتكون الجنّة ودرجاتها ومراتبها أماكن السمٰوات والنيران مكانها موضع الأرضين السبع، فهذا في علوّ وهذا في انخفاض، وينصب العرش وسط أرض القيامة فيستظلّ به من شاء الله من المؤمنين.

قال عليه السلام من عزّى الثكلى أظلّه الله تعالى يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة زيّن عرش ربّ العالمين بكلّ زينة ثمّ يؤتى بمنبرين من نور طولهما مائة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش والآخر عن يسار العرش ثمّ يؤتى بالحسن والحسين عليهما السلام فيقوم الحسن عليه السلام عن يمين العرش والحسين عليه السلام عن يسار العرش يزيّن الرب تبارك وتعالى بهما عرشه كما يزيّن المرأة قرطاها هذا حال الحسنين عليهما السلام ذلك اليوم. وأمّا أبواهما فروى الصدوق رحمه الله مسنداً إلى أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا سألتم الله عزّ وجلّ فاسألوه لي الوسيلة»، فسألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن الوسيلة، فقال: «هي درجتي في الجنّة وهي ألف مرقاة ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر (مسير خ ل) الفرس الجواد شهراً، وهي ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد، ومرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضّة، فيؤتى بها يوم القيامة حتّى تنصب مع درجة النبيّين كالقمر بين الكواكب فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا صديق ولا شهيد إلّا قال: طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته، فيأتي النداء من عند الله عزّ وجلّ يسمع النبيّين وجميع الخلق: هذه درجة محمّد صلى الله عليه وآله، فأُقبل أنا يومئذٍ متّزر بريطة من نور عليَّ تاج الملك وإكليل الكرامة، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام أمامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد، مكتوب عليه لا إله إلّا الله، المفلحون هم الفائزون بالله، وإذا مررنا بالنبيّين قالوا هذان ملكان مقرّبان لم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا هذان نبيّان مرسلان حتّى أعلو الدرجة وعليّ عليه السلام يتبعني حتّى إذا صرت في أعلى درجة منها وعليّ عليه السلام أسفل منّي بدرجة فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا صدّيق ولا شهيد إلّا قال:

طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله فيأتي النداء من قبل الله عزّ وجلّ يسمع النبيّين والصدّيقين والشهداء والمؤمنين: هذا حبيبي محمّد ﷺ وهذا وليّي عليّ عليه السلام طوبى لمن أحبّه وويل لمن أبغضه وكذب عليه.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «فلا يبقى يومئذٍ أحد أحبّك يا علي إلّا استروح إلى هذا الكلام وابيضّ وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممّن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقّاً إلّا اسودّ وجهه واضطربت قدماه، فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا عليّ أمّا أحدهما فرضوان خازن الجنّة، وأمّا الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان فيقول: السلام عليك يا أحمد فأقول وعليك السلام أيّها الملك من أنت؟ ما أحسن وجهك وأطيب ريحك! فيقول أنا رضوان خازن الجنّة وهذه مفاتيح الجنّة بعث بها إليك ربّ العزّة فخذها يا أحمد، فأقول: قد قبلت ذلك من ربّي فله الحمد على ما فضّلني به ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ يرجع رضوان فيدنو مالك فيقول السّلام عليك يا أحمد فأقول وعليك السلام يا ملك من أنت؟ فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك فيقول: أنا مالك خازن النار وهذه مقاليد النار بعث بها إليك ربّ العزة فخذها يا أحمد فأقول قد قبلت ذلك من ربّي فله الحمد على ما فضّلني به ادفعها إلى أخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ يرجع مالك فيقبل عليّ عليه السلام ومعه مفاتيح الجنّة ومقاليد النار حتّى نقف على عجزة جهنّم وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتدّ حرّها وعليّ عليه السلام آخذ بزمامها فتقول جهنّم جزني يا علي فقد أطفأ نورك لهبي، فيقول عليه السلام لها قري يا جهنم خذي هذا واتركي هذا خذي هذا عدوّي واتركي هذا وليي فلجهنم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ عليه السلام من غلام أحدكم لصاحبه فإن شاء يذهبها يمينه وإن شاء يذهبها يساره، وللجنّة يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ عليه السلام فيما يأمرها به من جميع الخلائق.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ضرب لي عن يمين العرش قبة من ياقوتة حمراء. وضربت لإبراهيم عليه السلام من الجانب الآخر قبة من درّة بيضاء. وبينهما قبة من زبرجدة خضراء لعليّ بن أبي طالب عليه السلام فما ظنّكم بحبيب بين خليلين».

وفي خبر آخر أنّ الحسن عليه السلام يؤتى فيعلو ذلك المنبر فيجلس أسفل من درجة أبيه عليه السلام بدرجة وكذا الحسين وباقي الأئمّة عليهم السلام كلّ أسفل بدرجة، ثمّ يؤتى بإبراهيم ونوح وموسى وعيسى وآدم يجلس كلّ واحد في درجته، يكسى كلّ واحد

حلّة على قدر مرتبته ودرجته فيؤتى بأهل المحشر ويقفون صفوفاً وعددهم مائة ألف صفّ وعشرون ألف صفّ، أمّة محمّد ﷺ ثمانون ألف صفّ والباقون أمم سائر الأنبياء، فأوّل ديوان يكون يوم القيامة ديوان فاطمة عليها السلام مع من ظلمها في نفسها وأولادها، وأوّل دم يؤخذ دم ابنها المحسن كما وردت به الروايات وذلك الديوان أصعب هول يكون على أهل المحشر لأنّ الله تعالى يغضب لغضبها حتّى يخشى على الخلق كلّهم من غضب الله تعالى.

وروي عن النبي ﷺ قال: «إنّ الله تعالى إذا بعث الأوّلين والآخرين نادى منادي ربّنا من تحت عرشه يا معشر الخلائق غضّوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمّد سيّدة نساء العالمين على الصراط، فيغض الخلق كلّهم فتجوز فاطمة على الصراط فلا يبقى أحد في القيامة إلّا غضّ بصره عنها إلّا محمّد وعليّ والحسن والحسين والطاهرون من أولادهمَ فإنّهم محارمها، فإذا دخلت الجنّة بقي مرطها ممدوداً على الصراط طرف منه بيدها وهي في الجنّة وطرف في عرصات القيامة، فينادي منادي ربّنا أيّها المحبّون لفاطمة تعلّقوا بأهداب مرط فاطمة سيّدة نساء العالمين، فلا يبقى محبّ لفاطمة إلّا تعلق بهدبة من أهداب مرطها حتّى يتعلّق بها أكثر من ألف فئام وألف فئام؛ قالوا: وكم فئام واحد يا رسول الله؟ قال ألف ألف وينجى بها من النّار.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لفاطمة وقفة على باب جهنّم فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً، فتقول إلٰهي وسيّدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذريّتي من النار، ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ صدقتِ يا فاطمة إنّي سمّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبّك من النار وتولّاك وأحبّ ذريّتك وتولّاهم من النار وعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأُشفعك فيتبيّن لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقعك منّي ومكانك عندي فمن قرأت بين عينيه مؤمناً أو محبّاً فخذي بيده وأدخليه الجنّة.

وروى الصدوق بإسناده إلى النبيّ ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنّة مدبجة الجنبين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراوان عليها قبّة من نور

يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها داخلها عفو الله وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور للتاج سبعون ركناً كلّ ركن مرصّع بالدرّ والياقوت يضيء كما يضيء الكوكب الدرّي في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك وجبرائيل آخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، فلا يبقى يومئذٍ نبي ولا رسول ولا صدّيق ولا شهيد إلّا غضّوا أبصارهم حتّى تجوز فاطمة عليها السلام، فتسير حتّى تحاذي عرش ربّها جلّ جلاله فترمي بنفسها عن ناقتها وتقول: إلٰهي وسيّدي احكم بيني وبين من ظلمني، اللّهمّ احكم بيني وبين من ظلمني اللّهمّ احكم بيني وبين من قتل ولدي فإذا النداء من قبل الله عزّ وجلّ يا حبيبتي وبنت حبيبي سلي تعطي واشفعي تشفّعي فوعزتي وجلالي لا يتجاوزني اليوم ظلم ظالم فتقول: إلٰهي وسيّدي ذريّتي وشيعتي وشيعة ذريّتي ومحبّي ومحبّ ذريّتي فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله أين ذريّة فاطمة وشيعتها ومحبوها ومحبّو ذريّتها؟ فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة فتقدمهم فاطمة حتّى تدخلهم الجنّة.

أقول: وللمؤمنين شفعاء وهم الأئمّة عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] يعني كما قال الصادق عليه السلام يقال: يا شيعة جعفر بن محمّد ويا شيعة مهديّ آل محمّد فتقوم شيعة كلّ إمام وذلك الإمام يقدمهم حتّى يدخلهم الجنّة، وأمّا المخالفون فإنّ لهم أئمّة يوردونهم موارد الهلاك كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١] والثلاثة ومن حذا حذوهم من الأمويّين والعبّاسيّين.

واعلم أنّ ليوم القيامة مواقف والناس في كلّ موقف على حال من الأحوال، وفي احتجاج مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على الزنديق الّذي ذهب إلى أنّ في آيات القرآن تناقضاً حيث قال لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم فقال عليه السلام وما هو؟ فعدّ من الآيات إلى أن قال: وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ [النبأ: ٣٨] وقوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤]، وقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨] وقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ [يس: ٦٥] وذلك أنّ ظاهر هذه الآيات التناقض فأجابه عليه السلام بأنّ ذلك في مواطن غير واحد من مواطن

ذلك اليوم الّذي كان مقداره خمسين ألف سنة، والمراد يكفر أهل المعاصي بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً والكفر في هذه الآية البراءة يقول يبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم، وقول الشيطان إنّي كفرت بما أشركتموني من قبل.

ثمّ يجتمعون في مواطن أُخر يبكون فيها فلو أنّ تلك الأصوات فيها بدت لأهل الدنيا لأزالت جميع الخلق عن معايشهم وانصدعت قلوبهم إلّا ما شاء الله ولا يزالون يبكون حتّى يستنفدوا الدموع ويفضوا إلى الدماء، ثمّ يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون والله ربّنا ما كنّا مشركين، وهؤلاء خاصّة هم المقرون في دار الدنيا بالتوحيد فلم ينفعهم إيمانهم بالله لمخالفتهم رسله وشكّهم فيما أتوا به عن ربهم. ونقضهم عهودهم في أوصيائهم واستبدالهم الّذي هو أدنى بالّذي هو خير، وكذّبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤]، فيختم الله على أفواههم ويستنطق الأيدي والأرجلَ والجلود فتشهد بكلّ معصية كانت منهم ثمّ يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله فيفر بعضهم من بعض لهول ما يشاهدونه من صعوبة الأمر وعظيم البلاء، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦)﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] الآيات.

ثمّ يجتمعون في موطن آخر يستنطق فيه أولياء الله وأصفياؤه فلا يتكلّم أحد إلّا من أذن له الرّحمٰن وقال صواباً فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها إلى أممهم، فأخبروا أنّهم أُدوا ذلك إلى أممهم وتسأل الأُمم فتجحد كما قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] فيقولون: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩] فيستشهد الرسل رسول الله صلّى الله عليه وآله فيشهد بتصديق الرسل وتكذيب من جحدها من الأمم فيقول لكلّ أمّة منهم: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩] أي: مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم، ولذلك قال الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] فلا يستطيعون ردّ شهادته خوفاً من أن يختم الله على أفواههم وأن تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون ويشهد على منافقي قومه وأمّته وكفّارهم بإلحادهم وعنادهم ونقضهم عهده وتغييرهم سنّته واعتدائهم على أهل بيته، وانقلابهم على أعقابهم وارتدادهم على أدبارهم واحتذائهم في ذلك سنّة من تقدّمهم من الأمم الظالمة الخائنة لأنبيائها فيقولون بأجمعهم ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

ثمّ يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمّد ﷺ وهو المقام المحمود فيثني على الله عزّ وجلّ بما لم يثن عليه أحد مثله، ثمّ يثني على الملائكة كلّهم فلا يبقى ملك إلّا أثنى عليه محمد ﷺ ثمّ يصلّي (يثني خ) على الأنبياء عليهم السلام بما لم يثن عليهم أحد مثله ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصديقين والشهداء ثمّ الصالحين فيحمده أهل السمٰوات وأهل الأرضين، فذلك قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فطوبى لمن كان له في ذلك اليوم حظّ ونصيب؛ وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب.

ثمّ يجتمعون في موطن آخر وهذا كلّه قبل الحساب، فإذا أخذ في الحساب فذلك محلّ المصائب والأهوال فهو تعالىٰ وتقدّس يحاسب المؤمنين بالملاطفة والرفق، ويظنّ كل واحد أنّ الله سبحانه يحاسبه ولا يحاسب غيره فهو تعالى في اللحظة الواحدة يحاسب الجمّ الغفير، وأمّا غير المؤمنين فلمّا لم يكونوا قابلين لأن يكون الله سبحانه هو الّذي يخاطبهم يأمر ملائكة بحسابهم وهم الّذين لا ينظر الله إليهم ولا يكلّمهم يوم القيامة والويل لهؤلاء وأمثالهم.

وفي الحديث أنّ أعرابياً جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله من يحاسب الخلائق غداً؟ فقال: «الله يحاسبهم»، فقال: نجونا والله لأنّ الكريم إذا حاسب عفا، والحال كما ظنّ الأعرابي، ويؤيّده ما روي أنّ النبيّ ﷺ كان في بعض الأسفار فمرّ بامرأة تخبز ومعها صبيّ لها، فقيل لها: إنّ رسول الله ﷺ يمرّ فجاءت وقالت: يا رسول الله بلغني أنّك قلت: إنّ الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها أفهو كما قيل لي؟ فقال: «نعم» فقالت: إنّ الأمّ لا تلقي ولدها في هذا التنّور، فبكى رسول الله ﷺ وقال: إنّ الله لا يعذّب بالنار إلّا من أنف أن يقول: لا إلٰه إلّا الله، أقول: المراد بقول لا إلٰه إلّا الله مع شرائطها كما ورد التصريح به في الأخبار، وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنا من شرائطها يعني القول بأنّي إمام واجب الطاعة ولا يوجد هذا إلا في هذه الفرقة الإمامية من بين فرق الشيعة كلّها وفرق المسلمين أيضاً، ومن هذا قال الجواد عليه السلام زيارة أبي أفضل من زيارة جدّي أبي عبد الله الحسين عليه السلام لأنّ جدي عليه السلام يزوره كلّ أحد وأمّا أبي فلا يزوره إلّا الخالص من الشيعة، وذلك أنّ الشيعة تتفرّق الفرق المختلفة حتّى تبلغ إلى مولانا عليّ الرضا عليه السلام فإذا بلغت إليه قالت بما بعده من الأئمّة فلا يزوره إذاً إلّا هذه

الفرقة الاثنى عشريّة الإماميّة[(١)].

فإذا أخذت الملائكة في حساب الخلائق فروى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: أوّل ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله عزّ وجلّ عن الصلوات المفروضات وعن الزكاة المفروضة وعن الصيام المفروض وعن الحجّ المفروض وعن ولايتنا أهل البيت فإن أقرّ بولايتنا

(١) هذا ما أدى إليه نظر المصنف رحمه الله تمسكاً بظاهر الحديث المذكور ودلالته باعتبار التعليل المذكور فيه على استحباب اختيار زيارة الرضا عليه السلام على زيارة الحسين عليه السلام واضحة ولكن من ينعم النظر إلى هذا الحديث وتأمل تأملاً صادقاً فيه مع لفت النظر إلى الأحاديث الأُخرى يظهر له أن هذا الاستحباب ليس على اطلاقه بل في زمان قلَّ فيه زائر الإمام الرضا عليه السلام ورغب عنه الناس لبعض العوارض الطارئة والعلل الحادثة كما في حديث مولانا عبد العظيم الحسني قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قد تحيرت بين زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام وبين زيارة قبر أبيك عليه السلام بطوس فما ترى فقال لي مكانك ثم دخل وخرج ودموعه تسيل على خديه فقال: زوار أبي عبد الله عليه السلام كثيرون وزوار قبر أبي عليه السلام بطوس قليلون، يظهر من هذا الحديث أن سبب رجحان زيارة الرضا عليه السلام على زيارة الحسين عليه السلام هو قلة زوار الرضا عليه السلام وعلّة قلّته هي الخوف. ومن سبر التاريخ وأمعن النظر فيه يظهر له انقطاع زيارة الرضا عليه السلام في عهد أبي جعفر عليه السلام بما كان في ذاك العصر من خوف وشنعة من السلطان وفراعنة الزمان عليهم عليهم السلام وعلى شيعتهم ولذا كان زواره قليلاً وكان لا يزوره في ذاك الزمان إلا الخواص من الشيعة وقد ورد في حديث محمد بن سليمان أنه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن رجل حج حجة الإسلام - إلى أن قال - فأيهما أفضل هذا الذي قد حج حجة الإسلام يرجع فيحج أيضاً أو يخرج إلى خراسان إلى أبيك علي بن موسى الرضا عليه السلام فيسلم عليه قال بل يأتي خراسان فيسلم على أبي الحسن أفضل وليكن ذلك في رجب ولكن لا ينبغي أن يفعلوا هذا اليوم فإن علينا وعليكم خوفاً من السلطان وشنعة الحديث. فلا منافاة بين الحديث المذكور في المتن وبين ما يدل على أفضلية الحسين عليه السلام على الرضا عليه السلام وأفضلية زيارته على زيارته إذا خلت من الاعتبارات الطارئة والأحوال العارضة الموجبة للعناوين الثانوية مما تقتضيه الظروف والأحوال وأوضاع الزمان وصروف الدهر الخوان ومن هنا نعرف أن هذا لا يختص بزيارة الرضا عليه السلام بل يعم زيارة كل إمام أخذ في زيارته ما تقتضيه الظروف وتستدعيه خصوصية الأزمان فإن زيارته وقتئذٍ أفضل من زيارة من يفضل هو عليه وزيارته على زيارته فأفضلية زيارة واحد من الأئمة عليهم السلام بموئنة ما يضم إليها من الاعتبارات والخصوصيات الخارجة لا منافاة بينها وبين أفضلية غيره عليه بالذات فما فهمه المصنف رحمه الله كغيره من أفضلية زيارة الرضا عليه السلام على زيارة الحسين عليه السلام من دون تقييد بما يظهر من مجموع الروايات كما ذكرناه فهو على خلاف ما يقتضيه النظر الدقيق والله العالم بالحقائق.

ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجّه وإن لم يقرّ بولايتنا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ لم يقبل الله عَزَّوَجَلَّ شيئاً من أعماله.

وروى شيخنا الكليني وغيره مسنداً إلى مولانا الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: كلّ سهو في الصلاة يطرح منها غير أنّ الله يتمّ بالنوافل، إنّ أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها، ولا منافاة بين الخبرين إذ الولاية شرط لقبول كل الأعمال الصلاة وغيرها وأمّا الصلاة فهي شرط لقبول ما سواها من الأعمال وبعد هذا يأخذ الله والملائكة في سؤال الخلائق فيقول الله لعبده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنّ الله سبحانه علّم عباده الجواب وذلك أنّه قال في سؤاله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ ولم يقل بربّك القهار والجبّار فيقول في الجواب: يا رب غرّني كرمك، وذلك أنّ العبد إذا عرف من مولاه الرحمة والكرم ربّما تجرّأ على معاصيه. في هذه الحالة ترى كلّاً يطلب بحقّه إما أن يكون مالاً أو دماً أو ضرباً أو شتماً إلى غير ذلك من الحقوق.

روي أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال لأصحابه: «أتدرون من المفلس، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا مال ولا متاع، قال: «إنّ المفلس من أمّتي من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياه فطرحت عليه ثمّ يطرح في النار.

وفي الرواية أنّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا على قبر فأحيا الله تعالى من فيه، فسأله عن حاله فقال: كنت حمّالاً فحملت يوماً حطباً لرجل فكسرت خلالاً وخللت به أسناني فأنا مطالب به مذ متّ.

وفي الآثار أنّ رجلاً فقيراً مات فلمّا رفعت جنازته بالغداة لم يفرغوا من دفنه إلى العشاء لكثرة الزحام فرئي في المنام فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأحسن إليّ الكثير إلّا أنّه حاسبني حتّى طالبني بيوم كنت صائماً وكنت قاعداً على حانوت صديق لي حنّاط، فلمّا كان وقت الإفطار أخذت حبّة حنطة من حانوته فكسرتها نصفين فتذكّرت أنّها ليست لي فألقيتها على حنطته فأخذ من حسناتي قيمة ما نقص من تلك الحبّة من الكسر في فمي.

وفي الأخبار أنّه يؤخذ بدانق فضّة سبعمائة صلاة مقبولة فيعطاها الخصم، وروي أيضاً أنّه يؤخذ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، فينادى ألا من كان له قبل

هذا حقّ فليأخذه، ولا يكون أشدّ على أهل القيامة من أن يروا من يعرفهم مخافة أن يدعي عليه شيئاً.

وفي الخبر أنّ رجلاً اشترى لحماً من قصّاب ثمّ أتى به وردّه عليه، فإذا كان يوم القيامة حاسبه الله سبحانه على دسم اللحم الّذي بقي في يده وأخذ من حسناته وأعطى القصّاب، ومن هذا ورد في الحديث عن النبيّ ﷺ أنّه قال: درهم يردّه العبد إلى الخصماء خير له من عبادة ألف سنة وخير له من عتق ألف رقبة وخير له من ألف حجّة وعمرة، وأعطاه الله بكلّ دانق ثواب نبيّ وبكلّ درهم مدينة من درّة حمراء، وقال عليه السلام من أرضى الخصماء من نفسه وجبت له الجنّة بغير حساب، ويكون في الجنّة رفيق إسماعيل بن إبراهيم.

وقال عليه السلام إنّ في الجنّة مدائن من نور وعلى المدائن أبواب من ذهب مكلّل بالدرّ والياقوت، وفي جوف المدائن قباب من مسك وزعفران، من نظر إلى تلك المدائن يتمنّى أن يكون له مدينة منها، قالوا: يا نبيّ الله لمن هذه المدائن؟ قال: «للتائبين النادمين المرضين الخصماء من أنفسهم، فإنّ العبد إذا ردّ درهماً إلى الخصماء أكرمه الله كرامة سبعين شهيداً، وإنّ درهماً يردّه العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل، ومن ردّه ناداه ملك من تحت العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك.

وقال عليه السلام أشدّ ما يكون على الإنسان يوم القيامة أن يقوم أهل الخمس فيتعلّقوا بذلك الرجل ويقولوا ربّنا إنّ هذا الرجل قد أكل خمسنا وتصرّف فيه ولم يدفعه إلينا، فيدفع الله إليهم عوضه مِن حسنات ذلك الرجل وكذلك أهل الزكاة.

وقال عليه السلام لا يرفع الإنسان قدماً عن قدم حتّى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، فإذا قام سوق الحساب وضعت الموازين ونشرت الدواوين وذلك لأنّ الأعمال تتجسّم في تلك النشأة فإذا تجسّمت أمر الله تعالى بوزنها ليرى العاملون راجح أعمالهم وناقصها عياناً فلا يظنّون الظلم عليه تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

روي أنّ رجلاً من الصالحين رئي في المنام فقيل ما فعل الله بك؟ فقال: حاسبني فخفّت كفّة حسناتي فوقعت فيها صرّة فثقلت كفّة حسناتي، فقلت ما هذا؟ فقيل: كفّ تراب ألقيته في قبر مسلم فرجح بذلك المقدار ميزاني. وروي أيضاً أنّ رجلاً وزنت حسناته وسيّئاته فرجحت سيّئاته فأراد الملائكة أن يأخذوه إلى النار فقال الله تعالى:

لا تأخذوه وإن له عندي عملاً لا تدرون أنتم فيه وهو أنّه كان إذا شرب الماء صلّى على الحسين بن عليّ عليه السلام ولعن ظالميه، فيوضع في الكفّة الأُخرى فيرجح على تلك السيّئات كلّها فيؤمر به إلى الجنّة.

وروي أنّ الله تعالى يأمر الملائكة فتزن أعمال رجل فترجح سيّئاته على حسناته فيأمر الله تعالى به إلى النار فتأخذه الملائكة فيلتفت إلى ورائه فيقول له الله سبحانه لم تلتفت؟ فيقول: يا ربّ ما كان ظنّي بك أن تدخلني النار؛ فيقول الله تبارك وتعالى: ملائكتي وعزّتي وجلالي ما أحسن الظنّ بي يوماً واحداً ولكن لدعواه حسن الظنّ أدخلوه الجنّة.

فإن قلت قد روي عن مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّ الموازين التي تنصب يوم القيامة هم الأنبياء والأئمّة عليهم الّسلام وهم الّذين يعرفون أعمال الخلائق، فكيف وجه التوفيق؟ حتّى أنّ الصدوق طاب ثراه وجماعة من المحدثين ذهبوا إلى أنّ الموازين هم عدل الله تعالى وهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام قلت المؤمنون يجوز أن يكون ميزانهم هو عدل الله والأنبياء فإذا قالوا لهم هذه حسناتكم وهذه سيّئاتكم وهذا أرجح من هذا لم يتّهموا الله تعالى ولا ملائكته الكاتبين، وأمّا المنافقون والكفّار فميزان أعمالهم ميزان موجود في أرض القيامة له كفّتان فيوزن به أعمالهم لينظروا إليها بأعينهم ويعرفوا مقدار الراجح من المرجوح.

قال ابن بابويه تغمّده الله برحمته حساب الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام يتولّاه تعالى ويتولّى كلّ نبيّ حساب أوصيائه ويتولّى الأنبياء حساب الأمم والله شهيد على الأنبياء والرسل وهم الشهداء على الأوصياء والأئمّة عليهم السلام وهم الشهداء على الأمم وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] وما قدمناه في شأن الحساب هو المفهوم من أكثر الأخبار فإذا وزنت الأعمال بواحد من الميزانين وقع الإحباط وقد نفاه أكثر أصحابنا تبعاً للخواجا نصير الدين الطوسي[(١)] وقبل الكلام فيه لا بدّ من تعريفه ليتضح حقيقة الحال فنقول له ثلاث تعاريف:

---

(١) القول ببطلان الإحباط وهو خروج فاعل الطاعة عن استحقاق المدح والثواب إلى استحقاق الذم والعقاب والتكفير وهو خروج فاعل المعصية عن استحقاق الذم والعقاب إلى استحقاق المدح والثواب، هو مذهب جماعة من علمائنا الإمامية ومحققيهم قبل المحقق الطوسي رحمه الله بزمان كثير ومنهم الشيخ الإمام المفيد رحمه الله والقول بالبطلان هو المحقق المسلم بين =

أوّلها: ما قاله المعتزلة من أنّ معناه إسقاط الثواب المتقدّم بالمعصية المتأخّرة وتكفير الذنوب المتقدّمة بالطاعات المتأخرة.

= المتأخرين عن زمن المحقق الطوسي رَحِمَهُ اللهُ إلى اليوم بعد أن حققوا هذا المطلب بالبحوث العلمية في الكتب المبسوطة وبعضهم عمل في هذه المسألة رسالة مستقلة مع أن تبعية المحقق الطوسي رَحِمَهُ اللهُ في القول الحق أحق وأولى من التبعية لأبي هاشم في القول بالموازنة مع دلالة العقل والنقل على بطلانه. قال الشيخ المفيد رَحِمَهُ اللهُ في أوائل المقالات: «لا تحابط بين المعاصي والطاعات ولا العقاب وهو مذهب جماعة من الإمامية والمرجئة، وبنو نوبخت يذهبون إلى التحابط فيما ذكرناه ويوافقون في ذلك أهل الاعتزال» انظر: ص ٥٧ ط ٢ تبريز. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨] نص في دلالته على أن الإنسان يرى في يوم القيامة ما يعمله من خير وشر وما يعمله منهما ثابت وباق معاً إلى يوم الحشر حتى يراهما ولا يبطل شيء منهما وهذا هو الظاهر من سياق الآيات الشريفة في سورة الزلزال من أولها إلى آخرها فإن سياقها ظاهر في بيان أحوال يوم القيامة وأهوالها وقال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾ [الزلزلة: ٦] يجيئون مؤمنين وكافرين ومنافقين ليروا أعمالهم وليقفوا على ما فعلوه فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إلخ وظاهر السياق أنهم يرون يوم القيامة كل ما عملوه بمقدار ذرة من خير وشر لا أنهم يرون على النحو الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ اللهُ وفي الصافي والبرهان عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] قال يقول: إن كان من أهل النار وقد كان عمل في الدنيا مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة حسرة إن كان عمله لغير الله ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره يقول إذا كان من أهل الجنة وعمل شراً ير ذلك الشر يوم القيامة ثم غفر له. وتعجب المصنف رَحِمَهُ اللهُ من محققي أصحابنا أنهم كيف اتفقوا على بطلان الإحباط كلام عجيب بل العجب منه حيث قال بعدم منافاة القول بالإحباط والموازنة للدلائل العقلية مع أنها تدل على بطلانه انظر: إرشاد الطالبين للفاضل المقداد رَحِمَهُ اللهُ في شرح نهج المسترشدين للعلامة رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٠٢، ٢٠٣ ط هند وكشف المراد ص ٣٣٢، ٣٣٣ ط أصفهان. قال الفاضل المقداد السيوري رَحِمَهُ اللهُ في إرشاد الطالبين القول بالإحباط والتكفير ملزوم للباطل فيكون باطلاً أما الصغرى فإنه يلزم أنه من فعل إحساناً وإساءة متساويين كخمسة أجزاء وخمسة أجزاء مثلاً يكون بمنزلة من لم يفعل شيئاً أصلاً ورأساً وكل ذلك باطل عقلاً وهو ضروري ونقلاً لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ و﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] ومن في الشرط للعموم والأول يبطل الإحباط والثاني يبطل الموازنة (ا هـ) انظر: ص ٢٠٣ ثم اعلم أن محل الكلام والخلاف هو المؤمن المطيع إذا فعل ما يستحق به عقاباً فاختلف فيه أنه هل يجتمع له استحقاق ثواب واستحقاق عقاب أم لا. فقال أهل النظر والتحقيق من الإمامية وأكثرهم إنه يجتمع له ذلك وقال جمهور المعتزلة أنه لا يمكن ذلك وقالوا بالإحباط والتكفير وهو على خلاف التحقيق والتحليل العلمي الصحيح. وأما المؤمن المطيع فإذا كفر زال =

وثانيها: قول أبي عليّ الجبائي من أنّ المتأخّر يسقط المتقدّم ويبقى هو على حاله.

وثالثها: ما ذهب إليه أبو هاشم من أنّ الإحباط هو الموازنة وهو أن ينتفي الأقلّ بالأكثر وينتفي من الأكثر بالأقلّ ما ساواه ويبقى الزائد مستحقاً وهذا المعنى ممّا لا ينبغي الشكّ في صحته كما لا ينبغي الشكّ في بطلان القولين الأوّلين لاستلزامهما الظلم على العدل تعالى عنه علوّاً كبيراً.

والآيات والأخبار دالّة عليه قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]، وقول الإمام عليه السلام لامرأته هذا المكان الّذي أحبط الله فيه حجّك العام الأوّل، وقوله عليه السلام من قبّل غلاماً بشهوة أحبط الله منه عمل أربعين سنة إلى غير ذلك من الأخبار، وقد استدلّ المتكلّمون من أصحابنا رضوان الله عليهم بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وهذا الاستدلال كما ترى وذلك إنّه إذا كان الإحباط على ما قلناه يكون قد رأى العملين الخير والشرّ، وذلك أنّه لولا الشر لحصل نعيم الأبد من غير عذاب ولولا الخير لخلّد في العذاب فهو قد رأى خير هذا وشرّ هذا وهو ظاهر، والعجب من محقّقي أصحابنا رضوان الله عليهم كيف اتّفقوا على بطلانه مع دلالة الآيات والأحاديث عليه وعدم منافاته للدلائل العقليّة.

فإذا وقف الناس للحساب أخذهم العطش ثمّ ينظرون فيرون حوض الكوثر وهو كما قال صلى الله عليه وآله إنّ عرضه ما بين مكّة وصنعاء اليمن وفيه أكواب بعدد كواكب السماء وساقيه أمير المؤمنين عليه السلام، وله خدّام من الملائكة والغلمان وهم الّذين يسقون المؤمنين بأمره، فإذا جاء المؤمن نظر إلى وجهه وعرفه لأنّ بين عيني المؤمن مكتوب هذا مؤمن وبين عيني الكافر مكتوب هذا كافر، فإن كان مؤمناً سقاه شربة لن يظمأ

= استحقاق ثوابه إجماعاً والكافر إذا آمن زال استحقاق عقابه إجماعاً وبعد دلالة العقل والنقل على بطلان الإحباط و التكفير على التعاريف التي ذكرها المصنف رحمه الله فلا بد من حمل بعض الظواهر الدالة على الإحباط من الكتاب والسنة على المعاني الصحيحة كعروض الكفر والشرك الذي يحبط الأعمال ويوجب استحقاق العقاب بلا شك ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] ومن المعلوم أن الظاهر لا يقاوم النص والدليل القطعي والله العالم. القاضي الطباطبائي.

بعدها أبداً وإن كان مخالفاً أمر الملائكة فطردوه عن الحوض حتّى إنّ المخالف ربّما دخل في غمار المؤمنين فتخرجه الملائكة من بينهم.

وروى ابن بابويه رحمه الله بإسناده إلى مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله يا أبتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال في يوم الفزع الأكبر؟ قال: يا فاطمة عند باب الجنّة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأمّتي إلى ربّي، قالت: يا أبتاه فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني عند الحوض وأنا أسقي أمّتي، قالت: يا أبتاه فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الصراط وأنا قائم أقول: ربّ سلّم ربّ سلّم أمّتي، قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني وأنا عند الميزان أقول: ربّ سلّم أمّتي قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على شفير جهنّم أمنع شررها ولهبها عن أمّتي، فاستبشرت فاطمة عليها السلام بذلك، ولا منافاة بينهما لأنّ يوم القيامة إذا كان مقداره خمسين ألف سنة كان أمير المؤمنين عليه السلام يسقي مدّة والنبيّ صلى الله عليه وآله يسقي مدّة أُخرى، وذلك لأنّ كلّ واحد منهما له أشغال متعددة وليس شغل أمير المؤمنين عليه السلام هو الحوض وحده بل الحوض من أقلّ أشغاله وإنّ مقام الشفاعة والقسمة بين الجنّة والنار وغيرهما لأعظم منه.

فإذا ميّزوا أهل الجنّة من أهل النار أمر الله سبحانه أن يؤتى بالموت قال عليه السلام فيؤتى به في صورة كبش أملح فيذبح بين الفريقين ينظر إليه أهل الجنّة وأهل النار ففي ذلك الوقت لو أنّ أحداً مات من الهمّ لمات أهل النار حيث إنّهم علموا أنّ العذاب دائم غير منقطع، ولو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة حيث إنّهم علموا أنّ الخلود في الجنّة مقيم، وذلك أنّه ليس من شيء ينغّص العيش والحياة سوى الموت فإذا ارتفع ارتفعت الكدورات من الخواطر، قال الغزالي في إحيائه: هذا الحديث محمول على التشبيه والمجاز ومعناه أنّ أهل الكبش كما أنّهم ييأسون من حياته إذا ذبح فكذلك أهل الجنّة والنار ييأسون من الموت عند ذبح الكبش الّذي سمّي موتاً، وهذا التأويل غير محتاج إليه مع إمكان الحمل على الحقيقة وذلك لأنّ الأعراض المعنويّة والحسيّة تصير في تلك النشأة أجساماً والأخبار الواردة بهذا المضمون مستفيضة بل متواترة.

روى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى مولانا الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: إذا كان حيث يبعث الله تبارك وتعالى العباد أتى بالأيّام يعرفها

الخلائق باسمها وحليتها يقدمها يوم الجمعة له نور ساطع تتبعه سائر الأيّام كأنّها عروس كريمة ذات وقار تهدى إلى ذي حلم ويسار ثمّ يكون يوم الجمعة شاهداً وحافظاً لمن سارع إلى الجمعة، ثمّ يدخل المؤمنون إلى الجنّة على قدر سبقهم إلى الجمعة.

وروى شيخنا الكليني بإسناده إلى سعد الخفاف عنه عليه السلام أنّه قال: يا سعد تعلّموا القرآن فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف عشرون ومائة ألف صفّ ثمانون ألف صفّ من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله، وأربعون ألف صفّ من سائر الأمم، فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلّم فينظرون إليه ثمّ يقولون لاإله إلّا الله الحليم الكريم إنّ هذا الرجل من المسلمين نعرفه بصفته غير أنّه كان أشد اجتهاداً منّا في القرآن فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثمّ يتجاوز حتّى يأتي على صفّ الشهداء فينظر إليه الشهداء ثمّ يقولون لا إله إلّا الله الرب الرّحيم إنّ هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنّه من شهداء البحر فمن هناك أُعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه قال فيتجاوز حتّى يأتي على صفّ شهداء البحر في صورة شهيد فينظره شهداء البحر ويكثر تعجّبهم ويقولون إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غير أنّ الجزيرة التي أصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أُصبنا فيها فمن هناك [أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم يجاوز حتى يأتي صفّ النبيّين والمرسلين في صورة نبيّ مرسل] فينظر النبيّون والمرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجّبهم ويقولون لا إله إلّا الله الحليم الكريم إنّ هذا النبيّ مرسل نعرفه بسمته وصفته غير أنّه أُعطي فضلاً كثيراً، قال فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون يا محمّد من هذا؟ فيقول لهم أوما تعرفونه؟ [فيقولون :ما نعرفه] هذا ممّن لم يغضب الله عزّ وجلّ عليه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله هذا حجّة الله على خلقه، فيسلّم ثمّ يجاوز حتّى يأتي صفّ الملائكة في صورة ملك مقرّب فينظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجّبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون تعالى ربّنا وتقدّس إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنّه كان أقرب الملائكة إلى الله عزّ وجلّ مقاماً فمن هناك أُلبس من النور والجمال ما لم نلبس؛ ثمّ يجاوز حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيخر تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى يا حجّتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفّع، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى كيف رأيت عبادي فيقول يا

ربّ منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخف بحقّي وكذّب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأُثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب ولأُعاقبن عليك اليوم أليم العقاب.

قال: فيرجع القرآن رأسه في صورة أُخرى قال: فقلت له يا أبا جعفر في أيّ صورة يرجع؟ قال: في صورة رجل شاحب متغيّر يبصره أهل الجمع، فيأتي الرجل من شيعتنا الّذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول ما تعرفني فينظر إليه الرجل فيقول لا أعرفك يا عبد الله، قال: فيرجع في صورته التي كان عليها في الخلق الأوّل فيقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم فيقول القرآن أنا الّذي أسهرت ليلك وأتعبت عينك وسمعك ألا وإنّ كلّ تاجر قد استوفى تجارته وأنا وراءك اليوم، قال: فينطلق به إلى ربّ العِزّة تبارك وتعالى فيقول يا ربّ عبدك وأنت أعلم به قد كان مواظباً عليّ يعادي بسببي ويحبّ فيّ ويبغض فيقول الله عزّ وجلّ أدخلوا عبدي جنّتي واكسوه حلّة من حلل الجنّة وتوّجوه بتاج، فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما صنع بوليّك؟ فيقول: يا ربّ إنّي أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّه فيقول وعزّتي وجلالي وعلوّي وارتفاع مكاني لأنحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته ألا إنّهم شباب لا يهرمون وأصحاء لا يسقمون وأغنياء لا يفتقرون وفرحون لا يحزنون وأحياء لا يموتون، ثمّ تلا هذه الآية ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] قال: قلت جعلت فداك يا أبا جعفر وهل يتكلّم القرآن؟ قال: فتبسّم ثمّ قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنّهم أهل تسليم، ثمّ قال: نعم يا سعد والصلاة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال سعد فتغيّر لذلك لوني وقلت: هذا شيء لا أستطيع أتكلّم به في الناس فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الناس إلّا شيعتنا فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقّنا، ثم قال: يا سعد أُسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلّى الله عليك فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله [ونحن أكبر][1]. والأخبار الواردة بهذا المضمون أكثر من أن تذكر.

ومن أهوال الناس في عرصات القيامة ما رواه الصدوق بإسناده إلى مولانا الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ

(١) الزيادات بين قوسين من الكافي، كتاب فضل القرآن ح ١.

بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] سئل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيره إذا جمع الأوّلين والآخرين أُتي بجهنّم تقاد بألف زمام آخذ بكلّ زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدة وتغيّظ وزفير وشهيق إنّها لتزفر الزفرة فلولا أنّ الله عزّوجلّ أخرهم إلى الحساب لأهلكت الجمع ثمّ يخرج منها عنق يحيط بالخلائق بالبرّ منهم والفاجر فما خلق الله عزّوجلّ عبداً من عباده ملكاً ولا نبيّاً إلّا نادى ربّ نفسي نفسي وأنت يا نبيّ الله تنادي أمّتي أمّتي، ثمّ يوضع عليها صراط أدقّ من حدّ السيف عليه ثلاث قناطر، أمّا الأولى فعليها الأمانة والرحم(١) وأمّا الأُخرى فعليها الصلاة، وأمّا الأُخرى فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره فيكلّفون الممرّ عليه فتحبسهم الرحم والأمانة فإن نجوا منها حبستهم الصلاة فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ وعزّ وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] والناس على الصراط فمتعلّق قدم يزل وقدم يستمسك والملائكة حولهم ينادون يا حليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلم والناس يتهافتون فيها كالفراش فإذا نجا ناج برحمة الله تعالى نظر إليها فقال: الحمد لله الّذي نجاني منك بعد يأس بمنّه وفضله إنّ ربنا لغفور شكور.

وقال الصادق عليه السلام الناس يمرّون على الصراط طبقات والصراط أدقّ من الشعر وأحدّ من حدّ السيف فمنهم من يمرّ مثل البرق ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس ومنهم من يمرّ حبواً ومنهم من يمرّ مشياً ومنهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً.

ومن الأهوال أنّ الله تعالى يحتجّ على الخلائق يوكّل بشكله روي عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها فتقول: يا ربّ قد حسّنت خلقي حتّى لقيت ما لقيت فيجاء بمريم فيقال: أنت أحسن أم هذه قد حسنتها فلم تفتتن، ويجاء بالرجل الحسن الّذي قد افتتن في حسنه فيقول: يا ربّ قد حسّنت خلقي حتّى لقيت من الناس ما لقيت فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال له: أنت أحسن أم هذا قد حسنّاه فلم يفتتن فيجاء بصاحب البلاء الّذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يا ربّ قد شددت عليّ البلاء حتّى افتتنت فيؤتى بأيّوب عليه السلام فيقال له: أبليّتك أشدّ أم بليّة هذا قد ابتلي فلم يفتتن.

---

(١) في الكافي بدل الرحم: الرحمة.

ومن الأهوال والحسرات يوم القيامة ما روي أنّه قال عليه السلام إنّ من أشدّ الحسرة يوم القيامة أن يرى الإنسان عمله بميزان غيره وذلك أنّ الرجل يكسب مالاً ويتعب في تحصيله ولا يخرج منه الواجب ولا ينفقه في سبيل الله ويموت فيتركه لوارثه فيعمل فيه ذلك الوارث المصالح والخيرات فيجعل يوم القيامة في ميزان عمله ويجيء صاحب المال الأوّل فيرى ثواب ماله لغيره فيا لها من حسرة وندامة ذلك الوقت.

واعلم أنّ الله سبحانه وتعالى قد يعفو عن حقوقه بل قد يرضي الناس حتّى يسقطوا حقوقهم، روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى مولانا الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل ينبش القبور فاعتلّ جار له فخاف الموت فبعث إلى النبّاش فقال: كيف جواري لك؟ قال: أحسن جوار قال: فإنّ لي إليك حاجة. قال: قضيت حاجتك، قال: فأخرج إليه كفنين فقال: أُحبّ أن تأخذ أحبّهما إليك وإذا دفنت فلا تنبشني، فامتنع النباش من ذلك وأبى أن يأخذه فقال له الرجل: أحبّ أن تأخذه فلم يزل به حتّى أخذ أحبّهما إليه ومات الرجل فلمّا دفن قال النباش: هذا قد دفن فما علمه بأنّي تركت كفنه أو أخذته لآخذنّه، فأتى قبره فنبشه فسمع صائحاً يقول ويصيح به: لا تفعل ففزع النباش من ذلك فتركه وترك ما كان عليه، وقال لولده أيّ: أب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا، قال: فإنّ لي إليكم حاجة قالوا: قل ما شئت فإنا سنصير إليه إن شاء الله تعالى، قال: فأُحبّ إذا أنا متّ أن تأخذوني فتحرقوني بالنار فإذا صرت رماداً فدقّوني ثمّ تعمدوا بي ريحاً عاصفة فذروا نصفي في البرّ ونصفي في البحر، قالوا فلمّا مات فعل به ولده ما أوصاهم به فلمّا ذرّوه قال الله جلّ جلاله للبرّ اجمع ما فيك وقال للبحر: اجمع ما فيك فإذا الرجل قائم بين يدي الله تعالى فقال له عزّ وجلّ: ما حملك على ما أوصيت به ولدك أن يفعلوه بك؟ قال حملني على ذلك وعزّتك خوفك، فقال الله جلّ جلاله فإنّي سأُرضي خصومك وقد آمنت خوفك وغفرت لك.

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام أنّ المؤمن أكرم على الله من أن يقوم في الليلة الباردة للصلاة ويصوم في الوقت الحارّ ثمّ يدفعه يوم القيامة إلى خصومه ولكنّ الله سبحانه يرضي خصومه ويعوّضهم عنه.

وكلّ عمل من الأعمال يدفع هولاً من أهوال القيامة؛ روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى عبد الرحمٰن بن سمرة قال كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فقال: إنّي رأيت

البارحة عجائب، قال: فقلنا يا رسول الله وما رأيت حدّثنا به فداؤك أنفسنا وأهلونا وأولادنا فقال: رأيت رجلاً من أمّتي قد أتاه ملك الموت لقبض روحه فجاءه برّه بوالديه فمنعه برّه منه ورأيت رجلاً من أمّتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاؤه وضوءه فمنعه منه ورأيت رجلاً من أمّتي قد إحتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فنجاه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمّتي إحتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فمنعته منهم، ورأيت رجلاً من أمّتي يلهث عطشاً كلّما ورد حوضاً منع فجاءه صيام شهر رمضان فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمّتي والنبيّون حلقاً حلقاً كلّما أتى حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة وأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي ورأيت رجلاً من أمّتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن تحته ظلمة مستنقعاً في الظلمة فجاءه حجّه وعمرته فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور.

ورأيت رجلاً من أمّتي يكلّم المؤمنين فلا يكلّمونه فجاءه، صلته للرّحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلّموه فإنّه كان واصلاً لرحمه فكلّمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم ورأيت رجلاً من أمّتي يتّقي وهج النيران وشررها بيده ووجهه فجاءته صدقته فكانت ظلاً على رأسه وستراً على وجهه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد أخذته الزبانية من كلّ مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلصاه من بينهم وجعلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمّتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين رحمة الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله في رحمة الله، ورأيت رجلاً من أمّتي قد هوت صحيفته قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمّتي قد خفّت موازينه فجاءه أفراطه فثقّلوا موازينه، ورأيت رجلاً من أمّتي قائماً على شفير جهنّم فجاءه رجاؤه من الله عَزَّوَجَلَّ فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من أمّتي قد هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله فاستخرجته من ذلك، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط يرتعد كما يرتعد السعفة في يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنّه بالله فسكن رعدته ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمّتي على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلّق أحياناً فجاءته صلاته عليّ وأقامته على قدميه ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمّتي انتهى إلى أبواب الجنّة كلّما انتهى إلى باب غلق دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلّا الله صادقاً ففتحت له الأبواب ودخل الجنّة.

وفي كتاب المجالس عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال:

إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيصيحون إلى ربّهم فيقولون يا ربّ اكشف عنّا هذه الظلمة، قال: فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء يوم القيامة فيقول أهل الجمع هؤلاء أنبياء الله فيجيء النداء من عند الله عزّوجلّ ما هؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع: هؤلاء ملائكة فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء ملائكة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء، فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بشهداء فيقولون من هم؟ فيجيئهم النداء يا أهل الجمع سلوهم من أنتم فيقول أهل الجمع: من أنتم فيقولون نحن العلويّون نحن ذريّة محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله نحن أولاد عليّ وليّ الله نحن المخصوصون بكرامة الله ونحن الآمنون المطمئنون فيجيئهم النداء من عند الله عزّوجلّ اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون.

أقول: ينبغي أن يراد بالعلويّين هنا غير الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، فإنهم في ذلك اليوم لا يجهلهم أحد من الأوّلين والآخرين لأنّ مقامات القيامة من الشفاعة والحوض والجنّة والنار كلّها إليهم كما قال مولانا الصادق عليه السلام: إنّ إلينا إياب هذا الخلق وإنّ علينا حسابهم وإذا كان يوم القيامة مشينا إلى الله تعالى بأقدامنا حتّى نشفع في شيعتنا ومحبينا فلا يدخل النار منهم أحد، وحينئذٍ فالمراد بالعلويين هنا صلحاء السادة الذين ورد في شأنهم أنّ النظر إليهم عبادة.

وروى الصدوق بإسناده إلى ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «والّذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعذّب الله بالنار موحّداً أبداً وإنّ أهل التوحيد ليشفعون» ثمّ قال عليه السلام: إنّه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار فيقولون يا ربّنا كيف تدخلنا النار وقد كنّا نوحّدك في دار الدنيا وكيف تحرق النار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك في دار الدنيا؟ وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على لا إله إلّا أنت أم كيف تحرق وجوهنا وقد عفرناها لك في التراب؟ أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك؟ فيقول جلّ جلاله: عبادي ساءت أعمالكم في الدنيا فجزاؤكم نار جهنّم فيقولون: يا ربّنا عفوك أعظم أم خطيئتنا؟ فيقول عزّوجلّ: بل عفوي فيقولون: رحمتك أوسع أم ذنوبنا فيقول عزّوجلّ: بل رحمتي فيقولون: إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا فيقول عزّوجلّ: بل إقراركم بتوحيدي أعظم فيقولون: يا ربّنا فلتسعنا رحمتك وعفوك التي وسعت كلّ شيء فيقول الله جلّ جلاله: يا ملائكتي وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من المقرّين لي بتوحيدي وأن لا إله غيري وحقّ عليّ أن لا أعذّب أهل توحيدي أدخلوا عبادي الجنّة

أقول: قد عرفت أنّ المراد بالتوحيد النافع ما يكون مقروناً بشرائطه مع أنّ غير هذه الفرقة المحقّة كلّهم مشركون كما وردت به الأخبار وذلك أنّ من جعل بدل الإمام الّذي نصبه الله تعالى إماماً فقد جعل نفسه وإمامه شريكين له سبحانه لأنّ الشرك أخفى في هذه الأمّة من دبيب النمل في الليلة السوداء على الصخرة الصماء وهذه كلّها من أفراد الشرك وتنافي التوحيد منافاة ظاهرة كما لا يخفى.

فإذا ساقوا الخلائق إلى العبور على جسر جهنّم وهو الصراط المستقيم فهناك الويل والثبور نعم الّذي يسكن القلوب أنّ الأخبار قد استفاضت في أنّ أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام بل والنبيّ صلى الله عليه وآله واقفون هناك وعليّ عليه السلام يقسم بين الجنّة والنار يقول: يا نار هذا لي وهذا لك فإن كان مؤمناً مضى كالبرق الخاطف وإن كان مخالفاً سقط في جهنّم، لكن لذلك الصراط عقبات ومواقف فمنهم من يسقط من عقبة الصلاة ومنهم من يسقط من عقبة الزكاة ومنهم من يسقط من عقبة الصوم ومنهم من يسقط من عقبة الحجّ ومنهم من يسقط من عقبة الولاية ومنهم من يسقط من عقبة التوحيد ومنهم من يسقط من عقبة الرسالة إلى غير ذلك من العقبات.

وروي المفضّل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط الّذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه على الصراط في الآخرة فتردى في جهنّم.

وهذا الصراط الّذي وصفه النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه أدق من الشعر وأحّد من السيف وعليه القناطر التي تقدّمت مع غيرها حتّى ينتهوا إلى المرصاد وهي قنطرة مظالم العباد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوزها عبد بمظلمة عبد حتّى ينتصف للمظلوم من الظالم.

وفي الحديث أنّ الناس يقفون عليها ثمانين سنة حتّى يلجمهم العرق فينادي مناد من الله عزّ وجلّ أيّها الخلائق قد وهبتكم حقوقي فهبوا حقوق بعضكم بعضاً حتّى تدخلوا الجنّة ويقول لرضوان افتح لهم عن منازلهم في الجنة حتّى يروها فيفتح لهم حتّى يرى كلّ إنسان مكانه في الجنّة فيشتاقون إليها ويعبرون الصراط فمن عبر الصراط لو نام أربعين سنة استراحة ممّا عاين من نصب المحشر لكان قليلاً فإذا أتوا إلى رضوان وهو جالس على باب الجنّة ومعه سبعون ألف ملك مع كلّ ملك سبعون

ألف ملك فينظر إليهم وهم في أقبح صورة من سواد البدن وطول الشعور وكونهم غرلاً بلا ختان فيقول لهم: كيف تدخلون الجنة وتعانقون الحور العين على هذه الهيئة فيأمر جماعة من الملائكة الواقفين أمامه فيذهبون بالمؤمنين إلى عين ماء عند جدار الجنّة وهي عين الحياة فإذا اغتسلوا فيها صار وجه كلّ واحد منهم كالبدر في تمامه، وتسقط شعورهم وغلفهم وتبيض قلوبهم من النفاق والحسد والكذب والغوائل والأوصاف الذميمة حتّى لا يتحاسدوا في الجنّة بعلوّ الدرجات والتفاوت في المراتب، فيصير كل واحد منهم بصورة ابن أربع عشرة سنة ويعطى حسن يوسف وصوت داود وصبر أيوب.

فإذا أتوا إلى باب الجنّة وجدوا على بابها حلقة تطن عند كلّ من يدخلها وتقول في طنينها: يا عليّ لكنّها تطن عند كلّ داخل بطنين خاص ليس كالطنين الآخر فيعرف بذلك الطنين أهل المؤمن في منازله وخدمه وحور العين أنّ هذا فلان فيأتون لاستقباله.

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام أنا أدخل أمامك الجنّة أو أنت تدخل أمامي؟ فقال الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ: بل أنت تدخل لأنّ معك لوائي يوم القيامة وصاحب اللواء يدخل قبل، وقال عليه السلام إنّ الله يحشر يوم القيامة تحت لواء عليّ بن أبي طالب عليه السلام آدم فمن دونه. وحيث انتهينا إلى باب الجنّة فلنرجع إلى كيفيّة ما في النار من العذاب والأهوال والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال.

نور يكشف عن النار وما فيها من العذاب

اعلم ثبّتك الله ووفّقك أنّ قعر جهنّم كما روي عن رسول الله ﷺ ليلة المعراج قال: لمّا ركبت البراق وسرت سمعت خلفي هدّة عظيمة تخيّلت أنّ أطباق السمٰوات وقعت على الأرض فقلت لجبرائيل عليه السلام ما هذا الصوت الهائل؟ فقال: إنّه كان على شفير جهنّم صخرة عظيمة وقد أُمرت أن أدفعها في جهنّم فدفعتها بجناحي قبل هذا اليوم بسبعين عاماً حتّى وصلت هذه السّاعة إلى قعر جهنّم. وفيها من الأفاعي والعقارب ما لا يعلمه إلّا الله تعالى.

روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: إذا كان يوم القيامة تخرج من جهنّم حيّة اسمها حريش رأسها في السماء السابعة وذنبها تحت الأرض السفلى وفمها من المشرق إلى المغرب وهي تنادي بأعلى صوتها أين من حارب الله ورسوله؟ فعند ذلك يقول جبرائيل من تطلبين يا حريش؟ فتقول: أطلب خمسة نفر: أوّلهم تارك الصلاة،

والثاني مانع الزكاة، والثالث شارب الخمر، والرابع آكل الربا، والخامس قوم يتحدّثون في المساجد بحديث الدنيا، وقال عليه السلام إنّ في جهنّم عقارب كالبغال المعلفة يلسعن أحدهم فيجد حموتها[1] أربعين خريفاً.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ [إبراهيم: ٢٢]:

روي أنّه إذا قضي الأمر وهو أن يدخل أهل الجنّة جنّتهم وأهل النار نارهم وضع للشيطان منبر في وسط النار فيرقى وبيده عصاة من نار فتجتمع الكفّار عليه بالملامة فيقول لهم إنّ الله تعالى أرسل إليكم مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ فدعوكم إلى الجنّة ووعده الحقّ فلم تقبلوا وأنا دعوتكم إلى هذه النار ومنّيتكم بالأباطيل فقبلتم كلامي فلا تلوموني بل الملامة عليكم، لأنّي لم يكن لي عليكم سلطان بالجبر بل قبلتم كلامي بمجرّد الدعوة فلستم بمصرخيّ، أي لا تقدرون على إغاثتي وإعانتي وأنا لا أقدر على إغاثتكم وإعانتكم.

وروي عن الصادق عليه السلام قال: إذا استقرّ أهل الآر في النار يفقدونكم فلا يرون منكم أحداً فيقول بعضهم لبعض: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ [ص: ٦٢-٦٣] قال وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤] يتخاصمون فيكم فيما كانوا يقولون في الدنيا.

وروي عنه عليه السلام أنّه قال له رجل خوّفني يابن رسول الله فإنّ قلبي قد قسا، فقال: استعد للحياة الطويلة فإنّ جبرائيل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسّم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل جئتني اليوم قاطباً فقال يا محمّد قد وضعت منافخ النار، قال: وما منافخ النار يا جبرائيل؟ فقال: يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ أمر النار فنفخ عليها ألف عام حتّى ابيضّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى احمرّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة، لو أنّ قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، وفي جهنّم واد يسمّى الفلق يوقد عليه ألف سنة لم يتنفّس فإذا تنفّس أحرق جميع النيران.

(١) حموة الألم: سورته.

فإن قلت ما وجه الجمع بين هذين الخبرين وذلك أنّ ظاهر قوله يفقدونكم فلا يرون منكم أحداً أنَّ لنار القيامة ضوءاً مثل هذه النيران وظاهر الحديث الثاني أنّها مظلمة ليس لها ضوء ويؤيّده ما روي من أنّ حطبها حجارة الكبريت فهي سواد في سواد.

قلت: قد روي أنّ للنار طبقات متعدّدة فلعلّ لكل طبقة منها حكم خاص من النور أو الظلمة، روي عن مولانا الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام أنّ الله جعل للنار سبع درجات، أعلاها الجحيم يقوم أهلها على الصفا منها تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية لظى نزّاعة للشوى تدعو من أدبر وتولّى وجمع فأوعى، والثالثة سقر لا تبقي ولا تذر لوّاحة للبشر عليها تسعة عشر، والرابعة الحطمة ومنها يثور شرر كالقصر كأنّها جمالات صفر تدق من صار إليها كالكحل فلا يموت الروح كلّما صار مثل الكحل عاد.

والخامسة الهاوية يدعون أهلها: يا مالك أغثنا فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد ماء يسيل من جلودهم كأنّه مهل، فإذا أتوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم من شدّة حرّها وهو قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار كلّما احترق جلده بدّل جلداً غيره.

والسادسة هي السعير فيها ثلاثمائة سرادق من نار في كلّ سرادق ثلاثمائة قصر من نار في كلّ قصر ثلاثمائة بيت من نار في كلّ بيت ثلاثمائة لون من العذاب من غير عذاب النار فيها حيّات من نار وعقارب وجوامع من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار وهو الّذي يقول الله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

والسابعة جهنّم وفيها الفلق وهو جبّ في جهنّم إذا فتح أسعر النار سعراً وهو أشد النار عذاباً، وأمّا صعود فجبل من صفر من نار وسط جهنّم، وعن مولانا زين العابدين عليه السلام أنّ النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنّم وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية. ويجوز أن يكون التفقد باعتبار الأصوات فإنّه قد روى الصدوق عن الباقر عليه السلام أنّ أهل النار يتعاوون فيها كما تتعاوى الكلاب والذئاب ممّا يلقون من أليم العذاب ما ظنّك بقوم

لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها من شيء عطاش فيها جياع كليلة أبصارهم بكم عمي مسودّة وجوههم خاسئين فيها نادمين مغضوب عليهم فلا يرحمون من العذاب ولا يخفّف عنهم وفي النار يسجرون ومن الحميم يشربون، ومن الزقّوم يأكلون وبكلاليب النار يحطمون وبالمقامع يضربون والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون فهم في النار يسجرون وعلى وجوههم يسحبون، ومع الشياطين يقرنون وفي الأنكال والأغلال يصفدون إن دعوا لم يستجب لهم وإن سألوا حاجة لم تقض لهم، هذا حال من دخل النار.

وبالجملة فالمخالفون إذا استقروا في النار تفقدوا أصوات الشيعة لمعرفتهم بهم في الدنيا فلا يرونهم ويجوز أن يكون التفقد في حال البرق فإنّ نار جهنّم فيها ظلمات ورعد وبرق وقد جاء به المثل القرآني في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩] على ما قيل، وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٨-٩] أنّ الأغلال إنّما جعلت في أعناقهم لترسب بهم في النار، وذلك أنّ لهب النار من شدته يرفعهم إلى فوق فاحتاجوا إلى الأغلال الحديد لثقلهم حتّى لا يطير بهم اللهب.

وأمّا السدّ فروي أيضاً أنّه يجعل من بين أيديهم سدّاً من حديد النار وكذلك من سائر جوانبهم ويضيّق المكان عليهم بالسدّ حتّى إنّه لا يسع أحدهم الجلوس إلّا محتبياً وهم عميان والنار معهم في ذلك المكان الضيّق، وحينئذٍ فيكون تفقد مثل هؤلاء للمؤمنين إنّما هو في حال ابتداء سقوطهم إلى جهنّم وهذه الأحوال الأُخر إنّما تعرض لهم على طول المدّة فهذا وجه جمع آخر لتلك الأخبار.

واعلم أنّ النار طبقات وتتفاوت مراتب شدّتها وعذابها بأعمال الداخلين إليها قال الصادق عليه السلام إنّ النواويس وهي طبقة من طبقات النيران شكت إلى الله عزّ وجلّ شدّة حرّها فقال عزّ وجلّ لها أسكني فإنّ مواضع القضاة أشدّ حرّاً منك.

أقول: وهذه النار على ما فيها من الألم قد جعل الله تعالى لها ما يطفئها.

روي أنّ الرجل إذا ذكر ذنبه وبكى من خشية الله تبادرت الملائكة تختطف تلك الدمعات وتجعلها في قدح من نور ويختم بخاتم من مسك فإذا كان يوم القيامة وحوسب صاحبها وزادت سيّئاته على حسناته فيذهب به إلى النار، فإذا أرادوا أن يلقوه فيها قال الله تعالى: لا تعجلوا على عبدي فإن له عندي وديعة فيؤمر بأن يؤتى

بتلك الدمعات فتصبّ على النار فتطفىء بحوراً من النيران وقال عليه السلام كلّ شيء له كيل أو وزن يوم القيامة إلّا البكاء من خشية الله تعالى فإنّ القطرة منه تطفىء بحاراً من النار، وبعض الناس قد يهوي في جهنّم ويخرج منها.

روي عن أميّة بن عليّ القيسي عن بعض من رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي يجوز النبيّ صلى الله عليه وآله الصراط ويتلوه عليّ ويتلو عليّاً عليه السلام الحسن عليه السلام ويتلو الحسن الحسين عليهما السلام فإذا توسطوه نادى المختار الحسين عليه السلام يا أبا عبد الله إنّي طالبت بثأرك فيقول النبيّ صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام أجبه فينقض الحسين عليه السلام في النار كأنّه عقاب كاسر فيخرج المختار حممة[1] ولو شقّ عن قلبه لوجد حبّهما في قلبه، والظاهر أنّ الضمير في حبّهما راجع إلى أبي بكر وعمر فيكون تعليلاً لدخول المختار النار وجوّز بعض الأفاضل أن يكونِ مرجعه الحسنين عليهما السلام فيكون كالتعليل لإخراجه من النار وهو بعيد جدّاً.

بقي الكلام في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، واختلف العلماء في معنى الورود على قولين: أحدهما: أنّ ورودها هو الوصول إليها والإشراف عليها لا الدخول بها.

وثانيهما: أنّ ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، فلا يبقى برّ ولا فاجر إلّا ويدخلها فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين.

وروي عن كثير بن زياد قال: اختلفنا في الورود فقال قوم: لا يدخلها مؤمن فقال آخرون: يدخلونها جميعاً ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢] فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأومى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلّا يدخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتّى إنّ للنار ضجيجاً من بردها ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

وفي الرواية عن الحسن عليه السلام أنّه رأى رجلاً يضحك فقال: هل علمت أنّك وارد النار؟ قال: نعم، قال: وهل علمت أنّك خارج منها؟ قال: لا قال: ففيم هذا الضحك؟ وقيل: إنّ الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أنّ الله تعالى لا

---

(١) الحممة: الرماد وكل ما احترق بالنار.

يدخل أحداً الجنّة حتّى يطلعه على النار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكمال لطفه وإحسانه إليه فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنّة ونعيمها، ولا يدخل أحداً النار حتّى يطلعه على الجنّة وما فيها من أنواع النعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة له على ما فاته من الجنّة ونعيمها.

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام إنّه لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في المسجد غشي عليه حيث إنّ الله لم يستثن أحداً فنظر الصحابة إليه وما علموا كيف الحال، فقالوا لسلمان إمض إلى فاطمة عليها السلام حتّى تأتي إلى أبيها، قال سلمان فمضيت إليها وأخبرتها فقالت يا سلمان كيف أخرج من البيت وليس لي ثياب قال: فنظرت وإذا في البيت بساط فوضعته على رأسها وبدنها وخرجت، قال سلمان فنظرت في البساط وإذا فيه أربع عشرة رقعة من الخوص، فقلت: وا عجباه بنات كسرى وقيصر يجلسن على الكراسي المذهبة وبنت رسول الله ليس لها إزار ولا ثياب، فقالت يا سلمان إنّ الله تعالى ذخر لنا الثياب والكراسي ليوم آخر، فلمّا أتت المسجد وضعت رأس النبيّ صلى الله عليه وآله في حجرها، فلمّا أحسّ بها قالت له ما الخبر؟ فقال: يا فاطمة أتاني جبرائيل بهذه الآية ولم يستثن أحداً، فبكيا طويلاً فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبراه الخبر فأتى إلى زاوية المسجد وجعل يحثو التراب على رأسه ويقول: ليت أمّي لم تلدني حتّى أسمع بهذه الآية، فصاح سلمان وضجّ الناس بالبكاء والعويل، فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمّد وإن منكم إلّا واردها إلّا عليّ وشيعته! ففرحوا بها ورجعوا إلى منازلهم.

نعم ورد الخلاف بين علمائنا رضوان الله عليهم في أنّ المؤمن الفاسق هل يدخل النار أم لا بعدما اتّفقوا على أنّه لا يخلّد فيها والحقّ أنّ الأخبار مختلفة كالأقوال، ففي الأخبار عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنّ من شيعتنا من تدركه شفاعتنا بعد أن يكون في النار ثلاثمائة الف سنة، وفي بعضها عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: لا يدخل النار منكم واحد، ويدل على مضمون كلّ واحد من الخبرين أخبار كثيرة يمكن الجمع بين الأخبار بحمل الداخلين على أهل درجة من درجات الإيمان الناقصة، وقوله عليه السلام لا يدخل النار منكم أحد على أهل الدرجات الكاملة، فإنّك عرفت أنّ للإيمان درجات كما أنّ للكفر درجات فهذا مجمل أحوال النار بقي الكلام في الجنّة[1] وفقنا الله وسائر المؤمنين للدخول إليها.

---

(١) كل ما ذكره المصنف رحمه الله في هذا الكتاب من تفاصيل الجنة والنار فقد جمعها من الأخبار=

. . . .

= الآحاد المتفرقة الواردة بعضها بطرقنا وبعضها بطرق أهل السنة كما يظهر من مضامينها ولم يذكر في الأغلب، كما يراه القارىء الكريم، مصادر الروايات وأسنادها واكتفى في بعضها بذكر اسم الراوي فقط ولا يجب للمكلف الاعتقاد بهذه التفاصيل إلا إذا حصل له العلم والقطع بها، فليسمح لي القارىء العزيز أن أقول توضيحاً للمرام أن أصول العقائد على قسمين: الأول ما هو من قبيل الواجب المطلق وغير مشروط بشيء أصلاً ويجب على جميع المكلفين الاعتقاد والتدين به وليس من شرطه حصول العلم به بل يجب على جميع المكلفين تحصيل العلم به فإن العلم من مقدمات الواجب المطلق كوجوب الاعتقاد والتدين بالمعارف الخمسة أعني التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد وتحصيل العلم بها وبعض العقائد الثابتة بالبراهين القطعية ولو إجمالاً أو بضرورة الشرع مثل جملة من الصفات الثبوتية وأنها عين الذات ونفي الجسمية والتركيب عن ذات الله تعالى شأنه. ومن هذا القبيل جملة من أوصاف النبي ﷺ والوصي عليه السلام كالعصمة والأفضلية على كافة الممكنات ومثل الاعتقاد على جملة من أمور المعاد كالموت والبرزخ وسؤال القبر والصراط والميزان وأمثالها على نحو الإجمال فيجب على جميع المكلفين في هذا القسم من أصول العقائد تحصيل العلم بها بالنظر والاجتهاد ولا يكفي فيها الظن أو التقليد لانفتاح باب العلم فيها على قاطبة المكلفين بالأدلة والبراهين القطعية من العقلية والنقلية ومن لم يحصل الاعتقاد القطعي في هذا القسم من الاعتقادات فهو مقصر خاطىء آثم وليس بمعذور نعم إن كان قاصراً من تحصيل الاعتقاد القطعي في هذا القسم ولم يتمكن من تحصيل العلم والقطع به مع بذل الوسع في ذلك فهل يجب عليه تحصيل الظن به أو لا؟ فتفصيله موكول إلى محله وقد حققه الشيخ الإمام الأنصاري رحمه الله في الرسائل فراجع. والقسم الثاني من العقائد ما هو من قبيل الواجبات المشروطة فإن حصل للمكلف العلم بها يجب الاعتقاد والتدين بها وإلا فلا. كبعض التفاصيل المتعلقة بالمعاد مثل العلم بحقيقة الصراط والميزان وأنه ميزان كموازين الدنيا أو أنه ميزان لمعيار الحسنات والسيئات أو أن ميزان كل شيء بحسبه. وكبعض التفاصيل المتعلقة بالجنة والنار كما شرحه وفصله المصنف رحمه الله في هذا الكتاب ومثل الاعتقاد ببعض كيفيات عذاب القبر وسؤاله وتفاصيل أحوال عالم البرزخ وكيفيات تنعم الأرواح وارتزاقهم عند ربهم أو عقابهم في البرزخ بالأبدان المثالية البرزخية وغيرها من التفاصيل المتعلقة بأمور الآخرة فإن حصل للمكلف طريق علمي بها وقطع بتلك التفاصيل ففي هذه الصورة يلحق هذا القسم الثاني بالقسم الأول وإذا لم يحصل له طريق علمي بها على سبيل الجزم والقطع إما لعدم وجدان دليل أو من جهة تعارض الأدلة وإجمالها فهل يجوز للمكلف تحصيل الظن بها والاكتفاء بالظن في وجوب التدين بها أولا؟ وهل يجوز له تقليد الغير في هذا القسم من العقائد أولا؟.
الحق أنه لا يجوز له في هذا القسم من العقائد الاكتفاء بالظن في وجوب التدين بها ولا يجوز له تقليد الغير فيها لأن المفروض عدم وجوب تحصيل العلم في هذا القسم من العقائد ولم =

نور في الجنّة وبعض ما فيها

اعلم وفّقك الله تعالى أنّ كلّ ما سمعت من أخبار الجنّة وأوصافها فهي فوقه بمراحل وهي التي قال فيها الأنبياء عليهم السلام كلّ شيء سماعه أحسن من عيانه وأعظم إلّا الجنّة فإنّ عيانها أعظم من سماعها وما يصف الواصف منها، وفي الروايات أنّ أقلّ ما يعطى المؤمن منها ما يقابل الدنيا. وفي خبر بلال الطويل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إنّ سور الجنّة لبنة من ذهب ولبنة من فضّة ولبنة من ياقوت، وملاطها المسك الأذفر وشرفها الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر.

قال: قلت فما أبوابها قال: إنّ أبوابها مختلفة باب الرحمة من ياقوتة حمراء، قال له الراوي فما حلقته؟ قال: اكتب سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أمّا باب الصبر فباب صغير مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له، وأمّا باب الشكر فإنّه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان مسيرة ما بينهما مسيرة خمسمائة عام له ضجيج وحنين يقول: اللّهمّ جئني بأهلي، قال: قلت هل يتكلّم الباب؟ قال: نعم ينطقه الله ذو الجلال والإكرام.

وأمّا باب البلاء قلت أليس باب البلاء هو باب الصبر؟ قال: لا قلت: فما البلاء؟ قال: المصائب والأسقام والأمراض والجذام وهو باب من ياقوتة صفراء مصراع واحد ما أقلّ من يدخل فيه، قلت: يرحمك الله زدني وتفضّل عليّ فإنّي فقير فقال: وأمّا الباب الأعظم فيدخل منه الصالحون وهم أهل الزهد والورع والراغبون إلى الله عزّ وجلّ المستأنسون به، قلت: إذا دخلوا الجنّة فماذا يصنعون؟ قال: يسيرون على نهرين في ماء صاف في سفن الياقوت مجاذيفها اللؤلؤ فيها ملائكة من نور عليهم ثياب خضر شديدة خضرتها.

= يثبت التكليف بوجوب التدين بهذا القسم على الاطلاق بل ذلك مشروط بحصول العلم وما دام أنه فاقد للشرط لم يكن تكليف بالمشروط فكيف يجوز أن يقال بوجوب الاعتقاد والتدين في هذا القسم بمجرد الظن أو التقليد والعمل به في أصول العقائد ولا دليل قطعي لنا يفيد حجية الظن أو التقليد في هذه الصورة مخرج عن حرمة العمل بالظن والتقليد فأنت أيها القارىء الكريم إذا عرفت ما ذكرنا تعرف حال ما ذكره المصنف رحمه الله في هذا المقام من تفاصيل الجنة والنار بل يتضح لك حال كل ما ذكره في هذا الكتاب من المطالب الراجعة إلى أصول الدين وفروع الأصول فإن مما ذكره ما هو داخل في القسم الأول ومنه ما هو داخل في القسم الثاني فعليك بالتأمل في تشخيص القسمين من كلماته.

قلت: هل يكون من النور أخضر قال: إنّ الثياب خضر ولكن فيها نور من نور رب العالمين ليسروا على حافتي ذلك النهر، قلت: فما اسم ذلك النهر؟ قال: جنّة المأوى، قلت: هل وسطها غيرها؟ قال: نعم جنّة عدن وهي في وسط الجنان، وأمّا جنّة عدن فسورها ياقوت أحمر وحصاها اللؤلؤ، قلت: فهل فيها غيرها؟ قال: نعم جنّة الفردوس، قلت: كيف سورها؟ قال: سورها نور، قلت: الغرف التي فيها؟ قال: هي من نور رب العالمين(١).

وروى شيخنا الكليني قدّس الله روحه بإسناده إلى مولانا الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: سأل عليّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ [الزمر: ٢٠].

بماذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله؟ فقال: يا عليّ تلك غرف بناها الله لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد سقوفها الذهب محبوكة بالفضّة لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب، على كل باب منها ملك موكّل به وفيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والعنبر والكافور، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، فإذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنّة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة وأُلبس حلل الذهب والفضّة والياقوت والدرّ منظومان في الإكليل تحت التاج وأُلبس سبعين حلّة حرير بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضّة واللؤلؤ والياقوت الأحمر وذلك قوله: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [الحج: ٢٣]، فإذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً، فإذا استقرت بوليّ الله منازله في الجنّة استأذن عليه الملك الموكّل بجنانه ليهنّيه بكرامة الله إيّاه فيقول له خدّام المؤمن ووصفاؤه مكانك فإنّ وليّ الله قد اتّكى على أريكته وزوجته الحوراء العيناء قد ذهبت إليه فاصبر لوليّ الله حتّى يفرغ من شغله.

قال فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها وصفاؤها وعليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد قد صبغن بمسك وعنبر وعلى رأسها تاج الكرامة وفي رجليها نعلان من ذهب مكلّلان بالياقوت واللؤلؤ شراكهما ياقوت أحمر، فإذا دنت من وليّ الله وهمّ أن يقوم إليها شوقاً تقول يا وليّ الله ليس هذا يوم

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٩٥ باب الأذان والإقامة.

تعب ولا نصب فلا تقم أنا لك وأنت لي فيعتنقان قدر خمسمائة عام من أعوام الدنيا لا تملّه ولا يملها، قال: فينظر إلى عنقها فإذا عليها قلادة من قصب ياقوت أحمر وسطها لوح مكتوب أنت يا وليّ الله حبيبي وأنا الحوراء حبيبتك إليك تتأهّب نفسي وإليّ تتأهّب نفسك.

ثمّ يبعث الله ألف ملك يهنّونه بالجنّة ويزوّجونه الحوراء، قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه، فيقولون للملك الموكّل بأبواب الجنان استأذن لنا على وليّ الله فإنّ الله بعثنا مهنّئين له، فيقول الملك حتّى أقول للحاجب فيعلم مكانكم، قال: فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أوّل باب، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين جاؤوا يهنّون وليّ الله وقد سألوا أن يستأذن لهم عليه فيقول الحاجب إنّه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على وليّ الله وهو مع زوجته قال: وبين الحاجب وبين وليّ الله جنتان فيدخل الحاجب على القيّم فيقول له: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين يهنّون وليّ الله فأعلموه مكانهم، قال فيعلمونه الخدام مكانهم.

قال: فيؤذن لهم فيدخلون على وليّ الله وهو في الغرفة ولها ألف باب وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به فإذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله فتح كل بابه الّذي وكل به فيدخل كل ملك من باب من أبواب الغرفة فيبلّغونه رسالة الجبّار، وذلك قول الله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣] يعني من أبواب الغرفة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، وذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] يعني بذلك وليّ الله وما هم فيه من الكرامة والنعيم والملك العظيم وأنّ الملائكة من رسل الجبّار ليستأذنون عليه فلا يدخلون عليه إلّا بإذنه فذلك الملك العظيم، أقول وقد روي أيضاً في تفسير الملك العظيم أنّ أدنى أهل الجنّة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام.

واعلم أنّ لذّات الجنّة أنواع:

الأوّل: محبّة الله تعالى إيّاهم ورضاؤه عنهم فقد جعله سبحانه أعظم من كلّ لذات الجنّة حيث قال بعدما عدد نعم الجنّة: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] يعني أنّ رضاء الله عنهم أعظم من كل ما في الجنّة من اللّذات، وهذه اللّذة لا يدركها كلّ أحد وإنّما يدركها الأولياء كما سبق في أحوال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

الثاني: لذة النكاح وقد ورد في الروايات أنّ الله تعالى أدنى ما يعطي المؤمن سبعين ألف حوراء لو طلعت واحدة منهنّ إلى الدنيا لأشرقت لها ولمات الناس من الشوق إليها، وأنّ الحوراء إذا ضحكت يعلو نور أسنانها حيطان الجنّة وأشجارها وأنّها تلبس سبعين حلّة ويرى مخ ساقها من تحت الحلل وأنّ الواحدة منهن لها ألف وصيفة مقنعة كل وصيفة منهن تعادل قيمة الدنيا وما فيها من الأموال، وأنّ الحوراء كلّما جامعها زوجها عادت بكراً وذلك كما قال عليه السلام إنّ أبدانهن من المسك والعنبر وليس فيه مدخل إلاّ للإحليل فإذا خرج الذكر عاد إلى ما كان عليه من الالتئام.

فإن قلت قد ورد في الأخبار ما يتضمّن من صفات حور العين أموراً لا تقبلها الطباع البشرية مثل كون الحوراء لها سبعون ألف ذؤابة وأنّ بدنها في غاية العظمة والكبر، وما روي من أنّ الحوراء العيناء استدارة عجيزتها ألف ذراع(١) وفي عنقها ألف قلادة من الجوهر بين كل قلادة إلى قلادة ألف ذراع ونحو ذلك، قلت: هذه النشأة لا تقاس على تلك النشأة وأمور الجنّة لا تقاس على أمور الدنيا والله تعالى هو الّذي يزيّن المرأة ويحسنها في نظر زوجها فيكون الله تعالى يري المؤمن زوجته على أحسن هيئة وأزينها وإن كانت بتلك الصفات مع أنّ تلك الصفات حسنة أيضاً بالنظر إلى أمور الآخرة كما تقدّم.

الثالث: المطعومات وطعام الجنّة كلّ لون منه له ألف طعم وكذلك ثمارها وفي الرواية أنّ طوبى شجرة في الجنّة أصلها في بيت أمير المؤمنين عليه السلام وفي كلّ منزل من منازل الشيعة غصن من أغصانها وفي ذلك الغصن جميع أنواع الثمار فإذا خطر بخاطر المؤمن إرادة رمّانة من الرمان مثلاً تدلّى ذلك الغصن إلى قربه وتكلّم الرمان وقالت كلّ واحدة منه كلني يا وليّ الله فتأتي إليه واحدة منهنّ فإذا أكلها ارتفع القشر إلى مكانه فصار رمّانة فثمارها لا تنقص أبداً.

وقد شبّه مولانا الصادق عليه السلام هذا بالسراج في الدنيا فإنّه لو أخذ منه ألف سراج لم ينقص من ناره وضوئه شيء، وروي أنّ أهل الجنّة يقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا وأكلهم وجماعهم، فإذا أكل ما شاء سقي شراباً طهوراً فيذهب ما أكل ويصير عرقاً كالمسك يرشح من بدنه فتضمر بطنه وتعود شهوته وهو المراد من طهور

(١) ليت المصنف رحمه الله كان ذاكراً في حق بعض هذه الأخبار احتمال الوضع والدس من المعاندين للإسلام.

الشراب في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] أي مطهّراً لما في بطونهم من الطعام ومذهباً له.

الرابع: فرح القلب وسروره وزوال الهمّ عنهم والغمّ فهو أعظم لذة حتّى إنّه روي أنّ الجنّة تقول يوم القيامة وعدتني أن تملأني ووعدت النار أن تملأها وملأت النار وها أنا لم تملأني فيخلق الله تعالى خلقاً من أرض القيامة ويدخلهم الجنّة، قال الصادق عليه السلام طوبى لهم لم يروا من همّ الدنيا ولا غمّها شيئاً، فإن قلت كيف استحقّ هؤلاء الجنّة مع عدم عمل صدر منهم استحقّوا به الجنّة، قلت: لأنّ الله تعالى يخلقهم وهم على أعمار الأربعة عشر لم يبلغوا الحنث حتّى يدخلوا تحت التكليف.

الخامس: الاجتماع مع الأحباب قال الله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فالأحباب يجتمعون في منازلهم ويجلس كلّ واحد منهم على سرير مرصع بالجواهر فإذا قضوا الصحبة والمسامرة ركب كل واحد منهم فرساً من أفراس الجنّة لها جناحان فتطير به إلى منازله فهم يتزاورون على هذه الحالة وأمّا أصدقاؤهم في الدنيا وأحبّاؤهم الّذين استحقّوا النار فقال الصادق عليه السلام إنّ الله تعالى ينسيهم إيّاهم حتّى لا يغتمّوا لهم ولفراقهم وبالجملة فلذة العمر المجالسة مع الأحباب حتّى إنّه روي أنّ المرأة في الدنيا إذا تزوّجت زوجين أو أكثر أُعطيت في الجنّة لأشدّهما حبّاً معه في الدنيا.

السادس: المنازل والأمكنة المزيّنة بأنواع الزينة من الغرف التي يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، مشبّكة بالفضّة والذهب وسائر المعادن، وروي في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١]، أنّ الله سبحانه قد بنى لكلّ إنسان بيتين أحدهما في الجنّة والآخر في النار، فالمؤمن بسبب إيمانه استحق منزله في الجنة بالأصل ومنزل مخالف من المخالفين بالميراث وكل واحد من المخالفين استحقّ في النار منزلين أحدهما ما له بالأصالة والآخر ما وصل إليه بالميراث من منازل المؤمنين فالمؤمنون قد ورثوا الفردوس والمخالفون قد ورثوا منازل النار، وقد روي أنّ كل بيت في الجنّة له غرفة مشرفة على النار حتّى إذا فتح بابها نظر إلى أهل النار وتعذيبهم فيها فيراهم بهذه الحالات ويرى نفسه بتلك الحالات.

السابع: أنواع الطرب وأعظم أنواعه الغناء، روي أنّ أعرابياً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله

فقال يا رسول الله ذكرت في الجنّة كلّ شيء فأين الغناء؟ فقال: «نعم يا أعرابي إنّ في شجرها أجراساً معلّقة، إذا ضرب واحد منها خرجت منه نغمات لو أنّ أهل الدنيا سمعوا نغمة منها لماتوا من الشوق والطرب، وفي مجالس طربهم من الولدان الحسان ما لا يحصى وهم يخدمونهم في مجالسهم كما قال سبحانه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]، قال جماعة من المفسّرين إنّما شبّههم بالمنثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفاً لشبّهوا بالمنظوم، وقيل إنّما شبّههم به من جهة الصفاء وحسن المنظر والكثرة وفي يد كل واحد من الأولاد قدح من الشراب الطهور ليشربه أهل المجلس رزقنا الله وإيّاكم بمنّه وكرمه إنّه رحيم كريم وفي شجرها طيور تصوت بالتسبيح والتقديس لا يقدر أهل الدنيا على سماعها.

وأمّا أنهارها فلا يقدر القادرون على وصفها، وفي الروايات أنّ فيها نهراً وفيه لبن وعسل وخمر يجري كلّ واحد على خطّ مستوٍ لا يمتزج أحدها بالآخر وفيها نهر اسمه رجب خلقه الله تعالى لمن صام شهر رجب، وفي الحديث أنّ بها نهراً اسمه خير فإذا قال الرجل لصاحبه جزاك الله خيراً فمعناه سقاك الله من ذلك النهر الذي اسمه خير.

وروي عن النبيّ عليه السلام قال عرض عليّ الجنّة ليلة المعراج فرأيت فيها أربعة أنهار ماء ولبن وعسل وخمر، فسألت جبرائيل عليه السلام عنها من أين تجيء وإلى أين تذهب؟ فقال: آخرها يذهب إلى الحوض الكوثر، وأمّا أوّلها فلا أدري فسل الله تعالى حتّى يخبرك به فدعوت الله تعالى وسألته فإذا ملك سلّم عليّ وقال لي: ضم عينيك فضممت ساعة، فقال: افتح ففتحت فإذا أنا بشجرة تحتها قبّة من درّة بيضاء لبابها مصراعان من ياقوتة خضراء، وقفل من ذهب لو اجتمع جميع الإنس والجن فوقها لكانوا كطائر فوق جبل فأردت أن أرجع فقال الملك: لم لم تدخل القبّة؟ قلت لأنّ بابها مغلق، قال: لم لم تفتح؟ قلت: ليس عندي مفتاحه، فقال: مفتاحه بسم الله الرحمٰن الرحيم فلمّا قلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم انفتح فدخلت فرأيت بسم الله الرحمٰن الرحيم مكتوباً في وسط جدرانها على التدوير واقعاً ميم بسم في زاوية وهاء الله في زاوية أُخرى وميم الرحيم في زاوية أُخرى ونون الرحمن في زاوية أخرى يخرج من الأوّل نهر الماء، ومن الثاني نهر اللبن ومن الثالث نهر الخمر ومن الرابع نهر العسل فسمعت هاتفاً يقول: يا محمّد من ذكرني بهذه الأسماء وقال: بسم الله الرحمٰن الرحيم خالصاً مخلصاً سقيته من هذه الأنهار الأربعة.

ومن فوائد هذه الكلمة ما روي أنّ شيطاناً سميناً لقي شيطاناً مهزولاً فقال: لم صرت مهزولاً؟ فقال: إنّي مسلّط على رجل إذا أكل يقول: بسم الله وإذا شرب يقول: بسم الله وإذا أتى أهله يقول: بسم الله فحرمت المشاركة فيها فصرت مهزولاً، ثمّ قال للسمين وأنت لم صرت سميناً؟ قال: إني مسلّط على رجل غافل عن التسمية يدخل بيته غافلاً عنها ويخرج منه غافلاً ويأكل غافلاً ويشرب غافلاً ويأتي أهله غافلاً فشاركته فيها كما قال الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وبالجملة فأنهار الجنّة عجيبة الوصف وكلّها تجري على وجه الأرض من غير أخدود مرتفعة على وجه الأرض تمسكها القدرة الإلٰهيّة، وسئل عليه السلام عن أنهار الجنّة كم عرض كلّ نهر منها فقال: عرض كل نهر منها مسيرة خمسمائة عام يدور تحت القصور والحجب تتغنّى أمواجه وتسبّح وتطرب في الجنّة كما تطرب الناس في الدنيا. وقال عليه السلام: أكثر أنهار الجنة الكوثر تنبت الكواعب الأتراب عليه يزور أولياء الله يوم القيامة، وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: للرجل الواحد من أهل الجنّة سبعمائة ضعف من الدنيا وله سبعون ألف قبة وسبعون ألف قصر وسبعون ألف حجلة وسبعون ألف إكليل وسبعون ألف حلّة وسبعون ألف حوراء عيناء وسبعون ألف وصيف وسبعون ألف وصيفة على كلّ وصيفة سبعون ألف ذؤابة وسبعون ألف إكليل وسبعون ألف حلّة.

الثامن: العلم بالخلود في الجنّة من غير موت ولا انتقال قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨] فإن قيل: ما معنى هذين الاستثناءين ومتى يكون وقتهما؟ قلت: ذكر المحقّقون من المفسّرين أنّ هذا الموضع من المواضع المخصوصة بالإشكال في القرآن والإشكال فيه من وجهين: أحدهما: تحديد الخلود بمدّة دوام السمٰوات والأرض، والآخر معنى الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] الأول فيه أقوال:

الأول: أنّ المراد سماء الآخرة وأرضها وهما لا يفنيان بعد الإعادة عن الضحاك والجبائي. **الثاني**: أنّ المراد بالسمٰوات والأرض الجنّة والنار وأرضهما فإن كلّ ما علاك فهو سماء وكلّ ما أقلّك فهو أرض، **الثالث**: أنّ المراد التبعيد فإنّ للعرب ألفاظاً للتبعيد في معنى التأبيد يقولون لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما ذرّ

شارق ونحو ذلك ويريدون به التأبيد لا التوقيت. وأمّا الثاني وهو الكلام في الاستثناء فقد اختلف فيه أقوال العلماء على وجوه:

أحدها: إنّه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنّة، والتقدير إلّا ما شاء ربّك من الزيادة على هذا المقدار، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] فإنّ الضمير في قوله «فيه» كما قال بعض المحقّقين راجع إلى المضاعف لا إلى أصل العذاب وهذا الوجه منقول عن الزجاج والفرّاء.

وثانيها: أنّ الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لأنّهم حينئذٍ ليسوا في جنّة ولا نار والاستثناء كما يكون باعتبار الآخر يكون باعتبار الأوّل ونقل هذا عن المازني.

وثالثها: أنّ الاستثناء الأوّل يتّصل بقوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] وتقديره إلّا ما شاء ربّك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين وفي أهل الجنّة يتّصل بما دلّ عليه الكلام فكأنّه قال لهم فيها نعيم إلّا ما شاء ربّك من أنواع النعيم، وإنّما دلّ عليه قوله ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود: ١٠٨] ونقل هذا عن الزجّاج.

ورابعها: أنّ المراد بالّذين شقوا من أُدخل النار من أهل التوحيد الّذين فعلوا المعاصي فقال سبحانه إنّهم يعاقبون في النار إلّا ما شاء ربّك من إخراجهم إلى الجنّة وأمّا من أهل الجنّة فهو استثناء من خلودهم أيضاً لأنّ من انتقل من النار إلى الجنّة وخلّد فيها لا بد فيها من الإخبار بتأبيد خلوده أيضاً من استثناء ما تقدّم فكأنّه قال خالدون فيها إلّا ما شاء ربّك من الوقت الّذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنّة، ونقل هذا عن ابن عبّاس وجماعة من المفسرين.

وخامسها: أنّ تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج أنّ الله لا يشاء إلّا تخليدهم على ما حكم به فكأنّه تعليق لما يكون بما لا يكون لأنّه لا يشاء أن يخرجهم منها.

وسادسها: أنّ المعنى أنّهم خالدون في النار دائمون فيها مدّة كثيرة كونهم في القبور ما دامت السمٰوات والأرض في الدنيا، وإذا فنيتا وعدمت انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ﴾ [هود: ١٠٧] استثناء وقع على ما يكون في الآخرة، وهذا أورده الشيخ أبو جعفر الطوسي تغمّده الله برحمته وقال: ذكره قوم من أصحابنا في التفسير.

وسابعها: أنّ المراد إلاّ ما شاء ربّك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لأهل التوحيد، وقد قيل فيه وجوه أُخرى والكلّ لا يخلو من تكلّف، والأولى ما روي في أخبار الأئمّة الطاهرين عليهم السلام من أنّ هذه الآية وما ذكر فيها من الجنّة والنار منزّلة على جنة الدنيا وهي وادي السلام وعلى نارها وهي برهوت، والمعنى أنّ من شقي إذا مات دخل تلك النار وخلّد فيها فهو خالد فيها ما دامت هذه السمٰوات وهذه الأرض إلّا ما شاء الله وهو إخراجهم من تلك النار في زمن مولانا المهدي عليه السلام حتّى يعذّبهم بنوع آخر من العذاب في هذه الدنيا وكذلك الكلام في الجنّة فإنّ المؤمنين بعد الموت مخلدون في وادي السلام ما دامت السمٰوات والأرض إلّا ما شاء الله أن يخرجهم منها إلى نعيم آخر وهو أيضاً في عصر المهديّ عليه السلام فإنّه يخرجهم من ذلك النعيم إلى نعيم آخر في الدنيا كما تقدّم من أنّهم يكونون ولاة على البلدان من قبله عليه السلام وينكحون النساء في زمنه أيضاً، ويعيش الرجل منهم ألف سنة يولد له في كلّ سنة ولد ذكر إلى غير ذلك وعلى هذا فلا تكلّف في شيء من الوجهين.

وأمّا خلود أهل جنّة الآخرة فلا يعرض له تغيير ولا تبديل إلّا بالزيادة، روي أنّ الله تعالى يبعث كل يوم لكلّ واحد من المؤمنين حوراء قد فاق حسنها على ما عنده من الحوريات إلى غير ذلك من الهدايا كإرسال الملائكة كلّ يوم، بأن يبلغوا سلام الله تعالى إليهم مع سلام الملائكة عليهم كما قيل في قوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، فقال جماعة من المفسّرين إنّ ذكر المؤمنين في الجنّة أن يقولوا سبحانك اللّهمّ يقولون ذلك لا على وجه العبادة لأنّه ليس هناك تكليف بل يلتذّون بالتسبيح.

وقيل: إنّه إذا مر بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠] فيأتيهم الطير فيقع مشوّياً بين أيديهم وإذا قضوا منه الشهوة قالوا: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] فيطير الطير حيّاً كما كان فيكون مفتتح كلامهم في كلّ شيء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد ويكون التسبيح في الجنّة بدل التسمية في الدنيا ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠] أي: تحيّتهم من الله سبحانه في الجنّة سلام، وقيل: معناه تحيّة بعضهم لبعض أو تحيّة الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليكم أي سلمتم من الآفات والمكاره التي ابتلي بها أهل النار، وقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وليس المراد أن يكون ذلك آخر

كلامهم حتّى لا يتكلّموا بعده بشيء بل المراد أنّهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه فيكون الابتداء في الحمد كما عرفت من قول آدم عليه السلام لمّا دخلت فيه الروح الحمد لله ربّ العالمين عندما عطس والاختتام في كلام أهل الجنّة بالحمد.

وروى شيخنا ابن بابويه بإسناده إلى مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله دخلت الجنّة فرأيت أكثر أهلها البله قال: قلت له ما الأبله؟ فقال: العاقل في الخير الغافل عن الشرّ الّذي يصوم في كلّ شهر ثلاثة أيّام.

أقول: قد ورد هذا الحديث خالياً عن التفسير في مواضع أُخرى مثله قوله صلى الله عليه وآله إنّ أكثر أهل الجنة البله أنّ أقل ساكني الجنّة النساء والأبله في اللغة الناقص العقل وفسره بعضهم بأنّ المراد بهم من لا ريبة في قلوبهم ولا غائلة في دخائلهم فهم بله عن الشرّ لا يستعملونه، ويمكن الجمع إمّا بحمل المطلق على المقيّد أو على أنّ التفسير راجع إلى الفرد الأكمل فإنّ من كان غافلاً عن الشرّ يسمّونه أهل الدنيا أبله في اصطلاحهم، وحينئذٍ فلا ينافي إرادة غيره من ناقص العقل وغيره.

وأمّا قوله صلى الله عليه وآله إنّ أقل ساكني الجنّة النساء، وفقد روي عنهم عليهم السلام أيضاً أنّ أهل الجنّة النساء والصبيان، ووجه الجمع أنّ مراتب الجنان متفاوتة الدرجات كالنيران فيجوز أن تكون الأقلية بالنسبة إلى أعالي درجاتها وذلك لأنّ النساء ناقصات العقول ناقصات الأديان فتكون درجاتهنّ في الجنّة ناقصة أيضاً بالنسبة إلى الرجال ويجوز أن يراد من النساء والصبيان في قولهم عليهم السلام أنّ أكثر أهل الجنّة النساء والصبيان حور العين والولدان فإن المؤمن يعطى منهما ثمانين ألفاً وثمانين ألفاً وروى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى مولانا الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي يسقط من المائدة مهور حور العين.

أقول: المائدة كما في كتب اللغة أتى تارة بمعنى الطعام وأُخرى بمعنى الخوان أو على غيره، وكذا الساقط من الخوان على الأرض أو على غيرها إذا أكله المؤمن وعظَّم نعمة الله تعالى كان ثوابه حور العين.

نعم قد روي في صحيفة الرضا عليه السلام أنّ ما يسقط من الخوان مهور الحور، فيمكن حمل ما هنا عليه بإرادة الخوان من المائدة لأنّه أحد معانيها، وعلى التقديرين فهل يترتّب هذا الثواب على أكل الكلّ أو البعض كلّ محتمل والأظهر أنّ كلّ حبّة من ذلك الحب الساقط مهر واحدة من الحور العين.

فإن قلت: إذا خلّد أهل الجنّة في جنانهم وأهل النار في نيرانهم فما يكون حال هذا العالم بعدهم؟ قلت: قد روينا بإسنادنا إلى جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥] فقال: يا جابر تأويل ذلك أنّ الله عزّ وجلّ إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنّة بالجنّة وأهل النار بالنار جدّد الله عالماً غير هذا العالم وجدّد خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلّهم، لعلّك ترى أنّ الله عزّ وجلّ إنّما خلق هذا العالم الواحد، وترى أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في أواخر تلك العوالم، وأولئك الآدميين.

ولنختم الكتاب هنا حامدين ومصلّين على النبي صلى الله عليه وآله قد فرغ من مشقة تأليفه العبد المذنب الجاني نعمت الله الحسيني الجزائري يوم الثلاثاء خامس عشر شهر رمضان المبارك سنة التاسعة والثمانين بعد الألف كتب هذه الأحرف مؤلّفه المزبور حامداً مصلّياً على النبيّ صلى الله عليه وآله تمّ وكمل.

خاتمة في مجمل أحوال مؤلف هذا الكتاب
وهو نعمت الله الحسيني الجزائري

اعلم أطال الله بقاءك أنّ مولد الفقير هو سنة خمسين بعد الألف وسنة تأليف هذا الكتاب هي السنة التاسعة والثمانون بعد الألف فهذا العمر القليل قد مضى منه تسعة وثلاثون سنة فانظر إلى ما أصاب صاحبه من المصائب والأهوال، ومجمل الأحوال هو أنّه لمّا مضى من أيّام الولادة خمس سنين وكنت مشغوفاً باللهو واللعب الذي يتداوله الأطفال فكنت جالساً يوماً مع صاحب لي ونحن في بعض لعب الصبيان إذ أقبل إليّ المرحوم والدي، فقال لي: يا بنيّ امض معي إلى المعلّم وتعلم الخطّ والكتابة حتّى تبلغ درجة الأعلام، فبكيت من هذا الكلام وقلت هذا شيء لا يكون فقال لي إنّ صاحبك هذا نأخذه معنا ويكون معك يقرأ عند المعلّم، فأتى بنا إلى المكتب وأجلسنا فيه فقرأت أنا وصاحبي حروف الهجاء، فأتيت اليوم الآخر إلى والدتي وقلت لها ما أريد المكتب بل أريد اللعب مع الصبيان، فحدثت والدي فما قبل منها فأيست من قبوله، فقلت ينبغي أن أجعل جدّي وجهدي في الفراغ من قراءة المكتب، فما مضت أيّام قلائل حتّى ختمت القرآن وقرأت كثيراً من القصائد والأشعار في ذلك الوقت وقد بلغ العمر خمس سنين وستّة أشهر.

فلمّا فرغت من قراءة القرآن جئت إلى والدتي وطلبت منها اللعب مع الصبيان فأقبل إليّ والدي تغمّده الله برحمته وقال لي: يا ولدي خذ كتاب الأمثلة وامض معي إلى رجل يدرّسك فيها فبكيت فأراد إهانتي وأخذني إلى رجل أعمى لكنّه كان قد أحكم معرفة الأمثلة والبصرويّة وبعض الزنجانيّ فكان يدرّسني وكنت أقوده بالعصا وأخدمه وبالغت في خدمته لأجل التدريس، فلمّا قرأت الأمثلة والبصرويّة وأردت قراءة الزنجانيّ انتقلت إلى رجل سيّد من أقاربنا كان يحسن الزنجانيّ والكافية، فقرأت عليه وفي مدّة قراءتي عنده كان يأخذني معه كلّ يوم إلى بستانه ويعطيني منجلاً ويقول لي يا ولدي حشّ هذا الحشيش لبهائمنا فكنت أحشّ له وهو جالس يتلو عليّ صيغ الصرف والإعلال والإدغام فإذا فرغت شددت الحشيش حزمة كبيرة وحملته على رأسي إلى بيته وكان يقول لي لا تخبر أهلك بهذا، فلمّا مضى فصل الحشيش وأقبل فصل رود الإبريسم فكنت كلّ يوم أحمل له حزمة من خشب التوت حتّى صار رأسي أقرعاً فقال لي والدي رَحِمَهُ الله ما لرأسك فقلت لا أعلم فداواني حتّى رجع شعر رأسي إلى حالته.

فلمّا فرغت من قراءة الزنجانيّ وأردت قراءة الكافية قصدت إلى قرية تسمّى كارون ونحن في قرية يقال لها الصباغية في شطّ المدك، فقرأت في تلك القرية عند رجل فاضل وأقمت عندهم، فكنت يوماً في المسجد فدخل علينا رجل أبيض الثياب عليه عمامة كبيرة كأنّها قبّة صغيرة وهو يري الناس أنّه رجل عالم فتقدّمت إليه وسألته بصيغة من صيغ الصرف فلم يرد الجواب وتلجلج فقلت له: إذا كنت لا تعرف هذه الصيغة فكيف وضعت على رأسك هذه العمامة الكبيرة؟! فضحك الحاضرون وقام الرجل من ساعته وهذا هو الّذي شجّعني على حفظ صيغ الصرف وقواعده وأنا أستغفر الله من سؤال ذلك الرجل المؤمن لكنّي أحمد الله على وقوع ذلك قبل البلوغ والتكاليف، فبقيت هناك كم من شهر ومضيت إلى شطّ يقال له نهر عنتر لأنّي سمعت أنّ رجلاً عالماً وقد كان أخي المرحوم المغفور الفاضل الصالح الورع السيّد نجم الدين يقرأ عنده.

فلمّا وصلت إليه لقيت أخي راجعاً من عنده فرجعت معه إلى قريتنا ثمّ قصدت قرية يقال لها شطّ بني أسد للقراءة على رجل عالم كان فيها فبقيت هناك مدّة مديدة ثمّ رجعت إلى قريتنا فمضى أخي المرحوم وكان أكبر منّي إلى الحويزة، فقلت لوالدي إنّي أريد السفر إلى أخي إلى الحويزة لأجل طلب العلم فأتى بي إلى شطّ

سحاب وركبنا في سفينة واتينا من طريق ضيق قد أحاط به القصب من الجانبين وليس فيه متّسع إلّا للسفينة وكان الوقت حارّاً وهاج علينا من ذلك القصب بق كلّ واحدة منها مثل الزنبور وأين ما لدغ ورم موضعه ذلك الطريق اسمه طريق الشريف وفي ذلك الطريق الضيّق رأينا جماعة من أهل الجاموس فقصدناهم وكنّا جياعاً فخرجنا عليهم وقت العصر وفرش لنا صاحب البيت فراشاً فصار وقت المغرب، فلمّا صلّينا صرنا في انتظار العشاء وما جاء لنا بشيء حتّى أتى وقت النوم واشتدّ جوعنا وأخذنا النوم فنمنا جياعاً فلمّا بقي من الليل بقيّة قليلة جاء صاحب البيت إلى قربنا وشرع ينادي جاموسه ويقول يا صبغا ويا قرحاء هاي، فلمّا رفع صوته وسمعت الجاموس ذلك الصوت أقبلن إليه من بين القصب فلمّا خرجن إليه سألت واحداً منهم ما يريد هذا الرجل من هذا الجاموس؟ فقال: يريد أن يحلبهنّ ويبرد الحليب ويطبخ لكم طعاماً من الحليب والأرز، فقلت إنا لله وإنّا إليه راجعون، وأخذني النوم فلمّا قرب الصباح أتى بقصعة كبيرة وأيقظنا فلم نر على وجه تلك القصعة شيئاً من الأرز، فمددنا أيدينا فيها إلى المرافق فوقعنا على حبات منه في قعر تلك الجفنة وشربنا من ذلك الحليب ويا لها من ليلة ما أطولها وما كان أجوعنا فيها خصوصاً لمّا شربنا من هذا الحليب.

فركبنا بعد طلوع الشمس وأتينا إلى الحويزة وقد كان أخي قبلي ضيفاً عند رجل من أكابرها ويقرأ في شرح الجامي عند رجل من أفاضلها فتشاركنا في الدرس وبقينا نقرأ عنده في شرح الجار بردي على الشافية، وهذا الأستاذ أيضاً رَحِمَهُ اللهُ تعالى قد استخدم علينا كثيراً واسمه الشيخ حسن بن سبتي وكان قد عيّن على كلّ واحد منّا أنّا إذا أردنا قضاء الحاجة أو البول ومضينا إلى جرف الشطّ أن يأتي كلّ واحد منّا معه بصخرتين أو آجرتين من قرب قلعة الترك، فربّما ترددنا في اليوم إلى الشطّ مراراً وهذا حالنا فلمّا اجتمع عنده صخر كثير أراد أن يبني منزله فطلب وكنّا نحن العملة فبنينا له ما أراد بناءه من البيوت وإذا مضينا معه إلى الحويزة العتيقة وأردنا الرجوع قال: يا أولادي تمضون وتمشون من غير حمل؟ فكان يطلب سمكاً عتيقاً من أهلها وأشياء أُخرى ويقول لنا احملوه، فكنّا نحمله وماؤه يجري على وجوهنا وكنّا إذا أردنا كتابة حاشية من كتابه ما يأذن لنا لكن ربما أخذنا الكتاب منه سرقة وكتبنا منه بعض الحواشي وهكذا كان حاله رَحِمَهُ اللهُ معنا وكنّا راضين بخدمته غاية الرضا لبركات أنفاسه الشريفة في الدرس، وكان طاب ثراه حريصاً على الكتب وبقيت بعده عند أزواج بناته لا يعرف لها قيمة وهذا كان حالنا في الدرس.

وأمّا بالنسبة إلى المأكل فقد قلنا إنّنا كنّا في بيت رجل من أكابرها وفي أكثر الأوقات كنّا نبقى في المدرسة لأجل المباحثة إلى وقت الظهر فإذا مضينا إلى منزل الرجل وجدناهم فرغوا من الغداء فنبقى إلى الليل وقد كان صاحبي يلقط قشور البطيخ والرقي من الأرض ويأكلها بترابها وكان يستتر عنّي بهذا حياء وخجلاً، وكنت أنا أفعل مثل فعله فأتيت يوماً وطلبته فرأيته قد جمع القشور وجلس تحت الباب يأكلها بترابها فلمّا رأيته ضحكت فقال: وما يضحكك؟ فقلت: لأنّ هذه حالتي أنا وكلّ منّا يكتم حاله عن الآخر، فقال: فإذا كان هذه حالنا فنجمع هذه القشور كلّ يوم ونغسلها بالماء ونأكلها، فبقينا على هذا مدّة وكنّا في تلك المدة نطالع على نور القمر وكنت تعمّدت حفظ متون الكتب مثل الكافية والشافية وألفية ابن مالك ونحوها، فإذا كانت الليالي مقمرة كنت أطالع وإذا جاءت الليالي السود كنت أكرّر قراءة تلك المتون على ظاهر قلبي حتّى لا أنساها، وكان أهل المجلس يجلسون وأنا معهم وكنت أظهر لهم صداع رأسي فأضع رأسي بين ركبتي وأقرأ تلك المتون وهكذا كان حالي.

فبقيت على هذا مدّة فأتى والدي من الجزائر وقال: إن أمّكما تريدكما فأخذنا معه إلى الجزائر وبقينا فيها أيّاماً قلائل فرجعنا أيضاً إلى الحويزة فرأينا رجلاً من أهل الجزائر يريد السفر إلى شيراز فأخذ المرحوم أخي كتبه وأسبابه ومضى إلى البصرة وأتيت أنا معه إلى الجزائر وكان شهر رمضان فبقيت عند أهلي أربعة أيّام وركبت أنا وذلك الرجل في سفينة وقصدنا البصرة فلمّا ركبت السفينة من غير خبر من أهلي ظننت أنّ والدي يطلبني، فقلت لأهل السفينة أنا أخلع ثيابي وأنزل الماء وأقبض سكّان السفينة والسفينة تجري فكنت في الماء والسفينة تسير حتّى لا يراني أحد فلمّا أيست من الطلب ركبت في السفينة وفي أثناء الطريق رأينا جماعة على جرف الشطّ ونحن في وسطه فصاح لهم ذلك الشيخ وقال أنتم من الشيعة أم من السنّة؟ فقالوا نحن من السنّة فقال لعن الله (فلان وأبا زينب وفلان أتعرفون أن أبا زينب خ ل) عمر وأبا بكر وعثمان أتعرفون أنّ عمر كان مخنّثاً فصاحوا عليه بالشتم واللعن فضجّوا أهل السفينة عليهم والسفينة تجري وتلك الجماعة على جرف الشطّ يمشون ويرموننا بالحجارة فبقينا على هذا الحال معهم نصف نهار، فمضينا إلى البصرة وكان سلطانها في ذلك الوقت حسين باشا فبقينا فيها نقرأ عند رجل فاضل من أجلاء السادة فبقينا مدّة قليلة.

ثمّ أنّ والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تبعنا فأتى ليأخذنا إلى الجزائر فأظهرنا له الرغبة إلى ما أراد فأتينا إلى سفينة واستأجرنا مكاناً فيها من غير خبر والدي فركبنا فيها وسافرنا إلى شيراز فخرجنا من السفينة إلى بندر حماد واستأجرت أنا وأخي دابّة واحدة لقلّة ما عندنا من الدراهم وذلك الطريق صعب جداً من جهة الجبال فقطعت تلك الجبال كلّها وأنا حافي الأقدام وكان عمري في ذلك اليوم يقارب الإحدى عشرة سنة، فوصلنا إلى شيراز صلاة الصبح فمضينا إلى بيت ذلك الشيخ الّذي كان معنا وكان منزله بعيداً من مدرسة المنصوريّة ونحن كنّا نريد السكنى فيها لأنّ بعض أقاربنا كان فيها، فقال لنا ذلك الشيخ: خذوا الطريق واسألوا وقولوا مدرسة المنصوريّة (ميخواهيم) ومعناه بالعربيّة نريدها، فمضينا نمشي فحفظت أنا كلمة وأخي كلمة أخرى فكنّا إذا سئلنا قال أحدنا مدرسة المنصوريّة وقال الآخر (ميخواهيم) فوصلنا إلى تلك المدرسة فجلست أنا في الباب ودخل أخي إليها فكان كلّ من يخرج من طلبة العلم ويراني يرق لحالي وما أصابني من آثار التعب.

فلمّا وجدنا صديقنا قعدنا معه في حجرته وأخذنا في اليوم الآخر لزيارة رجل فاضل وهو الشيخ البحراني فكان يدرّس في شرح ألفيّة ابن مالك فسلّمنا عليه وأمر لنا بالجلوس فلمّا فرغ سألنا من أين القدوم فحكينا له الأحوال فقام معنا فأخذني إلى وراء أسطوانة المسجد فلزم أذني وعركها عركاً شديداً وقال: أيّها الولد إن لم تجعل نفسك شيخاً للعرب وتحبّ الرياسة فيضيع به وقتك تصير رجلاً فاضلاً فلزمت كلامه وانزويت عن الأحباب والأخلاء في وقت قراءتي فمضى معنا إلى متولّي المدرسة فعيّن لنا شيئاً قليلاً لا يفي بوجه من الوجوه ثمّ شرعنا في قراءة الدرس عند ذلك الشيخ وعند غيره.

فلمّا مضت لنا أيّام قلائل قال لي أخي وصديقي ينبغي أن نرجع إلى الجزائر لأنّ المعاش قد ضاق علينا فقلت لهم أنا أكتب بالأجرة وأعبر أوقاتي فكتبت بالأجرة لمعاشي وكاغذي وما أحتاج إليه وكنت أيضاً أكتب أربعة دروس للقراءة وأحشيها وأصحّحها وحدي وكان حالي في وقت الصيف الحارّ أنّ طلبة العلم يصعدون إلى سطح المدرسة وأنا أغلق باب الحجرة وأشرع في المطالعة والحواشي وتصحيح الدرس إلى أن يناجي المؤذّن قريب وقت الصبح، ثمّ أضع وجهي على الكتاب وأنام لحظة فإذا طلع الصبح شرعت في التدريس إلى وقت الظهر فإذا أذن المؤذّن قمت أسعى إلى درسي التي أقرأها فربّما أخذت قطعة خبز من دكان الخباز في طريقي

فآكلها وأنا أمشي وفي أغلب الأوقات ما كان يحصل فأبقى إلى الليل، وكنت في أكثر أحوالي إذا جاء الليل لم أعلم أنّي أكلت شيئاً في النهار أم لا فإذا تفكّرت تحقّقته أنّي لم آكل شيئاً، فأتى لي زمان ما كان عندي دهن سراج للمطالعة، فأخذت غرفة عالية وجلست بها وكان لها أبواب متعدّدة فكنت إذا أضاء القمر فتحت كتابي للمطالعة، وكلّما دار القمر فتحت باباً من الأبواب وبقيت على هذه الحالة مدّة سنتين فضعف بصري فهو ضعيف إلى هذا الآن.

وكان لي درس أكتب حواشيه بعد صلاة الصبح في وقت الشتاء وكان الدم يجري من يدي من شدّة البرد وكنت لا أشعر به، وهكذا كانت الأحوال إلى ثلاث سنوات فشرعت في تأليف مفتاح اللبيب على شرح التهذيب في علم النحو ومتنه من مصنفات شيخنا بهاء الدين محمّد تغمّده الله برحمته، وكتبت في ذلك الوقت شرحاً على الكافية فقرأت علوم العربيّة عندَ رجل فاضل من أهل بغداد، والأصول عند رجل محقّق من أهل الأحساء والمنطق والحكمة عند المحقّقين المدقّقين شاه أبي الولي وميرزا إبراهيم وعلم القراءة عند رجل فاضل من أهل البحرين، وكنّا جماعة نقرأ عند الشيخ الجليل الشيخ جعفر البحراني وكنت أنا أسمع ذلك الدرس بقراءة غيري فإذا أتينا إلى ذلك الشيخ فكلّ من يجلس قبل يقول له اقرأ حتّى يجلس القارىء وكان يشجعنا على الدرس وعلى فهم معناه من المطالعة، ويقول لنا إنّ الأستاذ إنّما هو للتيمّن والتبرّك وإلاّ ففهم الدرس وتحقيق معناه إنّما هو من مطالعة التلميذ.

وقد اتّفق أنّه جاءنا خبر فوت جماعة من أعمامنا وأقاربنا فجلسنا ذلك اليوم في عزائهم وما رحنا إلى الدرس فسأل عنّا وقيل له أنهم أهل مصيبة فمضينا إلى الدرس اليوم الثاني فلم يرض أن يدرّسنا وقال لعن الله أبي وأمّي إن درستكم كيف ما جئتم أمس إلى الدرس فحكينا له، فقال: كان ينبغي أن تجيئوا إلى الدرس فإذا قرأتموه انصرفتم إلى عزائكم هذا أبوكم يأتيكم أيضاً خبر فوته فتقطعون الدرس فحلفنا له أنّا لا نقطع الدرس يوماً واحداً ولو أصابنا ما أصابنا فقبل أن يدرسنا بعد مدّة واتّفق أنّنا كنّا نقرأ عنده في أصول الفقه في شرح العميدي فاتّفقت فيه مسألة لا تخلو من إشكال فقال لنا ونحن جماعة طالعوها هذه الليلة فإذا أتيتم غداً فكلّ من عرفها يركب صاحبه ويحمله من هذا المكان إلى ذلك المكان فلمّا أتينا إليه غداً وقرّر أصحابي تلك المسألة قال لي تكلّم أنت فتكلّمت فقال هذا هو الصواب وكلّ ما قاله الجماعة غلط فقال لي: أمل عليّ ما خطر بخاطرك حتّى أكتبه حاشية على كتابي فكنت أنا أملي

عليه وهو يكتب فلمّا فرغ قال لي: اركب على ظهر واحد واحد من أصحابك إلى هناك فحملوني إلى ذلك المكان وهذا كان حاله فأخذني ذلك اليوم معه إلى بيته وقال لي هذه ابنتي أريد أن أزوّجك بها فقلت إن شاء الله تعالى إذا توسّعت في طلب العلم فاتّفق أنّه سافر إلى الهند وصار مدار حيدرآباد عليه وقد سألته يوماً عن تفسير شيخنا الشيخ عبد عليّ الحويزي الّذي ألّفه من الأخبار فقال لي ما دام الشيخ عبد عليّ حيّاً فتفسيره لا يساوي قيمة فلس فإذا مات فأول من يكتبه بماء الذهب أنا ثمّ قرأ:

ترى الفتى ينكر فضل الفتى لؤماً وبخلاً فإذا ما ذهب
لجّ به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

ونظير هذا أنّ رجلاً من فضلاء أصفهان صنّف كتاباً فلم يشتهر ولم يكتبه أحد فسأله رجل من العلماء لم لا يشتهر كتابك؟ فقال إنّ له عدوّاً فإذا مات اشتهر كتابي، فقال له: وما هو؟ قال: أنا وقد صدق في هذا الكلام، وبقيت في شيراز تسع سنوات تقريباً وقد أصابني فيها من الجوع والتعب ما لا يعلم به إلّا الله، وفي خاطري أنّي قد بقيت يوم الأربعاء والخميس ما وقع في يدي إلّا الماء فلمّا أتت ليلة الجمعة رأيت الدنيا تدور بي وقد اسودت كلّها في عيني فمضيت إلى قبّة السيّد أحمد ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام [1] فأتيت إلى قبره ولزمته وقلت له أنا ضيفك

---

(١) ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ٣٥١) أن الراجح في نظري القاصر أن أحمد بن موسى المدفون بشيراز الذي اشتهر عند الفرس بعد سنة الألف من الهجرة بـ (شاه چراغ) هو أحمد بن موسى المبرقع ابن الإمام محمد التقي سلام الله عليه. وأما أحمد بن موسى الكاظم عليه السلام فالأقوال في مدفنه مختلفة كاختلاف الأقوال في مدفن أخيه محمد العابد ابن موسى عليه السلام وذكرنا تفصيل ذلك هناك فراجع. وذكرنا أيضاً أن نسب جمع من السادات الموسوية ينتهي إلى محمد العابد ومنهم السادات الأشراف من آل خرسان القاطنين في النجف الأشرف وهم من ذرية السيد مسعود العيشي وذكرنا أيضاً أنهم ينكرون اتصال نسب سادات (كتابچى) إلى السيد مسعود العيشي أشد الإنكار وذلك معلوم عندهم وأستاذنا الحجة البحاثة المحقق الأكبر الطهراني دام ظله يصرح بتصديق قولهم ولكن السيد الأجل الحجة السيد شهاب الدين الشهير بالنجفي نزيل (قم) مد ظله يدعي اتصال نسبهم إليه ولم يكن لي غرض مما ذكرناه وكتبناه، والله على ما أقول عليم، إلا تحقيق الحق والإشادة به. وبعد أن برز الجزء الأول من هذا الكتاب إلى عالم المطبوعات كتب إلينا السيد الحجة النجفي كتاباً كريماً يلاطف فيه تارة ويتحامل عليَّ أخرى وذكر فيه أن له دلائل في إثبات مدعاه وأقوى دليل ذكره: أن في مكتبته العامرة بالنفائس نسخة مخطوطة من كتاب عمدة الطالب - المطبوع - وتاريخها =

فكنت واقفاً فإذا رجل سيّد قد أعطاني قوت تلك الليلة من غير طلب فحمدت الله وشكرته ومع ما كنت فيه من الجدّ والاجتهاد كنت كثيراً ما أتنزه في البساتين والأماكن الحسنة مع الأصحاب والأعلام وفي وقت الورودات نمضي إلى البساتين ونبقى فيها أسبوعاً وأقلّ وأكثر ولكن الاشتغال ما كنت أفوته من يدي وقد منّ الله عليّ في شيراز بأصحاب صلحاء نجباء علماء وكانوا موافقين لي في السن.

ومن جملة رياضاتي للدرس أنّ صاحباً لي كان منزله في طرف شيراز وكنت أبات عنده لأجل دهن السراج حتّى أطالع وكان لي درس أقرأه على ضوء السراج آخر الليل في مسجد الجامع وهو في طرف آخر من البلاد، وأقوم من هناك وقد بقي من الليل بقيّة كثيرة ومعي عصا وبين ذلك المنزل وبين المسجد أسواق كثيرة وفي آخر الليل وليس في شيء منها سراج بل كلّها مظلمة والداهية العظيمة أنّ عند كلّ دكّان بقّال كلب يقرب من العجل لحراسة ذلك الدكان، وكنت أجيء وحدي من ذلك المكان البعيد فإذا وصلت إلى السوق لزمت جداره حتّى اهتدي إلى الطريق وإذا وصلت إلى دكّان البقال شرعت في قراءة الأشعار جهراً حتّى لا يظنّ الكلب أنّي سارق بل كان يظن أننا جماعة عابرين الطريق وكنت عند كلّ دكان احتال على الكلب بحيلة حتّى أخلص منه وبقيت على هذا برهة من الزمان وكنت في مدرسة المنصوريّة وحجرتي فوق ولا كنت أحبّ أحد يجيء إلي ولا يمشي إلى قريب منها وكنت أحبّ الانفراد والوحدة وبقيت على هذه الأحوال تلك المدّة.

ثمّ كاتبني والدي ووالدتي وألحوا عليَّ في الوصول إلى الجزائر فمضيت إليهم أنا وأخي سنة موج الجزائر الأخير لأنّ الموج الأوّل موج عواد فلمّا وصلنا إلى الأهل فرحوا بنا لقدومنا ولأنّ كلّ من مضى من تلك البلاد رجع من غير علم فقالت والدتي

= سنة: (٩٩٠هـ) وفي هامشها كتب السيد الأمير محمد قاسم المختاري السبزواري رحمه الله بخطه أن للفقيه شمس الدين المتوفى (٧٥٤هـ) ذيل طويل وفيهم الأشراف ومنهم السيد مسعود العيشي ومن عقبه محمد بن علي بن مسعود العيشي واجتمعت به بكلاتة سبزوار فيدعى السيد الجليل النجفي أن علي بن مسعود العيشي هو جد سادات (كتابچى) كما ذكره في مشجرتهم. وليسمح لي القارىء الكريم أن أقول إني لم ألاحظ إلى اليوم تلك النسخة المخطوطة من عمدة الطالب ولكن سيدنا الحجة السيد حسن الخرسان النجفي دام بقاؤه وهو زعيم آل خرسان والمتضلع في المعرفة بأنسابهم ينكر كون المكتوب في هامش تلك النسخة بخط الأمير محمد القاسم السبزواري وكان يقول أن ذلك وكذا الاعتماد على تلك النسخة يحتاج إلى الإثبات ولا يثبت بمجرد الادعاء والله العالم بالحقائق.

ينبغي أن تتزوّجا حتّى أرضى عنكما فقلت إنّ علم الحديث والفقه قد بقي علينا قراءته فقالت: لا بد أن تتزوّجا وكان الحامل لها على هذا هو أنّا إذا تزوجنا ألزمنا السكنى معها فقبلنا كلامها وتزوّجنا وبقيت بعد التزويج قريباً من عشرين يوماً فمضيت إلى زيارة رجل فاضل في قرية يقال لها نهر صالح، فلمّا اجتمعنا وتباحثنا في العلوم العقليّة فقال لي وا أسفا عليك كيف فاتك علم الحديث فقلت وكيف فاتني علم الحديث قال: لقولهم ذبح العلم في فروج النساء فرماني في الغيرة فقلت له والله يا شيخ لا أرجع إلى أهلي وها أنا إذا قمت من مجلسك توجهت إلى شيراز فاستبعد قولي فقمت منه وركبت في سفينة وأتيت إلى القرنة وكان فيها سلطان البصرة فأخذني معه إلى الصحراء للتنزه فلمّا رجعنا أتيت إلى البصرة ولاحظت أنّ والدي يتبعني فركبت في سفينة وقصدت شيراز فأتيت إلى تلك المدرسة ولحقني أخي فأقمنا فيها وأتى إلينا خبر موت الوالد تغمّده الله برحمته فبقينا بعده شهراً أو أقلّ.

ثمّ إنّ مدرسة المنصوريّة احترقت واحترق فيها واحد من طلبة العلم واحترق لي فيها بعض الكتب وصارت بعض المقدّمات فسافرنا إلى أصفهان وكنّا جماعات كثيرة وأصابنا في الطريق برد تيقّنا معه الهلاك فمنّ الله علينا بالوصول فجلسنا في مدرسة ليس فيها إلاّ أربع حجرات في (سرنيم أورد) وجلسنا في حجرة واحدة وكنّا جماعة كثيرة فكنّا إذا نمنا في تلك الحجرة وأراد واحد منّا الانتباه في الليل لحاجة انتبهنا جميعاً ثمّ إنّه قد تضايقت علينا أمور المعاش وبعنا ما كان عندنا من ثياب وغيرها وكنّا نتعمّد أكل الأطعمة المالحة لأجل أن نشرب ماء كثيراً ونأكل الأشياء الثقيلة لذلك أيضاً ثمّ بعد هذا منّ الله عليّ بالمعرفة مع أستاذنا المجلسي أدام الله أيّام سلامته فأخذني إلى منزله وبقيت عندهم في ذلك المنزل أربع سنين تقريباً وقد عرفت أصحابي عنده فأيدهم بأسباب المعاش وقرأنا عليه الحديث.

ثمّ إنّ رجلاً اسمه ميرزا تقي بنى مدرسة وأرسل إليّ وجعلني فيها مدرساً والمدرسة تقرب من حمّام الشيخ بهاء الدين محمّد تغمّده الله برحمته فأقمت في أصفهان أقرأ وأدرس ثمان سنوات تقريباً ثمّ أصابني ضعف في البصر بكثرة المطالعة وكان في أصفهان جماعة كحّالون فداووا عيوني بكلّ ما عرفوا فما رأيت من دوائهم إلّا زيادة الألم فقلت في نفسي أنا أعرف منهم بالدواء فقلت لأخي رحمه الله إنّي أريد السفر إلى المشاهد العالية فقال: أنا أكون معك فسافرنا من طريق أصفهان وفي أثناء الطريق وصلنا إلى كرمان شاه وتجاوزناها وقمنا من منزل ونريد منزلاً آخر وهو

الهارونيّة بناها هارون الرشيد لعنه الله تعالى: فلمّا صعدنا الجبل أصابنا فوقه مطر وهواء بارد وصار الصخر تزلق فيه الأقدام ولا يقدر يستمسك الراكب على الدابّة من الهواء البارد وشدّته والمطر فشرعت أنا في قراءة آية الكرسي فليس أحد من أهل القافلة إلّا وقد سقط من الدابّة وأنا بحمد الله وصلت إلى المنزل سالماً، فلمّا وصلنا المنزل كان فيه خان صغير وله حوش وليس فيه حجر وإنّما فيه طوائل للدوابّ ومرابطها فأدخلنا أغراضنا والكتب إلى طويلة ووضعنا فوق صفّتها فاتّفق أنّ تلك الطوائل كان فيها سماد كثير وقد عمد إليه بعض المترددين ووضع فيه النار لأجل أن يحترق ذلك السماد فما كان في تلك الطوائل إلّا الدخان الخانق ومطرت السماء فتحيرنا بين المطر والدخان فكنّا نقبض على خياشمنا فإذا ضاقت أنفاسنا خرجنا من الطويلة إلى الحوش وتنفسنا ورجعنا فكنّا تلك الليلة وقوفاً ليس لنا حاجة إلا الخروج للتنفس ويا أخوان ما كان أطول تلك الليلة فلمّا أصبح الصباح وطلعت الشمس وخرجنا إلى الحوش وجاءنا أهل تلك القرية يبيعون علينا الخبز وغيره فأتت إلينا امرأة منهم وكان لها لحية طويلة نصفها بيضاء ونصفها سوداء فتعجّبنا منها.

ثمّ إنّنا وصلنا إلى بعقوبا فأودعنا كتبنا وأغراضنا لأهل القافلة ومضينا نحن مع جماعة قليلة إلى سرّ من رأى فلمّا عزلنا عن القافلة وسرنا فرسخة تقريباً لقينا رجل فقال لنا: إنّكم تمضون واللصوص أمامكم في نهر الباشا فترددنا في الرجوع والمضيّ فصار العزم على المضي فلمّا وصلنا إلى ذلك النهر طلعت علينا خيولهم فعدوا علينا فقرأت آية الكرسي وأمرت أصحابي بقراءتها فلمّا وصلوا إلينا انفردوا عنّا ناحية وكانوا يتفكّرون فرأيناهم جاؤوا إلينا وقالوا لنا قد ضللتم عن الطريق وكان الحال كما قالوا فأرسلوا معنا رجلاً منهم وسار معنا إلى قرب المنزل وهو القازاني استقبلنا جماعة من سادات[1] سرّ من رأى لأجل أن يأخذونا وكان آخر اختيارنا من أرواحنا وأموالنا أوّل وقوعنا بأيديهم وكانت عندنا دوابّ فقالوا ينبغي أن تركبوا دوابنا لأجل الأجرة فركبنا دوابهم فوصلنا إلى المشهد المبارك في الليل فنزلنا في بيت ذلك السيّد فأتت إلينا امرأة بقبضة حطب قيمتها أقلّ من الفلس.

---

(١) عدة من خدم حرم العسكريين عليهما السلام في سر من رأى يدعون السيادة وفي رؤوسهم علامة الهاشميين والله أعلم بحقيقة حالهم وأظنهم إن كانوا من بني هاشم أنهم من بني العباس وهم من أهل السنة كسائر أهل سامراء ولكن يظهرون للزوار أنهم من الشيعة وهم من أشد الناس قساوة وشقاوة وإيذاء لخلق الله تعالى والمشهور أنهم ليسوا من السادات وإنما ادعوا ذلك كذباً.

فلمّا صلّينا الصبح قلنا له نروح إلى الزيارة قال: لا حتّى تأكلوا الضيافة من عندي فقلنا له: نحن معنا من الخبز واللحم ما يكفينا فقال: لا يكون هذا. فبعد ساعة قدم إلينا جفنة من الخشب كبيرة وفيها ماء أسود لا ندري ما يكون تحته وفيها خواشيق فقلنا: هذا أيّ شيء؟ فقال: مدوا أيديكم فمددنا أيدينا وكان ذلك الماء حارّاً فمددنا الخواشيق فقصرت عن الوصول إلى قعر الجفنة فمددنا بعض أيدينا وتناولنا بالخواشيق ما في قعر الجفنة فكان حبّات أرز وكان قد غلاها مع ذلك الماء فشربنا كلّ واحد خاشوقة وقمنا للزيارة فقال لنا ذلك السيّد المبارك: اعلموا يا ضيفافي أنّ سادة سامراء ليس لهم خوف من الله ولا جياء فإذا دخلتم قبّة الإمام عليه السلام أخذوا ثيابكم ولكنّكم أكلتم ملحي فأنا أنصحكم أن تجعلوا ما عندكم من الثياب الجديدة عندي في منزلي وخذوا خلقان ثيابكم حتّى لو أُخذت منكم ترجعون إلى هذه الثياب فاستعقل كلامه أصحابنا ووضعوا ثيابهم عنده وأمّا أنا فقلت قد أصابني البرد هذه البارحة فلبست ثيابي واحداً فوق الآخر فلمّا مضينا إلى الزيارة أخذوا منّا في الباب الأوّل من كلّ واحد أربع محمّديّات فلمّا وصلنا الباب الثاني أخذوا منّا أيضاً فزرنا موالينا وأتينا إلى السرداب فلمّا نزلنا إليه أحاطوا بنا تحت الأرض فأخذوا ما أرادوا وكأنّي أرى طرف ميئزر واحد من أصحابي في يده والطرف الآخر في يد رجل سيّد من السادة فأخذه السيّد وبقي صاحبي مكشوف الرأس فأتينا إلى منزل صاحبنا فقلنا له هات الثياب فقال: أولاً حاسبوني على حقوقي وادفعوها إليّ فقلنا هكذا يكون فاحسبها أنت فقال: الأوّل حق الاستقبال فقلنا له: هذا حقّ واضح فقال لخواطركم كلّ واحد محمّديتين فأخذ منّا، ثمّ قال: حقّ المنزل البارحة فأخذ حقّه. ثمّ قال حقّ الحطب فأخذ من كلّ واحد نصف محمّديّة، ثمّ قال حقّ المرأة التي أتت به فأخذ ما أراد، ثمّ قال والحق الأعظم حقّ الضيافة وهو من كلّ واحد محمّديّة فأخذ ذلك الحقّ، ثمّ قال: حقّ الحماية وهو أنّكم في منزلي ولولاه كان السادة أخذوا ما معكم فأخذ ذلك الحقّ فقال: حقّ المشايعة فأخذه، فلمّا قبض الحقوق كلّها قلنا له أعطنا الثياب فقال: قولوا مع أنفسكم إنّنا لو أخذناها معنا لمّا دخلنا القبّة الشريفة أما كان السادة يأخذونها منكم فها أنا من السادة وأخذتها منكم من غير إهانة بكم فقلنا له جزاك الله خيراً.

فرجعنا إلى بغداد وأتينا من بغداد إلى مشهد الكاظمين عليهما السلام، ثمّ أتينا إلى زيارة مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام وكنت قد أخذت تراباً من عند رأس كلّ إمام فأخذت من تراب رجلي الحسين عليه السلام ووضعته فوق ذلك التراب واكتحلت به ففي

ذلك اليوم قوي بصري على المطالعة وصار أقوى من الأوّل، وكنت قد ألّفت شرحاً على الصحيفة الشريفة فشرعت في إتمامه ذلك اليوم وإلى الآن كلّما عرض لي رمد أو غيره اكتحلت بشيء من ذلك التراب ويكون هو الدواء، ولمّا قدمت إلى مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وزرته مددت يدي إلى تحت الفراش من عند رأسه المبارك لأخذ شيء من التراب فجاءت في يدي درّة بيضاء من درّ النجف فأخذتها ولمّا خرجت قلت لأخواننا المؤمنين فتعجّبوا وقالوا: ما سمعنا بأنّ أحداً وجد درّة النجف في هذا المكان بل هذا ملك أتى بها ووضعها في هذا المكان وذلك أنّه قبل ذلك التاريخ بأعوام كثيرة قد وجد واحد من الخدام درّة في صحن الحوش فأخذها منه المتولّي وأرسلها إلى حضرة الشاه صفي لأنّها وجدت في ذلك المكان والحاصل أنّ تلك الدرّة صنعناها خاتماً وهي الآن عندنا نتبرّك بميامنها وقد شاهدنا لتلك الدرّة أحوالات عجيبة:

منها أنّني كنت لابساً ذلك الخاتم فمضيت إلى مسجد الجامع في شوشتر فصلّيت المغرب والعشاء وأتيت إلى المنزل فلمّا جلست عند السراج ونظرت إلى فصّ الخاتم لم أره وكان قد وقع في ذلك الليل فضاق صدري وحزنت حزناً عظيماً، فقال لي بعض تلامذتي: نأخذ سراجاً ونروح في طلبه، فقلت لهم: لعلّه أن يكون قد وقع منّي النهار وأنا اليوم مضيت إلى أماكن متعدّدة، فقلت لهم: توكّلوا على الله واطلبوه فأخذوا سراجاً ومضوا فأوّل ما وضعوا السراج قرب الأرض لطلبه وجدوه مع أنّه بمقدار الحمصة فعجب الناس من هذا فلمّا بشّروني تخيّلت أنّ أموال الدنيا وهبت لي والحمد لله هو الآن موجود.

ولمّا فرغنا من الزيارة شرعنا في زيارة الأفاضل والمجتهدين والمباحثة معهم ومصاحبتهم، ثمّ أتينا إلى الرماحية وكنت ضيفاً عند رجل من المجتهدين وبقيت عنده أيّاماً قلائل فاستأجرت سفينة وركبت فيها قاصداً للجزائر فسارت السفينة فرسخين تقريباً ثمّ وقفت على الطين فبقيت واقفة يوماً وليلة ثمّ سارت فرسخاً أو أكثر ثمّ وقفت كالأوّل ثمّ سارت وهكذا فتعجّب أهل السفينة وقالوا ما جرى هذا قطّ على سفينتنا فتفكّرت أنا وقلت في نفسي هذا الشهر جمادى وصارت زيارة رجب قريبة وأنا تركتها وقصدت الجزائر ولا يكون هذا التعويق إلّا لهذا.

فقلت لصاحب السفينة إن أردت أن تسير سفينتك فأخرجني منها وقلت له الكلام فتعجّب، فقلت له إنّ قدّامنا في حقروص رجلاً من أخواننا فأنا أخرج إلى منزله حتّى

تصل السفينة إلى مقابل منزله فنخرج أثاثنا فأخرج معي رجلاً ليدلّني على الطريق فلمّا خرجنا ومشينا جرت السفينة وقد تقدّمتنا فوصلنا إلى منزل ذلك المؤمن وأرسل غلامه وتبع السفينة حتّى أتى بأسبابي منها، فبقيت عند ذلك المؤمن أيّاماً قلائل وسافرت أنا وهو إلى زيارة رجب ثمّ زرنا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ثانياً.

فلمّا فرغنا من الزيارات أتينا إلى منزل ذلك الرجل المؤمن في حقروص وكان على شاطىء الفرات وكان له مجلس فوق غصن شجرة قويّ في وسط الماء والسفن تجري من تحته فما رأيت مكاناً أنزه ولا ألطف ولا آنس منه وكانوا في النهار يصيدون الحجل والدرّاج ونأكله في اللّيل، وماء الفرات وهو لا تسأل عن عذوبته ولطافته وحلاوته وبركته لأنّه ورد في الحديث أنّه يصبّ فيه ميزاب من ماء الجنّة كلّ يوم.

وفي الحديث أنّه كان يبرىء الأكمه والأبرص وذوي العاهة لكن باشره نجاسة أبدان المخالفين فأزال عظيم بركته وبقي القليل وكان مولانا الصادق عليه السلام يقصده من المدينة ليشرب منه ويغتسل به ويرجع، وقد ورده يوماً فقال لرجل كان على الماء ناولني بهذا القدح ماء فناوله ثمّ قال ناولني أُخرى فناوله فشرب وأجرى الماء على لحيته الشريفة فلمّا فرغ قال الحمد لله ربّ العالمين ماء ما أعظم بركته.

ثمّ إنّي ركبت في السفينة وجئت إلى الجزائر فلقيت جماعة من أهل السفينة الأولى فقالوا لي إنّه من وقت خروجك منها ما وقفت ساعة واحدة إلّا بالمنزل، فلمّا وصلت إلى الجزائر إلى منزلنا في الصباغيّة في نهر المدك فرحوا أهلي وذلك أنّ أخي تقدّمني بالمجيء من شطّ بغداد ولمّا رأته والدتي خطر ببالها الخواطر من جانبي وأنّه ما تأخر إلّا لقضيّة حادثة فبقيت في الجزائر مع أخي في الصباغيّة ثلاثة أشهر وشرعت في شرح تهذيب الحديث هناك، ثمّ انتقلنا إلى نهر صالح فرأينا أهلها أخياراً صلحاء وعلماؤها من أهل الإيمان منزّهين عن النفاق والحسد فأحسن كلّهم إلينا إحساناً كاملاً فبقينا هناك ستّة أشهر أو أكثر وبنوا لنا مسجداً جامعاً كان من الأوّل يصلّي فيه شيخنا الأجلّ خاتمة المجتهدين الشيخ عبد النبيّ الجزائري وكنّا نصلّي فيه جماعة لا جمعة.

ثمّ إنّ السلطان محمّد بعث عساكره إلى سلطان البصرة للحرب معه ويأخذ منه الجزائر والبصرة فذهب فكر سلطان البصرة إلى أنّه يخرّب الجزائر والبصرة وينقل أهلهما إلى مكان اسمه سحاب قريب الحويزة فانتقلنا كلّنا إليها ووضع عسكره في قلعة القرنة وجلس هو مع أهل الجزائر في سحاب وكان يجيء إلى عندنا، فإذا جاء

وضعوا له في الصحراء عباءة وإذا أتيت إليه قام وأجلسني معه على تلك العباءة وكان يظهر المحبّة والوداد لي كثيراً، فلمّا قرب إلينا عساكر السلطان محمّد وحاصروا القلعة كانوا يرمونها كلّ يوم ألف مدفع أو أقلّ وكانت الأرض ترجف من تحتنا هذا وأنا مشغول في تأليف شرح التهذيب فبعثت العيال وأكثر الكتب مع أخي إلى الحويزة وبقيت أنا وكتب التأليف.

ثمّ إنّي طلبت الإذن من السلطان في السفر إلى الحويزة فلم يأذن لي وقال إذا خرجت أنت من بيننا ما يبقى معي أحد فبقينا في الحصار أربعة أشهر تقريباً فأتى شهر الله شهر رمضان فسافرت إلى الحويزة، وكنت أنتظر الأخبار فلمّا كان ليلة الحادية عشر من ذلك الشهر وهي ليلة الجمعة خاف سلطان البصرة من خيانة عسكره وفرّ هارباً إلى الدورق. فبلغ الخبر إلى أهل الجزائر طلوع فجر يوم الجمعة ففرّت النساء والرجال والأطفال والشيوخ والعميان وكل من كان في ذلك الإقليم طالبين الحويزة وبينهم وبينها مسير ثلاثة أيّام لكنّها مفازة لا فيها ماء ولا كلأ بل أرض يابسة فمات من أهل الجزائر في تلك المفازة عطشاً وجوعاً ما لا يحصي عددهم إلّا الله تعالى وكذلك العسكر الّذي في القرنة قتل منه أيضاً خلق كثير.

الحاصل أنّ من شاهد تلك الواقعة عرف أحوال يوم القيامة وأمّا سلطان الحويزة قدّس الله روحه وهو السيّد علي خان فأرسل عساكر لاستقبال أهل الجزائر وأرسل لهم ماء وطعاماً جزاه الله عنهم كلّ خير، ثمّ إنّنا أقمنا عنده في الحويزة شهرين تقريباً وسافرنا إلى أصفهان لكن من طريق شوشتر فلمّا وصلنا شوشتر رأينا أهلها من أهل الصلاح والفقر ويودّون العلماء. وكان فيهم رجل سيّد من أكابر السادة اسمه ميرزا عبد الله فأخذنا إلى منزله وعيّن لنا كلّ ما نحتاج إليه والآن هو قد مضى إلى رحمة الله لكنّه أعقب ولدين السيّد شاه مير والسيّد محمّد مؤمن وفيهما من صفات الكمال ما لا يحصى مع صغر سنّهما ولا وجد في العرب والعجم أكرم منهما ولا يقارب أخلاقهما وفّقهما الله تعالى لجميع مراضيه.

ثمّ إنّ والدهما أرسل إلى أهلنا من الحويزة، ولمّا جاؤوا عيّن لهم منزلاً وكلّ ما يحتاجون إليه فبقينا في شوشتر تقريباً من ثلاثة أشهر وسافرنا إلى أصفهان على طريق ديه دشت وبقي الأهل في شوشتر، فلمّا قدمنا ديه دشت أخذنا حجرة في الخان وجلسنا بها ثمّ بعد ساعة قلت لواحد من الرفقاء اذهب وانظر لعلّ لنا فيها صديقاً يأخذ لنا منزلاً إلى كم يوم.

فلمّا خرج أتى برجل سيّد كان يقرأ عندي في أصفهان فلمّا رآني فرح فرحاً شديداً وقال: إنّ جماعة من تلاميذك من سكّان هذه البلاد فأخبرهم وكانوا هم سادات ديه دشت فأخذوا لنا منزلاً وكان الحاكم في تلك البلاد محمّد زمان خان وكان عالماً كريماً سخيّاً لا يقارب في الكرم فلمّا سمع بنا أرسل وزيره وعيّن لنا ما نحتاج إليه وما لا نحتاج إليه فطلبنا الحاكم في يوم آخر فلمّا وردنا عليه قال لي: سمعت أنّك شرحت الصحيفة؟ قلت: نعم فقال: إنّ في دعاء عرفة فقرة كيف شرحتها؟ فقلت: ما هذه الفقرة قال: هي قوله عليه السلام تغمدني فيما اطّلعت عليه منّي بما يتغمّد به القادر على البطش لولا حلمه فذكرت له وجوهاً ثلاثة في حلّها فقال لي: أحد هذه الوجوه خطر بخاطري والآخر خطر بخاطر الأقا حسين الخوانساري فاستحسنها وشرعنا في المباحثة وكنت أحترمه في الكلام فجلس على ركبتيه ورمى حلّته من فوق ظهره وقال تكلّم كما كنت تتكلّم في المدرسة مع طلبة العلم ولا تحترمني فتباحثنا وكنت أنقله من علم إلى علم وكان يسبقني في الكلام إلى ذلك العلم حتّى جاء وقت صلاة الظهر فقطعنا الكلام ثمّ عدنا إلى المباحثة يوماً آخر وكنت في بلاده ثلاثة أشهر تقريباً على هذا الحال فما رأيت أحداً أفهم منه ولا أفصح منه لساناً.

وأمّا في جانب الكرم وإمداد العلماء والفقراء فحاله فيه مشهور ولمّا استأذنّا منه على السفر إلى أصفهان أحسن إلينا غاية الإحسان، فلمّا سافرنا إلى أصفهان فانظر إلى ما جرى عليّ في الطريق وهو أننّا لمّا وصلنا إلى منزل قبل منزل كنار سقاوة نزلنا في منزل وكان في غاية النزاهة من جهة الماء الجاري والأشجار والأنهار فحصل لنا نهاية الانتعاش فقلت في خاطري أعوذ بالله من فرح هذا اليوم لأنّي عودت روحي إن أفرح اليوم ألقى بعده حزناً طويلاً فلمّا جاء وقت الركوب ركبنا فانتهينا إلى بقعة في كنار سقاوة وكان معنا رفقاء يمشون وواحد منهم أطرش فلمّا تقدّمنا جلس في وسط الطريق تحت صخرة فجئت أنا وأخي ونحن ركوب فلمّا وصلت الخيل إليه فاجأها بالقيام فنفرت ونحن لا نعلم فألقتني الدابّة على صخرة عظيمة فلمّا أفقت رأيت أنّ يدي اليسرى قد عرض لها الصدع العظيم فأتاني الرفقاء وشدّوها وبقيت إلى أصفهان كلّ يوم يمرّ عليّ في تلك الحال يصلح أن يكون كفّارة لذنوب مائة سنة.

فوصلنا إلى أصفهان وجلست في حجرتي في مدرسة ميرزا تقي دولت آبادي وبقيت أعالج يدي فبقيت مدّة خمسة أشهر فلمّا صارت طيّبة في الجملة عرض لي ألم في بدني فصرت لا أشعر وقد عاينت الموت وفي وقت معاينته كنت مسروراً به من توفيقات الله سبحانه فبقيت على هذا مدّة:

ولمّا شافاني الله من ذلك الألم عرض لأخي المرحوم ألم الحمّى فبقي حتّى انجرّ إلى الإسهال فمضى إلى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة أوّل شهر شعبان غريباً فبقي ألمه في قلبي إلى هذا اليوم وإلى الموت والله ما أسلوه حتّى أنطوي تحت التراب ويحتويني الجندل وقد توفّي تغمّده الله برحمته سنة التاسعة والسبعين بعد الألف وهذه السنة عام التاسع والثمانين بعد الألف وما مضت ليلة إلاً ورأيته في المنام على أحسن هيئة وأمّا في النهار فكتبه قدّامي أطالع بها وأنظرها وكلّما رأيت كتاباً منها تجدّدت مصائبي عليه فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فبقيت بعده في أصفهان حيراناً تائهاً في بحار الهموم فتفكّرت وقلت ليس لمثل هذه المصائب دواء إلّا الوصول لزيارة مولاي الرضا عليه السلام فسافرت فلمّا وصلنا كاشان وخرجنا منها وتوجّهنا إلى مَنزل الرمل سرنا فيه ليلاً وضللنا عن الطريق؛ فأضاء الصبح وعلا النهار فبلغنا في الرمل أن لا نقدر على المشي ولكن نسبح به على بطوننا، وأمّا الدوابّ فكانت تمشي والرمال تساوي ما هبط من السرج فأشرفنا على الهلاك ثمّ منّ الله علينا بالوصول إلى الطريق حتّى وصلنا إلى مشهد مولانا الرضا عليه السلام.

ولمّا أقمنا أيّاماً ورجعنا كان رجوعنا على طريق اسفراين فرأينا في ذلك الطريق منازل عجيبة وأحوالات غريبة فلمّا أتيت سبزوار حصل لي بعض الألم فأخذت محملاً على جمل، فلمّا وصلت إلى أصفهان بقيت فيها مدّة قليلة ثمّ سافرت إلى شوشتر فجعلتها دار وطن واتّخذت فيها مساكن وكان بيني وبين سلطان الحويزة ودادة ومحبّة وكان يرسل لنا في كلّ سنة كتابات متعددة بالقدوم إليه فإذا قدمنا عليه عمل معنا من الإحسان ما لا نطيق شكره ونحن الآن في شوشتر.

وفي هذا العمر القليل قد رأينا من مصائب الزمان ما لا نقدر على بيان شرحه والّذي سهّله علينا الأخبار الواردة بابتلاء المؤمن وأنّه لو كان غريقاً في البحر وهو على لوح لسلّط الله عليه من يؤذيه حتّى يتم ثوابه، وكان شيخنا المجلسي أدام الله أيّام عزّه ومجده لا يقارب في العلم والعمل ومع هذا كان هدفاً لسهام المصائب وأشدّ ما مرّ علينا من الأهوال أمور:

أوّلها فراق الأحباب والأصحاب الثاني فراق أخي وموته فإنّه جرح القلوب جرحاً لا يندمل إلى الموت والعدم الثالث موت الأولاد وأصعب الأمور أوسطها

الرابع حسد العلماء وأبناء الجنس(١) فإنّهم حسدوني في كلّ بلاد أتيت إليها حتّى

(١) العلماء صنفان علماء الدنيا وعلماء الآخرة والمراد من الصنف الأول من كان غرضه من العلم هو الدنيا وهدفه من تحصيله هو الشهرة والرياسة وحب الجاه وطلب الوقع في قلوب الناس وابتغاء إقبالهم إليه. والمراد من الصنف الثاني هم العارفون بالله تعالى وبصفاته وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والراغبون في الآخرة والمعرضون عن الدنيا والزاهدون فيها والعاملون بمقتضى علمهم وبتعبير أوجز في التعريف بهم أن صفتهم العلم والعمل. وقد تجدهم الشهرة والرياسة والمرجعية قهراً مع فرارهم عنها فرار الغنم من الذئب ولا يحومون حول الأسباب المفضية إليها أصلاً. والحسد إنما يوجد بين أفراد الصنف الأول دون الثاني وسبب الحسد بينهم هو تزاحمهم على غرض واحد إذ كل منهم يريد الفضل لنفسه دون صاحبه ويسعى بأن يصل إلى أغراضه ويتمنى الاشتهار والرياسة الدنيوية ونحوها من أغراض أهل الدنيا وأهدافهم ويريد غيره من أبناء جنسه أيضاً نظيرها فيقع التزاحم بينهما على غرض واحد وذلك منشأ الحسد بين أفراد هذا الصنف وهم الذين يكثر الحسد بينهم على ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه عشرة أجزاء منها تسعة بين العلماء وواحد في الناس ولهم من ذلك الجزء الحظ الأوفر. ولهذا قد يفضي الحسد فيهم إلى سرقة الكتب والمؤلفات وإتلافها كما ذكره المصنف رحمه الله ووقعت في حقه بل قد يفضي إلى الكفر والارتداد كما في حسد محمد بن علي الشلمغاني على الشيخ الأجل الأعظم الحسين بن روح النوبختي أحد السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى وقد تورط في الهلكة ووقع في خسران مبين. وبعض أبناء هذا الصنف في هذا العصر التعيس يتمسك في نيله إلى مقاصده المشؤومة من الشهرة والرياسة والمرجعية إلى أذيال الظالمين ولا يتورع من الركون إليهم مع ما يرى من أن أعمالهم على نقيض من الدين الإسلامي المقدس ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد حدثني من أثق به كمال الوثوق من أكابر مشايخي وأساتذتي أن جمعاً من أبناء هذا الصنف في النجف الأشرف سرقوا مقداراً وافياً من كتب السيد الإمام المجتهد الأكبر السيد حسين التبريزي الكوهكمري رحمه الله من كتبه التي كتبها من أبحاث شيخه الإمام الأنصاري رحمه الله وألقوها في الفرات. وكان سبب ذلك أن علماء الإمامية قاطبة اتفقوا بعد وفاة الشيخ الإمام الأنصاري رحمه الله في جميع الأقطار والأمصار على أن السيد الإمام الكوهكمري رحمه الله أعلم أهل عصره في الفقاهة والاجتهاد وأعرفهم بنظريات أستاذه الشيخ رحمه الله وآرائه وأفكاره العلمية إلا شرذمة قليلة قالوا بأعلمية معاصره السيد الإمام السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي نزيل سامراء وصار هذا الأمر سبباً لحسد بعض أصحاب السيد الإمام الشيرازي رحمه الله وأما هو نفسه قدس سره فقد كان من أعلام الدين وأركانه ومن علماء الآخرة كمعاصره الإمام الكوهكمري قدس سره وقد تصدى بعض الباحثين لتعداد القائلين بأعلمية الإمام الشيرازي رحمه الله وذكر أساميهم وهذا شاهد صدق على أن القائلين بأعلمية الإمام الشيرازي رحمه الله جمع يمكن تعدادهم وعدهم بالأنامل وأضف إلى ذلك أن نسبة القول بأعلمية الإمام الشيرازي إلى بعضهم لم تثبت بعد على التحقيق. والعجب أنه ذكر منهم=

انتهى حالهم معي في شيراز إلى أن سرقوا منّي كتباً مليحة بخطّ يدي وقراءتي وحواشيَّ ورموها في البئر حتّى تلفت ثمّ ظهر لي الّذي رماها فما كلّمته كلمة واحدة ولا واجهته بشيء حتّى أخلف الله تعالى عليَّ تلك الكتب وغيرها ولم يملك ذلك الرجل ورقة واحدة وأحوجه إلى سؤال الكفّار، وأنا أحمد الله سبحانه على أنّي لم أزل محسوداً ولا حسدت أحداً وذلك أنّ الله وله الفضل لم يحوجني إلى الأقران والأمثال ولم يحط مرتبتي عن مراتبهم وهذا من باب إظهار فضل الله تعالى وكرمه وإلاّ فالعبد المذنب الجاني ليس له مرتبة ولا درجة.

الخامس معاشرة الناس والسلوك معهم وذلك أنّ الطبائع مختلفة والآراء متفرّقة وكلّ واحد يريد من الإنسان الّذي يكون على طريقتنا موافقته في الطبيعة وهذا في غاية الصعوبة مع أنّه يؤدّي إلى المداهنة والتقرير على المنكر وهما محرّمان اجماعاً ومثل هذا ما تيسر لأحد كما روي أنّ موسى عليه السلام طلب من الله سبحانه أن يرضي عنه عامّة بني إسرائيل حتّى لا ينالوا من عرضه ولا يتكلّموا في غيبته فقال سبحانه: يا موسى هذه خصلة لم توجد لي فكيف توجد لك وهذا الظاهر فإنّ من تأمّل وراجع النظر وتصفح أحوال الناس يرى شكايتهم من الله تعالى أكثر من شكواهم من السلطان الجائر سفاك الدماء ولا ترى أحداً إلّا وهو يتّهم الله تعالى في قضائه وقدره وهذا يكون كثيراً في أحوال الفقر والمرض وزوال النعم وانتقالات الأحوال.

= المجتهد الأكبر الإمام الشيخ الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي رحمه الله مع أن من المحقق أنه كان يعد نفسه أعلم الفقهاء في عصره ولم يكن مذعناً بأعلمية غيره. فبين هذا الصنف من علماء الدنيا يقع التزاحم وينشأ منه الحسد فإن عالم المادة والنشأة الدنيوية يضيق على المتزاحمين فيقع التحاسد في البين لأن غرضهم هو حب الدنيا وهي دار الضيق والضنك. بخلاف الصنف الثاني أعني علماء الآخرة لا يقع بينهم تحاسد وتباغض لأن هدفهم هو الآخرة وغرضهم هو المعرفة بالله والابتهاج بمعرفته سبحانه ولا ضيق ولا تزاحم في شيء منهما فإن من أحب معرفة الله سبحانه ومعرفة صفاته الجلالية والجمالية لا تزاحم بينه وبين غيره ممن هو مثله في حب المعرفة بالله تعالى وصفاته أيضاً لسعة دائرة المعرفة وعدم التزاحم والضيق فيها بل يحصل الأنس والإفادة والاستفادة بكثرة العارفين وزيادة العالمين لأن غرضهم هو تحصيل الكمال والمعرفة والمنزلة عند الله تعالى والقرب إليه والزلفى لديه وما عند الله أعظم من أن يضيق على الطالبين وأوسع من أن يقع فيه التزاحم بين العالمين فلا يحصل التزاحم فيهم فلا يقع تحاسد وتباغض بينهم وهم كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. وهذا حالهم في الدنيا والآخرة ولا وسع في المقام لتوضيح المرام بأكثر من ذلك والله الموفق.

السادس وهو الداء العضال والّذي نغّص علينا العيش وكدر الصافي منه مع أنّه لا يوجد وهو أنّه ابتلينا بالتوطّن في بلاد ليس فيها مجتهد ولا مفتٍ حتّى نحيل الناس عليه وإذا سألوا منّا ما يحتاجون إليه في أمور عباداتهم ومعاملاتهم فربّما أشكل الحال واحتاج المقام إلى معاونة الآراء.

وإن قلت إنّ هذه المسألة لا تخلو من إشكال لا يقبل منك ويقولون كيف يشكل عليك شيء وأنت فلان الّذي عندك من الكتب كذا وكذا وقرأت عند فلان وفلان وهو المطلع على الأسرار والضمائر إنّي أنزوي عن الناس في أكثر الأوقات وأغلق الباب بيني وبينهم لهذا وأمثاله والهمّ الّذي ينالنا من هذا أصعب ممّا تقدّمه من كلّ الأمور ونرجو من الله سبحانه العصمة من الخلل والخطاء في القول والعمل.

السابع عدم الأسباب التي نحتاج إليها في التأليف والتصنيف والعلم لا ينفعه إلّا الكتب والحمد لله عندنا أكثر الكتب لكن الّذي يقصد التأليف في العلوم الكثيرة يحتاج إلى أسباب كثيرة ونحن في بلد لا يوجد فيها ما نحتاج إليه والمأمول من الله تعالى جلّ شأنه أن يوفّقنا لتحصيلها إنّه على ما يشاء قدير وقد وفّق الله تعالى في هذه البلاد لتأليف كتاب نوادر الأخبار المشتمل على مجلّدين وتمام شرح تهذيب الحديث المشتمل على ثمان مجلّدات وكتاب الهدية في علم الفقه مجلّد واحد وكشف الأسرار لشرح الاستبصار المشتمل على مجلّدين وهذا الكتاب الّذي هو كتاب الأنوار المشتمل على مجلدتين وقد وفّق الله سبحانه أيضاً لشرح الصحيفة وهو مجلّد واحد وفي النحو ألفنا شرحاً على مغني ابن هشام وشرح تهذيب النحو مجلّد واحد وشرحاً على الكافية وبعض الرسائل.

وأمّا الحواشي التي ألفناها على متون كتب الأخبار الأصول الأربعة وغيرها فهي كثيرة جدّاً نرجو من الله تعالى أن يجعلها عنده من الذخائر لنا إذا زلّت الأقدام وعميت الأفهام ووضعت الموازين ونشرت الدواوين. هذا مجمل أحوال الفقير من سنة الخمسين بعد الألف إلى السنة التاسعة والثمانين بعد الألف قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب وتأليفه ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام التاسع والثمانين بعد الألف كتبه مؤلّفه العبد المذنب الجاني نعمت الله بن عبد الله الحسيني الجزائري حامداً مصلّياً على محمّد وآله الطاهرين.

حديث حذيفة اليماني رضي الله عنه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأوّلين والآخرين وأشرف الأنبياء والمرسلين وخير الخلائق أجمعين محمّد وآله وعترته الطيّبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم ومخالفيهم إلى يوم الدين.

وبعد: فقد قال مولانا الأجلّ العلامة الفهّامة الطهر الطاهر الزكيّ محمّد باقر ابن مولانا المحقّق المدقق الصفي البهيّ محمّد تقي المجلسي عاملهما الله وإيّانا بلطفه الخفيّ والجليّ وحشرهما الله وإيّانا مع النبيّ الأميّ وأوصيائه الأزكياء الأصفياء المنصوبين للولاية بالنصّ الجلي صلوات الله عليهم أجمعين في كتابه المسمّى بالأربعين ما أخرجته من كتاب إرشاد القلوب تأليف الشيخ الزكيّ الحسن بن أبي الحسن الديلمي ممّا رواه مرفوعاً قال لمّا استخلف عثمان بن عفّان آوى إليه عمّه الحكم بن العاص وولده مروان والحارث بن الحكم ووجّه عمّاله في أمصار يمن وكان فيمن وجه عمر بن سفيان بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة إلى مشكان والحارث بن الحكم إلى المدائن فأقام بها مدّة يتعسّف أهلها ويسيء معاملتهم فوفد منهم إلى عثمان وفد شكوه إليه وأعلموه بسوء ما يعاملهم به وأغلظوا عليه في القول فولّى حذيفة بن اليماني عليهم وذلك في آخر أيّامه فلم ينصرف حذيفة بن اليماني عن المدائن إلى أن قتل عثمان واستخلف عليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فأقام حذيفة عليها وكتب إليه:

بسم الله الرحمٰن الرّحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى حذيفة بن اليمان سلام عليك، أمّا بعد فإنّي قد ولّيتك ما كنت تليه لمن كان قبلي من حرف المدائن وقد جعلت إليك أعمال الخراج والرستاق وجباية أهل الذمّة فاجمع إليك ثقاتك ومن أحببت ممّن ترضى دينه وأمانته واستعن بهم على أعمالك فإنّ ذلك أعزّ لك ولوليّك وأكبت لعدوّك وإنّي آمرك بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية وأُحذرك عقابه في

المغيب والمشهد وأتقدم إليك بالإحسان إلى المحسن والشدّة على المعاند، وآمرك بالرفق في أمورك واللّين والعدل على رعيّتك فإنّك مسؤول عن ذلك وإنصاف المظلوم والعفو عن الناس وحسن السيرة ما استطعت فالله يجزي المحسنين، وآمرك أن تجبي خراج الأرضين على الحقّ والنصفة ولا تتجاوز ما تقدّمت به إليك ولا تدع منه شيئاً ولا تبتدع فيه أمراً ثمّ اقسمه بين أهله بالسويّة والعدل واخفض جناحك لرعيّتك وواس بينهم في مجلسك وليكن القريب والبعيد عندك في الحقّ سواء واحكم بين الناس بالحقّ وأقم فيهم بالقسط ولا تتّبع الهوى ولا تخف في الله لومة لائم فإنّ الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون وقد وجّهت إليك كتاباً لتقرأه على أهل مملكتك ليعلموا رأينا فيهم وفي جميع المسلمين فأحضرهم واقرأه عليهم وخذ البيعة لنا على الصغير والكبير منهم إن شاء الله تعالى.

قال فلمّا وصل عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة جمع الناس فصلى بهم ثمّ أمرهم بالكتاب فقرأ، عليهم وهو:

بسم الله الرحمٰن الرحيم من عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الّذي لا إلٰه إلّا هو وأسأله أن يصلّي على محمّد وآله صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا بعد فإنّ الله تعالى اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله أحكاماً لصنعه وحسن تدبيره ونظراً منه لعباده وخصّ به من أحبّ من خلقه فبعث إليهم محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم فعلّمهم الكتاب والحكمة إكراماً وتفضلاً لهذه الأمّة وأدبهم لكي يهتدوا وجمعهم لئلا [يتفرقوا، ووفقهم لئلاً يجوروا] فلمّا قضى ما كان عليه من ذلك مضى إلى رحمة ربه حميداً محموداً ثمّ إنّ بعض المسلمين أقاموا بعده رجلين رضوا بهديهما وسيرتهما فأقاما ما شاء الله ثمّ توفّاهما الله عزّ وجلّ ثم ولّوا بعدهما الثالث فأحدث أحداثاً ووجدت الأمّة عليه فعالاً فاتّفقوا عليه ثمّ نقموا منه فغيروا ثمّ جاءوني كتتابع الخيل فبايعوني فأنا استهدي الله بهداه وأستعينه على التقوى ألا وإنّ لكم علينا العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم والقيام عليكم بحقّه وإحياء سنّته والنصح لكم بالمغيب والمشهد وبالله نستعين على ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل وقد ولّيت أموركم حذيفة بن اليمان وهو ممّن أرتضي بهديه وأرجو صلاحه وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدّة على مريبكم والرفق بجميعكم أسأل الله لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان ورحمته الواسعة في الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال ثمّ إنّ حذيفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ ﷺ ثمّ قال: الحمد لله الّذي أحيى الحقّ وأمات الباطل وجاء بالعدل وأدحض بالجور وكبت الظالمين أيّها الناس إنّما وليّكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقّاً حقّاً وخير من نعلمه بعد نبيّنا محمّد رسول الله ﷺ وأولى الناس بالناس وأحقّهم بالأمر وأقربهم إلى الصدق وأرشدهم إلى العدل وأهداهم سبيلاً وأدناهم إلى الله وسيلة وأمسّهم برسول الله ﷺ رحماً أنيبوا إلى طاعة أوّل الناس سلماً وأكثرهم علماً وأقصدهم طريقاً وأسبقهم إيماناً وأحسنهم يقيناً وأكثرهم معروفاً وأقدمهم جهاداً وأعزّهم مقاماً أخي رسول الله ﷺ وابن عمّه وأبي الحسن والحسين عليهما السلام وزوج الزهراء البتول سيّدة نساء العالمين؛ فقوموا أيّها الناس فبايعوا على كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ فإنّ لله في ذلك رضاء ولكم مقنع وصلاح والسلام.

فقام الناس [بأجمعهم] وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام أحسن بيعة وأجمعها. فلمّا استتمّت البيعة قام إليه فتى من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمّد بن عمارة بن التيهان أخي أبي الهيثم بن التيهان يقال له مسلم متقلّداً سيفاً فناداه من أقصى الناس أيّها الأمير إنّا سمعناك تقول في أوّل كلامك إنّما وليّكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقّاً حقّاً تعريضاً بمن كان قبله من الخلفاء أنّهم لم يكونوا أُمراء المؤمنين حقّاً فعرّفنا ذلك أيّها الأمير رحمك الله ولا تكتمنا فإنّك ممّن شهد وغبنا ونحن مقلّدون ذلك أعناقكم والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأمّتكم وصدق الخبر عن نبيّكم. ﷺ فقال حذيفة أيّها الرجل أمّا إذا سألت وفحصت هكذا فاسمع وافهم ما أُخبرك به.

أمّا من تقدّم من الخلفاء قبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ممّن تسمّى بأمير المؤمنين فإنّهم تسمّوا بذلك وسمّاهم الناس به وأمّا علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّ جبرائيل عليه السلام سمّاه بهذا الاسم عن الله تعالى وشهد له رسول الله ﷺ عن سلام جبرائيل عليه بإمرة المؤمنين وكان أصحاب رسول الله ﷺ يدعونه في حياة رسول الله ﷺ بأمير المؤمنين قال الفتى: أخبرني كيف كان ذلك يرحمك الله قال حذيفة: إنّ الناس كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ قبل الحجاب إذا شاؤوا فنهاهم رسول الله ﷺ أن يدخل أحد إليه وعنده دحية بن خليفة الكلبي وكان رسول الله ﷺ يراسل قيصراً ملك الروم وبني حنيفة وملوك بني غسان على يده وكان جبرائيل عليه السلام يهبط عليه في صورته ولذلك نهى رسول الله ﷺ أن يدخل المسلمون عليه إذا كان عنده دحية.

قال حذيفة: وإنّي أقبلت يوماً لبعض أموري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهجراً رجاء أن ألقاه خالياً فلمّا صرت بالباب نظرت فإذا أنا بشملة قد سدلت على الباب فرفعتها وهممت بالدخول وكذلك كنّا نصنع فإذا أنا بدحية قاعد والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نائم ورأسه في حجر دحية، فلمّا رأيته انصرفت فلقيني عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بعض الطريق فقال: يابن اليمان من أين أقبلت؟ فقلت: من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: وماذا صنعت عنده قلت: أردت الدخول عليه في كذا وكذا وذكرت الأمر الّذي جئت له فلم يتهيّأ لي ذلك قال: ولـمَ؟ قلت: عنده دحية الكلبي وسألت عليّاً عليه السلام معونتي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الأمر قال: فارجع معي فرجعت معه فلمّا صرنا إلى باب الدار جلست بالباب ورفع علي عليه السلام الشملة ودخل فسلّم فسمعت دحية يقول وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثمّ قال: اجلس فخذ رأس أخيك وابن عمّك من حجري فأنت أولى الناس به فجلس عليّ عليه السلام وأخذ رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعله في حجره وخرج دحية من البيت فقال عليّ عليه السلام ادخل يا حذيفة فدخلت وجلست فما كان بأسرع من أن انتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك في وجه عليّ عليه السلام ثم قال: يا أبا الحسن من حجر من أخذت رأسي قال: من حجر دحية الكلبي فقال: ذلك جبرائيل عليه السلام فما قلت له حين دخلت وما قال لك؟ قال: دخلت فسلّمت فقال لي: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ سلّمت عليك ملائكة الله وسكّان سمٰواته بإمرة المؤمنين من قبل أن يسلّم عليك أهل الأرض يا عليّ إنّ جبرائيل فعل ذلك عن أمر الله عزّ وجلّ وقد أوحى إليّ عن ربّي تبارك وتعالى من قبل دخولك أن أفرض ذلك على الناس وأنا فاعل ذلك إن شاء الله تعالى فلمّا كان من الغد بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناحية فدك في حاجة فلبثت أيّاماً ثمّ قدمت فوجدت الناس يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الناس أن يسلّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين وأنّ جبرائيل عليه السلام أتاه بذلك عن الله عزّ وجلّ فقلت صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا قد سمعت جبرائيل سلّم على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين وحدَّثتهم الحديث فسمعني عمر بن الخطّاب وأنا أُحدّث الناس في المسجد فقال لي: أنت رأيت جبرائيل وسمعته اتّق القول فقد قلت قولاً عظيماً وقد خولط بك، فقلت: نعم أنا رأيت ذلك وسمعته فأرغم الله أنف من رغم فقال: يا أبا عبد الله لقد رأيت وسمعت عجباً.

قال حذيفة فسمعني بريدة بن الخصيب الأسلمي وأنا أحدّث ببعض ما رأيت وسمعت فقال لي: والله يابن اليمان لقد أمرهم رسول الله ﷺ بالسلام على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين فاستجابت له طائفة يسيرة من الناس وردّ عليه ذلك وأباه كثير من الناس فقلت: يا بريدة أكنت شاهداً ذلك اليوم؟ فقال: نعم من أوّله إلى آخره فقلت له: حدّثني به رحمك الله فإنّي كنت عن ذلك اليوم غائباً فقال بريدة: كنت أنا وعمّار أخي عند رسول الله ﷺ في نخل بني النجار فدخل علينا علي بن أبي طالب عليه السلام فسلّم ورد عليه رسول الله ﷺ ورددنا ثمّ قال له: يا عليّ اجلس هناك فجلس فدخل رجال فأمرهم رسول الله ﷺ بالسلام على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين فسلّموا وما كادوا ثمّ دخل أبو بكر وعمر فسلّما فقال لهما رسول الله ﷺ: سلّما على عليّ بإمرة المؤمنين فقالا عن الله ورسوله فقال: نعم [ثم دخل طلحة وسعد بن مالك فسلّما فقال لهما النبيّ: سلّما على عليّ بإمرة المؤمنين فقالا: عن الله ورسوله فقال: نعم، قالا]: سمعنا وأطعنا ثمّ دخل سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري رضي الله عنهما فسلّما فرد عليهما السلام ثمّ قال لهما سلّما على عليّ بإمرة المؤمنين فسلّما ولم يقولا شيئاً ثمّ دخل خزيمة بن ثابت وأبو الهيثم بن التيهان فسلّما فرد عليهما السلام ثمّ قال: سلّما على عليّ بإمرة المؤمنين فسلّما ولم يقولا شيئاً ثمّ دخل عمّار والمقداد فسلّما فرد عليهما السلام وقال: سلّما على عليّ بإمرة المؤمنين ففعلا ولم يقولا شيئاً ثمّ دخل عثمان وأبو عبيدة فسلّما فرد عليهما السلام وقال: سلّما على عليّ بإمرة المؤمنين قالا عن الله ورسوله قال: نعم فسلّما ثمّ دخل فلان وفلان وعدّ جماعة من المهاجرين والأنصار كل ذلك يقول رسول الله ﷺ سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين فبعض يسلّم ولا يقول شيئاً وبعض يقول للنبيّ ﷺ أعن الله ورسول الله فيقول: نعم حتّى غصّ المجلس بأهله وامتلأت الحجرة وجلس بعض على الباب وفي الطريق وكانوا يدخلون فيسلمون ويخرجون ثمّ قال لي ولأخي: قم يا بريدة أنت وأخوك فسلّما على عليّ بإمرة المؤمنين فقمنا وسلمنا ثمّ عدنا إلى مواضعنا فجلسنا قال ثمّ أقبل رسول الله ﷺ عليهم جميعاً فقال اسمعوا وعوا إني أمرتكم أن تسلموا على عليّ بإمرة المؤمنين وإنّ رجالا سألوني أذلك عن أمر الله وأمر رسوله؟ ما كان لمحمّد أن يأتي أمراً من تلقاء نفسه بل بوحي ربّه وأمره أفرأيتم والّذي نفسي بيده لئن أبيتم ونقضتموه لتكفرن ولتفارقنّ ما بعثني به ربّي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

قال بريدة فلمّا خرجنا سمعت بعض أولئك الّذين أُمروا بالسلام على عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بإمرة المؤمنين [من قريش] يقول لصاحبه وقد التفّت بهما طائفة من الجفاة البطاة عن الإسلام من قريش: أما رأيت ما صنع محمّد بابن عمّه من علو المنزلة والمكانة ولو يستطيع والله لجعله نبيّاً من بعده فقال له صاحبه أمسك ولا يكبرنّ عليك هذا [الأمر] فإنّا لو فقدنا محمّداً لكان فعله هذا تحت أقدامنا.

قال حذيفة ثمّ خرج بريدة إلى بعض طرق الشام ورجع وقد قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبايع الناس أبا بكر فأقبل بريدة فدخل المسجد وأبو بكر على المنبر وعمر دونه بمرقاة فناداهما من ناحية المسجد يا أبا بكر ويا عمر فقالا ما لك يا بريدة أجننت؟ فقال لهما والله ما جننت ولكن أين سلامكما بالأمس على عليّ بإمرة المؤمنين؟ فقال له أبو بكر يا بريدة الأمر يحدث بعده الأمر وإنّك غبت وشهدنا والشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال لهما: رأيتما ما لم يره الله ولا رسوله وفى لك صاحبك بقوله لو فقدنا محمداً لكان قوله هذا تحت أقدامنا ألا إنّ المدينة حرام عليّ أن أسكنها أبداً حتى أموت . فخرج بريدة بأهله وولده فنزل بين قومه بني أسلم فكان يطلع في الوقت دون الوقت فلمّا أفضى الأمر إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ سار إليه وكان معه حتّى قدم العراق فلمّا أُصيب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ صار إلى خراسان فنزلها ولبث [هناك] إلى أن مات رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال حذيفة فهذه أنباء ما سألتني عنه فقال الفتى: لا جزى الله الّذين شاهدوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسمعوه يقول هذا القول في عليّ خيراً فقد خانوا الله ورسوله وأزالوا الأمر عمّن رضيه الله ورسوله وأقرّوه فيمن لم يره الله ولا رسوله لذلك أهلاً لا جرم والله لن يفلحوا بعدها أبداً. فنزل حذيفة عن منبره فقال: يا أخا الأنصار إنّ الأمر كان أعظم ممّا تظنّ إنّه عزب والله الصبر وذهب اليقين وكثر المخالف وقلّ الناصر لأهل الحقّ فقال له الفتى فهلاّ انتضيتم أسيافكم ووضعتموها على رقابكم وضربتم بها الزائلين عن الحق قدماً قدماً حتّى تموتوا أو تدركوا الأمر الّذي تحبّونه من طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ وطاعة رسوله؟ فقال له أيّها الفتى إنّه أُخذ والله بأسماعنا وأبصارنا وكرهنا الموت وزينت عندنا الحياة الدنيا وسبق علم الله بإمرة الظالمين ونحن نسأل الله التغمد لذنوبنا والعصمة فيما بقي من آجالنا فإنّه مالك رحيم.

ثمّ انصرف حذيفة إلى منزله وتفرّق الناس قال عبد الله بن سلمة فبينما أنا ذات يوم عند حذيفة أعوده في مرضه الّذي مات فيه وقد كان يوم قدمت فيه من الكوفة وذلك من قبل قدوم عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى العراق فبينما أنا عنده إذ جاء الفتى الأنصاري

فدخل على حذيفة فرحب به وأدناه وقرب مجلسه وخرج من كان عند حذيفة من عوّاده وأقبل عليه الفتى وقال: يا أبا عبد الله سمعتك يوماً تحدّث عن بريدة بن الخصيب الأسلمي أنّه سمع بعض القوم الّذين أمرهم رسول الله ﷺ أن يسلّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين يقول لصاحبه أما رأيت اليوم ما صنع محمّد بابن عمّه من التشريف وعلوّ المنزلة حتّى لو قدر أن يجعله نبيّاً لفعل فأجابه صاحبه فقال لا يكبرن عليك فلو فقدنا محمّداً لكان قوله تحت أقدامنا وقد ظننت نداء بريدة لهما وهما على المنبر أنّهما صاحبا القول قال حذيفة: أجل القائل عمر والمجيب أبو بكر فقال الفتى: إنّا لله وإنّا إليه راجعون هلك والله القوم وبطلت أعمالهم قال حذيفة ولم يزل القوم على ذلك من الارتداد وما يعلم الله منهم أكثر.

فقال الفتى قد كنت أحب أن أتعرّف هذا الأمر من فعلهم ولكنّي أجدك مريضاً وأنا أكره أن أُملّك بحديثي ومسألتي وقام لينصرف فقال حذيفة: لا بل اجلس يابن أخي وتلقَّ منّي حديثهم وإن كربني ذلك فلا أحسبني إلّا مفارقكم إنّي لا أحبّ أن تغترّ بمنزلتهما في الناس فهذا ما أقدر عليه من النصيحة لك ولأمير المؤمنين عليه السلام من الطاعة لله ولرسوله ﷺ وذكر منزلته فقال: يا أبا عبد الله حدّثني بما عندك من أمورهم لأكون على بصيرة من ذلك فقال حذيفة: إذن والله لأُخبرنّك بخبر سمعته ورأيته ولقد والله دلّنا ذلك من فعلهم على أنّهم والله ما آمنوا بالله ولا برسوله طرفة عين.

وأُخبرك أنّ الله تعالى أمر رسوله ﷺ في سنة عشر من مهاجرته من مكّة إلى المدينة أن يحج هو ويحجّ الناس معه فأوحى إليه بذلك ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، فأمر رسول الله ﷺ المؤذّنين فأذنوا في أهل السافلة والعالية ألا إنّ رسول الله ﷺ قد عزم على الحجّ في عامه هذا ليفهم الناس حجّهم ويعلمهم مناسكهم فيكون سنّة لهم إلى آخر الدهر، قال: فلم يبق أحد ممّن دخل في الإسلام إلّا حجّ مع رسول الله ﷺ سنة عشر ليشهدوا منافع لهم ويعلّمهم حجّهم ويعرّفهم مناسكهم. وخرج رسول الله ﷺ بالناس وخرج نساؤه معه وهي حجّة الوداع فلمّا استتمّ حجّهم وقضوا مناسكهم وعرّف الناس جميع ما احتاجوا إليه وأعلمهم أنّه قد أقام لهم ملّة إبراهيم عليه السلام وقد أزال عنهم جميع ما أحدثه المشركون بعده وردّ الحجّ إلى حالته الأولى ودخل مكّة فأقام بها يوماً واحداً

فهبط عليه جبرائيل عليه السلام بأوّل سورة العنكبوت فقال: يا محمّد اقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ [العنكبوت: ١-٤].

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرائيل وما هذه الفتنة؟ فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك: إنّي ما أرسلت نبيّاً قبلك إلاّ أمرته عند انقضاء أجله أن يستخلف على أمّته من بعده من يقوم مقامه ويحيي لهم سنّته وأحكامه، فالمطيعون لله فيما يأمرهم به رسوله هم الصادقون، والمخالفون على أمره هم الكاذبون، وقد دنا يا محمّد مصيرك إلى ربّك وجنّته وهو يأمرك أن تنصب لأمّتك من بعدك عليّ بن أبي طالب وتعهد إليه فهو الخليفة القائم برعيّتك وأمّتك إن أطاعوه أسلموا وإن عصوه [كفروا] وسيفعلون ذلك وهي الفتنة التي تلوت عليك الآي فيها، وإنّ الله عز وجل يأمرك أن تعلّمه جميع ما علّمك وتستحفظه جميع ما استحفظك واستودعك فإنّه الأمين المؤتمن، يا محمّد إنّي اخترتك من عبادي نبيّاً واخترته لك وصيّاً.

قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً يوماً فخلا به يومه ذلك وليلته واستودعه العلم والحكمة التي آتاه الله إيّاها وعرفه [ما قال] جبرائيل عليه السلام وكان ذلك في يوم عائشة بنت أبي بكر، فقالت يا رسول الله لقد طال استخلاؤك بعليّ منذ اليوم؟ قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: لم تعرض عنّي يا رسول الله لأمر لعلّه يكون لي صلاحاً؟ فقال: صدقت أيم الله لأنه لأمر صلاح لمن أسعده الله بقبوله والإيمان به وقد أُمرت بدعاء الناس جميعاً إليه وستعلمين ذلك إذا أنا قمت به في الناس قالت يا رسول الله ولم لا تخبرني به الآن لأتقدم بالعمل به والأخذ بما فيه الصلاح قال: سأخبرك به فاحفظيه إلى أن أؤمر بالقيام به في الناس جميعاً فإنّك إن حفظتيه حفظك الله تعالى في العاجلة والآجلة جميعاً وكانت لك الفضيلة بالسبقة والمسارعة إلى الإيمان بالله ورسوله وإن أضعتيه وتركت رعاية ما أُلقي إليك منه كفرت بربّك وحبط أجرك وبرئت منك ذمّة الله وذمّة رسوله وكنت من الخاسرين ولم يضرّ الله ذلك ولا رسوله، فضمنت له حفظه والإيمان به ورعايته فقال: إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّ عمري قد انقضى وأمرني أن أنصب عليّاً للناس علماً وأجعله فيهم إماماً وأستخلفه كما استخلف الأنبياء من قبلي أوصياءهم وأنا صائر إلى ربي وآخذ فيه بأمره فليكن هذا الأمر منك تحت سويداء قلبك إلى أن يأذن الله لقيام به، فضمنت له ذلك، وقد أطلع الله نبيّه على ما يكون منها فيه ومن صاحبتها حفصة وأبويهما.

فلم تلبث أن أخبرت حفصة وأخبرت كلّ واحدة منهما أباها فاجتمعا فأرسلا إلى جماعة الطلقاء والمنافقين فخبّراهم بالأمر فأقبل بعضهم على بعض وقالوا إنّ محمّداً يريد أن يجعل هذا الأمر في أهل بيته كسنّة كسرى وقيصر إلى آخر الدهر لا والله ما لكم في الحياة من حظّ إن أفضى هذا الأمر إلى عليّ بن أبي طالب وإنّ محمّداً عاملكم على ظاهركم وإنّ عليّاً يعاملكم على ما يجد في نفسه منكم فأحسنوا النظر لأنفسكم في ذلك وقدموا رأيكم فيه. ودار الكلام فيما بينهم وأعادوا الخطاب وأجالوا الرأي فاتّفقوا على أن ينفروا بالنبيّ ﷺ ناقته على عقبة الهريش وقد كانوا صنعوا مثل ذلك في غزوة تبوك فصرف الله الشرّ عن نبيّه ﷺ واجتمعوا في أمر رسول الله ﷺ من القتل والاغتيال واستقاء السمّ على غير وجه وقد كان اجتمع أعداء رسول الله ﷺ من الطلقاء من قريش والمنافقين من الأنصار ومن كان في قلبه الارتداد من العرب في المدينة وما حولها فتعاقدوا وتحالفوا على أن ينفروا به ناقته وكانوا أربعة عشر رجلاً، وكان من عزم رسول الله ﷺ أن يقيم عليّاً وينصبه للناس بالمدينة إذا قدم، فسار رسول الله ﷺ يومين وليلتين فلمّا كان في اليوم الثالث أتاه جبرائيل عليه السلام بآخر سورة الحجر فقال: اقرأ: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ٩٢-٩٥].

قال ورحل رسول الله ﷺ وأغذّ[١] السير مسرعاً على دخول المدينة لينصب عليّاً عليه السلام علماً للناس، فلمّا كانت الليلة الرابعة هبط جبرائيل عليه السلام في آخر الليل فقرأ عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وهم الّذين همّوا برسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أما تراني يا جبرائيل أغذّ السير مجدّاً فيه لأدخل المدينة فأعرض ولاية عليّ على الشاهد والغائب، فقال له جبرائيل عليه السلام إنّ الله يأمرك أن تفرض ولايته غداً إذا نزلت منزلك، فقال رسول الله ﷺ: نعم يا جبرائيل غداً أفعل ذلك إن شاء الله تعالى وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل من وقته وسار الناس معه حتّى نزل بغدير خم، وصلّى بالناس وأمرهم أن يجتمعوا إليه ودعا عليّاً عليه السلام ورفع رسول الله ﷺ يد عليّ اليسرى بيده اليمنى ورفع صوته بالولاء لعليّ عليه السلام على الناس أجمعين وفرض طاعته عليهم وأمرهم أن لا يختلفوا عليه

(١) أغذ المسير وفيه: أسرع.

بعده وخبّرهم أنّ ذلك عن أمر الله عزّ وجلّ وقال لهم ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، ثمّ أمر الناس أن يبايعوه فبايعه الناس جميعاً ولم يتكلّم منهم واحد وقد كان أبو بكر وعمر تقدّما إلى الجحفة فبعث وردّهما، ثم قال لهما النبيّ صلى الله عليه وآله متهجماً: يابن أبي قحافة ويا عمر بايعا عليّاً بالولاية من بعدي فقالا أمر من الله ومن رسول الله ؟ فقال: وهل يكون مثل هذا من غير أمر الله [ومن رسوله] نعم أمر من الله ومن رسوله فبايعا ثمّ انصرفا.

وسار رسول الله صلى الله عليه وآله باقي يومه وليلته حتّى إذا دنوا من عقبة الهريش تقدمه القوم فتواروا في ثنية العقبة وقد حملوا معهم دباباً وطرحوا فيها الحصى فقال حذيفة فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عمّار بن ياسر وأمره أن يسوقها وأنا أقودها حتّى إذا صرنا في رأس العقبة ثار القوم من ورائنا ودحرجوا الدباب بين قوائم الناقة فذعرت وكادت تنفر برسول الله صلى الله عليه وآله فصاح بها النبيّ صلى الله عليه وآله أن اسكني فليس عليك بأس فأنطقها الله بقول عربي مبين فصيح فقالت: والله يا رسول الله لا أزلت يداً عن مستقرّ يد ولا رجلاً عن موضع رجل وأنت على ظهري، فتقدم القوم إلى الناقة ليدفعوها فأقبلت أنا وعمار نضرب وجوههم بأسيافنا وكانت ليلة مظلمة فزالوا عنّا وأيسوا ممّا ظنّوا وقدّروا، فقلت يا رسول الله من هؤلاء القوم الّذين يريدون ما ترى؟ فقال: يا حذيفة هؤلاء المنافقون في الدنيا والآخرة، فقلت ألا تبعث إليهم يا رسول الله رهطاً فيأتوا برؤوسهم فقال: إنّ الله أمرني أن أُعرض عنهم وأكره أن يقول الناس إنّه دعا أُناساً من قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتّى إذا ظهر على عدوّه أقبل إليهم فقتلهم، ولكن دعهم يا حذيفة فإنّ الله لهم بالمرصاد وسيمهلهم قليلاً ثمّ يضطرّهم إلى عذاب غليظ، فقلت ومن هؤلاء القوم المنافقون يا رسول الله؟ أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ فسمّاهم لي رجلاً رجلاً حتّى فرغ منهم وقد كان فيهم أناس كنت كارهاً أن يكونوا فيهم فأمسكت عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا حذيفة كأنّك شاكّ في بعض من سمّيت لك؟ ارفع رأسك إليهم، فرفعت طرفي إلى القوم وهم وقوف على الثنية فبرقت برقة فأضاءت جميع ما حولنا وثبتت البرقة حتّى خلتها شمساً طالعة، فنظرت والله إلى القوم فعرفتهم رجلاً رجلاً فإذا هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وعدد القوم أربعة عشر رجلاً تسعة من قريش وخمسة من سائر الناس.

فقال له الفتى سمّهم لنا يرحمك الله قال حذيفة هم والله أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وأبو عبيدة بن الجراح ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص هؤلاء من قريش، وأمّا الخمسة الأُخر فأبو موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة الثقفي وأوس بن الحدثان البصري وأبو هريرة وأبو طلحة الأنصاري قال حذيفة ثمّ انحدرنا من العقبة وقد طلع الفجر فنزل رسول الله ﷺ فتوضّأ وانتظر أصحابه [حتى انحدروا] من العقبة واجتمعوا فرأيت القوم بأجمعهم وقد دخلوا مع الناس وصلّوا خلف رسول الله ﷺ.

فلمّا انصرف من صلاته التفت فنظر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يتناجون فأمر منادياً فنادى في الناس لا يجتمع ثلاثة نفر من الناس يتناجون فيما بينهم بسرّ. وارتحل رسول الله ﷺ بالناس من منزل العقبة فلمّا نزل المنزل الآخر رأى سالم مولى أبي حذيفة أبا بكر وعمر وأبا عبيدة يسار بعضهم بعضاً فوقف عليهم وقال: أليس قد أمر رسول الله ﷺ أن لا يجتمع ثلاثة نفر من الناس على سرّ، والله لتخبروني فيما أنتم وإلاّ أتيت رسول الله ﷺ حتّى أخبره بذلك منكم، فقال أبو بكر: يا سالم عليك عهد الله وميثاقه لئن نحن خبرناك بالّذي نحن فيه وبما اجتمعنا له إن أحببت أن تدخل معنا فيه دخلت وكنت رجلاً منّا وإن كرهت ذلك كتمته علينا؟ فقال سالم لكم ذلك وأعطاهم بذلك عهده وميثاقه، وكان سالم شديد البغض والعداوة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وعرفوا ذلك منه، فقالوا له إنّا قد اجتمعنا على أن نتحالف ونتعاقد على أن لا نطيع محمّداً فيما فرض علينا من ولاية عليّ بن أبي طالب بعده، فقال لهم سالم: عليكم عهد الله وميثاقه إنّ في هذا الأمر كنتم تخوضون وتتناجون، قالوا أجل علينا عهد الله وميثاقه إنا إنّما كنّا في هذا الأمر بعينه لا في شيء سواه، قال سالم وأنا والله أوّل من يعاقدكم على هذا الأمر ولا يخالفكم عليه إنه والله ما طلعت الشمس على أهل بيت أبغض إليّ من بني هاشم ولا من بني هاشم أبغض إليّ ولا أمقت من عليّ بن أبي طالب فاصنعوا في هذا الأمر ما بدا لكم فإنّي واحد منكم، فتعاقدوا من وقتهم على هذا الأمر ثمّ تفرّقوا. فلمّا أراد رسول الله ﷺ المسير أتوه فقال لهم فيما كنتم تتناجون في يومكم هذا وقد نهيتكم عن النجوى؟ فقالوا: يا رسول الله ما التقينا غير وقتنا هذا فنظر إليهم النبيّ ﷺ مليّاً ثمّ قال لهم أنتم أعلم أم الله؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ثمّ سار حتّى دخل المدينة واجتمع القوم جميعاً وكتبوا بينهم صحيفة على ذكر ما

تعاهدوا عليه في هذا الأمر وكان أوّل ما في الصحيفة النكث لولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأنّ الأمر لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم معهم ليس بخارج عنهم وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً هؤلاء أصحاب العقبة وعشرون رجلاً أُخر واستودعوا الصحيفة أبا عبيدة بن الجراح وجعلوه أمينهم عليها.

قال فقال له الفتى يا أبا عبد الله يرحمك الله هبنا نقول إنّ هؤلاء القوم رضوا بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة لأنهم من مشيخة قريش فما بالهم رضوا بسالم وليس هو من قريش ولا من المهاجرين ولا من الأنصار وإنّما هو لامرأة من الأنصار؟ قال: فقال حذيفة: يا فتى إنّ القوم أجمع تعاقدوا على إزالة هذا الأمر عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام حسداً منهم له وكراهة لإمرته، واجتمع لهم مع ذلك ما كان في قلوب قريش من سفك الدماء وكان خاصّة رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا يطلبون الثأر الّذي أوقعه رسول الله صلى الله عليه وآله بهم عند علي عليه السلام من بني هاشم فإنّما كان العقد على إزالة هذا الأمر عن عليّ عليه السلام من هؤلاء الأربعة عشر وكانوا يرون أنّ سالماً رجل منهم.

فقال الفتى فخبّرني يرحمك الله عمّا كتب جميعهم في الصحيفة لأعرفه، فقال حذيفة: حدّثتني بذلك أسماء بنت عميس الخثعميّة امرأة أبي بكر أنّ القوم اجتمعوا في منزل أبي بكر فتآمروا في ذلك وأسماء تسمعهم وتسمع جميع ما يدبّرونه في ذلك حتّى اجتمع رأيهم على ذلك فأمروا سعيد بن العاص الأمويّ فكتب لهم الصحيفة باتّفاق منهم وكانت نسخة الصحيفة: بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا ما اتّفق عليه الملأ من أصحاب محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار الّذين مدحهم الله في كتابه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله، اتّفقوا جميعاً بعد أن اجتهدوا في رأيهم وتشاوروا في أمورهم وكتبوا هذه الصحيفة نظراً منهم إلى الإسلام وأهله على غابر الأيّام وباقي الدهور ليقتدي بهم من يأتي من بعدهم من المسلمين.

أما بعد: فإنّ الله بمنّه وكرمه بعث محمّداً رسولاً إلى الناس كافّة بدينه الّذي ارتضاه لعباده فأدى ذلك وبلغ ما أمره الله به وأوجب علينا القيام بجميعه حتّى إذا أكمل الدين وفرض الفرائض، وأحكم السنن فاختار الله له ما عنده فقبضه إليه مكرّماً محبوراً من غير أن يستخلف أحداً من بعده، وجعل الاختيار إلى المسلمين يختارون لأنفسهم من وثقوا برأيه ونصحه، وإنّ للمسلمين في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] وإنّ رسول الله لم يستخلف أحداً لئلاّ يجري ذلك في أهل بيت واحد

فيكون إرثاً دون سائر المسلمين ولئلا يكون دولة بين الأغنياء منهم، ولئلا يقول المستخلف إنّ هذا الأمر باقٍ في عقبه من ولد إلى ولد إلى يوم القيامة، والّذي يجب على المسلمين عند مضيّ خليفة من الخلفاء أن يجتمع ذوو الرأي والصلاح منهم فيتشاوروا في أمورهم فمن رأوه مستحقاً لها ولوه أمورهم وجعلوه القيّم عليهم؛ فإنّه لا يخفى على أهل كلّ زمان من يصلح منهم للخلافة.

فإن ادّعى مدّع من الناس جميعاً أنّ رسول الله ﷺ استخلف رجلاً بعينه نصبه للناس ونصّ عليه باسمه ونسبه فقد أبطل في قوله وأتى بخلاف ما يعرفه أصحاب رسول الله ﷺ وخالف على جماعة المسلمين، وإن ادَّعى مدّع أنّ خلافة رسول الله ﷺ إرث وأنّ رسول الله ﷺ يورّث فقد أحال في قوله لأنّ رسول الله ﷺ قال نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة.

وإن ادّعى مدّع أنّ الخلافة لا تَصلح إلّا لرجل واحد من بين الناس جميعاً وأنها مقصورة فيه ولا تنبغي لغيره لأنّها تتلو النبوّة فقد كذب لأنّ النبيّ ﷺ قال أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم، وإن ادّعى مدّع أنّه مستحقّ الخلافة والإمامة لقرابة من رسول الله ﷺ ثمّ هي مقصورة عليه وعلى عقبه يرثها الولد منهم عن والده ثمّ هي كذلك في كلّ عصر وزمان لا تصلح لغيرهم ولا ينبغي أن تكون لأحد سواهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فليس له ولا لولده وإن دنا النبيّ ﷺ نسبه لأنّ الله يقول وقوله القاضي على كلّ أحد ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال رسول الله ﷺ إنّ ذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، وكلّهم يد على من سواهم فمن آمن بكتاب الله وأقرّ بسنّة رسول الله ﷺ فقد استقام وأناب وأخذ بالصواب، ومن كره ذلك من فعالهم فقد خالف الحقّ والكتاب وفارق جماعة المسلمين فاقتلوه فإنّ في قتله صلاحاً للأمة وقد قال رسول الله ﷺ من جاء إلى أُمتي وهم جميع ففرّق بينهم فاقتلوه واقتلوا أيَّ فرد كائناً من كان من الناس فإنّ الاجتماع رحمة والفرقة عذاب، وقال: لا تجتمع أمّتي على الضلال أبداً، وإنّ المسلمين يد واحدة على من سواهم وإنّه لا يخرج من جماعة المسلمين إلّا مفارق معاند لهم ومظاهر عليهم أعداءهم فقد أباح الله ورسوله دمه وأحلّ قتله.

وكتب سعيد بن العاص باتّفاق من أثبت اسمه وشهادته آخر هذه الصحيفة في المحرم الحرام سنة عشر من الهجرة والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم. ثمّ دفعت الصحيفة إلى أبي عبيدة بن الجرّاح فوجّه بها إلى مكة

فلم تزل الصحيفة في الكعبة مدفونة إلى أن وليّ عمر بن الخطاب فاستخرجها من موضعها وهي الصحيفة التي تمنّى أمير المؤمنين عليه السلام لمّا توفّي عمر فوقف به وهو مسجى بثوبه فقال: ما أحبّ إليّ أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى.

ثمّ انصرفوا وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس صلاة الفجر ثمّ جلس في مجلسه يذكر الله عزّ وجلّ حتّى طلعت الشمس فالتفت إلى أبي عبيدة بن الجراح فقال له بخ بخ من مثلك لقد أصبحت أمين هذه الأمّة، ثمّ تلا ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. لقد أشبه هؤلاء رجال من هذه الأمّة يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً. ثمّ قال لقد أصبح في هذه الأمّة في يومي هذا قوم ضاهوهم في صحيفتهم التي كتبوها علينا في الجاهليّة وعلّقوها في الكعبة وإنّ الله تعالى يعذّبهم عذاباً ليبتليهم ويبتلي من يأتي بعدهم تفرقة بين الخبيث والطيّب ولولا أنّه سبحانه أمرني بالإعراض عنهم للأمر الّذي هو بالغه لقدمتهم فضربت أعناقهم.

قال حذيفة: فوالله لقد رأينا هؤلاء النفر عند قول رسول الله صلى الله عليه وآله هذه المقالة وقد أخذتهم الرعدة فما يملك أحد منهم من نفسه شيئاً ولم يخفَ على أحد ممّن حضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك اليوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاهم عنى بقوله، ولهم ضرب تلك الأمثال بما تلا من القرآن.

قال ولمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره ذلك نزل بمنزل أمّ سلمة زوجته فأقام به شهراً لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه كما كان يفعل قبل ذلك قال: فشكت عائشة وحفصة ذلك ألى أبويهما فقالا لهما إنّا لنعلم لم صنع ذلك ولأيّ شيء هو، امضيا إليه فلاطفاه في الكلام وخادعاه عن نفسه فإنّكما تجدانه حييّاً كريماً فلعلّكما تسلّان ما في قلبه وتستخرجان سخيمته؛ قال فمضت عائشة وحدها إليه فأصابته في منزل أمّ سلمة وعنده عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله ما جاء بك يا حميراء قالت: يا رسول الله أنكرت تخلّفك عن منزلك هذه المدّة وأنا أعوذ بالله من سخطك يا رسول الله فقال لو كان الأمر كما تقولين لما أظهرت بسرّ وصيتك بكتمانه لقد هلكت وأهلكت أمّة من الناس.

قال ثمّ أمر خادمة لأمّ سلمة فقال: اجمعي لي هؤلاء يعني نساءه فجمعتهن له في منزل أمّ سلمة فقال لهنّ اسمعن ما أقول لكن وأشار بيده إلى عليّ بن أبي

طالب عليه السلام فقال لهنّ هذا أخي ووصيّي ووارثي والقائم فيكنّ وفي الأمّة من بعدي فأطعنه فيما يأمركنّ به ولا تعصينه فتهلكن بمعصيته. ثمّ قال يا عليّ أُوصيك بهنّ فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك وأنفق عليهن من مالك ومرهن بأمرك وانههنّ عمّا يريبك وخلّ سبيلهن إن عصينك، فقال عليّ عليه السلام يا رسول الله إنهنّ نساء وفيهنّ الوهن وضعف الرأي، فقال: إرفق بهنّ ما كان الرفق أمثل بهنّ فمن عصاك منهن فطلّقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها. قال وكلّ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله قد صمتن فما يقلن شيئاً، فتكلّمت عائشة فقالت يا رسول الله ما كنّا لتأمرنا بشيء فنخالفه إلى ما سواه، فقال لها بلى يا حميراء لقد خالفت أمري أشدّ خلاف وأيم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصينه بعدي ولتخرجين من البيت الّذي أُخلفك فيه متبرجة قد حفّ بك فئام[1] من الناس فتخالفينه ظالمة له عاصية لربّك ولتنبحنّك في طريقك كلاب الحوأب ألا إنّ ذلك كائن ثمّ قال قمن فانصرفن إلى منازلكن قال فقمن فانصرفن.

قال ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع أولئك النفر ومن والاهم على عليّ عليه السلام وطابقهم على عداوته ومن كان من الطلقاء والمنافقين وكانوا زهاء أربعة آلاف رجل فجعلهم تحت يدي أسامة بن زيد مولاه وأمّره عليهم وأمره بالخروج إلى ناحية من الشام، فقالوا يا رسول الله إنّا قدمنا من سفرنا الّذي كنّا فيه معك ونحن نسألك أن تأذن لنا في المقام لنصلح من شأننا ما يصلحنا في سفرنا، قال فأمرهم أن يكونوا في المدينة ريث إصلاح ما يحتاجون إليه، وأمر أسامة بن زيد فعسكر بهم على أميال من المدينة، فأقام بمكانه الّذي حدّ له رسول الله صلى الله عليه وآله منتظراً للقوم أن يوافوه إذا فرغوا من أمورهم وقضوا حوائجهم، وإنّما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنع من ذلك أن تخلو المدينة منهم ولا يبقى بها أحد من المنافقين.

قال فهم على ذلك من شأنهم ورسول الله صلى الله عليه وآله دائب يحثّهم ويأمرهم بالخروج والتعجيل إلى الوجه الّذي ندبهم إليه إذ مرض رسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الّذي توفّي فيه فلمّا رأوا ذلك تباطأوا عمّا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الخروج، فأمر قيس بن سعد بن عبادة وكان سياف رسول الله صلى الله عليه وآله والحباب بن المنذر في جماعة من الأنصار أن يرحلوا بهم إلى عسكرهم، فأخرجهم قيس بن سعد والحباب بن المنذر حتّى ألحقاهم بمعسكرهم وقالا لأسامة إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرخّص لك في

---

(١) في مجمع البحرين الفئام بالكسر والهمز الجماعة الكثيرة من الناس لا واحد له من لفظه، وقال الجوهري وغيره: والعامة تقول الفيام بلا همز.

التخلّف فسر من وقتك هذا ليعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فارتحل بهم أسامة وانصرف قيس والحباب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعلماه برحلة القوم، فقيل لهم إنّ القوم غير سائرين.

قال فخلا أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بأسامة وجماعة من أصحابه فقالوا إلى أين تنطلق وتخلّي المدينة ونحن أحوج ما كنّا إليها وإلى المقام بها فقال لهم وما ذلك؟ قالوا إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد نزل به الموت والله لئن خلينا المدينة ليحدثن بها أمور لا يمكن إصلاحها، ننظر ما يكون من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ المسير بين أيدينا. قال فرجع القوم إلى المعسكر الأوّل فأقاموا به وبعثوا رسولاً يتعرّف لهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتى الرسول إلى عائشة فسألها عن ذلك سرّاً فقالت امض إلى أبي بكر وعمر ومن معهما وقل لهما إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ثقل فلا يبرحن أحد منكم وأنا أُعلمكم الخبر وقتاً بعد وقت واشتدّت علّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعت عائشة صهيباً فقالت: أمض إلى أبي وأعلمه أنّ محمّداً في حال لا يرجى فهلمّ إلينا أنت وعمر وأبو عبيدة ومن رأيتم أن يدخل معكم وليكن دخولكم في الليل سرّاً، قال: فأتاهم الخبر فأخذوا بيد صهيب فأدخلوه إلى أسامة بن زيد فأخبروه الخبر وقالوا له كيف ينبغي لنا أن نتخلّف عن مشاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستأذنوا في الدخول فأذن لهم وأمرهم أن لا يعلم بدخولهم أحد وإن عوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجعتم إلى عسكركم، وإن حدث حادث الموت عرفونا ذلك لنكون في جماعة الناس.

فدخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ليلاً المدينة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ثقل، قال: فأفاق بعض الإفاقة فقال لقد طرق ليلتنا هذه المدينة شرّ عظيم فقيل وما هو يا رسول الله؟ قال إنّ الّذين كانوا في جيش أسامة قد رجع منهم نفر يخالفون عن أمري ألا إنّي إلى الله منهم بريء ويحكم نفذوا جيش أسامة فلم يزل يقول ذلك حتّى قالها مرّات كثيرة، قال وكان بلال مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤذن بالصلاة في كلّ وقت صلاة فإن قدر على الخروج تحامل وخرج وصلّى بالناس وإن هو لم يقدر على الخروج أمر عليّ بن أبي طالب عليه السلام فصلّى بالناس، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام والفضل بن العبّاس لا يزايلانه في مرضه ذلك، فلمّا أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ليلته تلك التي قدم فيها القوم الّذين كانوا تحت يد أسامة أذن بلال ثمّ أتاه يخبره كعادته، فوجده قد ثقل فمنع من الدخول إليه فأمرت عائشة صهيباً أن يمضي إلى أبيها فيعلمه أنّ رسول الله قد ثقل في مرضه وليس يطيق النهوض إلى المسجد وعليّ بن أبي طالب قد

شغل به وبمشاهدته عن الصلاة بالناس فاخرج أنت إلى المسجد فصلّ بالناس فإنّها حالة تهيّئك وحجّة لك بعد اليوم.

قال فلم يشعر الناس وهم في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ أو عليّاً عليه السلام يصلّي بهم كعادته التي عرفوها في مرضه إذ دخل أبو بكر المسجد وقال: إنّ رسول الله ﷺ قد ثقل وقد أمرني أن أصلّي بالناس فقال له رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: وأنّى لك ذلك وأنت في جيش أسامة لا والله لا أعلم أحداً بعث إليك ولا أمرك بالصلاة ثمّ نادى الناس بلالاً فقال على رسلكم رحمكم الله لأستأذن رسول الله ﷺ في ذلك.

ثمّ أسرع حتّى أتى الباب فدقّه [دقّاً] شديداً، فسمعه رسول الله ﷺ فقال ما هذا الدق العنيف فانظروا ما هو قال فخرج الفضل بن العبّاس ففتح الباب فإذا بلال فقال ما وراءك يا بلال؟ فقال: إنّ أبا بكر قد دخل المسجد وتقدّم حتّى وقف في مقام رسول الله ﷺ وزعم أنّ رسول الله ﷺ أمره بذلك فقال أوليس أبو بكر مع أسامة في الجيش هذا والله هو الشر العظيم الّذي طرق البارحة المدينة، لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بذلك ودخل الفضل وأدخل بلالاً معه فقال ما وراءك يا بلال فأخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال أقيموني أخرجوني إلى المسجد والّذي نفسي بيده قد نزلت بالإسلام نازلة وفتنة عظيمة من الفتن، ثمّ خرج ﷺ معصوب الرأس يتهاوى بين عليّ والفضل بن العبّاس ورجلاه يجران في الأرض حتّى دخل المسجد وأبو بكر قائم في مقام رسول الله ﷺ وقد أطاف به عمر وأبو عبيدة وسالم وصهيب والنفر الّذين دخلوا وأكثر الناس قد وقفوا عن الصلاة ينتظرون ما يأتي به بلال.

فلمّا رأى الناس رسول الله ﷺ قد دخل المسجد وهو بتلك الحالة العظيمة من المرض أعظموا ذلك وتقدّم رسول الله ﷺ وجذب أبا بكر من ردائه فنحاه عن المحراب وأقبل أبو بكر والنفر الّذين كانوا معه فتواروا خلف رسول الله ﷺ وأقبل الناس فصلوا خلف رسول الله ﷺ وهو جالس وبلال يسمع الناس التكبير حتّى قضى صلاته، ثم التفت فلم ير أبا بكر، فقال أيّها الناس ألا تعجبون من ابن أبي قحافة وأصحابه الّذين أنفذتهم وجعلتهم تحت يدي أسامة وأمرتهم بالمسير إلى الوجه الّذي وجّهوا إليه فخالفوا ذلك ورجعوا إلى المدينة ابتغاء الفتنة ألا وإنّ الله قد أركسهم فيها اعرجوا بي إلى المنبر.

فقام وهو مربوط حتّى قعد على أدنى مرقاة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها

الناس إنّه قد جاءني من أمر ربّي ما الناس إليه صائرون وإنّي قد تركتكم على المحجّة الواضحة ليلها كنهارها فلا تختلفوا من بعدي كما اختلف من كان قبلكم من بني إسرائيل أيّها الناس إني لا أُحلّ لكم إلّا ما أحلّه القرآن، ولا أحرّم عليكم إلّا ما حرّمه القرآن، وإنّي مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا ولن تزلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي هما الخليفتان فيكم وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فأسألكم بماذا خلفتموني فيهما، وليذادن يومئذٍ رجال عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل فيقول رجال أنا فلان وأنا فلان فأقول أمّا الأسماء فقد عرفت ولكنكم ارتددتم من بعدي فسحقاً لكم سحقاً، ثمّ نزل عن المنبر وعاد إلى حجرته ولم يظهر أبو بكر ولا أصحابه حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان من الأنصار سعد وغيرهم في السقيفة ما كان فمنعوا أهل بيت نبيّهم حقوقهم التي جعلها الله عزّ وجلّ لهم، وأمّا كتاب الله فمزّقوه كلّ ممزَّق وفيما أخبرتك يا أخا الأنصار من خطب معتبر لمن أحبّ الله هدايته.

فقال الفتى سمّ لي القوم الآخرين الّذين حضروا الصحيفة وشهدوا فيها، فقال حذيفة: أبو سفيان وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أميّة بن خلف وسعيد بن العاص وخالد بن الوليد وعيّاش بن أبي ربيعة وبشر بن سعد وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وصهيب بن سنان وأبو الأعور السلمي ومطيع بن الأسود المدري وجماعة من هؤلاء ممّن سقط عنّي إحصاء عددهم فقال الفتى يا أبا عبد الله ما هؤلاء في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى انقلب الناس أجمعون بسبيلهم؟ فقال حذيفة إنّ هؤلاء رؤوس القبائل وأشرافها وما من رجل من هؤلاء إلّا ومعه من الناس خلق عظيم يسمعون له ويطيعون وأُشربوا في قلوبهم من أبي بكر كما أُشرب في قلوب بني إسرائيل من حبّ العجل والسامري حتّى تركوا هارون واستضعفوه.

قال الفتى فإنّي أُقسم بالله حقّاً إنّي لا أزال لهم مبغضاً وإلى الله منهم ومن أفعالهم متبرئاً ولا زلت لأمير المؤمنين عليه السلام موالياً ولأعدائه معادياً ولألحقنّ به وإني لآمل أن أُرزق الشهادة معه وشيكاً إن شاء الله تعالى. ثمّ ودّع حذيفة وقال هذا وجهي إلى أمير المؤمنين عليه السلام فخرج إلى المدينة واستقبله عليّ وقد شخص من المدينة يريد العراق فسار معه إلى البصرة، فلمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب الجمل كان ذلك الفتى أول من قتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك أنّه لمّا صاف القوم واجتمعوا على الحرب أحبّ أمير المؤمنين عليه السلام أن يستظهر عليهم بدعائهم

إلى القرآن وحكمه فدعا بمصحف وقال من يأخذ هذا المصحف يعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه فيحيي ما أحياه ويميت ما أماته؟ قال وقد شرعت الرماح بين العسكرين حتّى لو أراد أمرؤ أن يمشي عليها لمشى، قال فقام الفتى وقال يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه قال فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نادى الثانية: من يأخذ هذا المصحف فيعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه؟ فلم يقم إليه أحد، فقام الفتى وقال يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه، قال فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نادى الثالثة فلم يقم أحد من الناس إلا الفتى فقال أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه فقال أمير المؤمنين عليه السلام إنّك إن فعلت ذلك فإنّك مقتول، فقال والله يا أمير المؤمنين ما شيء أحبّ إليّ من أن أُرزق الشهادة بين يديك وأن أقتل في طاعتك، فأعطاه أمير المؤمنين عليه السلام المصحف فتوجّه به نحو عسكرهم فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال إنّ الفتى ممّن حشى الله قلبه نوراً وإيماناً وهو مقتول، ولقد أشفقت عليه من ذلك ولن يفلح القوم بعد قتلهم إيّاه. فمضى الفتى بالمصحف حتّى وقف بإزاء عسكر عائشة، وطلحة والزبير حينئذ عن يمين الهودج وشماله، وكان له صوت فنادى بأعلى صوته معاشر الناس هذا كتاب الله وإنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يدعوكم إلى كتاب الله والحكم بما أنزل الله فيه فأنيبوا إلى طاعة الله والعمل بكتابه. قال وكانت عائشة وطلحة والزبير يسمعون قوله فأمسكوا فلمّا رأى ذلك أهل عسكرهم بادروا إلى الفتى والمصحف في يمينه فقطعوا يده اليمنى فتناول المصحف بيده اليسرى وناداهم بأعلى صوته مثل ندائه أوّل مرّة فبادروا إليه وقطعوا يده اليسرى فتناول المصحف واحتضنه ودماؤه تجري عليه وناداهم مثل ذلك فشدوا عليه وقتلوه ووقع ميّتاً فقطعوه إرباً إرباً ولقد رأينا شحم بطنه أصفر.

قال وأمير المؤمنين عليه السلام واقف يراهم فأقبل على أصحابه فقال إنّي والله ما كنت في شكّ ولا لبس من ضلالة القوم وباطلهم ولكن أحببت أن يتبيّن لكم جميعاً ذلك من بعد قتلهم الرجل الصالح حكيم بن جبلة العبدي في رجال صالحين معه وتضاعف ذنوبهم بهذا الفتى وهو يدعوهم إلى كتاب الله والحكم به والعمل بموجبه فبادروا إليه فقتلوه ولا يرتاب بقتلهم إيّاهم مسلم. ووقدت الحرب واشتدّت فقال أمير المؤمنين عليه السلام احملوا بأجمعكم عليهم بسم الله الرحمن الرحيم حمَ لا

ينصرون، وحمل هو بنفسه والحسنان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله معه فغاص في القوم فوالله ما كانت إلاّ ساعة من نهار حتّى رأينا القوم شلايا يميناً وشمالاً صرعى تحت سنابك الخيل.

ورجع أمير المؤمنين عليه السلام مؤيّداً منصوراً وفتح الله عليه ومنحه أكتافهم وأمر بذلك الفتى وجميع من قتل معه فلفّوا في ثيابهم بدمائهم ولم تنزع عنهم ثيابهم وصلّى عليهم ودفنهم وأمرهم أن لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا لهم مدبراً وأمر بما حوى العسكر فجمع له وقسّمه بين أصحابه وأمر محمد بن أبي بكر أن يدخل أخته إلى البصرة فتقيم بها أيّاماً ثمّ يرحلها إلى منزلها بالمدينة. قال عبد الله بن سلمة كنت ممّن شهد حرب أهل الجمل فلمّا وضعت الحرب أوزارها رأيت أمّ ذلك الفتى واقفة عليه فجعلت تبكي عليه ثمّ أنشأت تقول:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم ... يتلو كتاب الله لا يخشاهم

يأمرهم بالأمر من مولاهم ... فخضبوا من دمه قناهم

وأمّه قائمة تراهم ... تأمرهم بالغيّ لا تنهاهم[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

في إرشاد القلوب للديلمي في ضمن مطاعن الثاني، قال: وأمّا ما أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله بسدّ أبواب الناس عن مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله تشريفاً له وصوناً له عن النجاسة سوى باب النبيّ صلى الله عليه وآله وباب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمره أن ينادي في الناس الصلاة جامعة فأقبلوا الناس يهرعون[2] فلمّا تكاملوا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أيّها الناس إنّ الله سبحانه وتعالى قد أمرني بسدّ أبوابكم المفتوحة إلى المسجد وبعد يومي هذا لا يدخله جنب ولا نجس فبذلك أمرني ربّي عزّ وجلّ فلا يكن في نفس أحد منكم أمر ولا تقولون لم وكيف وأنّى؟ فتحبط أعمالكم وتكونوا من الخاسرين وإيّاكم والمخالفة والشقاق فإنّ الله أوحى إليّ أن أُجاهد من عصاني وأنّه لازمة في الإسلام وقد جعلت مسجدي طاهراً من الدنس محرّماً على كلّ من يدخل

---

(١) الزيادات بين قوسين من إرشاد القلوب للديلمي ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢) أي يسرعون مع الاضطراب.

إليه من هذه الصفة التي ذكرتها غير أنا وأخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابنتي فاطمة وولدي الحسن والحسين عليهما السلام كما كان مسجد هارون وموسى فإنّ الله أوحى إليهما أن اجعلا بيوتكما قبلة لقومكما وإنّي قد بلّغتكم ما أمرني ربّي وأمرتكم بذلك ألا فاحذروا الحسد والنفاق، وأطيعوا الله طاعة يوافق فيها سركم علانيتكم واتّقوا الله حق تقانه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فقال الناس بأجمعهم سمعنا وأطعنا لله ورسوله ولا نخالف ما أمرتنا به.

ثمّ خرجوا وسدّوا أبوابهم جميعاً غير باب النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام فأظهر الناس الحسد والكلام فقال عمر: رسول الله يؤثر ابن عمّه عليّ بن أبي طالب علينا ويتقول على الله الكذب ويخبر عن الله بما لم يقل في ابن أبي طالب وإنّما قول محمّد محبّة لعليّ وإجابة إلى ما يريد فلو سأل الله ذلك لنا لأجابه. وأراد عمر أن يكون له باب مفتوح إلى المسجد ولمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله قول عمر وخوض القوم في الكلام أمر المنادي بالنداء إلى الصلاة الجامعة فلمّا اجتمع الناس قال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله: معاشر الناس قد بلغني ما خضتم فيه وما قال قائلكم وإنّي أقسم بالله العظيم إنّي لم أتقول على الله الكذب وما كذبت فيما قلت ولا أنا سددت أبوابكم ولا أنا فتحت باب عليّ بن أبي طالب ولا أمرني في ذلك إلّا الله عزّ وجلّ الّذي خلقني وخلقكم أجمعين، فلا تحاسدوا فتهلكوا ولا تحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله، فإنّه يقول في محكم كتابه ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] و﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

ثمّ صدّق الله سبحانه وتعالى رسوله بنزول الكوكب من الله في دار عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد مرّ حديث النجم وقصّته مشهورة، وأنزل الله قرآناً واقتص فيه بالنجم تصديقاً لرسوله صلى الله عليه وآله قال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ١-٤] الآيات كلّها، وتلاها صلى الله عليه وآله فلم يزدادوا إلّا غضباً وحسداً ونفاقاً وعتوّا استكباراً ثمّ تفرقوا وفي قلوبهم من الحسد والنفاق ما لا يعلمه إلّا الله سبحانه.

فلمّا كان بعد أيّام دخل عليه العبّاس فقال يا رسول الله قد علمت ما بيني وبينك من القرابة والرحم الماسة وأنا ممّن يدين الله بطاعتك فاسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل لي باباً إلى المسجد أتشرف به على من سواي فقال له يا عم ليس لي إلى ذلك سبيل، قال: فميزاباً يكون من داري إلى المسجد أتشرف به على القريب والبعيد؟ فسكت

النبي ﷺ وكان كثير الحياء لا يدري ما يعيد من الجواب خوفاً من الله تعالى وحياء من عمّه العبّاس فهبط جبرائيل في الحال على النبيّ ﷺ وقد علم الله من نبيّه ﷺ اشفاقه بذلك فقال: يا محمّد الله يأمرك أن تجيب سؤال عمّك وأمرك أن تنصب له ميزاباً إلى المسجد كما أراد فقد علمت ما في نفسك وقد أجبتك إلى ذلك كرامة لك ونعمة منّي عليك وعلى عمّك العبّاس فكبّر النبيّ ﷺ وقال: أبى الله إلّا إكرامكم يا بني هاشم وتفضيلكم على الخلق أجمعين ثمّ قام ومعه جماعة من الصحابة والعبّاس بين يديه حتّى صار على سطح بيت العبّاس فنصب ميزاباً إلى المسجد وقال معاشر المسلمين إنّ الله قد شرف عمّي العباس بهذا الميزاب، فلا تؤذوني في عمّي فإنّه بقيّة الآباء والأجداد فلعن الله منْ آذاني في عمي وبخسه حقّه أو أغار عليه.

ولم يزل الميزاب على حاله مدّة أيام النبيّ ﷺ وخلافة أبي بكر وثلاث سنين من خلافة عمر بن الخطّاب فلمّا كان في بعض الأيّام وعلّ عبّاس ومرض مرضاً شديداً فصعدت الجارية تغسل قميصه فجرى الماء من الميزاب إلى صحن المسجد فنال بعض الماء ثوب الرجل فغضب غضباً شديداً وقال لغلامه اصعد واقلع الميزاب فصعد الغلام فقلعه ورمى به إلى سطح العبّاس وقال والله لئن ردّه أحد إلى مكانه لأضربنّ عنقه، فشق ذلك على العباس ودعا بولديه عبد الله وعبيد الله ونهض يمشي متوكئاً عليهما وهو يرتعد من شدّة المرض وسار حتّى دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا نظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام على تلك الحالة انزعج لذلك وقال يا عمّ ما جاءبك وأنت على هذه الحالة فقص عليه القصّة وما فعل معه عمر من قلع الميزاب وتهدّده من يعيده إلى مكانه وقال له يابن أخي إنّه قد كان لي عينان أنظر بهما فمضت إحداهما وهي رسول الله ﷺ وبقيت الأُخرى وهي أنت يا عليّ، وما أظنّ أنّي أُظلم ويزول ما شرّفني به رسول الله ﷺ وأنت لي فانظر في أمري، فقال له يا عم ارجع إلى بيتك فسترى منّي ما يسرك إن شاء الله تعالى.

ثمّ نادى علي بذي الفقار فتقلّده ثم خرج إلى المسجد والناس حوله وقال يا قنبر اصعد حينئذٍ فردّ الميزاب إلى مكانه فصعد قنبر فردّه إلى موضعه، وقال علي عليه السلام وحقّ صاحب هذا القبر والمنبر لئن قلعه قالع لأضربنّ عنقه وعنق الآمر له بذلك ولأُصلّبنّهما في الشمس حتّى يتقددا، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فنهض ودخل المسجد ونظر إلى الميزاب وهو في موضعه قال لا يغضب أحد أبا الحسن فيما فعله ونكفّر عن اليمين فلمّا كان في الغداة مضى أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمّه العبّاس

وقال له كيف أصبحت يا عمّ؟ قال بأفضل النعم ما دمت لي يابن أخي، فقال له يا عم طب نفساً فوالله لو خاصمني أهل الأرض في الميزاب لخصمتهم ثم لقتلتهم بحول الله وقوته ولا ينالك ضيم يا عم، فقام العبّاس فقبّل بين عينيه وقال يابن أخي ما خاب من أنت ناصره، فكان هذا فعل عمر بالعبّاس عم رسول الله ﷺ وقد قال في غير موطن وصيّة منه في عمّه: إن عمّي العبّاس بقيّة الآباء والأجداد فاحفظوني فيه كلّ في كنف وأنا في كنف عمّي العبّاس فمن آذاه فقد آذاني، ومن عاداه فقد عاداني، سلمه سلمي وحربه حربي وقد آذاه عمر في ثلاث مواطن ظاهرة غير خفيّة منها قضيّة الميزاب ولولا خوفه من عليّ عليه السلام لم يتركه على حاله.

ومنها أنّ النبيّ ﷺ قبل الهجرة خرج يوماً إلى خارج مكّة ورجع طالباً منزله فاجتاز بمناد ينادي من بني تيم وكان له سيّد يسمّى عبد الله بن جذعان وكان يعد من سادات قريش وأشياخهم وكان له منادية ينادون في شعبات مكّة وأوديتها من أراد الضيافة والغداء فليأت مائدة عبد الله بن جذعان، وكان مناديه أبا قحافة وأجرته أربع دوانيق، وله مناد آخر ينادي فوق سطح داره فأُخبر عبد الله بن جذعان بجواز النبيّ ﷺ على باب داره وخرج يمشي حتّى لحق به وقال يا محمّد بالبيت الحرام إلّا ما شرفتني بدخولك منزلي وتحرمك بزادي وأقسم عليه بالبيت والبطحاء وشيبة عبد المطّلب فأجابه النبي ﷺ إلى ذلك ودخل منزله وتحرم بزاده فلمّا خرج النبي ﷺ خرج معه ابن جذعان مشيّعاً له فلمّا أراد الرجوع عنه قال له النبي ﷺ أُحب أن تكون غداً ضيفي أنت وتيم وأتباعها وحلفاؤها عند طلوع الغزالة:

ثمّ افترقا ومضى النبي ﷺ إلى دار عمّه أبي طالب وجلس متفكراً فيما وعده لعبد الله بن جذعان إذ دخلت عليه فاطمة بنت أسد زوجة عمّه أبي طالب وكانت هي مربيته وكان يسمّيها أمّي فلمّا رأته مهموماً قالت فداك أمّي وأبي فإنّي أراك مهموماً أعارضك أحد من أهل مكّة؟ فقال لا فقالت فبحقّي عليك إلّا ما أخبرتني بحالك فقصّ قصّته مع ابن جذعان وما قال له وما وعده من الضيافة فقالت يا ولدي لا يضيق صدرك مع إتيان عمّك يقوم لك بكلّ ما تريد، فبينما هما في الحديث إذ دخل أبو طالب عليه السلام فقال لزوجه فيما أنتما؟ فأعلمته بذلك كلّه وبما قال النبي ﷺ لابن جذعان فضمه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه، وقال يا ولدي بالله عليك لا يضيق صدرك من ذلك وفي نهار غد أقوم لك في جميع ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى وأصنع وليمة تتحدث فيها الركبان في سائر البلدان، وعزم على وليمة تعم سائر

القبائل، وقصد نحو أخيه العبّاس ليقترض منه شيئاً يضمه إلى ماله فوجد بني عبد المطلب في الطريق فأقرضوه من الجمال والذهب ما يكفيه فرجع عن القصد إلى أخيه العبّاس وآثر التخفيف عنه.

فبلغ أخاه العبّاس ذلك وعظم عليه رجوعه عن القصد إليه فأقبل إلى أخيه أبي طالب وهو مغموم كئيب فسلّم عليه فقال له أبو طالب ما لي أراك حزيناً كئيباً؟ فقال: بلغني أنّك قصدتني في حاجة ثم بدا لك عنها فرجعت من الطريق فما هذا الحال؟ فقص عليه القصّة إلى آخرها فقال له العبّاس الأمر إليك وإنّك لم تزل أهلاً لكل مكرمة ومؤمّلاً لكل نائبة ثمّ جلس عنده ساعة وقد أخذ أبو طالب فيما يحتاج إليه من آلة الطبخ وغير ذلك، فقال له العبّاس يا أخي لي إليك حاجة فقال أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ هي مقضيّة فاذكرها؛ فقال العبّاس: أقسمت عليك بحقّ البيت وبشيبة الحمد إلا قضيتها، فقال لك ذلك ولو سألت في النفس والولد، فقال تهب لي هذه المكرمة تشرّفني بها؟ فقال قد أجبتك إلى ذلك مع ما أصنعه أنا فنحر العبّاس الجزر ونصب القدور وعقد الحلاوات وشوى المشوي وأكثر من الزاد فوق ما يزاد، ونادى في سائر الناس واجتمع أهل مكّة وبطون قريش وسائر العرب على اختلاف طبقاتها يهرعون من كلّ مكان حتّى كأنّه عيد الله الأكبر ونصب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منصباً عالياً وزيّنه بالدرّ والياقوت والثياب الفاخرة وبقي الناس متعجّبين من حسن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ووقاره وعقله وكماله وضوؤه يعلو على ضوء الشمس وتفرّق الناس مسرورين وأنشدوا الخطب والأشعار ومدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأهله وعشيرته على حسن ضيافتهم وكانت يد العبّاس عند النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اليد العليا.

فلمّا تكامل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبلغ أشدّه وتزوج خديجة وأوحى الله إليه ونبّأه وأرسله إلى سائر العرب والعجم وأظهره على المشركين وفتح مكّة ودخلها مؤيّداً منصوراً، وقتل من قتل وبقي من بقي أوحى الله إليه يا محمّد إنّ عمّك العبّاس له عليك يد سابقة وجميل متقدم وهو ما أنفق عليك في وليمة عبد الله بن جذعان وهو ستّون ألف دينار مع ما له عليك في سائر الأزمان وفي نفسه شهوة سوق عكاظ فامنحه إيّاه في مدة حياته ولولديه بعد وفاته، ثمّ قال ألا لعنة الله على من عارض عمّي العبّاس في سوق عكاظ أو نازعه فيه من أخذه منه فأنا بريء منه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فلما تكبّر عمر بذلك وحسد العبّاس على دخل سوق عكاظ غصبه منه ولم يزل العباس متظلّماً منه عليه إلى حين وفاته.

ومنها أنّ النبي ﷺ كان جالساً في مسجده يوماً وحوله جماعة من الصحابة إذ دخل عمّه العبّاس وكان رجلاً صبيحاً حسن الخلق والشمائل فلمّا رآه النبي ﷺ قام إليه واستقبله وقبّل بين عينيه ورحب فيه وأجلسه إلى جانبه وجعل يفديه بأبيه وأمه وجعل العبّاس يقول أشعاراً لمدحه ﷺ فلمّا فرغ عمّه العبّاس قال النبي ﷺ يا عم جزاك الله خيراً ومكافأتك على الله تعالى، قال معاشر الناس احفظوني في عمّي العبّاس وانصروه ولا تخذلوه ثمّ قال يا عم اطلب منّي شيئاً أُعطك على سبيل الهدية، فقال يابن أخي أريد من الشام الملعب، ومن العراق الحبرة، ومن هجر الخطّ، وكانت هذه المواضع كثيرة العمارة فقال النبي ﷺ مرحبا (حبّاً خ ل) وكرامة ثم دعا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: أكتب لعمّك العبّاس هذه المواضع فكتب له أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً بذلك وأملى رسول الله ﷺ على علي وأشهد رسول الله ﷺ الجماعة الحاضرين وختمه النبي عليه السلام بخاتمه، وقال يا عم إن يفتح الله لي هذه المواضع فهي لك هبة وإن فتحت بعد موتي فإنّي أُوصي الّذي ينظر في الأمّة وآمره بتسليم هذه المواضع إليك ثمّ قال معاشر المسلمين إنّ هذه المواضع المذكورة لعمّي العبّاس فعلى من تغيّر عليه أو يبدله أو يمنعه أو يظلمه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم ناوله الكتاب.

فلمّا ولي عمر وفتح هذه المواضع المذكورة أقبل إليه العبّاس بالكتاب فلمّا نظر فيه دعا رجلاً من أهل الشام وسأله عن الملعب، فقال يزيد ارتفاعه على عشرين ألف درهم ثمّ سأل عن النواحي الأُخر فذكر له أنّ ارتفاعها يقوم بمال كثير فقال: يا أبا الفضل إنّ هذا مال كثير لا يجوز لك أخذه من دون المسلمين، فقال العبّاس هذا كتاب رسول الله ﷺ يشهد لي بذلك قليلاً كان أو كثيراً فقال له عمر: لا والله إن كنت تساوي المسلمين في ذلك وإلاّ فارجع من حين أتيت فجرى بينهما كلام كثير فغضب عمر وكان سريع الغضب وأخذ الكتاب من العبّاس وخرقه وتفل فيه ورمى به في وجه عبّاس وقال: والله لو طلبت منه حبّة واحدة ما أعطيتك، فأخذ العبّاس بقيّة الكتاب وعاد إلى منزله حزيناً كئيباً باكياً شاكياً إلى الله وإلى رسوله، فصاح العبّاس بالمهاجرين والأنصار فغضبوا لذلك وقالوا: يا عمر تخرق كتاب رسول الله ﷺ وتبقى إلى الأرض هذا شيء لا نصبر عليه، فخاف عمر أن يتخرم عليه الأمر فقال: قوموا بنا إلى العبّاس فنرضيه ونفعل معه ما يصلحه فنهضوا بأجمعهم إلى دار العبّاس فوجدوه متورّكاً لشدّة ما لحقه من الفتن والألم والظلم فقال: نحن في الغداة عائد إن شاء الله تعالى معتذرين إليه ممّا فعلنا فمضى غد وبعد غد ولم يعد إليه ولا اعتذر منه

ثمّ فرق الأموال على المهاجرين والأنصار وبقي كذلك إلى أن مات والله تعالى.

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون نقل من إرشاد القلوب للديلمي قدّس الله روحه الشريف ونوّر ضريحه المنيف والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حديث مشكل في الكافي والفقيه عن عمّار الساباطي عن الصادق ﵇ أنّه سئل عن الميت هل يبلى جسده؟ قال: نعم حتّى لا يبقى له عظم ولا لحم إلّا طينته التي خلق منها فإنّها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتّى يخلق منها كما خلق أول مرة. يقال بلي الميت أي أفنته الأرض وهذا كناية عن ذهاب بعض جسده، والمراد بالطينة كما في اللغة الأصل والخلقة والجبلة وفي تعيين المراد من الطينة الباقية في القبر على الاستدارة أقوال:

الأول: أنّ المراد بها النفس الناطقة إذ الطينة هي الأصل ولا ريب في أنّ النفس الناطقة هي أصل الإنسان وحقيقته وأنّها تثاب وتعاقب وهي الباقية بعد فناء الجسد حتى يخلق الله الجسد وتتعلّق به ثانياً، وبقاؤها في القبر إشارة إلى بقاء تعلّقها بأجزاء بدنها التي في القبر، فإنّ البدن لكونه آلة لتحصيل كمالاتها يمتنع أن يزول تعلّقها وتعشّقها به وأمّا استدارتها فكأنّها كناية عن انتقالها من حال إلى حال ومن شأن إلى شأن مطلقاً أو في حال البرزخ فالاستدارة هنا من الدوران بمعنى الحركة أي مأخوذة من دار يدور دوراً ودوراناً فالمراد أنّ ما سوى النفس من الإنسان يفنى وإنما تبقى النفس مستديمة مستمرة متحركة في جميع مراتب التغير منتقلة من حال إلى حال مع بقائها بذاتها حتّى تتعلّق ثانياً ببدنها، ويمكن أن تكون استدارتها كناية عن بساطتها وتجرّدها نظراً إلى أنّ الاستدارة شكل للبسيط وهذا أكمل وإن كان بعيداً من حيث اللفظ لافتقاره إلى تجوزات وتأويلات إلّا أنّه قريب من حيث المعنى.

الثاني: أنّ المراد بالطينة هو النطفة لأنّ الطينة هي الأصل الّذي يخلق منه، أي ما تتولّد به الأجزاء الأصلية من العظم والعصب والربائط وغيرها، وظاهر أنّ الأصل الّذي خلق منه سوى آدم وزوجته والمسيح من أفراد البشر هو النطفة، وأمّا آدم وزوجته فإنّما خلقا من الطين، وأمّا المسيح ﵇ فالمروي في الأخبار وإن لم

يحضرني الآن ألفاظها أنّه خلق من بخارات خرجت من آدم حين عطس في أول ما عطس وقد قبضها جبرائيل عليه السلام في كفّه بأمر الله تعالى وحفظها إلى أن ألقاها إلى مريم عليها السلام ونفخها فيها.

فالمراد أنّ الأجزاء الفضلية والأصليّة تتفرّق وتتلاشى بالموت البدني ويبقى ما به تتكون تلك الأجزاء وهو النطفة بحاله ليكون كالمادّة يخلق منها جسد الميّت كما خلق منها أول مرّة، إمّا بضم تلك الأجزاء إليها بعد التفتت والتشتّت أو بإنشائها منها مرّة أُخرى كما أنشأها منها في المرّة الأولى وقد ورد في بعض الأخبار أنّ الله إذا أراد أن يبعث الخلق مطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم.

وبالجملة المراد أنّ شخص النطفة التي خلق منها الميّت تبقى في القبر على هيئة الكرة إلى أن يعاد في القيامة ولا استبعاد في بقائها بحالها بالنظر إلى قدرة الله تعالى فلا حاجة إلى تأويلها، وإنّما تبقى على هيئة الكرة لكونها في بدء الفطرة حين كونها في الرحم كذلك لأنّ الماء بطبعه يقتضي الاستدارة والكروية حيثما كان كما بيّن في محلّه وهذا الحمل وإن كان قريباً من حيث اللفظ إلّا أنّه بعيد من حيث المعنى إذ بقاء شخص نطفة الرجل التي وقعت في رحم المرأة وخلقت منه الجنين بحالها الأصلي التي وقعت في الرحم ينادي بفساده القواعد الطبيّة والحكميّة وهذه النطفة لا تبقى على هيئة الاستدارة في البدن الّذي يكون منها فكيف تبقى بعد فنائه في القبر.

الثالث: أنّ المراد بها التراب الّذي يدخل في النطفة كما هو ظاهر بعض الآيات والروايات وإن فسروها بغيرها كقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، وقول أحدهما في صحيحة محمّد بن مسلم: من خلق من تربة دفن فيها وقول الصادق عليه السلام في رواية حارث بن المغيرة: إنّ النطفة إذا وقعت في الرحم بعث الله ملكاً فأخذ من التربة التي يدفن فيها وخلطها في النطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها، والمراد باستدارتها إمّا معناها الحقيقي أي أنّ هذا التراب على شكل الاستدارة ويكون محفوظاً عليها حتّى يبعث فيها، أو المجازي أي انتقاله من حال إلى حال بمعنى أنّه دائر على الحالات والشؤون ولو في الصحاف والكيزان حتّى يخلق منها، ولا يخفى أنّ هذا الحمل أيضاً بعيد من حيث المعنى إذ ظاهر أنّ ما ورد في بعض الأخبار من خلط التراب بالنطفة لا يمكن الأخذ بظاهره فكيف يؤول إليه غيره ممّن لا يمكن الأخذ بظاهره أيضاً.

الرابع: أنّ المراد منها أي: من الطينة ذرّة من الذرّات المسؤولة في الأزل بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعدما جعلت قابلة للخطاب بتعلّق الأرواح فيكون بدن كل إنسان مخلوقاً من ذرّة من تلك الذرات فينميها الله إلى ما شاء من غاية ثمّ يذهب ويفنى عنها ما زاد عليها وتبقى الذرة مستديرة في القبر إلى ما شاء الله ثمّ يزيد فيها وقت الإحياء والقيامة تلك الزيادات فيصير كما كان في الدنيا ولا يخفى ما في هذا الحمل من الضعف، أمّا أوّلاً فلأنّه لا ريب في أنّ المسؤول والقابل للخطاب والمطلوب منه الجواب هو الروح المجرد القائم بذاته لا الذرّة ليحتاج إلى تعلّق الروح بها وإنّما الاحتياج إلى الذرّة في أن تصير آلة له في تكلّمه الحقيقي بلسانه المقالي ليتمكّن بذلك من الجواب عن السؤال، ولا شبهة في أنّ الذرّة التي مائة منها زنة شعيرة كما في القاموس غير صالحة في هذه الآلية فتعلّقه بها ممّا لا فائدة له في هذه الآلية. وأمّا ثانياً فلأنّه يوجب القول بأزلية الأرواح وهو مخالف لما ذهب إليه الملّيون ولما تقرّر من أنّها حادثة بحدوث البدن. وأمّا ثالثاً فلأنّه يوجب أن يكون أصل البدن وهو الذرة قديماً أزليّاً وينحصر الحادث في أجزائها الفضليّة التي تزيد وتنقص.

وأمّا رابعاً فلأنّه لا يظهر حينئذٍ وجه لبقائها مستديرة لأنّ الذرّة وهي صغار النمل ليست بمستديرة كما هو المعروف المحسوس إلّا أن يجعل الاستدارة كناية عن انتقالها من حال إلى حال مع بقائها كما سبق.

وأمّا خامساً فلأنّ تلك الذرات المسؤولة في الأزل بعدما جعلت قابلة للخطاب لو كانت في تلك المدّة المتطاولة الغير المتناهية كاسبة فأين مكسوباتها وإن لم تكن كاسبة بل كانت مهملة معطّلة لزم التعطيل مع أنّه لا وجه لتعطّلها مع بقائها وبقاء ما تعلّقت هي به وكونها قابلة للخطاب والسؤال والجواب فيلزم أن يكون لكلّ إنسان علوم وكمالات أو نقصان وجهالات غير متناهية مع أنّه ليس كذلك.

وأمّا سادساً فلأنّ تلك الذرات لمّا جعلت عقلاء عارفين للتوحيد يتعلّق بكلّ واحدة منها وجب أن يتذكروا الميثاق لأنّ أخذه إنّما يكون حجّة على المأخوذ عليه إذا كان ذاكراً له وكيف يجوز أن ينسى الجمّ الغفير من العقلاء شيئاً كانوا عرفوه وأدركوه بحيث لا يذكر شيئاً من ذلك واحد منهم وطول العهد لا يوجب النسيان بهذا الحدّ ألا ترى أنّ أهل الآخرة يتذكّرون كثيراً من الدنيا يقول أهل الجنّة لأهل النار ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] ولو جاز أن ينسوا ذلك لجاز أن يكون الله

قد كلّف الخلق فيما مضى، ثمّ أعادهم للثواب والعقاب وقد نسوا ذلك وهذا يؤدّي إلى الإغراء بالجهل وإلى صحّة مذهب التناسخية إذ أقوى الأدلة في الردّ عليهم أنّ النفس المتعلّقة بهذا البدن لو كانت منتقلة إليه من بدن آخر لزم أن يتذكّر شيئاً من أحوال ذلك البدن لأنّ محل العلم والتذكّر إنّما هو جوهر النفس الباقي كما كان مع أنّه ليس كذلك وأمّا ادعاء الصوفية تذكّره وبقاء لذّة الخطاب في آذانهم كما أشار إليه صاحب العرائس بقوله وقد كاشف الله قوماً حال الخطاب بجماله فطرحهم في هيجان حبّه وأسكن ذلك في كوامن أسرارهم فإذا سمعوا اليوم سماعاً تجدّد لهم تلك الأحوال والانزعاج الّذي يظهر منهم بتذكّر ما سلف لهم من العهد القديم فهو باطل عند أهل الأديان بل هو عندهم قسم من الهذيان كادّعائهم أنّا نسمع حال الرقص والسماع من حور مقصورات في خيام الجنّة ونجامعهنّ بالجماع المتعارف المعهود فإذا صاروا مغشيّاً عليهم وقت السماع والطرب اغتسلوا بعد الإفاقة غسل الجنابة.

وأمّا سابعاً فلأنّ الأصل الّذي يخلق منه بدن كلّ إنسان سوى ما استثنى هو النطفة بالنقل والعقل، أمّا النقل فكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣]، وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ [الطارق: ٥-٦]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

وأمّا العقل فهو ما ذكروه من أنّ نفس الأبوين تجمع بالقوة الجاذبة أجزاء غذائيّة ثمّ تجعلها أخلاطاً وتقرر منها بالقوة المولّدة مادّة المنيّ وتجعلها مستعدّة للقبول من شأنها عدداً المادّة لصيرورتها إنساناً فتصير تلك القوّة منيّاً، وتلك الصورة حافظة لمزاج المني كالصورة المعدنية.

ثمّ إنّ المنيّ يتزايد كمالاً في الرحم بحسب استعدادات يكتسبها هناك إلى أن تصير مستعدّاً لقبول نفس أكمل تصدر عنها مع حفظ المادة الأفعال النباتيّة فتجذب الغذاء وتضيفها إلى تلك المادّة فتنميها فتتكامل المادّة بترتيبها إيّاها فتصير تلك الصورة مصدراً لهذه الأفاعيل المختلفة وهكذا إلى أن يصير مستعدّاً لقبول نفس أكمل تصدر عنها الأفاعيل الحيوانيّة أيضاً فيتم البدن ويتكامل إلى أن يصير مستعدّاً لقبول نفس ناطقة تبقى مدبرة إلى حلول الأجل، وإذا ثبت أنّ أصل البدن هو النطفة فلا معنى لجعل أصلها هو الذرة وجعل ما عداها من الأجزاء الفضليّة.

وأمّا ثامناً فلأنّ تلك الذرات المسؤولة غير أزليّة والسؤال لم يكن في الأزل بل

إنّما كان وقت تخمير طينة آدم قبل خلقه منها أو بعد خلقه منها حين أخرجهم من ظهره وهم ذرّ يدبّون يميناً وشمالاً كما يفهم من الأخبار المذكورة في الكافي كما ذكره صاحب هذا التوجيه من أنّ المراد من الطينة الذرّة المسؤولة في الأزل فتقييد السؤال بالأزل غير جيّد، ولعلّه اشتبه عليهم عالم الذر فظن أنّ المراد به الأزل وليس الأمر كذلك بل المراد به ما ذكر الخامس من أنّ المراد بالطينة الباقية هي الصورة المزاجيّة وكأنّ المراد بتلك الصورة هي النفس مع قالبها المثالي أو مجرد قالبها وهذا الحمل قريب من الأول، وبما ذكر يظهر أنّ أقرب المحامل المذكورة هو الأول والأخير الّذي هو أيضاً راجع إليه في الحقيقة مع أنّه أيضاً في غاية البعد.

والأظهر عندي أن يحمل الطينة الباقية على التراب الّذي هو الجزء الغالب من كلّ مركب عنصري فإنّ كل مركّب من الحيوان والنبات والجماد إنّما يتركّب من خلقة العناصر الأربعة ويكون الغالب منها هو الجزء الأرضي وبعد انحلال هذا التركيب وفنائه ينحل إلى الأربع التي يتركب منها ويتصل كلّ جزء بكلّه وكرته فالجزء الناري يتّصل بكرة النار والهوائي بكرة الهواء والمائي بكرة الماء ويبقى الجزء الغالب الأرضي متّصلاً بالأرض فالمراد من الحديث أنّ ما يدخل في القبر من جسد الإنسان ينحلّ ويتلاشى ويتفرق ولا يبقى شيء من أجزائه الأصليّة والفضليّة في القبر إلّا طينته التي هي الجزء الغالب من أجزائه الأصليّة أعني التراب فإنّه يبقى في القبر على الاستدارة، إمّا بمعناها الحقيقي نظراً إلى أنّه جزء الكرة وجزء الكريّ كريّ أو بمعناه المجازي أعني انتقاله من حال إلى حال وتبدّله من شأن إلى شأن إلى أن يخلق منه مرّة أُخرى بانضمام سائر الأجزاء الفضلية المفارقة عنه إليه أي كما خلق منه أول مرّة.

تنبيه

المستفاد من الخبر المذكور[1] أنّ المعاد إنّما هو الأجزاء الأصليّة وإعادة الأجزاء الفضلية غير لازمة وبذلك تندفع الشبهة المشهورة الموردة على المعاد

(١) غير خفي على الخبير أن هذا الخبر من ضعاف الأخبار ومن متشابهات الآثار ورراويه، وهو الساباطي، لا اعتماد عليه عند أصحابنا الأبرار وله وجوه من التأويلات وقد تمسك به بعض من يتمسك بالآحاد في أصول الاعتقاديات كالقائل بالبدن ال - «هورقليائي» في الإنسان.
والقارىء خبير بأن من الواضحات عند رواد العلم وطلاب الحقيقة أن التمسك بمثل هذه الرواية الضعيفة المتشابهة لإثبات حكم من أحكام الشرع وفرع من المسائل الفرعية مع حجية أخبار الآحاد فيها خارج عن طريقة أهل النظر والتحقيق من علمائنا الأساطين والفقهاء =

الجسماني حتّى ربّما قد يشك بها الملاحدة وأتباعهم من فسّاق المسلمين الّذين هم أمثالهم في الباطن وإن تميّزوا عنهم في الظاهر على استحالة المعاد البدني فهي أنّه لو أكل إنسان إنساناً وصار جزء بدنه فإمّا أن لا يعاد أصلاً وهو المطلوب أو يعاد فيهما معاً وهو محال أو في أحدهما وحده فلا يكون الآخر معاداً، وهذا مع إفضائه إلى ترجيح من غير مرجح يستلزم المطلوب وهو عدم إمكان إعادة جميع الأبدان بأعيانها.

ووجه الاندفاع أنّ المعاد إنّما هو الأجزاء الأصليّة الباقية دون الأجزاء الفضليّة الفانية، وهذا الإنسان المأكول الّذي صار جزءاً لبدن الآكل ليس من الأجزاء الأصليّة بل إنّما هو فضلٍ فيه فلا يجب إعادته في الأكل قطعاً، نعم لو كان من الأجزاء الأصليّة للمأكول أُعيد فيه وإلاّ فلا وبتقرير آخر نقول أجزاء الإنسان المأكول أصليّة له أو فضليّة للإنسان الآكل فيعاد كلّ منهما مع اجزائه الأصلية، ويرد أصليّة المأكول التي صارت فضليّة للأكل إلى المأكول وتبقى أصليّة الآكل معه فلا يمتنع العود، ثمّ على تقدير عدم إعادة الأجزاء مطلقاً أصلية كانت أو فضلية نقول بقاء طينته التي يخلق منها كما خلق أوّل مرّة كافٍ في القول بالمعاد البدني وإليه يشير كلام بعض الفضلاء حيث قال:

الظاهر أنّ أمثال هذه الأخبار وردت لرفع شبهة الملاحدة في نفي المعاد الجسماني لوارد في الكتاب والسنة المتواترة بحيث صار من الضروريات الدينيّة يكفر منكرها إجماعاً وفاقاً وشبهتهم أنّ الميّت إذا صار رميماً وصار جزءاً لبدنِ إنسان آخر أو حيوان فلا يمكن بعثه في البدنين وأنّ الإنسان الفاعل للخير والشرّ في كلّ يوم يتحلل بدنه والغذاء يصير بدل ما يتحلّل منه حتّى إنّه لا يبقى في سنة ما كان في السنة السابقة فكيف يبعث؟.

= الأصوليين فضلاً عن التمسك بها لإثبات أصل من أصول الدين كمسألة المعاد التي هي الأصل العظيم من أركان الدين. وأما مسألة شبهة الآكل والمأكول فراجع في دفعها على النحو العلمي الصحيح والتحقيق حولها إلى كتب صدر المتألهين رحمه الله وإلى الملجد الثالث من كفاية الموحدين وإلى ما كتبه أستاذنا الإمام كاشف الغطاء رحمه الله في الفردوس الأعلى في مسألة إثبات المعاد الجسماني بالبرهان العقلي وغيرها من الكتب المدونة في المعاد ولا سيما المؤلفة في هذا العصر. وانظر في ضبط كلمة «هورقليا» على الوجه الصحيح والتحقيق حولها إلى مجلة: «دانشگده أدبيات، طهران» عدد (٣) سنة: (١) ص ٧٨ - ١٠٥. وبعد التأمل فيها يظهر أن كل ما ذكروه في أصل هذه الكلمة واشتقاقها وجوهرها وحقيقتها أغلبها حدسيات وتوهمات لا تطمئن النفس بشيء منها فراجع.

والجواب أنّ التربة والنطفة المخلوق منها لا يفنى ولا يصير جزءاً للحيوان الآخر ويبعث منها وهو ممكن أخبر به الصّادق عليه السلام عن الله تعالى فيجب قبوله على أنّ الله تعالى قادر على أن لا يجعل كله جزءاً أو يبعثه مع اجزائه الذاتيّة بالتحليل انتهى، وحاصله أنّ المناط في الإعادة هو الأصل بأي معنى أُخذ أي سواء أُخذ بمعنى التربة والنطفة والنفس الناطقة أو غير ذلك ممّا مرّ فإذا أعيد الأصل بأن يخلق منها الجسد ويبعث منها يحصل المعاد البدني وإن لم يحصل إعادة سائر الأجزاء الفضليّة والأصليّة، ولا يخفى أنّ الشبهة لو قررت على الوجه المذكور فلا ريب في اندفاعها بالوجوه المذكورة، ولكن يمكن أن يقرر بوجه لا يندفع بهذه الوجوه بأن يقال على ما اخترتم من كون الأصل هو التربة فإذا فني بدن شخص وتحلّل وبقي منه مجرد التربة في القبر وزالت سائر اجزائه فلا ريب في أنّ هذه التربة هي الأصل الّذي يخلق منه بدن هذا الشخص فإذا فرض أنّ هذه التربة صارت غذاء وهذا الغذاء صار مادّة لنطفة تولّد منها شخص آخر فلا ريب في أنّ هذه التربة أصل بالنسبة إلى هذا الشخص الآخر أيضاً لكونه مخلوقاً منها فإذا مات هذا الشخص الثاني وبلي جسده يزول جميع أجزاء بدنه وإنّما يبقى في القبر مجرد هذه التربة التي خلق منها بدنه وهذه التربة بعينها كانت أصلاً لبدن الشخص الأول، والمفروض أنّه أصل بالنسبة إلى بدن هذا الشخص الثاني أيضاً ويلزم الشبهة حينئذٍ بأنّها إمّا أن لا تعاد فهو المطلوب أو تعاد فيهما معاً وهو محال أو في أحدهما وحده فلا يكون الآخر بعينه معاداً ولكون هذه التربة جزءاً أصليّاً بالاتّفاق لا يمكن الجواب بما مر.

تتمة: اعلم أنّ الحكم المذكور في هذا الخبر أعني بلى الجسد وفناءه مخصص بغيرالنبي صلى الله عليه وآله وعترته المعصومين عليهم السلام لما ورد في أخبار كثيرة وآثار عديدة من أنّ أجسادهم الطاهرة وأبدانهم القادسة[1] لا تبلى ولا تتغيّر كقول الصادق عليه السلام على ما

---

(١) قال أمير المؤمنين سلام الله عليه في خطبته المباركة في نهج البلاغة، خطبة: (٨٤) عند ذكره مناقب أهل البيت عليهم السلام: أيها الناس خذوها من خاتم النبيين صلى الله عليه وآله: «إنه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلي منا وليس ببال». وهذا الكلام الشريف من مشكلات الأحاديث ومتشابهاتها فإنه بظاهره متناقض حيث أنه نفى الموت والبلى عنهم بعد إثباتهما عليهم والايجاب يناقض السلب والسلب للإيجاب وأيضاً أنهم عليهم السلام هل يحكم بموتهم وبلاهم في الواقع ونفس الأمر على ما هو مقتضى الشطر الإيجابي من القضيتين أو لا يحكم بشيء منهما في حقهم على ما يقتضيه الجزء السلبي منهما. ولذلك اختلف في فهم هذا الكلام الشريف أنظار شراح نهج البلاغة وقد فهم منه العالم الرباني ابن ميثم البحراني رحمه الله في شرح النهج =

في الفقيه إنّ الله عَزَّوَجَلَّ حرم عظامنا على الأرض ولحومنا على الدود أن يطعم منها شيئاً وكقول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على ما روي عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من الطريقين حياتي خير لكم ومماتي خير لكم قالوا: يا رسول الله وكيف ذلك قال: أمّا حياتي فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا

= أن أجسادهم تبلى وإنما تبقى الأرواح والأشباه المثالية كما في سائر الأشخاص ولكنه خلاف التحقيق والنظر الصحيح المستفاد من الأدلة النقلية. انظر: شرح النهج لابن ميثم ج ٢ ص ٣٠٢ ط مؤسسة النصر - طهران. وقد بسط الكلام في المقام الشارح الخوئي رَحِمَهُ اللهُ في شرح النهج انظر: ج ٦ ص ٢٠٢ - ٢١٤. والحق في المقام أن بمقتضى الآية الشريفة: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦-٢٧] أن جميع من على وجه الأرض يفنى ولا يبقى شيء حتى أجساد الأنبياء والأولياء والأوصياء والأصفياء فإن الموجودات كلها في حد ذاتها فانية داثرة إلا وجه الله تعالى. كما يستفاد هذا الحكم من خبر الساباطي المذكور في المتن أيضاً ولكن المستفاد من الأخبار اختصاص بلى الأجساد بغير خاتم الأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وقد خرجت أجسادهم الشريفة عن الحكم العام المستفاد من القرآن الكريم والخبر فإن الأدلة النقلية من الأخبار تدل على أن أجسادهم الطاهرة تبقى ولا تفنى. وما تعارف بين الناس أنهم إذا وجدوا جسد ميت من العلماء وغيرهم بعد سنين طرياً لم يتغير فيعدون ذلك من علائم السعادة ودليلاً على حسن حاله في الآخرة حتى أن هذه القضية شائعة بين العوام بل وبعض الخواص كما يظهر من كتب التراجم والرجال فليس لها دليل عقلي أو نقلي يعتمد عليه فإنك عرفت أن ظاهر القرآن الكريم هو فناء جميع من على وجه الأرض وكل شيء فان ولا يبقى إلا وجهه الكريم وعدم بلى بعض الأجساد لا بد وأن يكون إلى مدة، وبقاء الأجساد وتلاشيها ببطء أو سرعة يختلف باختلاف استعدادها والتربة التي يدفن فيها فإنه تختلف علل عدم البلى وأسبابه وليس البلى وعدمه علامة لشيء من السعادة والشقاوة وقد ظهر جسد هشام بن عبد الملك الأموي اللعين بعد أن صارت السلطة لبني العباس طرياً لم يتغير كما ذكروه في التواريخ. ولشيخنا الأستاذ الإمام كاشف الغطاء رَحِمَهُ اللهُ كلام في المقام ينبغي لفت النظر إليه وهو في جواب سؤالي عنه من هذا المطلب انظر: الفردوس الأعلى.

تمت التعليقات بحمد الله تعالى بتمام طبع كتاب «الأنوار النعمانية» والملحقات الملصقة إليه في أكثر النسخ المطبوعة، بقلم الحقير أقل خدمة الدين الإسلامي محمد على القاضي الطباطبائي ابن الحاج ميرزا باقر القاضي بن ميرزا محمد علي القاضي بن ميرزا محسن القاضي بن ميرزا عبد الجبار القاضي بن ميرزا مهدي القاضي الكبير بن ميرزا محمد تقي القاضي بن ميرزا محمد القاضي بن ميرزا محمد علي القاضي الشهيد بن ميرزا صدر الدين معروف ميرزا صدر القاضي بن ميرزا يوسف نقيب الأشراف بن ميرزا صدر الدين محمد كبير بن السيد مجد الدين بن الأمير سيد إسماعيل بن الأمير محمد أكبر القاضي الشهير بمير شاهمير بن المجتهد الكبير الشهيد في أعماق السجون صاحب الكرامات نور الدين عبد الوهاب شيخ الإسلام الحسني الحسيني الطباطبائي رحمهم الله تعالى.

كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وأمّا مفارقتي إيّاكم فإنّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ يوم فما كان من عمل حسن استزدت الله لكم وما كان من عمل قبيح استغفرت الله لكم قالوا: وقد رممت يا رسول الله؟ (يعنون صرت رميماً) فقال: كلا إنّ الله عزّوجلّ حرم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئاً. ومثله ورد في حديث طويل أورده الصدوق في الفقيه وأنت تعلم أنّ من ظاهر هذه الأخبار بملاحظة ما نُقل من نَقل عظام آدم عليه السلام إلى الغري ونقل عظام يوسف عليه السلام إلى الأرض المقدسة يستفاد اختصاص هذا الحكم أعني بلى الجسد وتغيّره بغير خاتم الرسل وأوصيائه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا يجري ذلك في سائر الأنبياء وأوصيائهم عليهم الصلاة والسلام فتأمل.



الفهرس

الموضوع | **الصفحة**